SÜLEYMANİYE
268
Amca Z. Hüseyin Pş.

A. Z. H. P.
268

٢٦٨

٢٦٨
٢٥-٥

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısım AMCA ZADE HÜSEYİN PAŞA
268

A.+H.P.
768

٨٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

التفكر في خلق السموات والأرض

تأليف الشيخ

الإمام العالم العلامة حجة

الإسلام أبي حامد محمد بن محمد

بن محمد الغزالي رضي الله

عنه

بسم الله الرحمن الرحيم رب انعمت فزد واختم بخير امين

الحمد لله تحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق والنواظر المطلع على حقيقات السرائر العالم بمكنونات الضمائر المستغني في تدبير ملكه عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب والصلاة على محمد نبيه سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى اله الطيبين الطاهرين اما بعد

فشرف الانسان وفضيلته التي فاق بها من جملة اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره في الاخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله والمتقرب اليه وهو المكاشف عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم والات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله سبحانه وتعالى اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله سبحانه وهو المخاطب والمعاتب والمطالب والمعاقب وهو يسعد بالقرب من الله فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دسّاه وهو المطيع بالحقيقة لله سبحانه وانما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله سبحانه وانما التباري الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستبشاريته يظهر محاسن الظاهر وبمساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه تحير ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم فان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يعميه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن واذا يهوى مرة الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمعرفة القلب وحقيقته اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب الذي هو ربع المنجيات من النظر فيما يجري على الجوارح من العادات والعبادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد وان نقدم عليه كتابين كتاب في شرح صفات القلب واخلاقه وكتاب في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه

ثم نندفع في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن ادراكه اكثر الافهام **بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي**

اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في قول العلماء من يحيط بمعاني هذه الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها واكثر الاغاليط متشعبة من الجهل بمعنى هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا فمن ذلك **لفظ القلب** وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع روحه ونحن لسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته اذ لا تتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك والشهادة اذ البهايم تدركه بحاسة البصر فضلا من الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني قد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقها به بما هي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالاله او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما تتوقاه افهم المختبرين لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح وما لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها

اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف مشعشع تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سايراجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان انوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم منه على اعضايه فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في زوايا البيت بتحريك محركه والاطبا اذا اطلقوا الروح اراد وا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطبا الذين

يعالجون الابدان فاما عرض لاطبا الذين المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس
تتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني هو اللطيفه العالمه المدركه من الانسان وهو الذي
شرحناه في احد معنى القلب وهو الذي اراده الله تعالى بقوله ويسلونك عن الروح قل الروح من امر
ربي وهو امر ربانى عجيب تعجز اكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته **اللفظ الثالث**
النفس وهو ايضا مشترك بين معان ويتعلق بعرضنا منه معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع
لقوة الغضب والشهوه في الانسان على ما سياتى بيانه وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفيه فهم
يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومه من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس
وكسرها واليه الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني
هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف
مختلفه بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات
سميت النفس المطمئنه قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنه ارجعي الى ربك راضية مرضيه
والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله فانها مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان
فاذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانيه ومعترضة عليها سميت النفس اللوامه
لانه يلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامه وان
تركت الاعتراض وادعنت واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة بالسوء
قال الله تعالى وما ابري نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة بالسوء هي
النفس بالمعنى الاول فاذا النفس بالمعنى الاول مذمومه غاية الذم والمعنى الثاني محمودة لانها نفس
الانسان اى ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسايرالمعلومات **اللفظ الرابع العقل** وهو
ايضا مشترك لمعاني مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان احدهما
انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه
قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني انه
قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفه ونحن نعلم ان كل عالم فله في
نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلوم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق
ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل الاجدر ان يكون المحل

مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر
الحديث بطوله فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجساني
والنفس الشهواني والعقل وهذه اربعة معان يطلق عليها الالفاظ الاربعه ومعنى خامس وهو اللطيفة
العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعه يجمعها ويوردعليها المعاني خمسة والالفاظ اربعه وكل
لفظ اطلق لمعنيين والعلما قد التبس عليهم اختلاف الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر
ويقولون هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وهذا خاطر النفس وليس يدري
الناظر اختلاف معاني هذه الاسامي فلاجل كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في
القران والسنة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه سر الانسان ويعرف حقيقة الانبا وقد يكنى
عنه بالقلب الذي في الصدر لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت
متعلقه بساير البدن ومستعلية له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه
محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها وكذلك شبه سهل بن عبد الله التستري القلب بالعرش والصدر
بالكرسي ولا يظن انه يريد انه عرش الله وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به مملكة والمجرى الاول
لتدبيره وتصرفه فيها بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا ستقيم هذه النسبه
ايضا الا بين بعض الوجوه وشرح ذلك لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه **بيان جنود القلب**
قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ولله سبحانه وتعالى في القلوب وغيرها من العوالم جنود مجندة
ولا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا الله تعالى ونحن الآن نشير الى بعض جنود القلب وهو الذي
تعلق بغرضنا وله جندان جند يدرك بالابصار وجند لا يدرك الا بالبصاير وهو في حكم الملك
الجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين وهو اليد والرجل والعين
والاذن واللسان وساير الاعضا الظاهره والباطنه فان جميعها خادمة للقلب مسخرة له وهو المتصرف
فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا وعليه تمردا فاذا امر العين
بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا
ساير الاعضا وتسخر الاعضا والحواس للقلب يشبه تسخر الملايكة لله تعالى من وجه فانهم جبلوا على
الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما يفترقون في شيء
وهو ان الملايكه عالمة بطاعتها وامثالها والاجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل
التسخير ولا خبر لها في معرفة نفسها ومن طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره

الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الي لقائه فلاجله
خلقت القلوب قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما
الاسباب الذى توصله الى الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالي
ما لم يمكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لابد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة
الاخره وهى منزل من منازل الهدي وانما سميت الدنيا دنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر الى ان يتزود من هذا
العالم والبدن مركبه الذى يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يتحفظ البدن بان
يجلب اليه ما يوافقه من الغذا أو غيره ويدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل
جلب الغذا الى جند من باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والرجل والاعضا الجالبة للغذا فخلق في القلب
من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضا التي هى آلات الشهوات فافتقر لاجل دفع المهلكات الى جند
من باطن وهو ادراك البصيرة للغضب الذى يدفع به المهلكات وينتقم من الاعدا وظاهر وهو اليد
والرجل الذى به يعمل مقتضى الغضب وكل ذلك امور خارجه من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الي
الغذا اذا لم يعرف الغذا الذى ينفعه من شهوة الغذا والآلة التي يتناول بها افتقر للمعرفة الى جند من باطن وهو ادراك البصر
والشم والذوق واللمس والسمع وظاهر وهو العين والاذن والانف والفم وغيرها وتفصيل الحاجة اليها
ووجه الحكمة فيها يطول ذكره والاحوج منها بجلدات كثيره وقد ذكرنا طرفا منه يسيرا في كتاب الشكر فليعتبر به
فجملة جنود القلب بحضره ثلثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة
واما الى دفع المنافى الضار كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالاراده والثانى هو المحرك للاعضا
الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثانى بالقدرة وهو جنود مبثوثه في سايرالاعضا لاسيما
العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشيا كالحواسيس وهى قوة البصر والسمع والذوق
وغيرها وهى مبثوثه في اعضا معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك وكل واحد من هذا الجنود الباطنة
جنود ظاهرة وهى الاعضا المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت الآت لهذه الجنود
فان قوة البطش بالاصابع وقوة البصر انما يدرك الشي بالعين وكذا سايرالقوي ولسنا نتكلم في الجنود
الظاهره اعنى الاعضا فانه من عالم الملك والشهاده انما نتكلم الآن فيما أيد به من جنود لم تروها وهذا
الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجمله ينقسم الى ما أسكن المنازل الظاهره وهى الحواس الخمس اعنى
السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل الباطنه وهو النجاويف الدماغ وهى ايضا خمسة فان
الانسان بعد رويته الشي يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة مدة

سبب ثم يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر
ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات في الباطن
حس مشترك وتخيل وتذكر وحفظ وتفكر ولولا خلق الله تعالي قوة الفكر والحفظ والذكر والتخيل
لكان تخلو الدماغ عنه كما تخلو اعنه اليد والرجل فتلك القوي ايضا جنود باطنه واما كنها ايضا باطنه
فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه الفهم اعنى تفهم الضعفا بطول ومقصود هذا الكتاب
ان ينتفع به الاقويا والمحول من العلما ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفا بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم
والله الموفق بجوده وكرمه **بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنه** اعلم ان جندي الغضب
والشهوه قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه على ذلك على طريق القلب الذى يسلكه وحسن مرافقته
في السفر الذى هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصا بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه
هلاكه وانقطاعه عن سفره الذى به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والفكر
كما سيأتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالي على الجندين الاخرين فانهما قد يلتحقان
بحزب الشيطان فان تركت الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت محيرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضا الشهوة
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى قليل بثلثة
امثال **المثال الاول** نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعنى بالنفس اللطيفه المذكوره كمثل
والٍ في مدينته وملكته فان البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وقواه وجوارحه
بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقليه المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له
كعبد سوء يجلب الطعام والميرة الى المدينه والغضب والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة كذاب
مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهايل والسم القاتل ردينه وعادته منازعة
الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلوا عن منازعته ومعارضته في اراية ساعة فكما ان الوالي
في مملكته متى استشار في تدبير اته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا على اشارته
بان الصواب في نقيض رايه واذب صاحب شرطته واسايسه لوزيره وجعله موتمرا له ومسلطا من
جهته على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد سوسا لاسايسا وماثورا مدبرا
لا امرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه وكذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت
الحمية الغضبيه وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخري تارة بان يقلل مرتبة الغضب

وغلوائه بخلابة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليه
وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقه كان كمن قال الله تعالى فيه
افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال لمن نهى النفس
عن الهوي ونهى النفس عن الهوي فان الجنة هي المأوي وسيأتي كيفية مجاهدة هذا الجنود وتسليط بعضها
على بعض في كتاب رياضة النفس **المثال الثاني** ان البدن كالمدينه والعقل العالم المدرك من الانسان
كملك مدبر لها وقواه المدركه من الحواس الظاهره والباطنه كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس
الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط
وثغر ونفسه كقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يجب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة
قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته
ذم أثره وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد
الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشاره بقوله صلى الله عليه
وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد
وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مؤدبا معلما كان
جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه ينبعث تحته
منقادا ولا الكلب يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يتعطب فضلا عن ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس
مثل جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة
البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلايه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم ان جملة ما
ذكرناه قد انعم الله بها على سايرالحيوانات سوي الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهر
والباطنه ايضا حتى ان الشاة ترى الذيب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك ادراك الباطن فلنذكر
ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم واستاهل القرب من الله تعالي وهو راجع الى العلم والارادة اما العلم
فهو العلم بالامور الدينيه والاخرويه والحقايق العقليه فان هذه امور وراء المحسوسات ولا تشارك
فيها الحيوانات بل العلوم الكليه الضروريه من خواص العقل اذ حكم الانسان بان الفرس الواحد لا يتصور
ان يكون في مكانين في حالة واحده وهذا احكم منه على كل فريس ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض
الافراس فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري
فهو في سايرالنظريات اظهر واما الارادة فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث

من ذاته شوقا الى وجه المصلحه والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات
بل يكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها
والشهوة تميل الى اللذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله
العقل المعرف لعاقبة الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضا على مقتضى حكم العقل لكان حكم العاقل
ضايعا على التحقيق فاذا اختص قلب الانسان بجوهر وارداتٍ ينفك عنها سايرالحيوانات بل ينفك عنها الصبي
في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنه فانها
موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احداهما ان يشتمل قلبه على جملة العلوم
الضروريه الاوليه كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجايزات الظاهره فكون العلوم النظريه فيه غير
حاصله الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذكي
يعرف من الكتابه الا الدواه والقلم والحروف المفرده دون المركبة فانه قد قارب الكتابه ولم يبلغها بعد
الثانية ان تحصل له العلوم المكتسبه بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله
حال الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليه وهذه هي غاية درجة الانسانيه
ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى وتتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وشرف المعلومات
وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفه ولبعضها
بتعلم واكتساب ثم قد يكون ذلك سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام يتباين منازل العلما
والحكما والاولياء والانبيا عليهم السلام ودرجات الترقي فيه غير محصوره اذ معلومات الله تعالى لا نهاية
لها واقصى المراتب رتبة النبي صلى الله عليه وسلم الذي تنكشف له كل الحقايق واكثرها من غير اكتساب وتكلف
بل بكشف الهي في اسرع وقت وبهذا السعادة يقرب العبد من الله تعالي قربا بالمعنى والحقيقة لا بالمكان والمسافة
والجهة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله تعالي والاحصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك
المنزل الذي يبلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما
لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوه وبالنبي عليه صلوات الله الرحمن ونصدق بوجوده
ولكن لا يعرف حقيقة النبوه الا النبي صلى الله عليه وسلم وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال
المميز وما انفتح له من العلوم الضروريه ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظريه فلا
يعرف عاقل ما انفتح على اولياء الله تعالي وانبيايه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له وهذه الرحمة مبذولة لحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مضنون به على احد

ولكن انما يظهر في القلوب المعترضة لنفحات الله كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها تطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشاره بقوله عليه السلام ينزل الله تعالى كل ليلة الى سما الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه لقد طال شوق الابرار الى لقائي وانا الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وكل ذلك اشاره الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل عن جهة القلوب فان القلوب كالاواني ما دامت مملوة بالما لا يدخلها الهوي والقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله والية الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السما ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضيرة الجلال والكمال والبدن مركب النفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس تشارك الحمار في قوة الحمل وتختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الفرس والحمار في امور ويفارقهما في امور وهي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملايكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين الملايكة والبهايم فان الانسان من حيث يغتذي وينسل نبات ومن حيث يتحرك ويحس بالاختيار فهو حيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضايه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة لتحقيق ان يلتحق بهم وجديرا بان يسمى ملكا وربانيا كما قال الله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات يا كل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمي كثور او شرها كخنزير او ضرعا كالكلب او حقودا كالجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او جمع ذلك كله كشيطان مريد ومامن عضو من الاعضا ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما ياتي ذكره منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقا الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا خدمه ويستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده وتجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه وتجري

بيانه

غمرا

الدينية

اللسان

اللسان مجري ترجمانه وتجري الاعضا المتحركة مجري كتابه وتجري الحواس الخمس مجري جواسيسه وبوكل كل واحد باخبار صنف من الاصقاع فيوكل العين بانواع الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويودونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلم صاحب البريد الى الخازن وهي القوة الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا لنعمة الله عليه واذا اعطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة وفي عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله تعالى مضيعا لجنود الله تعالى ناصرا لاعدا الله تعالى مخذلا لحزب الله تعالى ويستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عينا ه طايرها واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في تمثيله القلوب ان لله تعالى في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم نشره فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة قال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المومن وقال سهل التستري مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

وجاله

بيان جوامع اوصاف القلب ومثاله اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقه اربعة شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضا والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلط عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم مثل الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر ربانيّ كما قال الله تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلا والاستعلا والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالربانية والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا قرن بالجهل ويحب الاحاطة بجميع الحقايق والاستيلا بالفهم على جميع الخلايق

من اوصاف الربوبية وفى الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها فى الغضب
والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز فى استنباط الحيل ووجوه الشر ويتوصل الى
الاغراض بالمكر والخديعة والحيلة ويظهر الشر فى معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه
شوب من هذه الاصول الاربعة اعنى الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع فى القلب
وكان المجموع فى اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم الخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير
مذموما للونه وشكله وصورته بل لخسته وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع الضاري والكلب
العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان
والعقر وفى باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه وشرهه والخنزير يدعوا بشرهه
الى الفحشا والمنكر والسبع يدعوا بغضبه الى الظلم والايذا والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ
السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم الذي هو مثال العقل ما موكل
بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر
شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب ينكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب
بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر
وظهر العدل فى مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه
فلا يزال فى استنباط الحيل وتدقيق النظر بتشبع الخنزير وبرض الكلب فيكون دائما فى عبادة كلب
او خنزير وهذا حال اكثر الناس سيما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعدا والعجب انه ينكر
على عبدة الاصنام عبادتهم الحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله
كما يمثل للمكاشفين اما فى النوم او فى اليقظة لرأى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا
اخري وينتظر الاشارة وامره فيما هاج الخنزير يطلب شيأ من شهوة انبعث على الفور فى خدمته واحضار
شهوته او رآهما ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر فى حيل
الوصول الى طاعته وهو ساعى فى مسرة شيطانه فانه الذى يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على
استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته
ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يري ان انصف نفسه الا ساعيا من اول نهاره بخدمة
هولا وهذا غاية الظلم اذ جعل الملك مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل
هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلا قد سخره لخدمة هولا فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولا

الثلث صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب وممثاله اما طاعة الخنزير الشهوة
فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والزنا والهتك والمجانة والعبث والحرص
والجشع والطمع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منها الى القلب صفة
التهور والبذاله والبذخ والصلف والاستشاطة والكبر والعجب والاستهزا والفخر والاستخفاف
وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فتحصل
منه صفة المكر والخديعة والحيلة والدها والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخبث وامثاله
ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت صفة سياسة الصفة الربانية لاستقر فى القلب من الصفات الربانية
العلم والحكمة والاحاطة بحقايق الاشيا ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلا على الكل بقوة
العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلالته والاستغنى عن عبادة الشهوة
وردّه الى حدّ الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوي
والانبساط وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعدة وامثالها وتحصل فيه من ضبط قوة الغضب
وقهرها وردها الى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم
والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب فى حكم المرآة وقد اتضح
هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب اما الاثار المحمودة التي ذكرناها
فانها تزيد مرآة القلب اشراقا ونورا وصيانا حتى يتلالأ فيه حلية الحق وينكشف منه حقيقة الامر
المطلوب فى الدين والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من كان له قلب واعظ
كان عليه من الله حافظ وهذا القلب الذي يستغرقه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
واما الاثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى مرآة القلب فلا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخري
الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال الله تعالى لو نشا لطمسنا على اعينهم ولنطبعن على قلوبهم فهم لا يسمعون
فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله
وبهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويتهيئ
بالاخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير بمقصود الهم عليها واذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من
الاخطار دخل من اذن وخرج من الاخري ولم يستقر فى القلب ولم تحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا هو معنى اسود القلب بالذنوب

كما نطق به القران والسنه قال ميمون بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء
فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها يغلف قلبه فهو الرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
قلب المومن اجرد وفيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس فطاعة الله بمخالفة الشهوات
مصقلات للقلب ومعصيته مسودة له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنه
ومحا اثرها المريظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمراة التي يتنفس فيها ثم تمسح فانها لاتخلو عن كدورة
وقال عليه السلام القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب اسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق
فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد
فاي المدتين تغلب عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره بحصل بالذكر وانه لايتمكن
منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو الفوز
بلقاء الله تعالى **بيان** مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة اعلم ان محل العلم هو القلب
اعني اللطيفة المدبره لجميع الجوارح المطاعة المخدومه من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى حقايق
العلوم مثال المراة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصوره تنطبع
في المراة وتحصل فيها فكذلك لكل معلوم حقيقه وتلك الحقيقة صورتها تنطبع في مراة القلب
وتتضح فيه وكما ان المراة غير وصورة الاشخاص غير وحصول مثالها في المراة غير فهي ثلثة امور
فكذلك ههنا ثلثة امور القلب وحقايق الاشيا وحصول نقش الحقايق في القلب وحضورها
فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه تحل مثال حقايق الاشيا والمعلوم عبارة عن حقايق الاشيا والعلم
عبارة عن حصول المثال في المراة كما ان القبض يستدعي مثلا قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف
ووصولا بين السيف واليد فحصول السيف في اليد يسمى قبضا وكذلك مثال وصول المعلوم الى القلب
يسمى علما وقد ذكرت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن العلم حاصلا لان العلم عبارة عن
وصول الحقيقة الى القلب كما كان السيف موجودا واليد موجوده ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا
لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لايحصل
في القلب فمن علم النار لايحصل وقوع النار في قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها
فتمثيله بالمراة اولي لان عين الانسان لايحصل في المراة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال

مطابق

مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علما وكما ان المراة لاينكشف فيها الصور لخمسة امور احدها
احدها نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني جبثه وصداه وكدورته وان
كان تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصوره الى غيرها كما اذا كانت الصوره ورا المراة والرابع
لحجاب مرسل بين المراة والصوره والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبه حتى يتعذر بسببه ان كادي
بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة لان تتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت
القلوب عن العلوم التي تخلت عنها بهذه الاسباب الخمسه اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لاتتجلى له
المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات
فان ذلك يمنع صفا القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه والبه الاشاره بقوله صلى الله
عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لايعود اليه ابدا اي حصل في قلبه كدوره لايزال اثره ابدا وغايته
ان تتبعه حسنة تمحوها فلو جاء بالحسنة ولم يتقدم السيئه لزاد لا محالة اشراق القلب فلما تقدمت
السيئه سقطت فايدة الحسنه لكن عاد القلب الى ماكان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا وهذا خسران
ونقصان لاحيلة له فلبس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها
من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله تعالى والاعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه
ولذلك قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبه فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا
فانه ليس تتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس بحاذ بسرانه شطر المطلوب بل ربما يكون
متعب الهمة بتفصيل الطاعات البدنيه او تهيئه اسباب المعيشه ولايصرف فكره الى التامل في حضرة
الربوبيه والحقايق الخفيه الالهيه فلاينكشف له الا ماهو متفكر فيه من حقايق آفات الاعمال
وخفايا عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او مصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان تقييد الهمة
بالاعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهمة الى شهوات الدنيا
ولذاتها وعلايقها فكيف لايمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته
المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق قد لاينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه
منذ الصبي على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن بحمل ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان
ينكشف في قلبه خلاف ماتلقفه من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين
والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الطالبين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون

باعتقاداتٍ تقليديه جدت فى نفوسهم ورسخت فى قلوبهم وصارت حجابًا بينهم وبين درك الحقايق الخامس الجهل بالجهة التى منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان تحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التى تناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها فى نفسه ترتيبًا مخصوصًا يعرفه العالم بطريق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبه التى ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصله بل كل علمٍ لا تحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجهٍ مخصوصٍ فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما تحصل النتاج من ازدواج الفحل والانثى ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكةً لم يمكنه ذلك من حمارٍ وبقرٍ وانسانٍ بل لابدّ من اصلٍ مخصوص هو الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص وكذلك كل علمٍ فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق فى الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التى الوصول فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلًا ان يرى قفاه فى المراة فانه لن رفع المراه بازاء وجهه لم يكن قد حاذى به شطر القفا فلا يظهر فيها القفا وان رفعها وراء القفا او بازاء كان قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة ولا صورة القفا فيها فيحتاج الى مراةٍ اخرى ينصبها وراء القفا وهذه فى مقابلتها بحيث يبصرها ويرا عى مناسبةً بين وضع المراتين حتى ينطبع صورة القفا فى المراة الحاذية للقفا ثم ينطبع صورة هذه المراة فى المراة الاخرى التى فى مقابل العين ثم تدرك العين صورة القفا وكذلك فى اقتناص العلوم طريق عجيبه فيها ازورارات وتحريفات اعجب ما ذكرناه فى المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيله فى تلك الازورارات فهذه هى الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق العلوم والافكل قلبٍ فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقايق لانه امرٌ ربانى شريف فارق سايرجواهر العالم بهذه الخاصيه والشرف واليه الاشاره بقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان اشارةً الى ان له خاصيةً يميز بها عن السموات والارض والجبال وبها صار مطيقًا لحمل امانة الله تعالى وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمي مستقلٌ لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التى ذكرناها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه ويمجسانه وقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السما اشارة الى بعض هذه الاسباب التى هى الحجاب بين القلب وبين الملكوت واليه الاشاره بما روي عن ابن عمر قال قيل يا رسول الله اين الله فى الارض قال

ازدواج العلم المستفاد من المطلوب والجهل بتلك الاحوال وبكيفية الازدواج

فى قلوب

فى قلوب عباده المومنين وفى الخبر قال الله تعالى لم يسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدي المومن اللين الواعى وفى الخبر انه قيل يا رسول الله من خير الناس فقال كل مومن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو التقى النقى الذى لا غش فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضى الله عنه رأى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوي ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فبري جنة عرض بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعةً من السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهاده وهو ان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناهى على الجمله واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغايبه عن الابصار المخصوصة بادراك البصاير فلا نهاية لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناهى ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعةً واحده تسمى الحضرة الربوبيه لان الحضرة الربوبيه محيطةٌ بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شئ سوى الله وافعاله وملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينه عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح تصفية القلب وتزكيته وجلاوه وقد افلح من زكاها ومراد تزكيته حصول انوار الايمان فيه اعنى اشراق نور المعرفه وهو المراد بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نورٍ من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلث مراتب **المرتبة الاولى** ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض **والثانية** ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال **والثالثة** ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين ويتبين لك هذه المراتب بمثالٍ وهو ان تصديقك بكون زيدٌ مثلًا فى الدار له ثلث درجات **الدرجة الاولى** ان يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب والا اتهمته بالقول فان قلبك يسكن اليه ويطمين به بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبايهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسايرصفاته وبعثة الرسول وصدقه فيما جاء به وكما سمعوه قبلوه واثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه بحسن ظنهم بآبايهم وامهاتهم او معلميهم وهذا الايمان سبب النجاة فى الاخرة واهله من اوايل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدرٍ بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصاري ايضا مطمينة بما يسمعون من آبايهم الا انهم اعتقدوا واما اعتقدوه

لا في السموات ولا في الارض ٩

صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله بانواع البر فتقرب انت بعقلك لا
تقرب بالضريبة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي هو الذي يقدر على
التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي ينال بها القرب من رب العالمين والقلب جارحة
وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير
وان كان قد غمض العين او حين عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورويته لاعيان الاشياء
وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى أوان التمييز او البلوغ يضاهي تأخر الروية عن البصر
الى أوان اشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله العلوم على صحات القلوب
بمجرى بجري قرص الشمس وانما لم تحصل العلم في قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول
نقش القلم والقلم عبارة عن خلق من خلق الله جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال تعالى
علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه
فليس قلم من قصب ولا خشب كما ان ذاته ليس من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر
الظاهر صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس
التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس ضرر على الفارس من عمى الفرس
بل لا نسبة لاحد الضررين الى الاخر وموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه وقال
ما كذب الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رويه وكذلك قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض وما اراد به الروية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابراهيم عليه السلام حتى يذكر في
معرض الامتنان وكذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في
الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان العلم العقلي
اما العلوم اللدنية وهي المأخوذة بطريق التقليد من الانبيا عليهم السلام وذلك بحصل بالتعلم
لكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيه بعد السماع وبه كمال صفة القلوب
وبه سلامته عن الادوا والامراض والعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا
اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والاغذية
بطريق التعلم من الاطبا اذ مجرد العقل لا يهدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل
فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل والداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية
مجاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة مغرور واياك ان تكون من الفريقين ولكن

خطأ انهم القوا الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا اطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق

الدرجة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فيستدل به على كونه
في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل
لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت
في حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن
ان يتطرق اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر بال السامع
لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا **الدرجة الثالثة**
ان تدخل الدار فتنظر بعينك وتشاهده بنفسك فهذا هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة
المقربين والصديقين لانهم يومنون فيتطوى في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية يستحيل
معها امكان الخطا نعم وهم ايضا متفاوتون بمقادير المعلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان يبصر
زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والاخر يدركه في بيت او من بعد
او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يتيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل في نفسه الدقايق والخفايا من صورته
ومثال هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية واما مقادير المعلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا
وبكرا او غير ذلك والاخر لا يدرك الا زيدا فمعرفة ذلك يزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة
القلب بالاضافة الى العلوم **بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية**
والاخروية اعلم ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحاذيه
تنقسم الى عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى ذينية واخروية
اما العقلية فيعنى بها ما يقضى بها غريزة العقل ولا يوخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية
لا يدرى من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشي الواحد لا
يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبى مفطورا عليها
ولا يدري متى حصل له هذا العلم ومن اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والافليس يخفى ان الله
تعالى هو الذي خلقه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقليا

قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

العقل عقلان فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع
والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد

بقوله

جامعا بين الاصلين فان العلوم العقليه كالاغذية والعلوم الشرعيه كالادوية والشخص
يتضرر بالغذاء بهما فانه الدواء وكذلك امراض القلب لايمكن علاجها الا بادوية مستفادة من
الشريعة وهي لطايف العبادات والاعمال التي رتبها الانبيا عليهم السلام لاصلاح القلوب فمن
يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعيه واكتفى بالعلوم العقليه استضر بها كما يستضر
المريض بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقليه مناقضة للعلوم الشرعيه وان الجمع بينهما غير ممكن
هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القايل رسا تاقص عنده بعض العلوم
الشرعيه لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيحتقر فيه ويتسلسل من الدين
انسلال الشعر من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما
مثال مثال الاعمى الذي دخل دارا فتعثر فيها باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على
الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق
لعماك فالعجب منك انك لاتحيل عثرتك على عماك وانما تحيله على تقصير غيرك وهذه نسبة العلوم
الدينيه الى العقليه والعلوم العقليه تنقسم الى دنيويه واخرويه فالدنيويه كعلم الطب والحساب
والهندسة والنجوم وسايرالحرف والصناعات والاخرويه كعلم احوال القلب وافات الاعمال
والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني من صرف عنايته
الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا
والاخره ثلثة امثله فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احدهما
اسخطت الاخري وكذلك ترى الاكياس في علوم الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة
محققا لا في امور الاخرة والاكياس في علوم دقايق الاخره جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل
لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال عليه السلام
اكثر اهل الجنة البله اي البليد في امور الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين
ولو راوكم لقالوا شياطين فرهما سعة امرا عزيزا من امور الدين محده اهل الكياسة في سايير
العلوم فلا ينصرف تلك جحودهم عن قبولها اذ من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في
الغرب فكذلك مجري امر الدنيا والاخره ولذلك قال تعالي ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة
الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار

في مصالح

وشيء راجعه

في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رشحه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم
وهم الانبيا لو بدون بروح القدس المستمدون من قوة الهيه يتسع لجميع الامور ولا يضيق عنها
اما قلوب سايرالخلق فانها اذا شغلت بامر الدنيا انصرفت عن الاخرة وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار في الاكتساب

اعلم ان العلوم التي ليست ضروريه وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال
ويختلف الحال في حصولها فتارة يهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة يكتسب بطريق
الاستدلال والتعلم فالذي تحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما ونفثا في الروع والذي
تحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتحمل واجتهاد من العبد
ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد
ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا
ويختص به الانبيا والاول يختص به الاولياء والاصفيا والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال
يختص به العلما وحقيقته القول فيه ان القلب مستعد لان يتجلى فيه حقيقة الحق في الاشيا كلها
وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحايل بين مراة القلب
واللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به الى القيامة وتجلي حقايق العلوم من مراة
اللوح في مراة القلب يضاهي انطباع صورة من مراة في مراة يقابلها والحجاب بين المراتين تارة
يزال باليد واخري يزول بهبوب ريح محركة فكذلك قد تهب رياح الالطاف وتكشف الحجب
عن اعين القلوب فتتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام
فيظهر به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة
ايضا حتى ينقشع الحجاب بلطف من الله تعالي فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من عرايب العلم
تارة كالبرق الخاطف واخري على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب
في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد
ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في
قلوبنا بواسطة الملايكه والبه الاشاره بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميزان اهل التصوف في
العلوم الالهاميه دون التعليميه فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون

عن الاقاويل والادلة المذكوره بل قالوا الطريق تقديم المجاهده بمحو الصفات المذمومه وقطع العلايق
كلها والاقبال بكنه الهمه على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله المتولى لقلب عبده والمتكفل بتنويره
بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت الرحمه واشرق النور فى القلوب وانشرح الصدر وانكشف له سر
الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغره بلطف الرحمة وتلألأ فيه حقايق الامور الالهيه وليس على
المريد الا الاستعداد بالتصفية المجرده واحضار الهمة مع الارادة الصادقه والتعطش التام والترصد
بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبيا والاولياء انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم
النور لا بالعلم والدراسة للكتب بل بالزهد فى الدنيا والتبري عن علايقها وتفريغ القلب عن شواغلها
والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى فمن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق فى ذلك اولا ان يقطع
علايق الدنيا بالكليه فيفرغ قلبه عنها ويقطع همته عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية
والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيها وجود كل ذلك وعدمها ثم يخلو بنفسه فى زاوية مع الاقتصار
على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتامل فى
تفسيره ولا بكتابة حديث وغيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شى سوي ذكر الله فلا يزال بعد جلوسه فى
الخلوة قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك اللسان
ويري كان الكلمة جاريه على اللسان ثم يصير عليه الى ان ينحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا على
الذكر ثم يواظب الى ان ينحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيأة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا فى
قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه ولها اختيارا الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار فى استدامة هذه
الحاله يدفع الوسواس وليس له اختيار فى استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمه
ولا يبقى الا الانتظار لما يفتحه الله من رحمة فتحها على الانبيا والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت
ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم يجاذبه شهواته ولم يشغل حديث النفس بعلايق الدنيا
فيلمع لوامع الحق فى قلبه ويكون فى ابتدايه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد
فقد يثبت وقد يكون محتطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد تتظاهر امثاله على
التلاحق وقد يقتصر على فرد واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى كما لا تحصى تفاوت خلقهم
واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانب وتصفية وجلاء ثم استعداد
وانتظار فقط واما النظار ودووا الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه
الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبيا والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطاءوا

شرته

سرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل فى
حالة فبيانه بعد مواد أدبي وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب
المومن اشد تقلبا من القدر فى غليانه وقال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وفى اثناء المجاهده
قد يفسد المزاج وتختلط العقل وتمرض البدن واذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقايق العلوم
تشتت بالقلب خيالات فاسده تطمين النفس اليها مدة طويله الى ان يزول فالعمر ينقضي دون النجاح فيه
وكم من صوفى سلك هذا الطريق ثم بقى فى خيال واحد عشرين سنه ولو كان قد اقتبس العلم من قبل لانفتح له
من وجه التباس ذلك الخيال فى الحال فالاشتغال بطريق التعلم اوفق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك
يضاهى ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي
والالهام من غير تكرار وتعليق نادرا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع
عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه
بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلما وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك
بالانتظار لعالم ينكشف لساير العلما فعساه ينكشف بالمجاهده بعد ذلك **بيان**
الفرق بين المثايين بمثال محسوس اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات الحواس لان
القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس يضعف الافهام عن درکه الامثال
محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا فى الارض
احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض فيرفع منه التراب
الى ان يقرب من مستقر الماء الصافى فيتفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد
يكون اغزر واكثر فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء والحواس الخمسه مثل الانهار
ويمكن ان يساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلى علما
ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره
ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع العلم من داخله **فان قلت** وكيف ينفجر العلم
من ذات القلب وهو خالٍ عنه فاعلم ان هذا من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكر فى علم
المعاملة والقدر الذى يمكن ذكره ان حقايق الاشيا مسطورة فى اللوح المحفوظ بل فى قلوب
الملايكة المقربين وكما ان المهندس يسطر صورة ابنية الدار فى بياض ثم يخرجها الى
الوجود على وفق تلك النسخه فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى اخره

في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخه والعالم الذى خرج الى الوجود بصور
يتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال فان من ينظر الى السما والارض ثم يغمض بصره يرى صورة
السما والارض في خياله حتى كانه ينظر اليها ولو انعدم السما والارض ثم بقي هو لوجد السما والارض في نفسه
كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثرا الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشيا التي وجدت في
الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا من خيال الانسان وقلبه
وللعالم الموجود موافق للنسخة الموجوده في اللوح المحفوظ فكان العالم اربع درجات في الوجود وجود
في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود
صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات
روحانيه وبعضها جسمانيه والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا لطف من الحكمة
الالهية ادجعل حد قتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع
اكنافها ثم ليس في وجودها في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك
الا ما هو واصل اليك فلولم يجعل للعالم كله مثال في ذاتك لما كان لك خبر فيما بين ذاتك سبحان
من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صار قلب اكثر الخلق
جاهلا بالقلب وبعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم
وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور فيه ان يحصل صورة الشمس
تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الما الذى يقابل الشمس ويحكى صورتها فمهما ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر اليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل
الحواس فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصله من المحسوسات
كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك
عن التفجر من الارض وكما ان من نظر الى الما الذي يحكى صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس
فاذا القلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملايكة وباب مفتوح
الى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك دعالم الشهادة والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت
نوعا من المحاكات فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل
الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلم علما يقينيا بالتامل في عجايب الرؤيا واطلاع القلب
في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك

ويتبعه وجوده الحقيقي

باب من افرد ذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل ومن هم قال المشتهرون
بذكر الله وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال الله تعالى في وصفهم اقبل عليهم بوجهي
اترى من واجهته بوجهي يعلم احدا اي شي اريد ان اعطيه ثم قال اول ما اعطيهم ان اقذف في قلوبهم
من نوري فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم
الانبيا والاولياء وبين علوم العلما والحكما هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى
عالم الملكوت وعلم الحكما ياتي من ابواب الحس المفتوحة الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين
عالمي الشهاده والغيب لا يمكن ان يستقصى في علم المعامله فهذا مثال يعرفك الفرق مدخل العلمين

المثال الثاني في تعرفك الفرق بين العلمين اعني عمل العلما وعمل الاولياء فان العلما يعملون
في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واوليا الصوفية يعملون في جلا القلب وتطهيره وتصقيله
فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور
فاستقر راى الملك على ان يسلم اليهم حفة لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم منها جانبا
ويرخي بينهم حجابا يمنع اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبة
ما لا يحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يحلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى
اهل الصين ايضا انهم قد فرغوا فتعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل
وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا جانبهم قد تلالات فيه
عجايب الصبغ الرومية مع زيادة اشراق وبريق اذ كان جانبهم قد صار كالمراة المجلية لكثرة
التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاولياء بتطهير القلب وجلايه وتزكيته
وصفايه حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب
نفس العلوم وتحصيل نقشها في القلب وكيف ما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلم عند الموت لا يمحى
وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلته المقربة له
الى الله تعالى اما ما حصله من نفس العلم او ما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نفس العلم
ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب
الدرهم غني بالدرهم وصاحب الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعدا بحسب تفاوت المعرفه
والايمان كما تتفاوت درجات الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسع المومنون
الى لقا الله الا بانوارهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى

نورًا مثل الجبل وبعضهم يعطي اصغر من ذلك حتى يكون اخرم رجلاً يعطى نورًا على ابهام قدمه فيضئ
وينطفئ اخري فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من
يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من كالسحاب ومنهم من كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر
كشد الفرس والذى اعطى نوره على ابهام قدمه تحبو اعلى وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق
اخري وتجر رجل وتعلق اخري وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث
فبهذا يظهر تفاوت الناس فى الايمان ولو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين سوي النبيين والمرسلين
لرجح وهذا يضاهى قول القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام نوره
مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع وايمان الصديقين كنور القمر والنجوم وايمان الانبيا
كنور الشمس وكما ينكشف فى نور الشمس صورة الأفاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف فى نور
السراج الا زاوية ضيقة من البيت وكذلك تتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة ملكوت
الملكوت لقلوب العارفين وكذلك جاء فى الخبر انه يقال يوم القيامة اخرجوا من النار من فى قلبه مثقال
من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة كل ذلك تنبيهٌ على تفاوت درجات الايمان
وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفى مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا
يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من فى قلبه مثقال ذرة لا يستحق الدخول فى النار
وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرًا من الف مثله الا الانسان او المومن
اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن فانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم
الأعلون تفضيلاً للمومنين على المسلمين والمراد به المومن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ها هنا بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم
عن الذين اوتوا العلم وبدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة
وكشف وفسر بن عباس قوله تعالى والذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومن بسبع مايه
درجه بين كل درجتين كما بين السما والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوى الالباب وقال فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابي وفى رواية كفضل القمر على
ساير الكواكب فبهذه الشواهد تتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم
ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمرحوم يري فوق
درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغنى الذى يملك عشرة دراهم الى الغنى الذي يملك الارض

من المشرق

من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غنى ولكن بينهما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن على من يخسر
حظه منه وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف فى اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد

اعلم ان من انكشف له ولو الشئ اليسير بطريق الالهام والوقوع فى القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفًا بمغى الطريق
ومن لم يرض من نفسه ذلك قط فينبغى ان يومن به فان درجة المعرفه فيه عزيزة جدًا ويشهد لذلك
شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وكل حكمة تظهر فى القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام
وقال النبى صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب
الجنة وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجًا قيل يجعل له مخرجًا من الاشكالات والشبه ويرزقه
من حيث لا يحتسب يعلمه علمًا من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانًا قيل نورًا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى دعايه بسؤال النور فقال اللهم اعطنى نورًا وزدنى نورًا واجعل فى قلبى نورًا وفى
سمعى نورًا حتى قال فى شعرى وبشرى ولحمى ودمي وسيل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالي افمن شرح الله
صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعه ان النور اذا قذف به فى القلب
اتسع له الصدر وانشرح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل
وقال على كرم الله وجهه ما عندنا شئ اسره النبى الينا الا ان يوتى الله عبدًا فهمًا فى كتابه وليس هذا بالتعلم
وقيل فى تفسير قوله تعالى يوتى الحكمة من يشا انه الفهم فى كتاب الله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان
خص ما انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المومن ينظر فى ورا ستر رقيق والله انه الحري بقذف الله
تعالى فى قلوبهم وتجربته على السنتهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله والله يشير قوله تعالي ان فى ذلك لايات للمتوسمين وقوله قد
بينا الايات لقوم يوقنون وروي الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن فى
القلب فذلك هو النافع وسيل بعض العلما عن العلم الباطن ما هو فقال هو سر من اسرار الله يقذفه فى
قلوب احبابه لم يطلع عليه ملكًا ولا بشرًا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتى محدثين
ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين
والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له فى باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات

الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعليم قال الله تعالى
وما خلق الله في السموات والارض لقوم يتقون خصها بهم وقال هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين وكان ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب ناذا نسي ما حفظ صار جاهلا
انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني والى مثله
الاشاره بقوله تعالى وقد آتيناه من لدنا علما مع ان كل عالم من لدنه ولكن بعضها بوسايط تعليم الخلق
فلا يسمى ذلك علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه
شواهد النقل ولوجمع كل ما ورد فيه من الايات والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك
بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهور ذلك عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال الصديق لعايشه
رضي الله عنهما انهما احتاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولاده انها بنت وقال
الفاروق في اثنا خطبته يا سارية الجبل اذا انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره فمعرفة ذلك
ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمه عن انس بن مالك قال دخلت على ذي النورين وكنت
لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا اشزرا وتاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال ليدخل علي
احدكم واثار الزنا ظاهرة في عينه اما علمت ان زنا العين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت او حي بعد
رسول الله فقال لا ولكن بتبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز رحمه الله قال دخلت
المسجد الحرام فرايت فقيرا عليه خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال
ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فاستغفرت الله في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ثم غاب عني فلم ارة وقال زكريا بن دلويه دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو
عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال
فصاح يا ابا العباس رد هذه الهمة الدنيه فان لله تعالى الطافا خفيه وعن احمد النقيب قال دخلت
على الشبلي فقال صفعونا يا احمد فقلت ما الخبر فقال لي كنت جالسا فجرى لخاطري انك بخيل فقلت
ما انا ببخيل فقام ومضى خاطري وقال بلى انك بخيل فقلت ما فتح الله اليوم علي بشي الا دفعته الي اول
فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال
اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه
فناولته الصرة فقال اعطها المزين فقلت انها دنانير فقال اوليس قيل لك انك بخيل فقال فناولتها
المزين فقال المزين عقدنا لما جلس الفقير بين يدينا ان لا ناخذ عليه اجرا فرميت الدنانير في دجله

وقلت

وقلت ما اعرف احدا الا ادله الله تعالى وقال حمزة العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي فاعتقدت
في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به ياتيني خلفي وقد حمل طبقا عليه
طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات
وقال ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلاة المغرب فلم يقرا فاتحة الكتاب ستويا فقلت في نفسي
ضاع سفري فلما سلم خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه فقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح
على الاسد وقال الراقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الاسد وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم
الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي عن تفرس المشايخ واخبارهم
عن اعتقادات الناس وضمايرهم خارج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر والسؤال منه
ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم
يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد
على جحده امران احدهما عجايب الرويا الصادقه فانه ينكشف به الغيب واذا جاز ذلك في النوم
فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات
وكم من متيقظ غايص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الغيب واموره في المستقبل كما اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره
اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في
الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا
ومن امن بالاولياء وصدق بالرويا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين بابا الى الخارج
وهو باب الحواس وبابا الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع والوحي
واذا اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل جوز ان تكون
المجاهدة سببا اليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة
وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى تعبير وكذلك تمثل
الملايكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء وذلك ايضا من اسرار عجايب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم
المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال
بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان اسلي عليه شيا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد
وقال ما كتب لك عملا وخير لك ان تصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت السبحانيات

الغرايض قال لا الى قلت فيكفيكما ذلك وهذه اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب
انما يطلعون على الاعمال الظاهره وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة
النفس فالتفت الى شماله وقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه وقال ما تقول رحمك الله ثم طرق
الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن
في المسئلة عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه
فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبت واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى
قوله صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد
اطلعت على قلبه فرايت الغالب فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه
وانيسه وقال ابو سليمان الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبه حولها ابواب مغلقه فاي باب
فتح له عمل فيه فقد ظهر افتتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك
الباب بالمجاهده والورع والاعراض عن شهوات الدنيا وكذلك كتب عمر رضي الله عنه الى امراء الاجناد
احفظوا ما تسرون من المطيعين فانه يتجلى لهم امور صادقه وقال بعض العلما يؤيد الله على افواه العلما
لا ينطقون الا بما يلهمهم الله من الحق وقال اخر لو شئت قلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين
على بعض سره

باب تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسببه غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال قبة لها ابواب ينصب اليها الاحوال من كل باب
ومثاله ايضا مثال هدف ينصب اليه السهام من الجوانب او هو مثل مرآة مصوبة تجتاز عليها اصناف
الصور المختلفه فيترائى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها او مثال حوض ينصب اليه مياه
مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من
الظواهر كالحواس الخمس واما من الباطن كالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج
الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا
بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات
الحاصلة في النفس تبقى وتنتقل من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال
الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دائما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في
القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات
وعلوم اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان

كان القلب

كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما
يكون بعد خطور المنوي بالبال لامحاله فمبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة
يحرك العزم والنية والعزم يحرك الاعضا والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعوا الى الشر اعني
الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعوا الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الاخرة فهما خاطران مختلفان
فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر
يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لابد له من سبب ومهما اختلفت
الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب
فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد
غير سبب الاستنارة وكذلك لانوار القلب وظلمانه سببان مختلفان فسبب الخاطر الذاعي
للخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا والطف الذي به يتهيأ القلب لقبول
الهام الملك يسمى توفيقا والذي يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان
المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفه والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير
وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه
ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشا والتخويف عند الهم في الخير بالفقر والوسوسة
في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشاره بقوله
تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل
له بل هو الواحد الحق الخالق للارواح كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال صلى الله عليه
وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد
بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انهما هنا ان تجولان في القلب هم من الله تعالى
وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدو جاهده
وليجاذب القلب من هذين الكلبين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
والله تعالى يتعالى ان يكون له اصبع مركبة من لحم ودم وعظم متقيم بالانامل ولكن روح
الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في
التقليب والتردد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعل باستسخار
الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام

مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملايكة ولقبول آثار الشياطين صالحا متساويا ليس
يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوي والاكباب على الشهوات او الاعراض
عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوي
وصار القلب عُشّ الشيطان ومعدنه لان الهوي هو مرعى الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات
ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملايكة صار قلبه مستقر الملايكة ومهبطهم ولما كان لا
يخلو اقلبُ عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل الي غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن
الهوي لاجرم لم تخل قلبُ عثمان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالي اعانني عليه فاسلم
فلا يأمرُ الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة حتى صار لا ينبسط الا حيث
ينبغي والى الحدّ الذي ينبغي لشهوته لا تدعوا الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما
غلب على القلب ذكر الدنيا او مقتضيات الهوي وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب
الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك وألهم فالتطارد بين جندي الملايكة والشياطين
في معركة القلب دايم الي ان ينفتح القلب لاحدهما فيستكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني
اختلاسا واكثر القلوب قد فتحها جنود الشيطان وملكوها فامتلات الداعي الي ايثار العاجلة
واطراح الاخرة وسدا استيلاء اتباع الهوي ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت
الشيطان وهو الهوي والشهوات وعمارته بذكر الله تعالي الذي هو مطرح انوار الملايكة قال جرير
بن عبيدة العلوي شكوت الى العلا بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل
البيت الذي تمرُّ به اللصوص فان كان فيه شيء الجموه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوي
لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالي ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوي فهو عبد الهوي
لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال الله تعالي افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الي ان
الهوي الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن العاص يا رسول الله حال الشيطان
بيني وبين صلاتي وقراتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب اذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل
عن يسارك ثلثا ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله
منه ولا يمحوا وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء سوي ما يوسوس به لانه اذا حضر في القلب
ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون

ايضا

بالاستعاذة

يضاد حال الشيطان فذكر الله هو الذي يوتمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء
الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله والاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين
الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالي
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله من شر
الوسواس الخناس هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط
على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار
ولتطاردهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال ابن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان واضعُ خطمه على قلب بن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال
بن وضاح في حديثٍ ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال ابي
وجهٌ لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجه بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه
ودمه ومحيط بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجري
الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجري الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف
الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالي حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
قعد لابن ادم باطرقهٍ فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك فعصاه
فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه فهاجر ثم قعد له
بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهدٌ النفس والمال فتقاتل فتقتل وينكح نساؤك ويقسم مالك
فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة
فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل
وينكح نساءه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلومٌ
بالمشاهدة وكل خاطرٍ فله نسب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك
عنه ادميٌ وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من احدٍ الا وله شيطان فقد اتضح بهذا
النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد
هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسمٌ لطيفٌ ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن

الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه فى علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من
دخل فى ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين
الجهل مضافة الخواطر الباعثة على الشرور فقد علم ودل ذلك على انه عن سبيل لا محاله وعلم ان الداعي
الى الشر المحذور فى المستقبل عدو فقد عرف العدو وينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرفه الله سبحانه
عداوته فى مواضع كثيرة فى كتابه ليومن به ويحترز منه فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما
يدعوا حزبه وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم انه لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد
ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه كما بالسوال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه
ليدفعه وسلاح الشيطان الهوي والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة
الملايكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين فى علوم المكاشفات ولا تحتاج فى المعاملة الى معرفته
نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داعي الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما
يعلم انه داعي الى الخير فلا يشك فى كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك او لمة
الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر فى معرض الخير فى ذلك غامض واكثر العباد فيه
يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعايهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول
للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق فهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار
اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير
ولسان ذلق وحجة مقبولة فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة
خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطايف الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه
الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك
من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو فى اثنايه يوكد فيه شوايب الرياء وقبول
الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار ليتسدرج المسكين
بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه
وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يوبد
هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم وان الله يوبد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس تمثل
لعيسى فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير تلبيسات وتلبيسات
الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه تهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق

ممن لم يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لنفسهم الخوض فى المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد
الشيطان فى كتاب الغرور فى اخر هذا الربع ولعلنا ان امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص نسميه
تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن تلبيسه فى البلاد والعباد والمذاهب والاعمال حتى لم يبق من
الخيرات الا رسمها كل ذلك ادعاؤا لتلبيسات الشيطان ومكايده فحق العبد ان يقف عند كل خطر
له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع
عليه الا بنور التقوي وغزارة العلم كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا
اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى
فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوي ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر
وفى مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات
فاذا هي سيات واغمض واعظم انواع علوم المعاملة الوقوف على حد النفس ومكايد الشيطان وذلك
فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا بعلوم يستجرهم اليها الوساوس ويسلط عليهم الشيطان
وينسيهم عداوته وطرق الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوساوس الا سد ابواب الخواطر وابوابها
الحواس الخمس وابوابها من داخل الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة فى بيت مظلم يسد باب الحواس
والتجرد عن المال والاهل يقلل مداخل الوساوس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه من
التخيلات الجارية فى القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله ثم انه لا يزال يجاذب القلب
وينازعه عن ذكر الله فلا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا اخر لها الى الموت اذ لا يتخلص احد
عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوي بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد ولكن
لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري فى بدنه فانه ما دام حيا فابواب الشياطين
مفتوحة الى قلبه لانتغلق وهو الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره وغيرها كما سياتي
شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة والمجاهدة قال رجل
للحسن يا ابا سعيد أينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمومن عنه نعم له سبيل
الى دفعه وتضعيف قوته كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم
بعيره فى السفر وقال بن مسعود شيطان المومن مهزول قال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلة
فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور فقلت ولم ذاك قال تدبني بكتاب الله واهل التقوى
لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية

التي تفضي الى المعاصي الظاهره وانما يتعثرون في طرقه الغامضه فانهم لا يهتدون اليها فيحترسون منها
كما اشرنا اليه في غرور العلما والوعاظ والشكل ان الابواب المفتوحه للشيطان كثيره وباب الملايكه
باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذا الكثيره والعدد فيه مثاله المسافر الذي يبقى في بادية
كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يفلح الا بعين بصيرة وطلوع شمس منيرة فالعين
البصيرة ها هنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم العزيز المستفاد من كتاب الله وسنة
رسوله فبهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيرة وغامضه قال عبد الله بن مسعود خط لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال
هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله اي لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق
الغامض من طرقه وهو الذي يخدع العلما والعباد والمالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي فلنذكر
مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان يضطر الادمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كان راهب في بني اسرايل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب
فاتي بها للراهب فابى ان يقبلها فلم يزل يوابه حتى قبلها فكانت عنده يعالجها فاتاه الشيطان فوسوس
وزين له مفارقتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يا تيك اهلها
فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه
احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسالوه عنها فقال ماتت فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي
اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي
قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك فانظر الآن الى حيله
واصطياده الراهب الى هذه الكباير وكذلك للطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما
يظن صاحبه انه خير وحسنه فيحسن ذلك في قلبه لخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج
الامر بعد ذلك عن اختياره وتجره البعض الى البعض بحيث لا تجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوايل
الامور والية الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد
ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو الا بحراسة ابواب
الحصن ومداخله ومواقع ثلمه ولا يقدر على حفظ الحصن وحراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماة

القلب

يقلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به
فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصار معرفة مداخل الشيطان
واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الى الابواب العظيمه الجارية
مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثره جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمه الحسد والحرص فمهما
كان العبد حريصا على شي اعماه حرصه واصمه اذ قال صلى الله عليه وسلم حبك للشي يعمي ويصم وبنور
البصيرة هو الذي يعرف به مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان
فرصه فيحسن عند الحريص كل ما يوصل الى شهوته وان كان منكرا فاحشا فقد روي ان نوحا صلى الله
عليه وسلم لما ركب البحر وحمل في السفينة من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينة شيخا لم
يعرفه فقال له نوح عليه السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب معك فتكون قلوبهم معي وابدانهم
معك قال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس
وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنين فاوحى الى نوح انه لا حاجة بك الى الثلاث مره فليحدثك
بالثنتين فقال وما الثنتان فقالهما لا يكذبا بنتي هما اللتان لا تخلفاني بهما اهلك الناس الحرص
والحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص اول ما بح لادم الجنه كلها فاصبت حاجتي منه
بالحرص ومن ابوابه العظيمه الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل فاذا ضعف جند العقل
هجم جند الشيطان وربما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكره فقد روي ان ابليس
لقي موسى صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من
خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا به موسى
فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب عليك
فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا ما شفعت
لي الى ربك فاذكرني عند ثلث اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وجهي في وجهك وعيني في
عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره
ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست ذات محرم لك فاني وسوطها اليك ورسولك
اليها وقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه
عن سجود ادم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبيا لابليس اي شي تغلب بن ادم
قال اخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال له اي اخلاق بني ادم اعون لك قال الحده

ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما تقلب الصبيان الكره وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن
آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه حب التزين في
الثياب والاثاث والدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الي التزين بالثياب
والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان بعض ذلك يجره
الى البعض فلا يزال يبعده شيئا الي ان يساق اليه اجلا فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوي
ومن ذلك تخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمه الشبع من الطعام وان كان
حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن
زكريا عليهما السلام فراي عليه معاليق من كل شيء فقال له يحيى يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه
الشهوات التي اصبت بها بني ادم قال فهل لي فيها شيء قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة والذكر
قال هل غير ذلك قال لا قال لا والله علي ان لا املأ بطني من طعام ابدا فقال ابليس ولله علي ان لا انصح
مسلما ابدا ومن ابوابه العظيم الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان
يحتال اليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كانه
معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل
احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد روي
صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمك قال
حاجة لي به قال تنظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت لا تسئل احدا غير الله سؤال رغبة
وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت في الامور قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله وقال تعالى خلق الانسان عجولا وقال ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا الان الاعمال ينبغي ان تكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة
تحتاج الى تامل ومهلة والعجلة تمنع من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا
يدري روي انه لما ولد عيسى عليه السلام انت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست
رؤسها قال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى جاخافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد
عيسى قد ولد واذا الملايكة قد حفت حوله فرجع اليهم وقال ان نبيا قد ولد لهذه الليلة ولكن ايتوا
انتي قط ولا وضعت الا وانا احضرتها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ايتوا
بني آدم من قبل العجلة والخفة ومن ابوابه العظيم الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من

العروض

الحروض والدواب والعقار وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهي مستقر الشيطان فان من معه قوته
فهو فارغ القلب فلو وجد مائة دينار مثلا على الطريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل واحدة
الى مائة دينار فلا يكفيه ما وجده بل تحتاج الى تسعمائة اخري فقد كان قبل وجود المائة مستغنيا
فالآن وجد مائة وظن انه صار غنيا به وقد صار محتاجا الى تسعمائة اخري يشتري دارا ويعمرها
ويشتري جارية ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا اخر
يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاوية اخرها عمق جهنم ولا اخر لها سواه قال ثابت لما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما ذا فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا
ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل
شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين وقالوا ما صحبنا قط قوما مثل هؤلاء
نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيحبى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا
فهنالك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا
عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من
يملك يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان فان القايم بالليل
مثلا للصلاة مهما كان بالقرب منه حجرا يمكن ان يتوسده فلا يزال يدعوه الى النوم والى ان
يتوسدها ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا تتحرك رغبته في النوم هذا في حجر
فكيف من يملك المحاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمستطرفات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى
ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعوا الى
الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للكافرين كما نطق به القران قال حنبشة
بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول ما غلبني عليه بنو ادم فلن يغلبني على ثلث ان امره باخذ المال
من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه قال سفيان ليس للشيطان سلاح مثل
خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوي وظن برته ظن
السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع الاموال والاسواق هي معشش الشياطين
روي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان ابليس لما انزل الى الارض
قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا
قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي

20

شرابًا قال كل مسكر قال فاجعل لي موذنًا قال المزامير قال فاجعل لي قرانًا قال الشعر قال
فاجعل لي كتابًا قال الوشم قال فاجعل لي حديثًا قال الكذب قال فاجعل لي مصايد قال النسا
ومن ابوابه الحظية التعصب للمذاهب والهوي والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستخفا
وذلك مما يهلك العباد والعبّاد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقايصهم وجري
نقصانهم صفة مجبولة في طبع الانسان من الصفات السبعيّة فاذا خيّل الشيطان اليه ان ذلك هو
الحق وكان موافقًا لطبعه غلب حلاوته على قلبه فاشتغل بكل هفوة وهو به فرحان مسرور
يظن انه يسعي في الدين وهو ساعٍ في اتباع الشيطان تري الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه
وهو أكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاطي لانواع الفساد ولو رأه ابو بكر
لكان هو اول عدوٍّ له اذ يوالي ابو بكرٍ من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما احبّه وكان من
سيرته ان يضع حجره في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فاني لهذا الفضولي ان يدّعي
وَلَاءَ وَحُبّه وتري فضوليًا اخر يتعصب لعلي كرم الله وجهه وكان من زهد علي وسيرته ان
ليس في خلافته ثوبًا اشتراه بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ ويري الفاسق لابسًا
للثياب الحرير ومتجملًا باموال اكتسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدّعيه
وهو اول خصمايه يوم القيامة وليث شعري من اخذ ولدًا عزيزًا الانسانٍ وهو قرة عينه وحياة
قلبه فاخذ يضربه ويمزّقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدّعي حب أبيه
وَوَلَاءَهُ كيف يكون حاله عند ومعلوم ان الدين والشرع كان احب الى ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي وساير الصحابة من الاهل والولد بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين
يمزقون الشرع ويقطعونه بمتاريض الشهوات ويتوذ دون به الى ابليس عدو الله تعالى
وعدو اوليايه فتري كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند اوليا الله تعالى لا بل لو كشف
الغطا وعرف هو لا ما لحبّه الصحابه في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا علي
اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم ثم الشيطان يخيّل اليهم ان مات محبًا لابي بكرٍ وعمر فالنار لا تحوم
حوله ويخيّل الى الآخر انه اذا مات محبًا لعلي لم يكن عليه خوفٌ وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لولده فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيأً وهذا مثال اوردناه من جملة
الاهواء وهكذي حكم المتعصّبين للشافعي وابي حنيفة ومالك واحمد وغيرهم من الايمّة وكل من
ادّعي مذهب امام وهو ليس بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل

دون

دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما بالك خالفتني في
العمل والسيرة التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي
كاذبًا فهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سُلّطت المنابر لاقوامٍ قلّ
من الله خوفهم وضعفت في الدين نصرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتدّ على الاستتباع حرصهم
ولم يتركوا من الاستتباع واقامة الجاه الا بالتعصّب فحسّنوا ذلك في صدورهم ولم يتنبهوا
على مكيدة الشيطان فيه بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمرّ الناس عليه ونسوا
مُهِمّات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا انا ابليس قال
سوّلت لامة محمدٍ صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوبًا
لا يستغفرون الله منها وهي الاهواء وقد صدق اللعين فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي
تجرّ الى المعاصي فكيف يستغفرون عنها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه
بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قومٌ
يذكرون الله فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتي رفقه اخري
يتحدثون الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالي
واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرّقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومن ابوابه
حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحّروا فيها على التفكر في ذات الله وصفاته في اسورٍ
لا يبلغها احد عقلهم حتى يشككهم في اصل الدين ويخيل اليهم في الله تعالي خيالًا يتعالى الله عنه
فيصير به كافرًا ومتدعًا وهو به فرح مسرورٌ متبجحٌ بما وقع في صدره يظن ان ذلك هو المعرفة
والبصيرة وانه انكشف له ذلك بكياسة وزيادة عقله واشد الناس حماقةً اقواهم اعتقادًا في عقل
نفسه واثقب الناس عقلًا اشدهم اتهامًا لنفسه وظنّه واحرصهم على السوال من العلما قالت
عايشة رض الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلقك
فيقول الله تعالى فيقول من خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله وبرسله فان ذلك
يذهب عنه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامره في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا الوسواس
يجده عوام الناس دون العلما وانما حق العوام ان يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم
ويتركوا العلم الى العلما فالعامي اذا زنا او سرق كان خيرًا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من
غير اتقان العلم في الله تعالى وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر

وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لاحصرلها وانما قصدنا
بما اوردناه للمثال ومن ابواب سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم ومن حكم بشئ على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر
في القيام بحقوقه او يتوانى في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك
من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم
حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز منه روي عن علي بن الحسين عليهما السلام ان صفية بنت حيي
اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتيته فتحدثت عنده فلما انصرفت قام
يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعا هما فقال انها صفية بنت حيي قالا سبحان
رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجري الدم واني خشيت ان يدخل
عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز
من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا خيرا
اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحده بل
بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ٥ شعر ٥ ٥ ٥
٥ ٥ وعين الرضا عن كل عيب كليلة ٥ ولكن عين السخط تبدي المساويا ٥ ٥
فيجب الاحتراز عن عين السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس الا الشر فهما
رأيت انسانا ليس الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه
يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب
والمومن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذا بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت
استقصاء جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة
الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان قلت ما العلاج في دفع الشيطان وهل
يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد هذه
المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع
من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد على ما سياتي شرحه
ان شاء الله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات
ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب

الابعد

الابعد عما رتبه بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فبلون الذكر حديث النفس لا سلطان
له على القلب ولا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون خصص ذلك بالمتقي ومثل الشيطان كمثل كلب جايع يقرب منك فان لم
يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت تدفعه وان كان بين يديك
شئ من ذلك وهو جايع فانه يهجم ولم يدفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر
عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب ولم يتمكن من
من سويدايه فيستفز الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة
فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان
وذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وساير الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقي شيطان
المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كايس واذا شيطان المومن مهزول
اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المومن مالك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جايعا واذا
شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا وقال شيطان
الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيأ مما ذكرت فاشاركه في طعامه وشرابه وملبسه وكان محمد
بن واسع يقول كل يوم بعد الصبح اللهم انك سلطته علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله
من حيث لا نراهم اللهم فايسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعدينا
وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شئ قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد
فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا
هذه الاستعاذه قال والله لا انصحها من اراد ها فاصنع الآن ما شئت روي عبد الرحمن بن ابي ليلى
قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرا
ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات كلها التي لا يجاوزهن
بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها ومن فتن الليل
وطوارق النهار الا طارق يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفيت شعلته وخر على وجهه وقال
الحسين بن علي رضي الله عنهما نبيت ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا
من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي وقال صلى الله عليه وسلم اتاني شيطان
ونازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق نبيا ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه

مطلقا على عورات النام

دفعت

على يدي ولولا دعوة سليمان عليه السلام لاصبح طريدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر طريقا الا سلك الشيطان
فجا غير فجه وهذا لان القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت ان يندفع
الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن طمع ان يشرب دواء قبل الاحتما
والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما ينفع الذي شربه بعد الاحتما وتخلية
المعدة فالذكر دواء والتقوى احتما تجلى القلوب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير
الذكر اندفع الشيطان كما يندفع الدواء في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير
ومن ساعد الشيطان بحمله فقد تولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان
الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر همومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علما الدين فانظر
الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان منتهى ذكرك وعباداتك صلواتك فراقب قلبك كيف
يتجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وكيف يمرغ بك في اودية الدنيا ومهالكها
حتى لربما لا تتذكر ما نسيت من فضول الدنيا الا في صلواتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا علمت
والصلاة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها والصلاة لا تقبل القلوب المشحونة بشهوات
الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء قبل الاحتما
ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر فعند ذلك
قد فر الشيطان منك كما كان يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك كان وهب بن منبه يقول اتقوا الله
ولا تسبب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي
المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني
استجب لكم وانتم تدعوا ولا يستجيب لكم فكذلك تذكر الله تعالى ولا يذهب الشيطان عنك لفقد
شروط الذكر والدعا قيل لابراهيم بن ادهم ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى ادعوني
استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال تمان خصال عرفتم حق الله تعالى فلم تقوموا
بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته
وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فعاملوه على المعاصي وقلتم
نخاف النار فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم بعيوبكم
وراء ظهوركم وقدمتم عيوب الناس امامكم فاستحطتم ربكم فاني يستجيب لكم فان قلت

فالداعي

فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك عن المقله
في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته كما يقال كل البقل من حيث يوتى به ولا تسال
ولكن الذي ينضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي
شيطانا مخصصا ويدعوا اليه فاما طريق الاستبصار فذكر بطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه
وهو ان اختلاف المسببات تدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان
واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد وقد جعل لكل واحد منهم على شي من
امره فذكر ان اسماهم ثبر والاعور وسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصايب
الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا
يامر به ويزينه واما سوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل على اهله يريه العيب
فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون ملتطمين وشيطان الصلاة
يسمى خنزب وشيطان الوضو يسمى الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم
كثرة فكذلك في الملايكة فيهم كثرة وقد ذكرنا في كتاب الصبر والشكر السر في كثرة الملايكة
واختصاص كل واحد منهم بعمل ينفرد به وقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكل بالمومن مايه وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة املاك
يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصايف وما ولد الوالد لكم لرايتموه على كل
سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه وما وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين وقال ايوب بن زيد بلغنا انه يولد مع ابن الانس من ابنا الجن ثم ينشوان معهم قال الجابر
بن عبد الله ان ادم عليه السلام لما هبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعيني
عليه لاقوى عليه قال الله عز وجل لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال الله عز وجل
احزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الما اريد قال رب زدني قال الله عز وجل باب التوبة مفتوح
ما دام في الجسد الروح قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي لا تعيني عليه لاقوى عليه
قال الله تعالى لا يولد له ولد الا يولد لك ولد قال رب زدني قال يجري منه مجرى الدم وتخذون
صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعن
ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش
الارض وصنف كالريح في الهوي وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلثة اصناف

صنف كالبهايم قال الله تعالى لهم قلوبٌ لايفقهون بها ولهم اعينٌ لايبصرون بها الآيه وصنف اجسادهم اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنفٌ في ظل الله يوم لاظل الاظله قال وهب بن الورد بلغنا ان ابليس شكل ليحيي بن زكريا عليهما السلام فقال له اضحك قال لا اريد ذلك ولكن اخبرني عن ابن ادم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنفٌ منهم فهم اشدُّ الاصناف علينا نُقبل عليه حتى نفتنه ونتمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبه فيفسد علينا كل شي ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن يائسون ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناءٍ واما الصنف الاخر فهم في ايدينا بمنزلة الكره في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شي

فان قلت كيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واداي صورته فهي صورته الحقيقيه اوهو مثالٌ له تمثل به وان كان صورته الحقيقيةَ فكيف يُرى بصورة تخالفه وكيف يري في وقتٍ واحدٍ في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان لهما صورتان في حقيقة صورتهما ولاتدرك حقيقة صورتهما بالمشاهده الا بانوار النبوه كما راي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته مرتين وذلك انه عليه السلام سأله ان يريه لنفسه على صورته فواعده ذلك بحرا فطلع له جبريل عليه السلام فسدَّ الأفق من المشرق الى المغرب وراه مرةً اخري على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهي وانما كان يراه في صورة الادمي غالبًا وكان يراه في صورة دحية الكلبي وكان رجلًا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال الصورة فيمثل له الشيطان في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه ويقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما يكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظه هو الذي انتهى الى رتبةٍ لاتمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيري في اليقظة مايراه غيره في النوم كما روي عمر بن عبد العزيز ان رجلًا سأل ربّه ان يريه موضع الشيطان من قلب بن ادم فرأى في النوم حَسَدَ رجل يشبه البلور يري داخل من خارجه ورأي الشيطان في صورة ضفدع قاعدٌ على منكبه الأيسر بين منكبه واذنه له خُرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه الأيسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظه وقد رأه بعض المكاشفين في صورة كلبٍ جاثمٍ على حيفةٍ يدعوا الناس اليها وكانت الحيفة مثال الدنيا وهذا يجري مجري مشاهدة صورته الحقيقيه فان القلب لابدّ وان يظهر فيه حقيقته من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما متصل بالآخر

وقد بينا

وقد بينا ان القلب له وجهان وجهٌ الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجهٌ الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهاده لايكون الا صورة متخيله لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارةً تحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهاده بالحس فيجوز ان لا يكون الصوره على وفق المعنى حتى يُري شخصٌ جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السيرة لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سرّ القلب فلا يكون الا محاكيًا للصفه وموافقًا لها لان الصورة في عالم الملكوت تابعةٌ للصفة فلاجرم لايُري المعنى القبيح الا بصورة قبيحةٍ فيُرى الشيطان في صورة كلبٍ وضفدع وخنزيرٍ وغيره ويري الملك في صورةٍ جميلةٍ فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكيةً لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسانٍ خبيثٍ ويدل الشاه على انسانٍ سليم الجانب وهكذي جميع ابواب التعبير وهذا له اسرارٌ عجيبه وهي من عجايب علوم القلب ولايليق ذكرها بهذه المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارةً بطريق التمثيل والمحاكاه كما في النوم وتارةً بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورةٍ محاكيةٍ للمعنى هو مثال المعنى لاعين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدةً محققةً وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوالي كالنايم

بيان مايؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وهمتها وخواطرها وقصودها ومايعفى عنه ولايؤاخذ به

اعلم ان هذا امرٌ غامض وقد ورد فيه اياتٌ واخبارٌ متعارضه يلتبس طريق الجمع بينها الا على سياسة العلما فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عُفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئةٍ فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئةً واذا هم بحسنةٍ فلم يعملها فاكتبوها حسنةً فان عملها فاكتبوها عشرًا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل على العفو عن العفو عن عمل القلب وهمّهُ بالسيئة وفي لفظٍ آخر من هم بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنه ومن هم بحسنةٍ فعملها كتبت له الى سبعماية ضعف ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظٍ اخر واذا تحدث بان يعمل سيئةً فانا اغفرها له مالم يعملها وكل ذلك يدلُّ على العفو فانما يدلُّ على المواخذة فيقول الله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلًا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى

ولا تكتموا الشهاده ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم
بما كسبت قلوبكم والحق في هذه المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب
من مبدإ ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كالوخطر له مثلاً
صورة امرأة وانها وراء أظهره في الطريق لو التفت اليها لبراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو
حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول وتسمية ميل الطبع وسمي الاول حديث النفس
والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة
والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون
بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل الرابع تصميم
العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا يسميه هماً بالفعل ونية وقصداً وهذه الهمة قد يكون لها
مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت مجادثته للنفس تأكده هذه الهمة
وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يعتل بعارض
فلا يعمل بها ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهذا هنا اربعة احوال للقلب قبل
العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا تواخذ به
لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما
المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها لحديث النفس عبارة عن الخواطر
التي تحجس في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث النفس بل حديث
النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال
مز سنتي مهلاً فان النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلاً اخصأ امتي دؤب الصيام قال نفسي
تحدثني ان اترهب قال مهلاً ان رهبانية امتي الجهاد قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلاً
فاني احبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لاطعمني فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل
هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما
الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون اضطراراً
او اختياراً والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يواخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع
وهو الهم بالفعل فانه يواخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركها خوفاً من الله تعالى وندم على
همه كتبت له حسنة لأن همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم علي وفق الطبع

لا يدل

لا يدل على تمام الغفلة عن الله والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع تحتاج الى قوة عظيمة
فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله تعالى اشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع
فكتبت له حسنة لانه ترجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او
تركه لعذر لا خوفاً من الله كتبت عليه بسيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على هذا التفصيل
ما ورد في الصحيحين مفصلاً في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب
ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها
فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة
وتعذر عليه بسبب او بغفلة فكيف نكتب له حسنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يحشر
الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلاً على ان يصبح ويقتل مسلماً او يزني بامرأة فمات تلك
الليلة مات مصراً ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقا المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد
النية والارادة مع انه قتل مظلوماً فكيف يظن بان الله لا يواخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت
اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفر بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتبت
حسنة واما فوات المراد بعائق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة
فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار والمواخذة به تكليف لما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى
ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا لو اكلفنا ما لا نطيق ان احدنا يحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب
بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا
قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله تعالى الفرج بقوله لا يكلف الله نفساً الا وسعها الآية فظهر
به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به فهذا هو كشف الغطاء
عن هذا الالتباس وكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه
الاقسام الثلثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يؤاخذ باعمال القلب والكبر والعجب والرياء والنفاق
والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسئولاً اي
مما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير اختياره على غير محرم لم يؤاخذ بها فان اتبعها

نظرة ثانيه كان مواخذا بها لانه مختار وكذى خواطر القلب بجري هذا المجري بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا واشار الى القلب وقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماءها ولكن ينا له التقوى منكم والتقوى فى القلب وقال عليه السلام الاثم حواز القلوب وقال عليه السلام البر ما اطمانت اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى اتا نقول اذا حكم قلب المفتى بانجاز شئ وكان مخطيا صار مثابا على فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب فعله وان ترك ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك نظرا الى القلب دون الجوارح

بيان

ان الوسواس هل يتصور ان ينقلع بالكلية عند الذكر ام لا

ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين فى صفاتها وعجايبها اختلفوا فى هذه المسئلة على خمسة فرق فقالت فرقة ان الوسوسه تنقطع بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال اذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت وكانه يسكت وقالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجرى فى القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن يسقط غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة ينعدم عند الذكر فى لحظة وينعدم الذكر بها فى لحظة ويتعاقبان فى ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوية وهى كالكرة التى عليها نقط متفرقة فانه اذا ادير بسرعة رايت النقط دوائر بسرعة بواصلها الحركة واستدل هولا بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان فى القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى فى حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجريا لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن عبد الاولا اربعة اعين عينان فى راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان فى قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا فى هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف واحد من الوسواس واخبر عنه والوسواس اصناف **الصنف الاول** ان يكون من جهة التلبيس للحق

فان

فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظم حق الله تعالى وعظم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما واذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصى ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله تعالى يدفعها عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب فى عمله ويقول اى عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التى بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لم يمكنه ان يقول ليس هذا من الله تعالى لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثانى** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علم يقينا خنس الشيطان عن تهييج يوثر فى التحريك ولم تخنس عن التهييج وان كان مظنونا ربما يبقى موثرا يحتاج الى مجاهدة فى دفعه فيكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان يكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغايبة والفكر فى غير الصلاة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود وينيد فع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة وتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراة وعلى تلك الخواطر كانها فى موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية حتى لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا فى قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب للقلب بعدو تاذى به قد يتفكر بعقد ار ركعتين وركعتان فى مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر فى محادثة محبوبه بقلبه فيغوص فى فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدوه وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور

من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تأملت
جملة هذه الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص
وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا طويلا بعيد وهو
محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم بثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني
عن الصلاة وكان في يده صلى الله عليه وسلم خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرمى به وقال نظرة اليه
ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى الخاتم الذهب وطراز الثوب
وكان ذلك قبل تحريم الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا سقط وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا
بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينار واحد فلا تخليه الشيطان في خلوته عن
الفكر في ديناره وانه كيف تحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف تخفيه حتى لا يعلم به احد وكيف يظهره
حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشعب محاله في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان
كان كمن انغمس في العسل وظن انه لا يقع الذباب عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوساوس
الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكما الشيطان يأتي ابن ادم من قبل المعاصي
فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان أبى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم
ما ليس بحرام فان أبي شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فان أبى خفف عليه اعمال
البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده
يشتد حاجه لانه اخر درجته ويعلم انه لو جاوزه أفلت منه الى الجنة

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغيير والثبات

اعلم ان القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وينصب اليه الآثار والاحوال
من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء وتاثر
به اصابه من جانب آخر ما يضاده فيغيره وصفه فان نزل الشيطان به ندعاه الى الهوي نزل
الملك به فصرفه عنه وان جد به شيطان الى شر جد به شيطان اخر الى غيره وان جد به ملك
الى خير جد به ملك اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين
وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشاره بقوله تعالى ونقلب أفئدتهم
ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظم صنع الله تعالى في عجايب القلب وتقلبه كان

كان يحلف به ويقول لا ومقلب القلوب وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبه كيف يشاء وفي لفظ اخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه أزاغه وضرب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلثة امثلة فقال عليه السلام مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل
القلب في تقلبه كالقدر اذا اجتمعت غليانها وقال مثل القلب كمثل ريشة في ارض فلاة تقلبها
الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجيب صنع الله تعالى في تقلبها من حيث لا يهتدي اليه
يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى والقلوب في الثبات على الخير
والشر والردة دبينها ثلثة **قلب** عمر بالتقوي وزكي بالرياضة وطهر عن خبايث
الاخلاق فتنقدح فيه خواطر الخير من خزاين الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى
التفكر فيما خطر ليعرف دقايق الخير فيه ويطلع على سرايره فوايده فينكشف له بنور البصيرة
وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحث عليه ويدعوا الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده
طينا في جوهره ظاهرا بتقواه مستنيرا بضيا العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا
لان يكون مستقرا ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهدي به الى خيرات أخرى حتى
يتجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر
عليه والبه الاشاره بقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي
مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا تخفى فيه الشرك الخفي الذي هو
اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا تخفى على هذا النور خاطر ولا يروج عليه شيء
من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب
بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها في الشكر والصبر
والخوف والرجا والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو
القلب الذي قيل لله تعالى بوجهه طيبة وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب وبقوله يا ايتها النفس المطمئنة **القلب الثاني** المخذول المشحون بالهوي المدنس
بالخبايث الملوثة بالاخلاق الذميمة المفتحة فيه ابواب الشياطين المسدد عنه ابواب الملايكة
ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوي ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي
فيه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوي وألس به واستمر

على استنباط الحيل فى موافقة الهوي ومساعدته فيسوّل له ويساعد عليه فينشرح الصدر بالهوي
وينبسط فيه ظانا له لانحناس جند العقل عن مدافعته فيقوي سلطان الشيطان لاتساع مكانه
بسبب انتشار الهوي فيقبل عليه بالتزيين والغرور والتلبيس والاماني ويوحي ذلك زخرفا
من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد وتخبوا نور اليقين لخوف الاخرة
اذ يتصاعد من الهوي دخان مظلم الي القلب فيملأ جوانبه حتى ينطفي انواره فيصير العقل
كالعين التي ملأ الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوه بالقلب حتى
لايبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم
وصم عن السمع وهاجت الشهوه ونشط الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوي وظهرت
المعصية الي عالم الشهاده من خزاين الغيب بقضاء من الله وقدره والي مثل هذا القلب الاشاره
بقوله تعالي ارايت من اتخذ الهه هواه وبقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم وبقوله ام لم
تنذرهم لايومنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشيا
ولكنه اذا رأي وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مسك قلبه او كالذي لا
يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسه والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او
كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر أو ذكر عيب من عيبوه به او كالذي لا يملك نفسه
عند القدرة على أخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الوالة المستهتر فينسى فيه المروة
والتقوي وكل ذلك لتصاعد دخان الهوي الى القلب حتى يظلم او ينطفي منه انوار البصيره فيطفي
نور الحيا والمروة والايمان ويسعى الى تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلبٌ يعتريه فيه
خواطر الهوي فيدعوا الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس
بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فيقوّي الشهوه ويحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الي
خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الي الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع
في تهجمها على الشر وقلة إكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة
على العقل ويقوى داعي الهوي ويقول ما هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتودي
نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه اتترك ملاذ الدنيا لهم
فيتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محرومًا شقيًا متعوبًا يضحك عليك الزمان اتريد
ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني

ليس

ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شرًا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه
فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبه أفتقنع بلذة
يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الأباد اما تستثقل الم الصبر عن شهوة ولا تستثقل الم
النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم هواهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب
النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك أرايت لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان
لك بيت بارد أكنت تساعد الناس ام تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من
حر الشمس ولا تخالفهم من حر النار فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد
بين الحزبين متجاذبا بين الحزبين الي ان يغلب على القلب من هو اولي به فان كانت الصفات التي
في القلب الغالب عليه الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الي جنسه
من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله واوليائه مساعدا الحزب الشيطان واعدائه وجري علي
جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بُعده عن الله تعالي وان كان الاغلب على القلب الصفات
الملكية لم يصغ القلب الي اغوا الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الأجله
بل مال الى حزب الله تعالي وظهرت الطاعه بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال
من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب الملايكة او حزب الشياطين فنادر من
الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة
القلب وانه من خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق
القضا فمن خلق للجنة يسّر للطاعه واسبابها ومن خلق للنار يسّرت له اسباب المعصيه وسلط
عليه اقران السو والقى في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله تعالي
رحيم فلا تبالي وان الناس كلهم ما تخافون الله فلا تخالفهم فان العمر طويل فاصبر حتى تتوب
غدًا ويعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفره فيهلكهم
باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فالاحمق يتوسع للاسلام ومن يرد ان يضله تجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي
ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب
لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا واستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا واستعملهم

فليقبل العقول الحقه ويرد الصفه
من قبول الحق ما يقبل ويرد
تعجبها من الله ومن قدرته
سبحانه وتعالى

بالمعاصي وعرّف الخلق علامات اهل النار واهل الجنه فقال تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار
لفى جحيم ثم قال تعالى فيما روى عنه النبى صلى الله عليه وسلم هؤلاء فى الجنة ولا ابالي وهؤلاء فى النار
ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر
عجايب القلب فان استقصاه لا يليق بعلم المعامله واناذ كرنا منه ما تحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم
المعامله واسرارها ليقتنع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يحترى بالقشور عن اللباب بل يتشوف
الى معرفة دقايق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ونفع ان شاء الله تعالى اخر كتاب عجايب القلب

كتاب

رياضة النفس وتهذيب الاخلاق وهو الكتاب الثانى من ربع المهلكات من كتب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم رب انعمت فزد واختم بخير ٥
الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن فى تصويره وزين صورة الانسان
بحسن تصويره وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان فى شكله ومقاديره وفوض بحسين
الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره وسهل على
خواص عباده تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلاة على
محمد صلى الله عليه وسلم عبده ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور
النبوة من اساريره ويستشف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين
طهروا وجه الاسلام عن ظلم الكفر وديا جيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا الا بقليل
وبكثيره **اما بعد** فان الخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين
وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق
السيئه هى السموم القاتله والمهلكات الدامغه والمخازي الفاضحه والرذايل الواضحه
والخبايث المبعده عن جوار رب العالمين المخرطة بصاحبها فى سلك الشيطان اللعين وهي
الابواب المفتحه من القلب الى نار الله الموقده التى تطلع على الافيده كما ان الاخلاق الجميله هي
الابواب المفتوحه من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثه امراض القلوب
واسقام النفوس الا انه مرض يفوت حياة الأبد وأين منه المرض الذي لا يفوت الا حياة
الجسد ومهما استدت عناية الاطباء بضبط قوانين العلاج للابدان وليس فى مرضها الا فوت
حياة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حياة باقية اولى وهذا

النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذى لب اذ لا يخلو اقل من القلوب عن اسقام ولو اهملت لتراكمت
وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الي تانق فى معرفة علمها واسبابها ثم الى تشمير فى معالجتها
واصلاحها فمعالجتها هى المراد بقوله تعالي قد افلح من زكاها واهملها هو المراد بقوله تعالي وقد
خاب من دساها ونحن فى هذا الكتاب نشير الي جمل من امراض القلوب وكيفية القول فى معالجتها
على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتى فى بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا
الآن النظر الكلى فى تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن
مثالا له ليقرب من الافهام درکه ويتضح ذلك والمستعان بالله تعالى ٥ ٥ ٥

بيان ٥ ثم بيان ٥ ثم بيان :

فضيلة حسن الخلق — حقيقة حسن الخلق — قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة

ثم بيان ٥ ثم بيان ٥ ثم بيان :

السبب الذى ينال به حسن الخلق — تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق — العلامات التى بها يعرف مرض القلوب

ثم بيان ٥ ثم بيان

الطرق التى بها يعرف المرء عيوب نفسه — شواهد النقل على ان طريق المعالجه للقلوب بترك الشهوات لا غير

ثم بيان ٥ ثم بيان ٥ ثم بيان

علامات حسن الخلق — الطريق فى رياضة الصبيان فى اول النشو — شروط الارادة ومقدمات المجاهدة

نفذ احد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالي لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم مثنيا عليه ومظهرا لنعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة رضى الله
عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القران قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين ثم قال عليه السلام وهو ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عن ظلمك وقال
عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال عليه السلام اثقل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن
وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن
الخلق ثم اتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما
الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من ورايه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق والتفت
اليه فقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم قال سوء الخلق وقال رجل يا
يا رسول الله اوصنى فقال اتق الله حيث كنت قال زدنى قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال

زد فی قال خالط الناس بخلق حسن وسیل رسول الله صلی الله علیه وسلم ای الاعمال افضل قال
حسن الخلق وقال صلی الله علیه وسلم ما حسّن الله خلق امرئ و خُلقهُ فیطعمه النار وقال الفضیل
قیل لرسول الله صلی الله علیه وسلم ان فلانه تصوم النهار وتقوم اللیل وهی سیئة الخلق تودی جیرانها
بلسانها فقال لا خیر فیها هی من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم
یقول اول ما یوضع فی المیزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله تعالی الکفر قال اللهم قوّنی نفوّاه
بالبخل وسوء الخلق ولما خلق الله تعالی الایمان قال اللهم قوّنی فقوّاه بحسن الخلق والسخاء وقال رسول الله
صلی الله علیه وسلم ان الله استخلص هذا الدین لنفسه ولا یصلح لدینکم الا السخاء وحسن الخلق
الا فزینوا دینکم بهما وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم حسن الخلق خلق الله الاعظم وقیل یا رسول الله
ای المومنین افضلهم ایمانا قال احسنهم خلقا وقال علیه السلام انکم لن تسعوا الناس باموالکم فسعوهم
ببسط الوجه وحسن الخلق وقال علیه السلام سوء الخلق یفسد العمل کما یفسد الخل العسل وعن
جریر بن عبد الله قال قال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم انک امرؤ وقد حسّن الله خَلقَکَ فاحسن
خُلقکَ وعن البراء ابن عازب قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم احسن الناس خُلقا واحسنهم
وجها وعن ابی مسعود البدری قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول اللهم حسنت خَلقی
فحسّن خُلقی وعن عبد الله بن عمر قال کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یکثر الدعا بقول اللهم
انی اسالک الصحة والصبر والعفة وحسن الخلق وعن ابی هریرة عن النبی صلی الله علیه وسلم قال
کرم الرجل دینه ومروّته عقله وحسبه حسن خلقه وعن اسامة بن شریک قال شهدت
الاعراب یسالون رسول الله صلی الله علیه وسلم یقولون ما خیر ما اعطی العبد قال حسن الخُلق
وقال علیه السلام ان احبکم الیّ واقربکم منی مجلسا یوم القیامه احسنکم اخلاقا وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ثلث من لم تکن فیه او واحدة منهنّ فلا یعتدّ بشیء من
عمله تقوی تحجزه عن معاصی الله عز وجل او حلم یکفّ به السفیه او حسن خلق یعیش به فی الناس
وکان من دعایه صلی الله علیه وسلم فی افتتاح الصلاة اللهم اهدنی لأحسن الاخلاق لا یهدی لاحسنها
الا انت وقال انس بینما نحن مع رسول الله صلی الله علیه وسلم یوما اذ قال ان حسن الخلق
لیذیب الخطیئة کما تذیب الشمس الجلید وقال علیه السلام لابی ذرّ یا أبا ذرّ لا عقل کالتدبیر
ولا حسب کحسن الخلق وعن انس قال قال تام حبیبه یا رسول الله ارایت المراة فیما یکون لها
زوجان فی الدنیا فتموت ویموتان ویدخلان الجنة لایتهما هی قال لاحسنهما اخلاقا کان عندها

فی الدنیا یا ام حبیبه ذهب حسن الخلق بخیر الدنیا والاخرة وقال علیه السلام ان المسلم المسدّد لیدرک
درجة الصایم القایم بحسن خلقه وکرم ضریبته وفی روایة اخری یدرک درجة الظمان فی الهواجر
وقال عبد الرحمن بن سمره کنا عند رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال انی رایت البارحة عجبا من امتی
جاثیا علی رکبتیه وبینه وبین الله حجاب فجاء حسن خلقه فادخله علی ربّه وقال انس قال النبی صلی الله
علیه وسلم ان العبد لیبلغ بحسن خلقه عظیم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعیف العبادة
وروی ان عمر استاذن علی رسول الله صلی الله علیه وسلم وعنده نسآء من نسآء قریش یکلمنه فیسألنه
ویستکثرن من ذلک عالیة اصواتهنّ علی صوته فلما استاذن عمر تبادرن الحجاب ودخل عمر
رضی الله عنه ورسول الله صلی الله علیه وسلم یضحک فقال عمر ما اضحک الله سنّک
بابی انت وامی یا رسول الله فقال عجبت من هؤلاء اللاتی عندی لما سمعن صوتک تبادرن الحجاب
قال عمر فانت کنت احق ان تهبن یا رسول الله ثم اقبل علیهنّ عمر فقال یا عدوّات انفسهنّ
اتهبننی ولا تهبن رسول الله قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله فقال رسول الله ایها یا ابن
الخطاب والذی نفسی بیده ما لقیک الشیطان قط سالکا فجّا الا وسلک فجّا غیر فجّک وقال
رسول الله صلی الله علیه وسلم سوء الخلق ذنب لا یغفر وسوء الخلق خطیئة تتوج وقال علیه السلام
ان العبد لیبلغ من سوء خلقه اسفل درک جهنم **الاثار** قال بن لقمان الحکیم لابنه یا أبتِه
ای الخصال من الانسان خیر قال الدین قال فان کانتا اثنتین قال الدین والمال قال فان کانتا
ثلثا قال الدین والمال والحیا قال فان کانت اربعا قال الدین والمال والحیا وحسن الخلق قال فاذا
کانت خمسا قال الدین والمال والحیا وحسن الخلق والسخا قال فاذا کانت ستا قال یا بنی اذا اجتمعت
فیه هذه الخصال فهو تقیّ نقیّ لله ولیّ ومن الشیطان بریّ وقال الحسن من ساء خلقه عذّب
نفسه وقال انس ان العبد لیبلغ بحسن خُلقه أعلی درجة فی الجنة وهو غیر عابد ویبلغ بسوء
خُلقه اسفل درکة فی جهنم وهو عابد وقال یحیی بن معاذ فی سعة الاخلاق کنوز الارزاق
وقال وهب بن منبّه مثل السیی الخلق کمثل التجارة المکسرة لا ترفع ولا تعادطیا وقال الفضل
لان یصحبنی فاجر حسن الخلق احبّ الیّ من ان یصحبنی عابد سیی الخلق وصحب بن المبارک رجل
سیی الخلق فی سفره وکان یحتمل منه ویداریه فلما ان فارقه بکی فقیل له فی ذلک فقال اترحّم علیه
فارقته وهو خلقه معه لم یفارقه وقال الجنید اربع ترفع العبد الی اعالی الدرجات وان قل عمله وعلم الحلم
والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو کمال الایمان وقال الکتانی التصوف خلق من زاد علیک

فى الخلق زاد عليك فى التصوف وقال عمر رض الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال
وقال يحيى بن معاد سوء الخلق سيئة لاينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لايضر معها
كثرة السيات سيل بن عباس يا اكرم فقال مابين الله تعالى فى كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم
قيل له ما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان أساس واساس الإيمان حسن
الخلق وقال بن عطا ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلوات الرحمن
عليه واقرب الخلق الى الله السالكون اثاره بحسن الخلق **بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق**
اعلم ان الناس قد تكلموا فى حقيقة الخلق الحسن وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا
لثمرته بل لم يستوعبوا جميع ثمراته بل لذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا فى ذهنه
ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب ذلك
كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطى هو ان لا تخاصم ولا
تخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال شاه الكرمانى هو احتمال الاذى واحتمال المؤن وقال
بعضهم هو ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا والواسطى قال ايضا هو ارضا الخلق فى السراء
والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله عز وجل وسيل سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال
وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقال مرة ان لا تتهم مولاك
فى الرزق وتثق به وتسكن الى الوفا بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه فى جميع الامور فيما بينك
وبينه عز وجل وفيما بينك وبين الخلق وقال على كرم الله وجهه حسن الخلق فى ثلث اجتنا بالحلم
وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفا الخلق
بعد مطالعتك للحق وقال الخراز هو ان لا يكون لك همة غير الله فهذا اوما شا له كثير وهو تعرض
لثمرات حسن الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اى حسن
الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهره ويراد بالخلق الصورة الباطنه وذلك لان
الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة ولكل واحد منهما
هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيره اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر
ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله عز وجل
والمراد بالروح والنفس فى هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها

الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الافعال الجميلة
المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة سميت الهيئة
التى هى المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر عنه بذل المال على الندور
لحاجة عارضة لايقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك فى نفسه ثبوتا رسوخ وانما شرطنا ان
يصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب
بجهد وروية لايقال خلقه السخا والحلم فها هنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثانى
القدرة عليها والثالث المعرفة بهما والرابع هيات النفس وبها تميل الى احد الجانبين وتيسر
عليها احد الامرين اما الحسن او القبح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخا
ولا يبذل المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس
هو عبارة عن القوة لان نسبة القوه الى الامساك والاعطا بل الى الضدين واحدة وكل
انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطا والامساك وذلك لايوجب خلق البخل ولا خلق السخا
وليس هو عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل
هو عبارة عن المعنى الرابع وهى الهيات التى بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل
فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنه وكما ان حسن الصورة الظاهره مطلقا
لا تتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد لابد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر
وكذلك فى الباطن اربعة اركان لابد من الحسن فى جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت
الاركان الاربعه واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب
وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث فاما قوة العلم فحسنها وصلاحها فى ان
يصير بحيث يسهل لها ادراك الفرق بين الصدق والكذب فى الاقوال وبين الحق والباطل فى
فى الاعتقادات وبين الجميل والقبيح فى الافعال فاذا صلحت هذه القوه حصل منها ثمرة الحكمه
والحكمة راس الاخلاق الحسنه وهى التى قال الله تعالى فيها ومن يوت الحكمة فقد اوتى
خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها فى ان يقتصر فى انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه
الحكمه وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها فى ان تكون تحت اشارة الحكمة اعنى اشارة الدين
والعقل واما قوة العدل فهو فى ضبط قوة الغضب والشهوة وتحت اشارة العقل والشرع
فالعقل بمنزلة الناصح المشير وقوة العدل هى القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي

لاشارة العقل والغضب هو الذى ينقد فيه الاشارة ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج
ان يودب حتى يكون استرساله وتوقيفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة
مثالها مثال الفرس الذي يركب فى طلب الصيد فانه تارةً يكون مروضًا مودبًا وتارةً يكون
جموحًا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقًا ومن فيه بعضها دون
البعض فهو حسن الخلق بالاضافة الي ذلك المعنى خاصةً كالذي يحسن بعض احزاء وجهه دون البعض
وحسن القوة الغضبيه واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها
بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الي طرف الزيادة سمي ذلك تهورًا وان مال الى الضعف
والنقصان سمي ذلك جبنًا وخورًا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة سمي شرهًا وان مالت
الى النقصان سمي خمودًا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رديلتان مذمومتان
والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادةٌ ونقصان بل له ضدٌ واحد وهو الجور واما الحكمة
فيسمى افراطها عند الاستعمال فى الاغراض الفاسدة خبثًا وجربزةً ويسمى تفريطها بلهًا والوسط
هو الذي يختص باسم الحكمة فاذًا امهات الاخلاق واصولها اربعةٌ الحكمة والشجاعه
والعفة والعدل وتعنى بالحكمة حالةً للنفس بها تدرك الصواب من الخطا فى جميع الافعال
الاختياريه وتعنى بالعدل حالةً للنفس وقوةً بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما
على مقتضى الحكمه ويضبطها فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها وتعنى بالشجاعة
كون قوة الغضب منقادةً للعقل فى اقدامها واحجامها وتعنى بالعفة تاديب قوة الشهوة
بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعه تصدر الاخلاق الجميله كلها اذ من
اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن
والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن افراطها يصدر الجربزة والمكر
والخداع والدها ومن تفريطها يصدر البله والغباوه والحمق والجنون واعني بالغباوه قلة التجربه
فى الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرًا فى شيء دون شيء والفرق بين الحمق
والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له رويه صحيحه
فى طريق الوصول الى الغرض واما الجنون فانه تختار ما لا ينبغي ان تختار فيكون اصل ايثاره
واختياره فاسدًا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجده والشهامة وكبر النفس
والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤده وامثالها وهي اخلاق محموده

واما افراطها

واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والمزخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما
تفريطها فيصدر منه المهانة والدلة والجزع والحشاشة وصغر النفس والانقباض عن تناول
الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه السخا والحيا والصبر والمسامحة والقناعة والورع
والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص
والشره والوقاحة والخبث والتدبير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق
والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا واستحقار الفقرا وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق
هذه الصفات والفضايل الاربعه وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والباقي فروعها
ولم يبلغ كمال الاعتدال فى هذه الاربعه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بعده
متفاوتون فى القرب والبعد منه فكل من قرب منه فى هذه الاخلاق فهو قريب من الله بقدر
قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع هذه الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق
ملكا مطاعا يرجع كل الخلق اليه ويقتدون به فى جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه
الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب من
الشيطان المبعد اللعين فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدي به
ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال عليه السلام
وقد اشار القران الى هذه الاخلاق فى اوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله
ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله
ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة بالمال
هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوه والمجاهدة بالنفس هي الشجاعه التي ترجع الى استعمال
قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى اصحابه فقال اشداء على الكفار
رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعًا وللرحمة موضعًا وليس الكمال فى الشدة فى كل حال
ولا فى الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضه

اعلم ان من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهده والرياضه والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب
الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغيرها وان الطباع لا تتغير فاستدل بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن

كما ان الخلق صورة الظاهر والخلقه الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالطويل لا يقدر ان يجعل
نفسه قصيرا ولا القصير يقدر ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك
القبيح الباطن يجرى هذا المجرى والثانى انهم قالوا حسن الخلق يقمع الغضب والشهوة وقد جربنا
ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقلع عن الادمى باشتغاله
به تضييع زمان بلا فايدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الخطوط العاجله وذلك محال
وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الادمى وتغيير
خلق البهيمة ممكن اذ تنقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التأدب
والفرس من الجماح الى السلاسه والانقياد وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطا
عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمه الى ما لا مدخل لاختيار الادمى فى اصله وتفصيله
كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا وخارجا من سايراجزا الحيوانات وبالجمله
كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه
قوة قبول الكمال بعده ان وجد شرطه وشرطه تدبير يتط باختيار العبد فان النواة ليست
بتفاح ولا تحيل الا انه خلق خلقة يمكن ان يصير نخلا ان اضاف اليها التربيه ولا تصير تفاحة اصلا
ولا بالتربية فاذا صارت النواة مثابرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك
الغضب والشهوة لو اردنا قمعها او قهرها بالكليه حتى لا يبقى لها اثر لم نقدر عليه اصلا
ولو اردنا اسلاسها وقودها بالرياضة والمجاهده قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك
سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى ثم الجبلات تختلف فبعضها سريعة القبول وبعضها
بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة الغريزة فى اصل الجبلة وامتداد مدة
الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتنكر موجود فى الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها
على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبى فى مبدا الفطره تخلق له الشهوه ثم بعد
سبع سنين ربما تخلق له الغضب وبعد ذلك تخلق له قوة التميز والسبب الثانى ان الخلق
قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا والناس فيه
اربع مراتب **الاولى** هو الانسان الغفل الذى لا يتميز بين الحق والباطل والجميل
والقبيح بل بقى كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تتمش شهوته ايضا باتباع اللذات

فهذا

فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله على
المجاهدة فيحسن خلقه فى اقرب زمان **الثانى** ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه
لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فراه حسنا فتعاطاه انقيادا الشهواته واعراضا عن
صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره فى عمل فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت
الوظيفة عليه قلع ما رسخ فى نفسه من كثرة التعود للفساد والاخران يغرس فى نفسه صفة
التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمر وحزم **الثالث**
ان يعتقد فى الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنه وانها حق وجميل وتزنى على ذلك فهذا
يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال
الرابع ان يكون مع وقوع نشوه على الراى الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة فى
كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب
المراتب وفى مثله قيل من التعديب تهذيب الدين والاول من هذا جاهل فقط والثانى جاهل
وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق فقط والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير
واما الخيال الآخر وهو ان الادمى ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا
وسايرهذه الاخلاق فهذا غلط وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهده قمع هذه الصفات
بالكليه ومحوها وهيهات فان الشهوة خلقت لفايدة وهى ضرورية فى الجبلة ولو انقطع
شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب
بالكليه لم يدفع الانسان من نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما بقى اصل الشهوة فيبقى لا محاله
حب المال الذى يوصل الى الشهوة حتى يحمل ذلك على اساك المال وليس المطلوب اماطة ذلك
بالكليه بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذى هو وسط بين الافراط والتفريط فالمطلوب
فى صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان تخلوا عن التهور وعن الجبن جميعا وبالجملة ان
يكون فى نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم فوصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل جهاد
الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكليه والانبيا عليهم السلام لم ينفكوا عن
ذلك قال سيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم
بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا وكان الغضب لا يخرجه

عن الحق قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فردّ الغضب والشهوه الى الاعتدال
بحيث لا يقهر واحدٌ منهما العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكنٌ وهو
المراد بتغيير الخُلق فانه ربما تستولى الشهوه على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط
الى الفواحش وبالرياضة يعود الى حدّ الاعتدال فدلّ على ان ذلك ممكنٌ والتجربة والمشاهدة
تدل على ذلك دلالةً لا يشكّ فيها والذي يدلّ على ان المطلوب الوسط فى الاخلاق دون الطرفين
ان السخا خُلقٌ مطلوبٌ شرعًا وهو وسطٌ بين طرفى التبذير والتقتير وقد اثنى الله عليه فقال
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولةً
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك المطلوب فى شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والخمود
قال الله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال فى الغضب اشدّاء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له سرٌّ وتحقيقٌ وهو ان السعاده منوطه بسلامة
القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا
والجود ايضًا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون سليمًا منها اى لا يكون ملتفتًا الى المال
ولا يكون حريصًا على امساكه ولا حريصًا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى
الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكمال القلب فى ان يصفو عن الوصفين
جميعًا فاذا لم يكن ذلك فى الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين والبعد عن الطرفين
وهو الوسط فان الفاتر لا حارٌّ ولا باردٌ وهو وسطٌ بينهما فكانه خالٍ عن الوصفين جميعًا
فكذلك السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهوّر والعفة بين الشره
والخمود وكذلك سايرالاخلاق فحكمى طرفى قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب
وهو ممكنٌ جدًّا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يفتح عنده العضد راسًا وامساك المال
راسًا ولا يرخص فى شئ من ذلك لانه لو رخص فى ادنى شئ اخذ ذلك عدوًّا فى استبقاء بخله
وعضبه وظنّ انه القدر المرخص فيه فاذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الاقتدر
سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود
ولا يكشف هذا السرّ للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه لحق وامساكه
لحق **بيان** السبب الذى به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن
الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونهما

مطيعةً للعقل والشرع وهذا الاعتدال تحصل على وجهين احدهما بجودٍ الهىٍ وكمالٍ فطرىٍ
بحيث تُخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الغضب والشهوة بل خُلقتا
معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير معلمًا بغير معلم عالمًا وبغير مودٍّ مستودًا كعيسى
ويحيى عليهما السلام وكذا سايرالانبيا ولا يبعد ان يكون فى الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب
فرب صبيٍ تخلق صادق اللهجة سخيًا جريًا وربما تخلق بخلافه فيحصل فيه ذلك بالتعوّد ومخالطة
المتخلقين بهذه الاخلاق وربما تحصل بالتعلم والوجه الثانى لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة
والرياضة اعنى بها حمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخُلق المطلوب فمن اراد مثلًا ان تحصل
لنفسه خُلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطى الجود وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليها
تكلفًا ومجاهدًا لنفسه حتى يصير ذلك له طبعًا ويتيسر ذلك عليه فيصير نفسه جوادًا وكذا
من اراد ان تحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين
مدةً مديدةً وهو فيها مجاهدٌ نفسه ومتكلفٌ الى ان يصير ذلك له خلقًا وطبعًا فيتيسر عليه
وجميع الاخلاق المحموده شرعًا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذًا
فالسخى هو الذى يستلذ بذل المال دون الذى يبذله عن كراهةٍ والمتواضع هو الذى يستلذّ التواضع
ولن يترسخ الاخلاق الدينيّة فى النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنه ولم يترك جميع
العادات السيئه وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميله ويتنعّم بها ويكره
الافعال القبيحه ويتالم بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عينى فى الصلاة
ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهةٍ واستثقالٍ فهو لنقصانٍ ولا ينال
كمال السعادة به نعم المواظبة عليه با لمجاهدة خيرٌ ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى
فعله عن طوع ولذلك قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال عليه السلام اعبد الله فى الرضا
فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خيرٌ كثيرٌ ثم لا يكفى فى نيل السعاده الموعودة على حسن الخلق
استلذاذ الطاعه واستكراه المعصية فى زمان دون زمان بل ينبغى ان يكون كذلك على الدوام وفى
جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن السعادة فقال طول العمر فى طاعة الله ولذلك كره الانبيا عليهم السلام والاولياء الموت
فان الدنيا مزرعة الاخره وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس
ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تاثيرها فى القلب وانما تاكّد اثارها

مطبعة

بكثرة المواظبة على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان تقلع عن النفس حب الدنيا وينسلخ بينها
حب الله تعالى فلا يكون شئ احب اليه من الله تعالى ومن لقاء الله تعالى فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه
الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى
وذلك بان يكون موزونا بميزان الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به وملتذا ولا ينبغي ان يستبعد
مصير الصلاة قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العاده تقتضي في النفس عجايب اعجب من ذلك
فانك ترى الملوك المتنعمين في احراز دابه وترى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذه والفرح
بقماره وما هو فيه ما يستكثر معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره
وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول إلفه له وردّ نفسه اليه مدة وكذلك
اللاعب بالحمام وقد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالم فيه بفرحه
بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء وعودها بل ترى الفاجر الغدار يفتخر بما
يلقاه من الضرب والقطع والصبر على البياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك مبتهج
بنفسه وبقوته على الصبر على ذلك يري ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر
بما تعاطاه او تعاطاه غيره فيصبر على النكال ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا
وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا
حالة اخس واقبح من حالة المخنث في تشبيه الاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة
النساء وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يباهي به مع المخنثين حتى يجري
بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاه كما يجري بين الملوك والعلما وكل ذلك نتيجة العاده
والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديده ومشاهدة ذلك من الخالطين والعارفين فاذا
كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبايح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت اليه مدة
والزمت المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل
الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فانا ميلها الى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته
وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر ربّاني وميله الى
مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما عدا القلب الحكمة والمعرفة وحب الله
تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به كما تحل المرض بالمعده فلا يشتهي الطعام
والشراب وهما سبب حياتها وكل قلب مال الى حب شئ سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض يقدر

ميله

ميله الا احب ذلك الشئ لكونه معينا له على حب الله تعالى وعلى دينه فعند ذلك لا بد ذلك على
المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف
الافعال الصادره عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح اعني
النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها
وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والاثر فيه دوام ويعرف ذلك بمثال
وهو ان من اراد ان يصير الحدق في الكتابة صفة له نفسية حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق
له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية
الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا وكان الخط الحسن هو الذي
جعل خطه حسنا ولكن الاول متكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انحفظ من النفس
اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له
الا ان يتعاطى افعال الفقها وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير
فقيه النفس فكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هو لا
تكلفا حتى يصير له ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكان من طالب فقه النفس لا يبأس
من هذه الرتبه لتعطيل ليلة ولا ينا لها بتكرار ليلة فكذلك طالب تزكية النفس وتحليتها
بالاخلاق الحسنة لا ينا لها بعبادة يوم ولا تحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة
لا توجب الشقاوة الموبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعوا الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى
تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغاير المعاصي
تجر بعضها الى بعض حتى تفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمه وكما ان تكرار ليلة
لا تحس اثره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيأ شيأ على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع
القامة وكذلك قليل الطاعة فلا تحس ثمرتها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن لا
ينبغي ان يقلل الطاعة الجملة الكثيرة منها موثرة وانما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد ثمرة
فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محاله ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك المعصية وكم
من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهذا على التوالي يسوق نفسه يوما يوما الى ان تخرج
طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوق نفسه بالتوبه على التوالي
اما ان تحيط به الموت بغتة او تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبه اذ القليل يدعوا

الى استهانة

الى الكثير ويصير القلب مقيدًا بسلاسل الشهوات لايمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى بانسداد
باب التوبه وهو المراد بقوله تعالي وجعلنا من بين ايديهم سدًا ومن خلفهم سدًا الايه وكذلك قال
على كرم الله وجهه الايمان يبدو في القلب لمعةً بيضاء فكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض
فاذا استكمل الصد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب نكتةً سوداء وكلما
ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا عرفت الاخلاق الحسنه
تارةً تكون في الطبع والفطرة وتارةً باعتياد الافعال الجميله وتارةً بمشاهدة ارباب الافعال
الجميله ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعًا
فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيلةٍ طبعًا واعتيادًا وتعلمًا فهو في غاية الفضيلة
ومن كان رذلًا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له اسباب الشر حتى لعود فهو في
غاية البعد من الله تعالي وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجةٍ في القرب والبعد
بحسب مايقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شرًا يره
وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون **بيان الطريق الى تهذيب الاخلاق**
قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحةٌ في النفس والميل عن الاعتدال هو سقمٌ ومرض
كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحةٌ له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالًا فنقول
مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الرديه عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة
لها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال
وانما تعتري العلة المغيره بعوارض الأغذيه والأهويه والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلًا
صحيحًا على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعود والتعلم يكتسب الرذايل
وكما ان البدن في الابتداء لايخلق كاملًا وانما يكمل وينمو بالتغذو والتربية بالغذا فكذلك
النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما يكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما
ان البدن ان كان صحيحًا فمثال الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضًا فمثاله
جلب الصحة اليه وكذا النفس منك ان كانت زكيةً طاهره مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعي
لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة اليها والاكتساب زيادة صفاء لها وان كانت عديمة الكمال
الكمال والصفا فينبغي ان تسعي في طلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيره لاعتدال البدن الموجبة
للمرض لاتعالج الا بضدها ان كانت من حرارةٍ فبالبروده وان كانت من برودةٍ فبالحراره فكذلك

الرديله التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي
ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفًا وكما انه لابد من احتمال
مرارة الدوا وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضه وكذلك لابد من احتمال
مرارة المجاهده والصبر عن سداواة مرض القلب بل اولي فان مرض البدن تخلص منه الموت
ومرض القلب والعياذ بالله تعالى عذابٌ يدوم بعد الموت أبد الآباد وكما ان كل مبرد لايكفي
لعلة سببها الحراره الا اذا كان على حدٍ مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام
وعدمه وبالكثرة والقلة ولابد له من معيارٍ يعرف مقدار النافع منه والضار فان لم يحفظ عياره
زاد الفساد وكذلك النقيض الذي يعالج به الاخلاق لابد له من عيارٍ وكما ان عيار الدوا ما خوذٌ
من عيار العلة حتى ان الطبيب لايعالج بالم يعرف ان العلة من حرارةٍ او برودةٍ وان كانت
من حرارةٍ فيعرف درجتها أهي ضعيفةٌ او قويةٌ فاذا عرف ذلك النفت معه الي احوال
البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسايراحواله ثم يعالج بحسبها فكذلك
الشيخ المتبوع الذي يطب نفس المريد ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لايهجم عليهم
بالرياضة والتكاليف في فنٍ مخصوصٍ وطريقٍ مخصوص بالم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان
الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاجٍ واحدٍ قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين
بنمطٍ واحدٍ من الرياضه اهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي سنه
وحاله ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضه ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتدئًا جاهلًا
بحدود الشرع نبعله اولًا الطهاره والصلاة وظواهر العبادات وان كان مشغولًا بمالٍ حرامٍ
او مقارفًا لمعصيةٍ فبامره اولًا بترك ذلك فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهر عن المعاصي
الظاهره جوارحه نظر بقرايين الاحوال الى باطنه ليتفطن لأخلاقه وامراض قلبه فان
رأي معه مالًا فاضلًا عن قدر ضرورته اخذ منه وصرفه الى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى
لايلتفت اليه وان رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبةً عليه فيامره بان يخرج الي
السوق للكدية والسوال فان عز الرياسه لاينكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال
فيكلفه المواظبة على ذلك مرةً حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكه
وكذا الرعونة فان رأي الغالب عليه النظافه في البدن والثياب ورأي قلبه ماييلًا الى ذلك مزكًا به
ملتفتًا اليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه بكنس المواضع القذره او ملازمة المطبخ

ومواضع الدخان حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها
ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين لنفسها
طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما منها عبد غير الله فقد حجب عن الله
ومن راعى في ثوبه شيأ غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه وهو مشغول بنفسه
ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة رأسا او بترك صنعة اخرى
ولم يسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل عن الخلق المذموم الى مذموم آخر أخف منه كالذي
يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في
المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما اشبهه ثم ينقل من اللعب الى الزينة وفاخر الثياب ثم
ينقل من ذلك الى الترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقل عن عز الجاه الى الترغيب في الاخرة
وكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة واحدة فلينتقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك
ساير الصفات وكذلك ان رأى شره الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم كلفه
ان يهيي الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى تقوى به نفسه لتتعود
ويتكسر شرهه وكذلك اذا رأه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح لنامره بالصوم
وربما لا يسكن ذلك شهوته فيأمره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون
الماء ويمنعه اللحم والادم واسا حتى تذل نفسه وتنكسر شهواته فلا علاج في مبادي الاراده
انفع من الجوع وان رأى الغضب غالبا عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه من بني
سوء الخلق وبأمره بخدمة من ساء خلقه وبمراعاته حتى تمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم
يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب وكان يستأجر من يشتمه على ملإ من الناس
ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل وكان
بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان
يركب البحر في الشتا عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام
طول ليله على قصبة واحده وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان تكسل نفسه عن القيام فالزم
نفسه القيام على راسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم
حب المال بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود وريا
البدل بهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك

سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الآن التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك
المضاده لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله جميع ذلك كله في كلمة واحده فقال تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على
ترك شهوة فقد تيسر من الله اسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر
فانه ان عوّد نفسه نقض العزم ألفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم
نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المحاسبة والمراقبة واذا لم تخوف
النفس غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فسدت به الرياضة بالكلية

بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحة

اعلم انه كما ان كل عضو من اعضاء البدن
خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او
يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العينان يتعذر
عليها الابصار وكذلك مرض القلب هو ان يتعذر عليه فعله الخاص به دون الذي خلق لاجله
وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة سواه
والاستهانة بجميع الشهوات والاعضا عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ففي كل عضو فايده وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن
البهايم ولم يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع او الابصار او غيرها بل بمعرفة الاشيا على ما
هي عليه واصل الاشيا وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شي
ولم يعرف الله تعالى فكانه لم يعرف شيأ وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى احبه
وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الاية فمن عنده شر احب اليه من الله فقلبه
مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء اسقطت شهوتها عن الخبز
والماء فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا تعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شا الله
الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه
وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح
وان وجد من قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلما وقد استولى
المرض عليهم والطبيب المريض قل ما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا

واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طبّ القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمالٍ
ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراياه فهذه علامات اصل المرض فاما علامة عود الصحة بعد
المعالجة فهو ان ننظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله
تعالى فانما علاجه بذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حدٍ يصير سرفًا فيكون التبذير
ايضًا داءً ويكون كمن عالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهي ايضًا ليست المطلوب الاعتدال
بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط
في غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخُلق
المذموم فان كان اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له
مثل ان يكون امساكه المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب
عليك خُلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل للمستحق ألذ عندك واخف عليك
من الامساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب
نفسك وتستدل على خُلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال
فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل يصير عندك كالماء فلا يطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاجٍ اليه
او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الامساك وكل قلبٍ صار كذلك فقد حاز الله سلمًا
عن هذا المقام خاصةً ويجب ان يكون سليمًا عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيءٍ مما
يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلايق عنها غير ملتفتةٍ اليها ولا متشوقةٍ
الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضيةً مرضيةً داخلةً في
زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقًا ولما
كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر فلا جرم من استوى
على هذا الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقًا
بالجانب الاخر الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل
البرق وقال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ثم ننجي الذين اتقوا أي الذين
كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه ولاجل غير الاستقامة وجب على كل عبدٍ ان يدعو الله
سبحانه في كل يوم سبع عشرة مرة بقوله اهدنا الصراط المستقيم اي قد وجبت قراءة الفاتحة
في كل ركعة وأي بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله ثبتني

سورة

سورة هود فلم قلت ذلك قال عليه السلام لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سواء
السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة
الاستقامة وكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبدٍ صفاته
واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحدٍ واحدٍ منها على الترتيب

بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبدٍ خيرًا
بصّره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم فيرى احدهم القذى في عين اخيه ولا يرى الجذع في
عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق الاولى ان يجلس بين يدي شيخٍ كبيرٍ
بصيرٍ بعيوب النفس مطّلعٍ على خفيّ الآفات ومحنكٍ على نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته
وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه استاذه وشيخه عيب نفسه ويعرفه
طريق علاجه وهذا قد عزّ في هذا الزمان وجوده الثانية ان يطلب صديقًا صادقًا بصيرًا
متدينًا وينصبه رقيبًا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة
والظاهرة ينبّهه عليه فهكذا كان يفعل الأكابر ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأً
أهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه لما قدم عليه وقال ما الذي بلغك عني مما كرهته
فاستعفاه فالحّ عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادمين على مايدةٍ واحدة وان لك حلتين حُلّة
بالليل وحُلّة بالنهار فقال وهل بلغك غير هاتا لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان بالحديفة
ويقول انت صاحب سرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى عليّ شيأً من آثار
النفاق وهو على جلال قدره وعلوّ منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اورع عقلًا
واعلى منصبًا كان اقل اعجابًا واعظم اتهامًا لنفسه الا ان هذا ايضًا قد عزّ فقلّ في الاصدقاء من يترك
المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو اما ان تكون صديقك
او صاحب غرضٍ يرى ما ليس بعيبٍ عيبًا او مداهنٌ تخفى عنه بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي
قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط قال ماذا اصنع باقوام تخفون عني عيوبي فقد كان شهوة
ذوي الدين ان ينبّههم العيوبهم بنصيحة غيرهم وقد آل الامر الى مثالنا والبعض الخلق من ينصحنا
ويعرفنا عيوبنا وكاد يكون هذا مفصحًا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب
لذاعة ولو نبّهنا منبّه على ان تحت ثوبنا عقربًا لتقلدنا منه منّةً وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب

وقتلها وانما نكايتها عن البدن ولا يدوم ألمها الا يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الرديه علي
صميم القلب وتخشى ان يدوم بعد الموت ابدا أو ألافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن يبتينها عليها
ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول انت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا
العداوة محة عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب
واصل كل ذلك من ضعف الايمان نسأل الله ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا
بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه **الطريق الثالث** ان يستفيد
عيوب نفسه من ألسنة اعدآيه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدوٍ
مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديقٍ مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه
عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلوا
عن الانتفاع بقول اعدآيه فان مساويه لا بدّ وان تنتشر على لسانهم **الطريق الرابع**
ان يخالط الناس وكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المومن
مرآة المومن فيري في عيوب غيره عيوب نفسه وليعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوي
فيما يتصف به واحدٌ من الأقران لا ينفك القرين الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شيء منه
فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمّه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما
يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المودِّب قيل لعيسى عليه السلام من أدّبك قال ما أدّبني احدٌ
انما رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيلٌ من فقد شيخا ذكيا عارفا بصيرا بعيوب النفس
مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله تعالي نصحا لهم
فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك
الذي هو بصدده **بيان** شواهد النقل من ارباب البصاير وشواهد الشرع
على ان الطريق في معالجة امراض القلوب بترك الشهوات فان مادّة امرها هي اتباع
الشهوات اعلم ان ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب
وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان
على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجةً كما ان للعلم درجةً والعلم
يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
فمن صدّق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله تعالي ولم يطلع على سببه وسببه وسرّه

فهو من الفوز

فهو من الذين اذا اطلع على ما ذكرناه من اغوار الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم
درجات وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القران والسنة واقاويل العلماء اكثر من
ان تحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بين خمس
شدايد مومنٌ يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفسٌ تنازعه فبين ان
النفس عدوٌ منازع بجب مجاهدته وروي ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام ياداود
حذّر واندر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة
وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعودٍ غائبٍ لم يره وقال صلى الله عليه وسلم
لقومٍ قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا يا رسول الله
وما الجهاد الاكبر فقال عليه السلام جهاد النفس وقال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه
في الله عز وجل وقال عليه السلام كفّ اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا
لخاصمك يوم القيامة فلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالي وليشير برحمته وقال سفيان
الثوري ما عالجت شيأ اشد من نفسي مرّةً لي ومرّةً علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس
لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة
والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد
من نفسك وقال يحيى بن معاذ جاهد النفس بسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت
من الطعام والغض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام
موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى
البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى فاذا تحركت
ارادة من النفس الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام
من عند التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام
فتأمن من بوايقها في سايرالايام وتصفيها من ظلم شهواتها فتنجو من غوايلها فتصير عند ذلك
روحانيةً لطيفةً ونوريةً حقيقة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسارات الطاعات كالفرس
الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعدا الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه
فاحترز من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكما

وبستان

من استولت عليه النفس صار اسيرا في حبّ شهواتها محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوايد
وقال جعفر بن حيد اجتمعت العلما والحكما على ان النعيم لا يدرك الا بترك التنعّم وقال ابو يحيى الوراق
من ارض الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامه وقال وهب ما زهد على الخبز فهو شهوة
وقال ايضا من اراد شهوات الدنيا فليتهيّا للذلّ ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام
بعد ما ملك خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوه صيّرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى
صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام قال الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فمرت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها نادت ان انام
فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتفّ في عباة مطروح على الطريق فلما احسّ بي
قال يا ابا القاسم الى الساعه فقلت يا سيدي عن غير موعد فقال بلى قد سالت محرك القلوب بان
تحرك قلبك الي فقلت قد فعل عزّ وجل فما حاجتك فقال متى يصير دا النفس واها فقلت اذا
خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه
من الجنيد وانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الما البارد في الدنيا لعلي لا احرمه
في الاخره وقال رجل لعمر بن عبد العزيز متى استكمل قال اذا اشتهيت الصحة قال فمتى اصحّ قال اذا
اشتهيت الكلام وقال علي عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار
يطوف في السوق فاذا رأى الشي يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا لكرامتك عليّ فاذن
قد اتفق العقلا والحكما على ان الطريق الى سعادة الاخره لا يتمّ الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة
الشهوات فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه
وحاصل الرياضة ومنها ان لا تتمتّع النفس بشي مما لا يوجد في القبر الا بقدر الحاجة والضرورة فيكون
مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطرّ اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو
تمتّع بشي منه انس به والفه واذا مات تمنّى الرجوع الى الدنيا ولا ينبغي الرجوع الى الدنيا الا من لا له
حظّ في الاخرة بحال ولا خلاص عنه الا ان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله عزّ وجلّ وحبه والتفكر
فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع به عوايق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك
فليقترب منه فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله تعالى قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في
ضرورات المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبه الا بالرياضة الطويله والصبر عن
الشهوات مدة مديده والثاني من استغرق الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس

حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه
هو الدين فهذا لا بدّ له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر قوّة غلبة ذكر الله تعالى على قلبه
والرابع رجل اشتغل بها جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج
منها لا محاله لقوّة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكّنه من صميم فواده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه
وربما يقول القايل ان التنعّم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله تعالى فهذا خيال
ضعيف بل حبّ الدنيا راس كل خطيه والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا ايضا وسيأتي ذلك في كتاب
ذمّ الدنيا وقد قال ابراهيم الخواص كنت في جبل لكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحده
فشققتها فوجدتها حامضه فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه
الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم قلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى
عليه شي فقلت اريد لك حالا مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير قال واترك لك حالا
مع الله تعالى فلو سالته ان يحميك شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان تجد الانسان المه في
الاخرة ولدغ الزنابير تجد المه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ اربعين سنه تطالبني
نفسي ان اغمس جزرة في دبس فما اطعتها فاذن لا يمكن اصلاح القلب بسلوك طريق الله ما لم
يمنع النفس من التنعّم من المباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات
فمن اراد حفظ لسانه من الغيبه والفضول فحقّه ان يلزمه السكوت الا عن المهمّات حتى تموت
منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عباده وكلامه عباده ومهما اعتادت العين
رمي البصر الى كل شي جميل لم يتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك سايرالشهوات لان الذي به يشتهي
به الحلال هو بعينه يشتهي به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها عن الحرام فان لم يعود
الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوه فهذا احد آفات المباحات ووراء هذه
آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعّم بالدنيا وتركن اليها وتطمين بها اشرا وبطرا
حتى يصير ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سمّ قاتل يسري
في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامه وهذا هو موت القلب
قال الله تعالى وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال عزّ من قايل
اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى متاع الغرور واولوا الحزم من ارباب القلوب جزّوا قلوبهم
في حالة الفرح بسواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من الاثر بذكر الله تعالى واليوم

الاخر وجرّبوها فى حالة الحزن فوجدوها لتيّنةً رقيقةً صافيةً قابلةً لاثر الذكر فعلموا
ان النجاة فى الحزن الدآيم والتباعد من اسباب البطر والفرح فقطعوها عن ملاذها وعوّدوها
الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش
الحساب فى عرصات القيامه فقد عُذب فخلّصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك
فى الدنيا والاخره بالخلاص عن اسر الشهوات ورقّها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته
وفعلوا بها ما يفعل بالباز اذا قُصِدَ تأديبه ونقله عن توحّشه ونفوره الى الانقياد والتأدّب
فانه يجلس اولاً فى بيتٍ ويخلط عينيه حتى يحصل به الفطام عن الطيران فى جوّ الهوى وينسى
كان إلفَهُ من طبع الاسترسال ثم يرفق فى اللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفًا اذا دعاه أجابه ومهما
سمع صوته رجع اليه وكذلك النفس لا تألف ربّها ولا تأنس بذكره الا اذا فطمت عن عاداتها بالخلوة
والعزلة اولاً ليحفظ السمع والبصر عن اللغو فان ثم عودت الثناء والذكر والدعا ثانيًا فى الخلوة
حتى يغلب عليها الانس بذكر الله تعالى عوضًا عن الانس بالدنيا وسآير الشهوات وذلك يثقل عليه
فى البداية ثم يتنعّم به فى النهاية كالصبى يفطم عن الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعةً
فلذلك يشتدّ بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتدّ نفوره عن الطعام الذى يقدم اليه بدلًا عن اللبن
ولكنه اذا سمع اللبن راسًا يومًا وعظم تعبه فى الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفًا ثم يصير
له طبعًا فلو رُدّ الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدى ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة فى
الابتدا تنفر عن السرج واللجام والركوب ولكن يحمل عليها قهرًا ويمنع عن الاسراج الذي ألفته
بالسلاسل والقيود اولاً ثم تأنس به بحيث تترك فى موضعها فتقف فيه من غير قيدٍ فكذلك تؤدّب
النفس كما تؤدّب الطيور والدّواب وتاذيبها بان تمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم الدنيا بل
بكل ما يزيله الموت فيقال له احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم انه من احب شيأ يلزمه فراقه
ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب من لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فان ذلك يصحبه فى القبر ولا
يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلايل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حياة الاخرة وما من عاقلٍ
الا وهو راضٍ باحتمال المشقة فى سفرٍ وتعلّم صناعةٍ وتجرّد لكل شهرًا ليتنعّم به سنةً فعند
الصباح تحمد القوم السري فطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان تختلف بحسب اختلاف احواله والاصل
فيه والاصل فيه ان يترك كل ما وجد فيه فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال والجاه او بالقبول
فى الوعظ او بالعزّ فى القضا والولاية او بكثرة الاتباع فى التدريس والافادة فينبغى ان يترك اولًا

مابه فرحه فانه ان منع عن شئ من ذلك وقيل له ثوابك فى الاخرة لم ينقبض بالمنع فكره ذلك
وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأنّ اليها وذلك مهلك فى حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح
فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله تعالى والفكر فيه
وليترصّد لما يبدو له فى نفسه من شهوةٍ ووسواسٍ حتى يقمع مادّته بمخالفته فان لكل
وسوسةٍ سببًا ولا يزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقيّة العمر فليس للمجاهد
الا الموت **بيان علامات حسن الخلق** اعلم ان كل انسانٍ جاهلٌ بعيب نفسه
فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدةٍ حتى ترك فواحش المعاصي يلاحظ بنفسه انه قد هذّب
نفسه وحسّن خُلُقه واستغنى عن المجاهدة فلا بدّ من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن
الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله تعالى صفات المومنين والمنافقين
وهي جملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق فنورد جملةً من ذلك لتعلم به حسن الخلق قال الله تعالى
قد افلح المومنون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال تعالى التآئبون العابدون الايه وقال تعالى
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون حقًا وقال تعالى
وعباد الرحمن الذين يمشون الى اخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات
فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها
دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده ووصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بصفاتٍ كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال
عليه السلام المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر
فليكرم ضيفه وقال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وقال عليه السلام
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرًا او ليصمت وذكر ان صفات المومنين هى حسن الخلق فقال
اكمل المومنين ايمانًا احسنهم اخلاقًا وقال عليه السلام اذا رايتم المومن صموتًا وقورًا فادنوا منه فانه يلقى
الحكمة وقال عليه السلام من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مومن وقال عليه السلام لا تحل للمومن
ان يشير الى اخيه بنظرةٍ تؤديه وقال عليه السلام لا تحل لمسلم ان يروّع مسلمًا وقال عليه السلام انما
يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا تحل لاحدهما ان يفشى على اخيه ما يكره وجمع بعضهم
علامات حسن الخلق فقال ان تكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام
كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول بارًّ وصول وقورًا صبورًا شكورًا حليمًا رفيقًا عفيفًا شفيقًا

وضبّة
الوضباة للحسن والبخيل
وقال وصبور الوعل الرصار
وضبنا

الاناة الارتياد والخفة المعروف
ورطب هش تش آرطل الوم طيب الخلق

لا الغان ولا سباب ولا شتام ولا معتاب ولا عجول ولا حقود ولا بخيل ولا حسود هشاش بشاش
تحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن همته في الصلاة والصيام والعبادة والمنافق همته في
الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص
والامل والمومن أيئس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمومن أمن من كل احد
الا من الله والمنافق خايف من كل احد الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه
دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة والخلوة والمنافق
يحب الخلطة والملا والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر
وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واول ما يمتحن به حسن الخلق الصبر
على الاذي واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال
الاذي فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه
جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر باعطائه ولما اكثرت قريش ايذاءه وضربه
قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابراهيم
بن ادهم انه خرج الى بعض البوادي فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم قال اين العمران
فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط
فشجه شجة موضحة وردّه الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا
ابراهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد
فقال انه لم يسئلني انت عبد من بر قال انت عبد قلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي سالت الله تعالى
له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون
يصيبني منه الخير ويصيبه مني الشر ودعى ابو عثمان الحيري الى دعوة فكان الداعي يريد تجربته
فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه هذا فرجع ابو عثمان فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ترجع
على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالثة
حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فيما احسن خلقك فقال

ابو عثمان

ابو عثمان الذي رايت منه هو خلق الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي ان ابا عثمان
اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيئا
فقيل له الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصوح على الرماد لم يجز ان يغضب وروي ان علي بن موسى
الرضا صلوات الله عليهما كان يسبل لونه الى الشواد اذا كانت اثمه سودا وكان له بنيسابور على باب داره
حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم واطبق الحمامي باب الحمام ومضى الى بعض حوائجه
فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فراي علي بن موسى عليهما السلام
فظن انه بعض خدم الحمام فقال قم فاحمل الي الماء فقام علي واشتغل جميع ما كان يامره به فرجع الحمامي
فراي ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاها فلما خرج علي بن موسى سال
عن الحمامي فقيل انه خاف مما جرى فقيل انه خاف مما جرى فهرب فقال عليه السلام لا ينبغي ان يهرب
انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سودا وروى ان عبد الله الحيا كان يقعد على دكانه وكان له
حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا خاط لذلك المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله
ياخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه فقضى من القضا ان عبد الله قام يوما من الحانوت
لبعض حوائجه فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع ما خاطه ودفع اليه درهما زايفا فلما نظر اليه
التلميذ ردّه اليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بيس ما عملت هذا المجوسي يجاملني بهذه
المعاملة مدة وانا اصبر عليه واخذ الدراهم واقذفها في البير كيلا يغر به مسلما وقال يوسف بن
اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما
يبدو من السيات والتماس المعذرة واحتمال الاذي والرجوع باللايمة على نفسه والتفرد بمعرفة
عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن فوقه ودونه
وسيل سهل عن حسن الخلق فقال ادناه احتمال الاذي وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له
والشفقة عليه وقيل للاحنف ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم المنقري قيل وما بلغ
من خلقه قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها
فوقع على ولد له صغير فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله وقيل
كان اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار
كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب من الحي
وقف وقال ان كان بقي في قلبك شي فقله كي لا يسمع بعض سفها الحي فيجيبونك وروي ان عليا

عليه السلام دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال اما
تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حرّ
لوجه الله تعالى وقالت امراة لمالك بن دينار يا سرّاق فقال . ياهذه وجدت اسمي الذي اضل اهل البصرة
وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام قال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس
قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغش والغل بواطنها فاثمرت الوضائع بكل ماقدره الله
وهذا منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهو لا ظهرت العلامات
على ظواهرهم كما ذكرناها فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها
حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة
رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون **بيان الطريق في رياضة الصبيان**
في اوّل النشوء وجه تأديبهم وحسن اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه
الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومايل الى كل
ما يمال به إليه فان عوّد الخير وعلّم نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشارك في ثوابه ابواه وكل
مؤدب له ومعلم وان عوّد الشر واهمل اهمال البهايم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي
عليه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ومهما كان
الاب يصونه من نار الدنيا فبان يصونه من نار الاخرة اولى وصيانته بان يودّبه ويهذّبه ويعلمه
محاسن الاخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعوّده التنعّم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية
فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الأبد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في
حضانته وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه
فاذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبايث ومهما بدأ
بخايل التمييز فينبغي ان تحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوايل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي
ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى رأى بعض الاشياء قبيحا
ومخالفا للبعض فصار يستحيي من شرذون شر وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدلّ
على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشّر بكمال العقل عند البلوغ والصبي المستحي لاينبغي
ان يهمل بل يستعان على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام
فينبغي ان يودّب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اكله ويأكل مما يليه

ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام والى من يأكل ولا يسرع في الاكل ويضع الطعام
مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ ثوبه ويده ويعوّد الخبز الفتار في بعض الاوقات
حتى لا يصير بحيث يشبع الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهايم وان
يذمّ بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي الذي يكره الاكل ويمدح بين
يديه الصبي المتاديب القليل الاكل ويحبّب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة
بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبّب اليه من الثياب البيض دون الملوّن والابريسم ويقرّر
عنده ان ذلك ثياب النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرّر عليه ذلك ومهما
رأى على صبي ثوبا من ابريسم او ملوّن فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي من الصبيان
الذين عوّدوا التنعّم والترفّه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من سمع ما يرغبه فيه فان
الصبي اذا اهمل في ابتداء نشوه خرج في حداثته الكبر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نمّاما
لجوجا فاذا فضول وضحك وكياد ومجانة وانما تحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم ينبغي ان
يشتغل في المكتب بتعلم القران وباحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم ليغرس في
نفسه حب الصالحين وتحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر الفسق واهله وتحفظ عن مخالطة
الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر
الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح
به ويمدح بين اظهر الناس فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرّة واحدة فينبغي ان يتغافل
عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر انه يتصوّر ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا
ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة
بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال اياك ان يطلع عليك في مثل
هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهوّن عليه سماع
الملام وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه
ولا يوبّخه الا احيانا وينبغي للام ان تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم
نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاؤه
ولا يسخن بدنه فلا يصبر عن التنعّم بل يعوده الخشونة في الفرش والملبس والمطعم وينبغي ان
يمنع النوم نهارا من كل ما يفعله في خفية فانه لا تخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك

تعوّد فعل القبيح ويُعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلبه عليه الكسل
ويُعوّد ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمها الى صدره ويمنع من ان
يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحوده واته ويعود التواضع
والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم في الكلام ويمنع ان يأخذ من الصبيان شيأ بدأله حشمته
ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرغبة في العطا لا في الأخذ وان الأخذ لوم وخسة وان كان
من اولاد الفقرا فيعلم ان الأخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يتبصبص في
انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما اكثر من أفة السيوم
على الصبيان بل هي على الاكابر ايضا وينبغي ان يعوّد ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاوب
بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده
فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل
على الوقاحة وان ذلك فعل اولاد اللئام ويمنع اليمين راسا صدرا وكذبا حتى لا يتعود في الصغر
ويمنع من ان يبتدي بالكلام ويُعوّد ان لا يتكلم الا جوابا وبقدر السوال وان يحسن السماع كما
تكلم غيره من هو اكبر سنا منه وان يقوم لمن فوته ويوسع المكان له ويجلس بين يديه ويمنع
من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فانه يسري
لا محالة من القرنا السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد
من الصبيان ولا غيرهم بل يصبر ويذكر له ان ذلك دأب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ دأب
المماليك والنسوان وينبغي ان يوذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه
من تعب الأدب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما
يميت قلبه ويبطل ذكاه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص عنه راسا وينبغي
ان يعلم طاعة والديه ومعلمه وموذبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي وان ينظر
اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومتى بلغ سن التمييز ينبغي ان لا
يسامح في ترك الصلاة والطهارة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويجتنب لبس
الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ونحوه من السرقة واكل الحرام
والكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبي فمهما
قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة أدوية وان المقصود منها

وحذر منها اكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان افة حب الذهب والفضة والطمع فيهما

واصل ما دب الصبيان الخط من القرنا السوء

ان يعلم

ان يقوي الانسان بها على عبادة الله تعالى وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقا لها وان الموت يقطع
نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من
الدنيا للاخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعته فاذا كان النشو صالحا كان هذا الكلام
عند البلوغ واقعا موثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف ذلك
حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه
عن قبول الحق نبوة الحايط عن التراب اليابس فاوايل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي
خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال النبي صلى الله
عليه وسلم كل مولود يولد على الفطره وانما ابواه يهودانه وينصرانه وقال سهل التستري
كنت بن ثلث سنين وكنت اقوم الليل وانتظر الى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوما يا بني
الا تذكر الله تعالى الذي خلقك فقلت يا خالي كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك
ثلث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي
ثم اعلمته فقل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى عشر مرة فقلت
ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي احفظ ما علمتك ودم عليه الى ان تدخل
القبر فانه ينفعك في الدنيا والاخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت له حلاوة في سري فقال لي خالي
يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه وشاهده يعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو ابعثوا
الي المكتب نقلت اني اخشى ان يتفرق علي همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم
ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وتعلمت القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر
وقوتي من خبز الشعير اثنا عشر سنة فوفقت لمسيلة وانا ابن ثلث عشر سنة فسالت اهلي ان
يبعثوا بي الى البصرة اسأل عنها فجيتها فسالت علماءها فلم يشف عني احد شيأ فخرجت الى
عباد ان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فاجابني فاقمت
عنده مدة انتفع بكلامه واتأدب به ثم رجعت الى دستر فجعلت قوتي اقتصارا على
ان يشتري لي بدرهم من الشعير فيطحن لي ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة
خبزا بغير ملح ولا ادم وان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلثة ايام ثم افطر
ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم حسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض
سنتين ثم رجعت الى دستر فكنت أقوم الليل كله

بيان شروط الارادة

وَمقدمات المجاهدة وتدريج المريد فى سلوك سبل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدًا لحرث الآخرة مشتاقًا اليها سالكًا سبيلها مستهينًا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يتوقف له رغبة فى الخرزة وقويت ارادته فى بيعها بالجوهرة فمن ليس مريدًا لحرث الآخرة ولا طالبًا للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعنى بالايمان حديث القلب وحركة اللسان بكلمتى الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهى قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة الا انه لا يدرى من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداية والمذكرين والعلماء بالله الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا فى شهواتهم وخاضوا فى رقدتهم وليس فى علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان طلب الطريق من العلماء زجرهم بما يلين الى الهوى وعادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببًا لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومتى كان المطلوب محجوبًا والدليل مفقودًا والهوى غالبًا والطالب غافلًا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة وان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعث له ارادة فى خرث الآخرة وبحارتها فينبغى ان يعلم ان له شروطًا لا بد من تقديمها فى بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظايف لا بد من ملازمتها فى وقت سلوك الطريق اما الشروط التى لا بد من تقديمها فى الارادة فهو رفع السد والحجاب الذى بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدًا ومن خلفهم سدًا الآية والسد بين المريد والحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية واما ما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرج عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر ضرورته فاذا بقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من مواضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطى اعمال تنفر قلوب الخلق عنه وانما يرتفع حجاب

التقليد

التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قول لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويخوض فى تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر فى معنى اعتقاده الذى تلقفه تقليدًا فينبغى ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة فان غلب عليه التعصب لعقيدة ولم يتق فى قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيدًا له وحجابًا اذ ليس من شرط المريد الا يتمادى فى مذهب اصلًا واما المعصية فهى حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصح التوبة ولم يهجر المعاصى الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولًا ثم الترقى منه الى اسرار معانيه وكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولًا واخرًا ثم الترقى الى اغوارها واسرارها فاذا قدم هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحًا للصلاة فيحتاج الى امام يقتدى به وكذلك المريد يحتاج الى شيخ وانما يقتدى به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان الى طرقه لا محالة فمن سلك البوادى المهلكة بنفسه من غير خفير ودليل فقد خاطر بنفسه وربما اهلكها ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التى تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط البحر بالقايد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه فى ورد ولا صدر ولا يبقى فى متابعته شيأ ولا يدر ويعلم ان نفعه فى خطإ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه فى صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه التحصن به وهو حصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهى اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفى بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفى فؤاده رقته وهى رقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب خلق منه مسلك العدو فان مجاريه العروق المستلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا بأربع خصال باحتمال البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففايدة الجوع فى تنوير القلب امر ظاهر يشهد

له التجربه وسياتى بيان وجه التدريج فى كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب
ويصفيه وينوره وينضاف الى الصفا الذى حصل من الجوع ويصير القلب كالكوكب الدرى
والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات فى الاخرة وحقارة الدنيا
وافاتها فيتم بذلك رغبته فى الدنيا واقباله على الاخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر
مع الشبع غير ممكن والنوم يميت القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب
المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل فى صفة الابدال اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة
وقال ابراهيم الخواص اجتمع رأى سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما القصد
فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب وتدبير
امره فينبغى ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم
فانه يستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع
ويعلم النفوس واما الخلوة ففايدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما ابواب القلب
والقلب فى حكم حوض انصبت اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة
تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل فيها ليحفر اسفل الحوض فينفجر منه الماء اللطيف
الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد فى كل حال اكثر مما
ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة فى مكان مظلم فان لم
يكن مكان مظلم فليلف راسه فى الجيب او يتدثر بكساء او ازار ففى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق
ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على
هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع
ويمنع العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه
يقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التى سببها الالتفات الى الدنيا
وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب فى قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل اعنى تلك
الصفات اسرار العلايق التى قطعها فى اول الارادة واثارها اعنى المال والجاه وحب الدنيا
والالتفات الى الخلق والتشوق الى المعاصى فلا بد وان تخلى الباطن عن اثارها كما اخلى
الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة وتختلف ذلك باختلاف الاحوال فربّ شخص
تكفيه قدر كفى اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة هو مضادة

الشهوه

الشهوة ومخالفة الهوى فى كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفى ذلك او ضعف
بالمجاهدة ولم يبق فى قلبه علقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير
الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرايض والرواتب ويكون ورده ورداً واحداً وهو لباب الاوراد
وشرتها اعنى ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه
ملتفتاً الى علايقه قال الشبلى للحصرى اذا كان يخطر على قلبك من الجهة التى اتيتنى شئ
غير الله فحرام عليك ان تاتينى وهذا التجرد لا يحصل الا مع صدق الارادة واستيلاء حب الله تعالى
على القلب حتى يكون فى صورة العاشق المستهتر الذى ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه
الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم به بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق
الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكر اسم الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول
مثلاً الله الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى يسقط حركة
لسانه وتكون الكلمة جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الاثر
عن اللسان ويبقى صورة اللفظ فى القلب ثم لا يزال كذلك حتى ينمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته
ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب
اذا شغل بشئ خلا عن غيره اى شئ كان فاذا شغل بذكر الله وهو المقصود خلا عن غيره لا محالة
وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب والخواطر التى تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى
من احواله واحوال غيره فانه متى اشتغل بشئ منه ولو فى لحظة خلا قلبه عن الذكر فى تلك
اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد فى دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه
الكلمة جاءته الوساوس عن هذه الكلمة وانها ما هى وما معنى قول الله ولاى معنى كان الها
وكان معبودا او يعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس
الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومستهجنا له ما طاوعته عن القلب لم يضره ذلك
والخواطر منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقى ذلك فى قلبه
ويحرجه على خاطره فشرطه ان لا يبالى به ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه
كما قال تعالى وامانينك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وقال تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشكل فيه فينبغى ان يعرض ذلك
على شيخه بل كل ما يجد فى قلبه من الاحوال من فترة ونشاط او التفات الى علقة او صدق فى ارادة

فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويسره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله
ويتأمل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق
ينبغي له ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما ينكشف به حقيقته
وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر
دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها
وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد فلم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل
بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر وقطع العلايق الشاغلة
عن قلبه لم تخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان
أخطأ كان من الهالكين ولذلك قال عليه السلام عليكم بدين العجايز وهو تلقي اصل الايمان
وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كثير
ولذلك يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من الاعتقاد الظاهر
لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة
المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد
دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم ويعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد
للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من الاحوال وما يبدو
من أوايل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتورا في طريقته أو
وقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا تروية البحار ولو أفيضت عليه
ويدوم على ذلك وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السياحين قلت لبعض الابدال
المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقلت مرة بعد اخرى دلني على عمل أجد فيه قلبي
مع الله في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة فقلت لا بد لي منهم
قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت فلا بد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم
وحشة قلت انا بين اظهرهم ولا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة
قلت هذه العلة قال يا هذا تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد
قلبك مع الله تعالى هذا لا يكون ابدا فاذا منتهى الرياضة ان تجد قلبه مع الله تعالى ولا يمكن ذلك
الا بان تخلو عن غيره ولا تخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الله

سبحانه

سبحانه وتعالى ولحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطايف رحمة الله تعالى ما لا يجوز
ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان
يتكلم به وعظا او نصحا او يتصدى للتذكير فيجد للنفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة
الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها
بالحكايات وشواهد القران والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان
ربما تخيل اليه ان هذا منك احياء القلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله
تعالى وبين الخلق لدعوة عباده اليه ومالك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان
بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك
في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القلوب وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة
عباد الله تعالى الى صراط مستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن يوازرني
على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان تحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضايعا وتعين عليه ذلك شرعا
فجاء من أعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد يحييه فالغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون
وفي كثرتهم استراح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح بهم وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي
ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوايل
الطريق فان ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال الله تعالى بل يؤثرون الحياة
الدنيا ثم بين الله تعالى ان الشر قد تم في الطبع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال عز من قايل
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريدين وترتيبهم في التدرج
الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي بيانه فان اغلب الصفات على الانسان بطنه
وفرجه ولسانه اعني به الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات
ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج واسن بهما احب الدنيا ولا يتمكن منها الا بالمال والجاه
واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدنيا
راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا اوجب علينا بعد تقديم هذين
الكتابين بان نستكمل ربع المهلكات بثانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب
في كسر الغضب والحقد والحسد وكتاب في كسر شره الكلام وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها
وكتاب في كسر حب المال وذم البخل وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب

وكتاب في بيان مواقع الغرور ونذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فبها يتم عوض من هذا الربع ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح صفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب اما تفصيلها فانما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله ثم كتاب تهذيب الاخلاق ويتلوه كتاب كسر الشهوتين

كتاب كسر الشهوتين البطن والفرج

وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين نفع الله به

بسم الله الرحمن الرحيم رب اتمم فزد واختم بخير امين

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومحاربه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل يغني بأمانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعيد ربه وتشقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك ليمتحنه به ويواظب على طاعته ويثنر جره عن معاصيه والصلاة على سيدنا محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلاة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه اما بعد فان اعظم المهلكات لابن ادم شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوى من دار القرار الى دار الدل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الآفات اذ تتبعها شهوة الفرج وشدة التنبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة الى المال والجاه اللذان هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المناهيات والمحاسدات ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبر يا ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذل العبد نفسه بالجوع

ذل

وضيق

وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله تعالى ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم يجره به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوايلها وآفاتها لتحذر انمها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول نجمعها ان شاء الله تعالى

بيان فضيلة الجوع ثم بيان فوائد الجوع

ثم بيان طريق الرياضة في كسر الشهوة التقليل ما لطعام

ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلة اختلاف احوال الناس

ثم بيان الرياء في ترك الشهوة

ثم بيان القول في شهوة الفرج

ثم بيان ما على المريد في ترك التزوج وفعله

ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

فالاول من ذلك بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله تعالى من جوع وعطش وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وعن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله تعالى اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم أكول شروب وفي الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اي مختارا لذلك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا بدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال عليه السلام ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه حسب بن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث

* او الرجال كون غير قادر للطعام

لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الحديث الطويل ذكر فضل الجوع
إذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا
الأتقيا الاخفيا الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يتفقدوا وتعرفهم بقاع
الارض وتحف بهم ملايكة السما نعم الناس بالدنيا ونعموا باطاعة الله تعالى افترش الناس
الفرش الوثيره وافترشوا الحباء والركب ضيّع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوهم
تبكي الارض اذا فقدتهم ويخط الله تعالى على بلدة ليس فيها منهم احد لم يتكالبوا على الدنيا
تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يرام الناس ويظنون ان
بهم داء وما بهم داء ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم
بقلوبهم الى امر الله تعالى الذي اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا
حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الاخره يا اسامه اذا رأيتهم في بلدة فاعلم انهم امان
لتلك البلده لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم
لنفسك اخوانا عسى ان تنجوا بهم وان استطعت ان يأتيك الموت وبطنك جايع وكبدك
ظمأن فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين عليهم السلام وتفرح بقدوم روحك
الملايكه ويصلي عليك الجبار رواه الحسن وروي ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السما وقال عيسى عليه السلام
أجيعوا اكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل ورواه طاووس عن النبي
عليه السلام هكذا وفي التوراة مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل
على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال بن مسعود ان الله تعالى
يبغض القارئ السمين وفي الخبر المرسل ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال عليه السلام المومن
ياكل في معا واحد والمنافق ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف اكل المومن اذ يكون
شهوته سبعة امثال شهوته ويكون المعا كناية عن الشهوه لان الشهوة هي التي تقبل الطعام
وتاخذه كما ياخذه المعا وليس المعنى به زيادة عدد معا للمنافق على معا المومن وروي الحسن
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع ابواب
الجنه يفتح لكم فقلت وكيف ندیم قرع باب الجنه فقال عليه السلام بالجوع والظما وروي ان أبا

وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير

حجيفة تجشأ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقصر من جشاءك فان اكثر الناس جوعا يوم القيامة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امتلأ شبعا قط ورما بكيت له رحمة مما ارى من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويشعك من الجوع فيقول يا عايشه اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر ايامًا يسيرة احبّ الي من ان ينقص من حظي غدا في الاخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشه والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسره قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك منه بهذه الكسره فقال عليه السلام اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي عليه السلام اهله ثلثة ايام تباعا من خبز الحنطه حتى فارق الدنيا وقال عليه السلام ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخره وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملا وما ترك عبدا اكلة يشتهيها الا كان له درجة في الجنه **أما الاثار** فما روى عن عمر رض الله عنه انه قال اياك والبطنه فانها ثقل في الحياة ونتن في الممات وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوه والآتها المجاعه وقال لقمان لابنه يا بني اذا استلأت المعده نامت الفكره وخرست الحكمه وقعدت الاعضا عن العباده وقال الفضيل يعاتب نفسه اي شيء تخاف اخاف ان جوع لا تخف ذلك فانت اهون على الله من ذلك انما الجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليل اجلستني فنابي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي يقول اذا اشتد مرضه وجوعه الهي ابتليتني بالجوع والمرض وكذلك تفعل باوليايك فنابي عمل اودى شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة يقوم به وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جايعا واسر جايعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل ذلك باوليايك فنابي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منتهاه وجوع التايبين تجربه وجوع المجتهدين كرامه وجوع الصابرين سياسه وجوع الزاهدين حكمه وفي التوراة اتق الله تعالى واذا شبعت

فاذكر الجايع وقال ابو سليمان لان اترك لقمة من عشاى احب الىّ من قيام ليلة وقال
الجوع عند الله فى خزانته لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوى نيفا وعشرين ليلة
لا ياكل وكان يكفيه لطعامه فى السنه درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يرى فى القيامة
عمل بر افضل من ترك فضول الطعام والاقتدا بالنبى عليه السلام فى اكله وقال لم ير الا كياس شيأ
انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيأ اضر على طلاب الاخرة من الاكل وقال جعل الحكمه
والعلم فى الجوع وجعل المعصيه والجهل فى الشبع وقال ما عبد الله بشئ افضل من مخالفة الهوى
فى ترك الحلال وقد قال فى الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسيل عن الزياده
فقال لا يجد الزياده حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله تعالى ان
يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزياده وقال ايضا انما صار الابدال ابدالا باخماص البطون
والصمت والسهر والخلوه وقال راس كل بر من السما والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع
وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله تعالى على العبد بالجوع والسقم
والبلا الا من شا الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاه الا بذبح نفسه وقتلها
بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد شرب من هذا الما حتى روى فسلم من
المعصيه وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم باى قيد اقيد نفسى قال
بالجوع والعطش ودلها باحمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابنا الاخره
واكسرها بترك زى الدنيا عن ظاهرها وانج من اقاتها بدوام سوا الظن عليها واصحبها بخلاف
هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافا احدا الا بالجوع والا هم الا لا
بالجوع وقال ابو طالب المكى مثل البطون مثل المزهر وهو العود المجوف ذوا الاوتار انما حسن
صوته لخفته ورقته وانه مجوف غير ممتلى فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوه وادوم
للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلثة يجمعهم الله تعالى رجل قليل النوم قليل الاكل قليل الراحة
وروى عن عيسى عليه السلام انه مكث ينا جى ربه سبعين صباحا لم يا كل فخطر بباله الخبز فانقطع
عن المناجاه فاذا رغيف موضوع بين يديه فقعد يبكى لفقد المناجاه فاذا شيخ قد اظله فقال
له عيسى بارك الله فيك يا ولى الله ادع الله تعالى لى فانى كنت فى حالة فخطر ببالى الخبز فانقطعت عنى
فقال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالى منذ عرفتك فلا تغفر لى بل كان اذا حضره شى اكل من
غير فكر ولا خاطر وروى ان موسى عليه السلام لما قربه الله تعالى نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

ثم عشر

ثم عشر على ما ورد فى القران انه استاك بعد ثلاثين يوما فزيد عشرة ايام لاجل ذلك

بيان فوايد الجوع وافات الشبع لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين
وما سببه وليس فيه الا ايلام المعده وقساوة الادي فان كان كذلك فينبغى ان يعظم الفضل فى
كل ما يتادى به الانسان من ضرب نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشيا الكريهة وما يحرب مجراه
فاعلم ان هذا ايضا هى قول من شرب دوا لينتفع به فظن ان منفعته فى مرارة الدوا وكراهيته
فاخذ بيتنا ولكنا هو مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه فى خاصية الدوا وليس لكونه مرا
وانما يقف على تلك الخاصيه الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سا سرة العلما ومن
جوع نفسه مصدقا لما جا فى الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعه
كما ان من شرب الدوا انتفع وان لم يعلم عين المنفعه وفيها وجوه كونه نافعا ولكنا نشرح
لك ذلك ان اردت ان ترتقى من درجة الايمان الى درجة العلم ويرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات فينقول فى الجوع عشر فوايد **الفايدة** الاولى صفا القلب
واتقا القريحة وانقاد البصيرة فان الشبع يورث البلاده ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ
كشبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان فى الافكار ويحرمه
عن سرعة الادراك بل الصبى اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطى الفهم والادراك
وقال ابو سليمان عليك بالجوع فانه مدلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم الشماوى وقال
عليه السلام من اجاع نفسه عظمت فكرته وقطن قلبه وقال عليه السلام
احيوا قلوبكم بقلة الضحك والشبع وطهروها بالجوع تصف وترق ويقال مثل الجوع مثل
الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة كالمطر وقال ابن عباس قال عليه السلام من شبع ونام قسى قلبه
ثم قال لكل شى زكاة وزكاة البدن الجوع وقال الشبلى ما جعت لله يوما الا رايت فى قلبى بابا
من الحكمه والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل الى
المعرفة والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح به والمعرفة باب من
ابواب الجنة فالحرى ان يكون ملازمه الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمان لابنه يا بنى اذا
امتلات المعده نامت الفكره وخرست الحكمة وقعدت الاعضا عن العباده وقال ابو يزيد الجوع
سحاب فاذا جاع العبد امطر القلب الحكمه وقال عليه السلام نور الحكمة الجوع والتباعد من الله
الشبع والقربة الى الله تعالى المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فتطفيوا نور المعرفه من قلوبكم

ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح **الفايدة الثانيه** رقة
القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجات والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان
مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب
وتدبر في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجات وخلو المعدة هو السبب
الاظهر فيه قال ابو سليمان احلى ما تكون العباده التي اذا لصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل
احدهم بينه وبين قلبه الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجات وقال ابو سليمان
القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبار فاذا تاثر القلب بلذة المناجاه امر وآثر يسير
الفكر واقتناص المعرفة فهذه فايدة تانيه **الفايدة الثالثه** الانكسار
والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر
النفس ولا تذل لشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكين لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها
اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام تأتيها واظلت عليها الدنيا بثروتها تأخرت عنها
وما لم يشاهد الانسان ذل نفسه وعجزه لا يري عزة مولاه وقهره وانما سعادته في ان يكون
دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر فليكن دايما جايعا
مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا وخزانتها فقال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت واذا شبعت شكرت او كما قال
والبطر والفرح بابٌ من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار بابٌ من ابواب الجنه
واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنه بالضروره لانهما
متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر **الفايدة الرابعه**
ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد لا
يشاهد بلاء الا ويتذكر به بلاء الاخره فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامه
ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق
والمهل ولا ينبغي ان يغيب عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم
يكن في دله ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الاخره ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه
فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة بلاء فاولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه
فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا احد الاسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالانبيا

والاوليا

والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام تجوع وفي يدك خزاين الارض قال
اخاف ان اشبع فانسى الجياع فذكر الجايعين والمحتاجين احد فوايد الجوع فان ذلك يدعوه
الى الرحمه والاطعام والشفقة على خلق الله تعالى والشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفايدة**
الخامسه وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلا على النفس الامارة بالسوء فان
منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى وماده القوي والشهوات لا محالة الاطعمه فتقليلها
يضعف كل شهوة وقوه وانما السعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه
وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك
النفس وقيل لبعضهم بما لك مع كبرك لا تعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش
الاشر فاخاف ان يجمحني فيورطني ولان احمله على الشدايد احب الي من ان احملني على الفواحش
وقال ذو النون ما شبعت قط الا وقد عصيت او هممت بمعصية وقالت عايشه اول بدعة حدثت
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم
الى الدنيا وهذه ليست فايدة واحده بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله
تعالى واول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه مشهوة
فضول الكلام فيتخلص به من آفات الكلام اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيره
فيمنعه الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى مفاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكبت
الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا تخفى غايلتها والجوع يكفي شرها
فاذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعه التقوى فلا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني
فان ملك عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب
الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له في اثناء الصلاه وانما ذكرنا آفات اللسان والفرج
مثالا والا فجمع معاصي الاعضا السبع سببها القوة الحاصله بالشبع قال حكيم كل مريد صبر
على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخالطه معه شر من الشهوات ويا كل بنصف بطنه
رفع الله عنه مؤنة النسا **الفايدة السادسه** دفع النوم ودوام السهر فان من
شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة
معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمعوا سهرين
صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع

وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفى النوم فواته ومهما غلب النوم فان تهجد لم يجد حلاوة العباده ثم التعزب اذا نام على السبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد وتحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتأذى به او يحتاج الى الحمام وربما يقع عينه على عورة فى دخول الحمام فان فيه ايضا إخطارا ذكرناها فى الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمان الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيره لتعذر الغسل فى كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له **الفايدة السابعه** تيسير المواظبة على العباده فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه تحتاج الى زمان يشتغل بالاكل وربما تحتاج الى زمان فى شراء الطعام اوطبخه ثم تحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر ترددة الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفه الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجات وساير العبادات لكثر زلفى قال السرى رايت معن على الجوجانى سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال انى خشيت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنه فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه فى المضغ وكل نفيس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى ان يستوفى منه خزانة باقية فى الاخرة لا اخر لها وذلك بان يصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه تحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة فيه ارباح عظيمه انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها ويعرفون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمان الدارانى الى ستة آفات فيه فقال من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العباده وتعذر حفظ الحكمه وحرمان الشفقه على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان سايرالمومنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفايدة الثامنه** من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعده والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر وينغص العيش وتحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك تحتاج الى مؤن وتبعات لا تخلوا الانسان فيها بعد التعب عن انواع المعاصى واقتحام الشبهات وفى الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكى ان الرشيد جمع اربعة

أطبا

اطبا هندي ورومي وسوادي وعراقي فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا داء فيه فقال الهندي الدوا الذي لا داء فيه عندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي هو عندي الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وحب الرشاد يرقق المعده وهذا داء والماء الحار يرخى المعده وهذا داء فقالوا وما هو عندك قال الدوا الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك وانت تشتهيه فقالوا صدق وذكر لبعض الفلاسفه من احبا اهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس تنجب منه وقال ما سمعت كلاما فى قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة راس الداء والحمية راس الدوا وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب حرى من هذا الخبر لا من ذاك وقال بن اسلم من اكل خبز الحنطة بادب يحتالم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال ياكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطبا فى ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته الملح ولان يتقلل من الملح خيرا له من ان يستكثر من الرمان وفى الحديث المشهور صوموا تصحوا ففى الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرها **الفايدة التاسعه** خفة المؤنه فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذى تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ سحنقه كل يوم فيقول ما ذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكسب من الحرام فيعصى او من الحلال فيذل ويتعب وربما يحتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمومن خفيف المونة كما قال بعض الحكما انى لافتض عامة جوانحى بالترك فيكون اروح لنفسى وقال اخوا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسى فتركت الشهوه فهى خير غريم لى وكان ابراهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشى الماكول فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم فى ثلثة احوال ان كان من اهل العبادة فكسل وان كان مكتسبا فلا يسلم من الآفات وان كان ممن يدخل عليه شى فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج البطن وفى تقليل الاكل يانحرسم هذه الابواب كلها وهى ابواب النار وفى حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادسموا قرع ابواب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف فى كل يوم قنع فى سايرالشهوات وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب

وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الاخرة فيكون من الرجال الذين لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فانه انما الاتلهيهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لامحالة **الفايدة العاشرة**
ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على المساكين فيكون يوم القيامة في
ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله وليس للعبد
من ماله الا ما تصدق فابقى واكل فافنى او لبس فأبلى فالتصدق بفضلات الطعام اولى من التخمة
والشبع وكان الحسن اذا قرأ قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال الاية قال
عرضها على السموات السبع الطباق الطرايق اللاتي زينتها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها
هل تحملين الأمانة بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنتِ جُزيتِ وان اسأت عوقبتِ قالت لا
ثم عرضها على الارض كذلك فأبت ثم عرضها على الجبال الصم البواذخ الصِعاب الصلاب قيل لها
هل تحملين الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل ~~ان احسنتِ~~ جزيتِ فذكر الجزا والعقوبة قالت لا
ثم عرضها على الانسان تحملها انه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه فقد رأيناهم والله اشتروا
الامانة بأموالهم فاصابوا الآفاتها فاذا ضعوا فيها وشعوا بها دورهم وضيقوا قبورهم
واسمنوا بَرَاذِينهم واهزلوا دينهم وانعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان
يتعرضون للبلاء وهم من الله عافيه يقول قايلهم تبيعني ارضك او كذا وازيدك كذا وكذا يشكي احدهم
على شماله ويأكل من غير ملكه فخدمته سخرة ومأله حرام حتى اذا بلغته به الكظة ونزلت به
البطنه قال يا غلام ائتني بشيء بهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم اتمادينك تهضم اين الفقير
بن الارمله اين اليتيم والمسكين الذين امرك الله بهم وهذه اشارة الى هذه الفايدة وهو صرف
فاضل الطعام الى الفقرا ليدخر به الأجر فذلك خير من ان ناكل حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير
هذا لكان خيراً لك اي لو قدمته لاخرتك وأثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما
كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكل كل فيقول والله لا اجعل هذا كله في
بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد للجوع تنشعب عن كل واحدة فوايد لا تحصر درّرها
ولا يتنا هى غررها فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الاخرة ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح
الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك مصرح في الاخبار التي رويناها
وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد يدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة واذا لم تعرف هذا

وصرت

بفضل الجوع كان لك درتبة المقلدين في الايمان **بيان طريق الرياضة في كسر**
شهوة البطن والفرج اعلم ان على المريد في بطنه اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا
حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبنا على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات
الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام
في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطا والسرعة وتعيين المأكول في تناول المشتهيات
وتركها **الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج
فمن تعوّد الاكل الكثير فانتقل دفعةً الى القليل لم يحتمل مزاجه وضعُف وعظُمت مشقّته
فينبغي ان يتدرج اليه قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد فان كان مثلاً ياكل رغيفين في كل يوم
وأراد ان يَرُدّ ذلك الى واحدٍ فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزءاً
من ثمانيةٍ وعشرون جزءاً او جزءاً من ثلثين فيرجع الى رغيفٍ مثلاً في شهرٍ ولا يتضرّر به ولا
يظهر أثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك في كل يوم مقدار لقمة وينقص
عما اكله بالامس ثم هذا فيه اربع درجات **الدرجة الاولى** اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام
الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال استعبد الله الخلق
بثلث بالحياة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحياة والعقل أكل وافطر
ان كان صائما ويتكلف الطلب ان كان فقيراً وان لم تخف عليها بل على القوة قال ينبغي ان لا يبالي
ولو ضعف حتى صلى قاعداً ورأى ان صلاته قاعداً مع ضعف الجوع افضل منها قايماً مع قوة
الاكل وسيل سهل عن بدايته وما كان يتقوت به فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم
كنت آخذ بدرهم دبسا ودرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسوّيه خلطا ثلثمايه وستون كرّة
اخذ كل ليلة كرة افطر عليها فقيل له فالساعة كيف قال الاكل بلا حدٍ وتوقيتٍ وحكي عن الرهابين
انهم تدريجوا نفوسهم الى مقدار درهم من الطعام **الدرجة الثانية** ان يرد نفسه بالرياضة
في اليوم والليلة الى نصف مُدٍّ وهو رغيف وشيء ما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون
مقدار هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه
الصيغة في الجمع للقلة وهو ما دون العشرة وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع
لقم او تسع **الدرجة الثالثة** ان يرد نفسه الى مقدار المُدّ وهو رغيفان وبضع وهذا يزيد
على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء

للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله صلى الله عليه وسلم للنفس **الدرجة الرابعه** ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقول تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين فان مقدار الحاجه الى الطعام تختلف بالشخص والسن والعمل الذي يشتغل به وهاهنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهوان يأكل اذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقه بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر على منع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشبه ذلك بالشهوة الكاذبه وقد ذكر للجوع الصادق علامات احداها ان لا تطلب النفس الادم بل ناكل الخبز وحده لشهوة اي خبز كان تمنها طلب خبزا بعينه او ادما فليس ذلك بجوع وقيل انه يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنيه ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعده ومعرفة ذلك غامض والصواب للمريد ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العباده التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت شهوته وعلى الجمله فتقدير الطعام لا يمكن لانه تختلف بالاحوال والاشخاص نعم قد كان قوت جماعة من الصحابه رضي الله عنهم صاعا من حنطه في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا منه صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو قدر ما ذكرناه انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى الزيادة لسقوط النوى منه وقد كان ابو درة يقول لطعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيامة واحبكم الي من بات على ما هو عليه اليوم وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غبرتم تخل لكم الشعير ولم تخل لرسول الله وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفه مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المومن مثل العنبرة يكفيه اللقمة من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يتطوى بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضل وجهو هذه الفضول اما سمع وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا الا ان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط **الطريقة الثانيه** في وقت الاكل ومقداره تاخيره وفيه ايضا درجات **الدرجة العليا** ان يطوى ثلثة ايام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة الى الطي لا الى المقدار حتى

انتهى

انتهى بعضهم الى ثلثين يوما او اربعين وانتهى اليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمر والعربي وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمي وحجاج بن فرافصه وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم الخواص وقد كان الصديق الاكبر رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام وكان ابو الجوزا صاحب بن عباس يطوي سبعه وروي ان الثوري وابن ادهم كانا يطويان ثلثا ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخره قال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهيه وقد وقف بعض هذه الطايفه على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجزة لا يكون الا لنبي صادق فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه الحق وانك على الباطل فقال نعم فقعد لا يبرح الاحيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين ففعل كذلك فعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن احدا يجاوز المسيح عليه السلام وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من بلغها الا مكاشف محمول يشغل بمشاهدة ما قطعه عن طعمه وعادته واستوفى في نفسه في لذته وانساه جوعه ولذيذ حاجته **الدرجة الثانيه** ان يطوي يومين الى ثلثه وليس ذلك خارجا عن العاده بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهده **الدرجة الثالثه** وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليله على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنه روي ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعايشه اياك والاسراف فان اكلتين في يوم سرف واكلة واحده في يومين اختيار واكلة في يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله تعالى ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان يأكله سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح ويحصل له جوع النهار للصيام وجوع للقيام وخلو المعدة لفراغ القلب ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن كليب عن ابي هريرة قال لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع قدماه وما واصل واصلكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عايشه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل

فقال له الصوفي

الى السحر فان كان يلتفت قلب الصايم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب
في التهجد ايضا فالاولى ان يقسم طعامه نصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر
ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه وتخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار رجوعه لاجل
سحوره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر
يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت ظهره ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في
مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة** في نوع الطعام وترك
الادام واعلا الطعام مخ البر فان تخلل فهو غاية الترفه واوسطه شعير منخول وادناه
شعير لم ينخل واعلا الادم اللحم والحلاوه وادناه الملح والخل واوسطه المزورات بالادهان
من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخره الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات
فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكل اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقساوة في قلبه وانسلاخا
لبدنه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا حبة في حقه ويكون
الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا
سجنا عليه واشتهى بنفسه الانعلاب منها ويكون الموت الطلاقا واليه اشار يحيى بن معاذ حيث
قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع
النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات
فالانطول باعادته فلذلك يعظم الثواب بترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل
هو مباح على معنى انه من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن دام عليه ايضا فلا يعصي بتناوله
ولكن يزكي نفسه بالنعيم ويانس بالدنيا ويالف اللذات ويسعى في طلبها فيجره ذلك الى المعاصي
فهم من شرار الامة لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي وقد قال
صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم انواع
الطعام والوان اللباس يتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام فيما قال له
واذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من
تناول لذايذ الاطعمه وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ولذا امنع الله منه
غاية السعاده حتى روي ان وهب بن منبه قال التقى ملكان في السما الرابعه فقال احدهما للاخر

من اين

من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الاخر امرت باهراق زيت
اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا
امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى
اعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روي
نافع ان ابن عمر كان مريضا واشتهى سمكة طريه فالتمست له بالمدينه فلم يوجد ثم وجد بعد كذا
وكذا فاشتريته بدرهم ونصف ~~فحملته~~ ثم شويت وحملت اليه على رغيف فقام سايل
على الباب فقال للغلام لقها برغيفها وادفعها اليه فقال الغلام اصلحك الله اشتهيتها منذ كذا
وكذا فلم نجدها حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لقها وادفعها
اليه ولا تاخذ منه الدرهم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة
فرد شهوته واثر بها على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع
برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع
وضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع
الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاه
فجاء ببثريد ولحم فاكل معه عمر ثم قربوا التمر وبسط يزيد كفه فكف عمر وقال الله الله
يا يزيد يا ابن ابي سفيان طعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده ان خالفتم عن سنته صلى الله
عليه وسلم ليخالفن بكم عن طريقه وعن يسار بن نمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط
الا وانا له عاص من غير امره وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه بالشمس ثم
ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الاخرة التمر والطعام الطيب وكان ياخذ
الكوز فيغرف من جب كان في الشمس نهاره فيقول مولاة له يا عتبه لو اعطيتني دقيقك
فخبزته لك وبردت لك الما فيقول يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي عن مالك بن دينار
انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطبا فراوده في اكله فقال لاصحابه
كلوا فما ذقته منذ اربعين سنه وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى ابو سليمان الداراني رغيفا
حارا بملح فجيت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال عجلت الى شهوتي
بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل الملح حتى لقي الله
تعالى وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليله

رغب فداراوده اكله فراوده

من هذا فاقسمت الا اطعمها اياه اربعين ليله وملك مالك بن دينار بالبصره خمسين سنه ما أكل رطبه لاهل البصره ولا بسره قط فقال يا اهل البصره عشت فيكم خمسين سنه فما اكلت لكم رطبة ولا تمره فما زاد فيكم ما نقص منى او نقص منى ما زاد فيكم وقال مالك بن دينار طلقت الدنيا خمسين سنه اشتهت نفسى لبنا منذ اربعين سنه فوالله لا اطعمها حتى القى الله تعالى وقال حماد بن ابى حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك ثم اشتهيت تمرا فاكلت الا تاكلته فسكت ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فرأى فيها من الفواكه فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه الفاكهه المقطوعه الممنوعه لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتينى حتى نظرت واشتهيت وغلبتينى حتى اشتريت والله لا ذقتيه فبعث بها الى فقراء ايتام فى جيرانه وقال لموسى الاشج نفسى تشتهى ملحا جريشا منذ عشرين سنه فما اطعمتها وقال احمد بن حليفه نفسى منذ عشرين سنه ما تطلب منى الا الماء حتى تروى ما اروتها وروى ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما ان كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسى ان اذافعها منذ سبع سنين سنة بعد سنه فاشترى قطعة لحم فشواها ووضعها على خبز فلقى صبيا فقال أليس انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه وجعل يبكى ويقرأ ويطعون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهى تمرا سنين كثيره فلما ان كان ذات يوم اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه فهبت ريح واطلت الدنيا ففزع الناس فقال عتبه هذا من جرأتى عليك وشرا التمر بالقيراط وقال لنفسه ما اظن ان هذا اصاب احدا الا بذنبك ألبتة لا ذقتيه وتصدق به واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا قال فاتاه ليلة يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك يوم القيامه ولم يكن ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ فقال وانا اتركت التمر عرفت تلك المنزله قال ينع وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض اصحابه أبكا الله عينك أعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك هو اذا ترك شيأ لم يعاوده فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرنى الجنيد ان اشترى له التين الوزيرى فاشتريته فلما افطر اخذ واحدة ووضعها فى فيه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى هاتف اما تستحيي تركتها من اجلي ثم تعود اليها

وقال صالح

وقال صالح المرى قلت لعطا السليمى انى متكلف لك شيأ فلا ترد على كرامتى قال افعل ما تريد قال فبعث اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل فقلت له لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد انقدت له لخوصها فردها ولم يشربها فاتيته ولمته وقلت سبحان الله رددت على كرامتى فلما رأى وجدى لذاك قال لا يشق عليك هذا انى قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسى فى المرة الثانيه على شربها فلم اقدر على ذلك لانى كلما اردت ذلك ذكرت قول الله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه الايه قال صالح فبكيت وقلت فى نفسى انا فى واد وانت فى آخر وقال البتري ان نفسى تطالبنى منذ ثلثين سنه ان اعصر زجره فى دبس فما اطعمتها وقال ابو بكر الحلاء اعرف انسانا يقول فى نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام والطعنى بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوى عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوه وروى ان عابدا دعى لبعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفه ليختار اجودها فقال له العابد مه اي شئ تصنع اما علمت ان فى الرغيف الذى رغبت عنه كذا وكذا حكمه وعمل فيه كذا وكذا صانع حتى استدار من السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الارض والرياح والارض وبنى ادم والبهايم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفى الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمايه وستين صانعا او لهم ميكاييل الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملايكة التى تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملايكة الهوى وملايكة الارض واخرهم ملك الخبازين وان تعد نعمة الله لا تحصوها وقال بعضهم اتيت قاسم الجوعي فسالته عن الزهد اي شئ هو فقال اي شئ سمعت فيه فحدثته اقوالا فسكت فقلت وانت اي شئ تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فيال عبد الرحمن بن المتطبب تسأله عن شئ يوافقه من المأكولات فقال تسألنى فاذا وصفته لك لم تقبل منى فقال بشر فصفه لي حتى اسمع قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيدباجا فقال بشر تعلم شيأ اقل من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال ما هو قال الهندباء والخل ثم قال تعرف شيأ اقل ثمنا من السفرجل قال لا قال انا اعرف هو الخرنوب الشامى ثم قال تعرف شيأ اقل ثمنا من الاسفيدباج ويقوم مقامه قال لا قال انا اعرف ما الحمص يسمن البقر فيغناه فقال عبد الرحمن فانت اعلم منى بالطب فلم تسألنى فقد عرفت ان هؤلاء كيف امتنعوا من اكل

الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها وفي بعض الاوقات
لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليس من الضرورات
حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما ورا الخبز شهوة وهذه هي النهايه
فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرا اسرافا ان
ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما تهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم الله وجهه
من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسى قلبه وقيل ان المداومة على
اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جايعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع
فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه وربما طالبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام
على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله
تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث اذ يبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا
قلوبكم واقل ذلك ان يصلي اربع ركعات او يسبح ماية تسبيحه او يقرا حزبا من القران عقيب
كل اكلة وكان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالذكر والصلاه وكان يقول
اشبع الزنجي وكدره ومرة يقول اشبع الحمار وكدره ومهما اشتهى شيا من طيبات الفواكه فينبغي
ان يترك الخبز ويا كل الفاكهة بدلا عن الخبز ليكون قويا ولا يكون تفكها وليلا يجمع للنفس بين
شهوة وعادة ونظر سهل الى بن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدي بالتمر فان قامت به
كفايتك والا احدث من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف
فانه لا يشتهى الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه وكان بعضهم يقول
لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها فطلب بعض انواع
الخبز شهوه قال بن عمر ما ياتينا من العراق فاكهة احب الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهه
وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات وانتاعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد
من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك
شهوته يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض عباد البصره نازعتني نفسي خبزا ارز وسمكا
فمنعتها وقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنه فلما مات قال بعضهم رايته في
المنام فقلت ما فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي تعالى من الكرامة والنعمة
وكان اول شي استقبلني به خبز ارز وسمك فقال كل شهوتك اليوم بغير حساب وقد قال الله تعالى

كلوا

كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخاليه والذي اسلفوا هو ترك الشهوات لاهلها
ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنه وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها فكل طرفي
قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضايل الجوع ربما يودي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات
ولكن من اسرار حكمة الله في الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فارط
الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع
بغاية الامكان والعالم يدري ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي
ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاوما ويحصل الاعتدال
فان من يقدر على قمع الطبع بالكليه بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغايه فان اسرف مسرف
في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساته كما ان الشرع بالغ في الثنا على قيام الليل
وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله
نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس
ثقل المعده ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقا الحياه
وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا شغل القلب ويمنع من العباده
والمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملايكة فانهم مقدسون
عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتدا بهم واذ لم يكن للانسان خلاص من
الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد
عن هذه الاطراف المقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محمية على النار
مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقه وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال
تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو مالت مالت على الوسط لان الوسط هو البعد
المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقه
بالنملة والملايكة خارجون عن الحلقه ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملايكه
في الخلاص فاشبه احواله به البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا في
جميع هذه الاخلاق المتقابله وعنه عبر قوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها والى اشاد

قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومنها لم يحشر الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوى على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الأمر اذا كانت النفس جموحا متشوفة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا اليسر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع هو منها لانه فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب الاحوال على النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح لها الجوع الذي تحشر بأكله في اكثر الاحوال لتنكسر والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل وترد بعد ذلك في الغد ايضا الى الاعتدال وانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الاخرة اما صديق او مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهذا غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قل ما تتأدب تاديبا كاملا وكثيرا ما يغتر فينظر الى الصديق وسامحت نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير ووقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متأبية عن الحق عنيفة بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان عليه السلام يدخل على اهله فيقول صلى الله عليه وسلم هل عندكم من شيء فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال اني اذا الصايم وقد كان يقدم اليه الشيء فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما وقال اني صايم فقالت عايشه قد اهدي الينا حيس فقال صلى الله عليه وسلم كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات بورق البنق مدة ومنها انه كان ياكل دقاق شجر التين ثلثين سنه ثم ذكر انه اقتات بثلثة دراهم في ثلث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد وتوقيت

وليس

وليس المراد بقوله بلا حد وتوقيت اني اكل كثيرا بل لا اقدر بمقدار واحد ما أكل وقد كان معروف الكرخي يهدي اليه طيبات الطعام فياكل فيقال له ان أخاك بشر لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفه ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي وللاعتراض والتمييز ودفع بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال حد لنا بهذه زبدا وعسلا وخبز خواري فقال يا ابا اسحاق بهذا كله فقال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلحوا ذات يوم طعاما فاكثروا ودعي لنفر يسير فيها الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث والذي ياخذ العلم من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابراهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنه وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنه اشتهى ان اغمس جزره في دبس فلم افعل فيراه متناقضا ويتحير ويقطع بان احدهما مخطي والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفه يسمعها قطن محتاط او غبي معرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهو لا من الممتنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمعرور يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف وابن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن باكولي فانا ايضا ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وتوقيره او في ماله وجاهه بتطريقة واحدة قامت عليه القيامه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر في مشكاة الولايه والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعاده بالكلية حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه بنية فيكون عاملا لله تعالى في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل ويا كله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرض عليه ما مبرذ بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها فتذهب حلاوتها ويبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها فهذا اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقص لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة

انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان من عادة ابراهيم الخواص ان تخوض مع المريد
في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر ببال له ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله ويفتره ذلك في رياضته
والقوى اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفا تشبها لهم وتلطفا في
سياقتهم الى السعاده وهذا ابتلاء عظيم للانبياء والاولياء واذا كان حد الاعتدال الخفيا في حق كل شخص
فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل حال وكذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل
عليه فوجده ياكل لحما مادوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا
ويوما خبزا وسمنا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال
واما المواظبة على اللحم والشهوات فمراط واسراف ومهاجرة اللحم افتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الريا المتناول الي من يترك اكل الشهوات او تقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل الشهوات **الآفة الاولى**
ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف انه يشتهيها فيخفي
الشهوة ويا كل في الخلوة ما لا يا كل في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سيل عن بعض العلما عن بعض
الزهاد فسكت عنه فقيل تعلم به باسا فقال يا كل في الخلوة ما لا يا كله في الجماعة وهذه آفة
عظيمه بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدك
عن قوات المجاهده بالاعمال فان اخفا النقص واظهار هذه من الكمال هو نقصانان متصاعفان
والكذب مع الاخفا كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرض منه الا بتوبتين ولذلك شدد
امر المنافقين فقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر
وستر فكان ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم نظر المخلوقين
فمحى الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالريا والغش
والاخفا بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله ويظهر من نفسه الشهوه اسقاطا لمنزلته عن
قلب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن
يبغي به تلبيس حاله ليصرف عن حاله قلوب الغافلين حتى لا يشوش عليه حاله فنهاية الزهد
الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين فانه جمع بين ضدين كما ان الاول جمع بين
كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاسر الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه
فلا جرم اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا ايضا هي طريق من يعطي جهرا فيا خذ ويردسرا

ليكسر

ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته والقناعه
والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا اظهرت اقتدي بك غيرك فاستره اصلا لغيرك
لانه لو قصد اصلاح غير لكان اصلاح نفسه اهم عليه من غيره فهو انما يقصد الريا المجرد ويروجه
عليه الشيطان في معرض اصلاح غيره وكذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه
ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده انه تارك الشهوات **الآفة الثانيه**
ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف
شهوة ضعيفه وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وتلك هي
الشهوة الخفيه منها احرش بذلك من نفسه فتكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام
فليا كل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمنا لك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصبر منها شيا
يسيرا ولا تعط لنفسك منها فيكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة ويكون قد تعصت علي
نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال جعفر الصادق عليه السلام اذا قدمت الي شهوة نظرت
الى نفسي فان اظهرت شهوتها لها اطعتها منها وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها
واظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منه شيا وهذا طريق في عقوبة النفس علي
هذه الشهوة الخفيه وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الريا كان كمن هرب من
عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا اضر لثيرا من شهوة الطعام **القول**
في شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفايدتين **الاولي**
ان يدرك لذته فيقيس به لذات الاخره فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوي لذات الاجساد
كما ان النار وآلامها اعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس
ذلك الا بأ لم محسوس ولذة مدركه فان ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق **الثانية**
بقا النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط
وتقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في تفسير قوله تعالي لا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه
الغلمة وعن ابن عباس في قوله من شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب
ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال عليه السلام
النساء حبايل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنسا سليطان على الرجال وروي ان موسى عليه السلام

للنسا سلطنة

الصبابة التي تصاد بها
الذر ينفض
ويزال للصيد

ويروى ان ابليس لعنه الله اتى سليمان بن داود عليهما السلام فقال له اى الاعمال ابغض الى الله تعالى
فقال ابليس لولا ان لك عند الله ما امرك اني لست اعلم شيئا احب اليه وابغض الى الله تعالى
من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة

كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس
ووضعه ثم اتاه فقال السلام عليك يا نبي الله قال موسى عليه السلام من انت قال هو ابليس فقال لا حياك الله
ما جاء بك فقال جيتك لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال
اختطفت به قلوب بني ادم قال فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه
واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له
الا كنت صاحبه دون اصحابه حتى أفتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تحرجن صدقة الا
امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون اصحابه حتى احول بينه وبين
الوفاء بها ثم ولى وهو يقول ياويلتاه علم موسى ما يحذر ابنى ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما
بعث الله نبيا قط الا ليأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء عندي اخوف منهن وما
بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال بعضهم ان الشيطان
قال للمرأة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في
حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوات شهوات النساء وهذه الشهوة
لها ايضا افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجل الى التمتع بالنساء
والجواري فيخرج عن طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجتريء اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها
بطايفة الى امرين شنيعين أحدهما ان يتنا ولوا ما يقوى شهواتهم لاستكثار الوقاع كما
يتناول بعض الناس ادوية تقوى المعدة لتعظم شهوتها للطعام ومثال ذلك الاكمن
بلي بسباع ضاريه وبهايم عاديه فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاتارتها وتهييجها ثم
يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق الآم يريد الانسان
الخلاص منها فيدرك لذة الخلاص فان قيل فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غريب
الحديث انه قال شكوت الى جبريل عليه السلام ضعف الوقاع فامرني باكل الهريسة فاعلم انه كان
تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالامتاع وحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن فكان
طلبه القوة لهذا المعنى لا للتنعم واللذة والامر الثاني انه قد ينتهي هذه الشهوة ببعض الضلال
والجهال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهايم لان
المتعشق ليس يقنع بارادة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منها حتى
أعتقد ان الشهوة لا تنقض الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا

لا يكتفي

لا يكتفي بواحد معين حتى يزداد به ذلا على ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر
العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتاجا لاجلها
وما العشق الا سبعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا مدة له وانما يجب الاحتراز من اوايله
بترك معاودة النظر والتفكر والا فاذا استحكم عسر رفعه وكذلك عشق المال والجاه والعقار
والاولاد وحتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طايفة بحيث
ينغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول ابتعاثه
مثل من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثال
من يعالجها بعد استحكامها مثال من ترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها
الى وراها وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور
فانها اوائلها فلا تقبل العلاج الا بجد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذا افراط الشهوة
ان يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتناع المنكوحة
وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان يكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في ابتساطها وانقباضها
ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال النبي صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباه
فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء **بيان** ما على المريد في ترك التزوج وفعله
اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزوج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك
ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى ولا يخره كثرة نكاح
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه بجميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس الملايكة
بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وما رايت مريدا تزوج
فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امرأة تستانس بها فقال لا انسني الله بها اي ان الانس بها
يمنع الانس بالله وقال ايضا ما شغلك عن الله تعالى من اهل ومال وولد فهو عليك شوم وكيف
يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وكان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يخاف احتراقه
فيه الى حد كان تخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على
فخذ عايشة رضي الله عنها احيانا ويقول كلمينا يا عايشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور
طاقة قالبه عنه وقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا رفقا ببدنه ثم كان لا
يطيق الصبر مع الخلق اذا خالطهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا بها يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه

فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار
أفعاله صلى الله عليه وسلم فشرط العزوبة في الابتدا الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة
فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث
لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح اولى له لتسكين الشهوة والا فمهما
لم يحفظ فكره ويفرقه ورتما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغاير وهو يؤدي
على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه
قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعد بن جبير
انما كانت فتنة داود عليه السلام من اجل النظرة وقال داود لابنه عليهما السلام امش خلف الاسد
والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بدؤ الزنا قال النظر والتمني
وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطئ به يعني النظرة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اعطاه الله
تعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النسا
وقال عليه السلام اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النسا فان اول فتنة بني اسرايل كانت من النسا وقال الله
تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم وقال عليه السلام لكل بن ادم حظه من الزنا فالعينان تزنيان
وزناهما النظر واليدان يزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني
وزناه القبل والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقال تام سلمة استاذن
بنام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا
اليس اعمى لا يبصرنا فقال عليه السلام وانتما الا تبصرانه افعميا وان انتما وهذا يدل على انه لا
يجوز للنسا مجالسة العميان كما جرت العادات في المأثم والولايم فيحرم على الاعمى الخلق
بالنسا وتحرم على المراة مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانا جوز للنسا محادثة
الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجة وان قدر على حفظ عينه من النسا ولم يقدر على حفظها
عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول
الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل شيء نزر قلبه بجمال صورة الامرد
بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم تحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة
بين الجميل والقبيح لا محالة فما قولك لست اعني تفرقة فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة

كادراكه التفرقة بين شجرة خضراء خوخ يانعة وبين حائط وبين كدر وشجرة عليها ازهارها
وانوارها وشجرة تساقطت اوراقها فانه يميل الى احدها عينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة
وكذلك لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة
قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف
ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك تفرقة بين الوجه الجميل
وبين الوجه الحسن والاثواب المنقشة والصوف المزخرف فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا مما
يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين يا اناا خوف على
الشاب الناسك من سبع ضار من غلام أمرد يجلس اليه وقال سفيان لو ان رجلا عبث بغلام
بين اصبعين من اصابع رجل يريد الشهوة لكان لوطيا وقال السلف سيكون في هذه الامة
ثلثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصالحون وصنف يعملون فاذا افة النظر الى
الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب ان يكسر شهوته بالنكاح
فربت نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم أطق
فاكثرت الضجايج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه قال لقدم الي
فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فوادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال
عني ما كان لي فبقيت معافا سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام فقال
لحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور
وضرب به عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فقعدت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاشتد فرايت
شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما انجب رفعه
تزوج فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك
شرط الارادة في ابتدا النكاح ودوامه اما في ابتدايه بالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق
ودوام السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا ذلك في اداب النكاح فلا نطول في اعادته
واما ارادة صدق اراد ته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية وقال بعضهم من تزوج
غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة
النفقة واذا اراد طلاقها خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقيل ينبغي ان تكون
المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه

باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الاراده فى دوام النكاح لخلق الحسن
تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراه وشكته الى الاب وقالت
قد تحيرت فى هذا الرجل انا فى منزله مند سنتين ماذهبت الى الخلاء الا وجدته امامى او قبلى
اليه وتزوج بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف أصاب المراة الجدري فاشتد حزن اهلها
لذلك خوفا من ان تستقبحها فاراهم الرجل انه به رمد ثم اظهر انه ذهب بصره حتى زفت المراة
اليه وزال عن اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنه ثم توفيت ففتح عينه فقيل له فى ذلك
فقال تعمدته لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق الحسن وتزوج
بعض الصوفيه امراة سيئة الخلق وكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها
من لا يصبر على خلقها فيتاذى بها فان نكح المريد فهكذا ينبغى ان يكون وان قدر على الترك فهو
له اولى اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله كما روى ان
محمد بن سليمان الهاشمى وكان يملك غلته فى كل يوم ثمانين الف درهم فكتب الى كبر البصره وعلمائها
فى امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على اربعة العدوته فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فان الله
قد ملكنى من غلة الدنيا فى كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمض الايام والليالى حتى اتمم لها مائة الف
درهم وانا اصير اليك مثلها ومثلها فاجيبنى الى ما سالت والسلام فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الزهد فى الدنيا راحة البدن والرغبة فيها ثورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابى هذا
فهيى زادك وقدم لمعادك وكن وصى نفسك ولا تجعل الرجال اوصياك فيقسموا تركتك وصم
الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله خولنى امثال الذى خولك واضعافه ما سرنى ان اشتغل
عن الله طرفة عين وهذا اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله
وقلبه فان وجده فى الحروبة فهو اقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء هذه الشهوه بثلثة امور
بالجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولى على القلب فان لم تنفع هذه الثلثه فالنكاح هو الذى
يتاصل بادنى فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال سعيد
ابن المسيب ما أيس الشيطان من ولى الا اتاه من قبل النساء وقال ايضا وهو ابن اربع وثمانين سنه
وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعتذر بالاخرى ما بقى عندى احوف من النساء وعن عبد الله بن وداعة
السهمى قال كنت اجالس سعيد بن المسيب فافقدنى اياما فلما جيته قال اين كنت قلت توفيت اهلى فاشتغلت
بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال اجلس هل استحدثت اهلا فقلت يرحمك الله

ومن يزوجنى وما املك الا درهمين او ثلثه فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله وصلى على النبى
صلى الله عليه وسلم ثم زوجنى بمحضر من كان على درهمين او ثلثه فقمت وما ادرى ما اصنع من الفرح فصرت
الى منزلى وجعلت افكر ممن اخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلى واسرجت وكنت
وحدى وكنت صائما فقدمت عشائى افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابى يقرع فقلت من هذا فقال سعيد
فتفكرت فى كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير ابن سنه الا بين بيته وبين
المسجد فخرجت فاذا هو سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الى فاتيتك
قال لا انت احق ان تؤتى فقلت فما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة
وحدك وهذه امراتك فاذا هى قائمة خلفه فى ظله ثم اخذ بيدها فدفعها الى الباب ورد الباب
فسقطت المراة من الحياء وقال بارك الله فيكما ولكما برحمته وانصرف فغلقت الباب ودخلت انا وهى ثم
تقدمت الى القصعة التى فيها الزيت والخبز فوضعتها فى ظل السراج لكى لا تراه ثم صعدت السطح فرميت الجيران
فجاونى فقالوا ما شانك فقلت وتحكم زوج سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة
فقالوا سعيد زوجك فقلت نعم وهو ذا هى فى الدار معى فنزلوا اليها وبلغ ذلك امى فجاءت وقالت
وحرمى من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هى
من اجمل النساء وهى احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم
بحق الزوج فمكثت شهرا لا ياتينى سعيد ولا أتيه فلما كان بعد شهر اتيت سعيدا وهو فى حلقته فسلمت
عليه فرد على السلام ولم يكلمنى حتى تفرق اهل المجلس فقال ما جاء بك وما حال ذلك الانسان فقلت
خيرا ايا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو فقال ان رابك شئ فالعصا وانصرفت الى منزلى فوجدت
الى بعشرين الف درهم وقال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك
بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد
حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد فى الزفاف
فى تلك الليله لعزة قد غلبه الشهوه ووجوب المبادره فى الدين الى تطفية نار الشهوه بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين

اعلم ان هذه الشهوات اغلب الشهوات
على الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من افتضاحه
وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما للعجز او لخوف او لحياء او للمحافظة على حشمة وليس فى شئ من ذلك
ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ اخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففى هذه العوايق فايدة

وهي دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه بأي سبب تركه وانما الفضل والثواب الجزيل في
تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لاسيما عند صدق الشهوة
وهذه درجة الصديقين فلذلك قال عليه السلام من عشق وكتم وعف وصبر ومات فهو شهيد
وقال عليه السلام سبعة يظلهم الله تعالى يوم لا ظل الا ظله وعد منهم رجلا دعته امراة ذات جمال
وحسب الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة يوسف واستناعه عن زليخا مع القدرة
ورغبتها معروفة وقد اثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه وهو كل من وفق لمجاهدة الشيطان الخبيث
روي ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها
وخرج هاربا وتركها فيه قاله سليمان فرايته في المنام يوسف عليه السلام وكانى اقول له انت يوسف
قال نعم انا يوسف الذي همت وانت سليمان الذي لم تهم او الذي هربت اشار به الى قوله تعالى ولقد
همت به وهم بها لولا ان رءا برهان ربه وعن سليمان ايضا ما هو اعجب من هذا وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق له
حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق ليبتاع شيأ من الطعام من السوق
وحبس سليمان في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها على ما ذكرنا واورع الناس فبصرت به اعرابية من
قلة الجبل فراعها حسنه وجماله فاقحدرت اليه وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه وسفرت
عن وجهها كانه فلقة قمر فقالت اهنيتني فظننت انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها
فقالت لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال اجهزك الي ابليس ثم وضع راسه
بين كتفيه واخذ في البكاء والنحيب فلم يزل كذلك يبكي فلما رات ذلك منه سدلت البرقع على وجهها
ورفعت رجلها حتى رجعت الى خيمتها على راس الجبل فجاء رفيقه وراه قد انتفخت عيناه من البكاء
وانقطع حلقه فقال ما يبكيك فقال خير ذكرت صبيتي فقال الآن لك قضية انما عهدك
بصبيتك مذ ثلث او نحوها فلم يزل به حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء
شديدا فقال له سليمان فانت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى لو كنت مكانك
لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان حتى انتهيا وقد فريضة فنهضا الى الصلاة فلما انتهى سليمان الى مكة
طاف وسعى واتى الحجر فاختبى بثوبه فنعبت غراب فاذا رجل طواف له شعرة حسنة ورائحة طيبة فقال
له سليمان من انت رحمك الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قلت ان في شانك وشان امراة
العزيز لعجبا او لشانا عجيبا فقال له يوسف عليه السلام شانك وصاحبة الابوا اعجب وروى ان عبد الله
بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت

الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة
الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انه كان لي ابوان كبيران شيخان وكنت لا اعبق قبلهما
اهلا ولا ولدا فنايت بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما
نايمين فكرهت ان اعبق قبلهما اهلا او ولدا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى بلغ الفجر
والصبية يتضاعون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج
عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيأ لا يستطيعون الخروج منه وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة
عم كانت من احب الناس الي فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني
فاعطيتها مائة وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل
لك ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي
وتركت الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت
الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم
اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال
يا عبد الله هات اجرتي فقلت كل ما ترى من الابل والبقر والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا
تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيأ اللهم ان كنت فعلت ذلك
ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون

هذا من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر سهم من سهام ابليس
وهو عبث من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشا منه والنظرة الاولى
اذا لم يقصدها لم يواخذ بها والمعاودة يواخذ بها قال عليه السلام لك الاولى وعليك الثانية
اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك ورأ المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقل ما
تخلو الانسان في تردد اته عن وقوع البصر على النساء ومهما تحايل اليه الحسن تعاطى الطبع الى المعاودة
وعنده ينبغي ان يقدر على نفسه ان هذه المعاودة عن الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارة الشهوة
وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ به ويأثم لانه قصد التلذذ فقد فعل
ما اليه فلا تخلوا في كلا حاليه عن معصية وعن ألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن
قلبه كثير من الآفات وان اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية
التوفيق وروي عن بكر بن عبيد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الحاجة

الى حاجةٍ لهم الى قريةٍ اخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبًا لك منك
ولكني اخاف الله تعالى قال فانتِ تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبًا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع
عنقه فاذا هو برسولٍ لبعض انبياء بني اسرايل فسأله فقال مالك قال العطش قال تعال حتى ندعو الله
تعالى حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القريه قال مالي من عملٍ فادعو اقال فانا ادعو وامّن انت فدعا الرسول
وامّن هو فاظلتهما سحابه حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له
الرسول زعمت انه ليس لك عملٌ وانا الذي دعوت وانت الذي امّنت فاظلتنا سحابه ثم تبعتك
لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التايب من الله عز وجل بمكان ليس احدٌ من الناس بمكانه
وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبدٌ لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه والقامه والسمت فنظرت اليه امراة ذات حسن وجمالٍ وعقل فشغفت به وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بهن ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بهن قال فاطرق مليًا وقال لها هذا موقف تهمةٍ وانا اكره ان اكون للتهمة موضعًا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا حيائي منى بامرك ولكن معاذ الله ان يشرف العبّاد الى مثل هذا منى والذي حملني على ان لقيتك في هذا الوقت بنفسي لعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثل القوارير ادنى شئ يعيبه وجلة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغوفة بك كيف يصلي فاخذ قرطاسًا فكتب كتابًا وخرج من منزله فاذا المراة واقفةٌ في موضعها فالقى الكتاب اليها ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراه ان الله تعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره الله تعالى فاذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبةً يضيق منها السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلًا فاني اذكرك يوم تكون السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتحثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقًا فاني ادلك على طبيبٍ بدواي الكلوم الممرضه والاوجاع المميضه ذلك الله رب العالمين فاقصديه عز وجل على صدق المسئله وارجعي اليه فاني منشاغلٌ عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر الآيه فاين المهرب من هذه الايه ثم جاءت بعد ذلك بايامٍ

فوقفت

فوقفت له على طريقه فلما رأها من بعيد اراد الرجوع الى منزله ليلا تراه فقالت يا فتى لا ترجع فلا
كان الملتقى بعد هذا ابدًا الا بين يدي الله تعالى وبكت بكاءً شديدًا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده
مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسّر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظةٍ احملها عنك
واوصني بوصيةٍ اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك واذكرك قوله تعالى وهو الذي
يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فاطرقت وبكت بكاءً شديدًا اشدّ من بكايها الاول ثم افاقت
ومضت ولزمت بيتها واخذت في العباده فلم تزل في العباده حتى ماتت كمدًا فكان الفتى يذكرها
بعد ذلك ثم يبكي عليها بكاءً شديدًا فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايأستها فيقول اني دنجت طمعها
مني في اول امرها وجعلت قطعها الى دخيرةً عند الله تعالى وانا استحيي من الله تعالى ان استردّ
دخيرةً ادّخرتها عنده عز وجل هذا اخر كتاب كسر الشهوتين ويتلوه كتاب آفات اللسان

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتب احيا علوم الدين نفع الله به

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب اتمم فزد واختم بخير
الحمد لله الذي حسّن خلق الانسان وعدّله والهمه نور الايمان فزيّنه به وجمله وعلّمه البيان فقدّمه به
وفضّله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمّله ثم اسبل عليه سترًا من رحمته وارسله ثم اهدى عن
سره بلسان يترجم عما حواه القلب وتقبّله ويكشف عن سترة الذي اسبله فاطلق بالحمد مقوله
وافصح بالشكر عما اولاه وخوّله من علم حصله ونطق سهّله ونشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدًا عبده الذي كرمّه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتابٍ واتى فضّله ودينٍ
سبله صلى الله عليه وعلى اله ومن قبله ما كبّر عبدٌ لله او هلّله اما بعد فان اللسان من
نِعَم الله العظيمه ولطايف صنعه الغريبه فانه صغيرٌ جرمه عظيمٌ طاعته وجرمه اذ لا ينبغي
الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ثم انهما من موجودٍ ومعدومٍ
خالقٍ او مخلوق متخيلٍ او معلومٍ مظنونٍ او موهومٍ الا واللسان يتناوله ويتعرض باثباتٍ
او نفيٍ فان كل ما يتناوله العلم يعبّر عنه اللسان اما بحقٍ او باطل ولا شئ الا والعلم متناولٌ له وهذه
خاصيةٌ لا توجد في ساير الاعضا فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى
غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سايير الاعضا واللسان رحب الميدان لعسر
سردٌ والمجاله منتهى وحدٌ فله في الخير مجالٌ رحب وله في الشر مجرٌ سحب فمن الحق عزّ به لسانه

عذبة اللسان

واهله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هارٍ الى ان يضطره
الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم ولا ينجي من الشر اللسان الا ان
يقيد بلجام الشرع فلا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله
وعلم ما تحمد اطلاق اللسان فيه او يدمّ غامضٌ عزيزٌ والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيلٌ عسير واعصى
الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في اطلاقه ولا مؤونة في تحريكه فقد تساهل الخلق في الاحتراز
عن آفاته وغوايله والحذر عن مصايده وحبايله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن
بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكر كل واحدة منها لحدودها واسبابها
وعوايلها وتعريف طريق الاحتراز منها وايرادما ورد من الاخبار والاثار في ذمها فنذكر اولا فضل
الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيه ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في
الباطل ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق
وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدّعين للخطابة
ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان ثم آفة اللعن اما لانسان او لحيوان او لجماد
ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما لحرم من الغناء وما لحلال فلا نعيده ثم
آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر ثم آفة الوعد
الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الخيانة ثم آفة النميمة ثم
آفة المدح ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد به بين المتعادين ويكلم كل واحد
بكلام يوافقه ثم آفة الغفلة عن دقايق الخطأ في مجاري الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته
ويرتبط بامور الدين ثم آفة سوال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف
بانها قديمة او حديثة وهي اخر الآفات وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة

بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة
الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم الصمت حكم وقليل فاعله
اي هو حكمة وحزم وروي عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام
بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم قلت فما اتقى فاومى بيده الى لسانه وقال
عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك
وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه
اتكفل له بالجنة وقال عليه السلام من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى والقبقبة البطن

والذبذب

والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلثة بها هلك اكثر الخلق ولذلك استغلنا
بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال عليه السلام تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل
النار فقال عليه السلام الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله
ويحتمل ان يكون المراد به البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول
فقال عليه السلام ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم
وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال عليه السلام قل ربي الله ثم استقم قلت
يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي قال فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله
اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس قال
عليه السلام لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة
رجل لا يامن جاره بوايقه وقال عليه السلام من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضاء كلها تكفر اللسان تقول
اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على الصديق
رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله قال ان هذا اوردني الموارد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء من الجسد الا يشكو الى الله اللسان على حدته وعن
مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول باللسان قل خيرا تغنم واصمت تسلم من قبل ان تندم
فقيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شيء تقوله ام سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه
ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله عز وجل قبل الله عذره وروي ان
معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني فقال عليه السلام اعبد الله كانك تراه واعد نفسك في الموتى
وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال
ابو هريرة قال عليه السلام من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى
عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا

الا بخير وقال سليمان بن داود عليه السلام ان كان الكلام من فضه فالصمت من ذهب وعن البرا
قال جا اعرابي الى النبي عليه السلام فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسقي الظمان
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال عليه السلام احزن لسانك
الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال عليه السلام ان الله عز وجل يمقت كل ثرثار متفيهق
امرؤ علم ما يقول وقال عليه السلام اذا رايتم المومن صموتا وقورا فدنوا منه فانه يلقى الحكمة وقال ابن مسعود
قال عليه السلام الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت
والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال عليه السلام ان لسان المومن من وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم
بشر بتدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشي امضاه بلسانه
ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت وجزو في
الفرار من الناس وقال عليه السلام من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه
ومن كثرت ذنوبه كان النار اولى به **واما الاثار** فقد روي عن الصديق رضي الله عنه
انه كان يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام ويشير الى لسانه ويقول هذا اورد لي الموارد
وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شي احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس لسابي
سبعني ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة الداود حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه
حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما بعد فانه من اكثر
ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه وقال بعضهم
الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار
يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس
احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك على ساير عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معاوية
والاحنف بن قيس ساكت فقالوا له مالك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت
قال ابو بكر بن عياش اجتمع اربع ملوك ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على
ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر اذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها
ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع عليه لم تنفعه
وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان جزء ابن المعتمر لم يتكلم بعد عشا
الاخره اربعين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وقيل انه كان اذا

اصبح

اصبح وضع قرطاسا نقيا وقلما وكلما تكلم به كتبه ثم حاسب نفسه عند المسا **فان قلت**
فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه فاعلم ان كثرة افات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والغيبة
والرياء والنفاق والخبث والمرا وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف
والزياده والنقصان وايذا الخلق وهتك العورات فهذه افات كثيره وهي سباقة الى اللسان
تتثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخايض فيما قل ما يقدر على
ان يزم اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عما لا يجب فان ذلك من عوامض العلم كما سياتي تفصيله
ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضل هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار
والفراغة للفكر والعباده والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة وقد قال
تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدل على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة
اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعه وقسم لا ضرر فيه ولا
منفعه اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لما في الضرر
واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى
الا القسم الرابع وقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر اذ يسترسل به ما فيه اثم
من دقايق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون
الانسان به مخاطرا ومن عرف دقايق افات اللسان على ما سنذكره علم قطعا ان ما ذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله جوامع الكلم وجواهر الحكم
ولا يعرف احد ما تحت كلماته من بحار المعاني الا خواص العلما وبما سنذكره من الافات وعسر الاحتراز
منها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شا الله ونحن الان نعد افات اللسان ونبتدي باخفيها ونترقى الى
الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون افه
الافة الاولى الكلام فيما لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الامات
التي ذكرناها من الغيبة والكذب والمرا والنفاق وغيره وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على
مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به مضيع زمانك ومحاسب على
عمل لسانك اد تستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت زمان الكلام الى الفكر والذكر
وما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكرة ما يعظم جدواه ولو هللت الله تعالى وسبحته وذكرته
لكان خيرا لك فكم من كلمة يبتنى بها قصر في الجنة ومن قدر على ان يا خذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله

مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه
فانه لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المومن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا
عبرا ونطقه الا ذكرا هكذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم راس مال العبد او قاته ومهما صرفها الى ما لا
يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الاخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على
بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كعبا فسال عنه فقيل مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشر
يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال صلى الله عليه وسلم من هذه المتالية على الله عز وجل
قال هي امي يا رسول الله قال عليه السلام وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يعنيه
ومعناه انما تتهيا له الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه فان كان كلامه مباحا
فربما لا تتهيا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب القرظي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله
بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك
في نفسك نرجو به ثوابا فقال اني لضعيف وان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني
وقال ابو درداء قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت
بلى يا رسول الله فقال عليه السلام هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن
عباس يقول خمس لهن احسن من الدرهم الموقف لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا امر عليك الوزر
ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت
ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يوذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك كما تحب ان
يذكرك به واعمل عملا تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ما خوذ بالاجرام
وقيل للقمان ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امرا ني في طلبه
منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر
رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين
الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر لتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين

تخشون الله

تخشون الله تعالى وحذرا لا يعنيك ان تتكلم بحل ما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال
ولا مثال له ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك
من الوقايع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشائخ البلاد ووقايعهم
فهذه امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تسترسل بحكايتك
زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص
ولا مذمة شئ مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك كله مضيع زمانك واني يسلم من الافات التي
ذكرناها ومن جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسوال مضيع وقتك وقد الجات
صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشئ مما لا يتطرق الى السوال عنه آفة واكثر
الاسولة فيها آفات فانك تسال غيرك مثلا عن عبادته فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان
مظهرا عبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة
السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك
وتاذيت به وان احتال بعد افهة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما
لرياء او لكذب او لاستحقار او لتعب في حيلة الجواب وكذلك سوالك عن سايير عباداته
وكذلك سوالك عن المعاصي وكل ما تخفيه ويستحي منه وسوالك عما تحدثه به غيره فيقول ماذا
تقول او فيم انتم وكذلك يرى انسانا في الطريق فيقول من اين وايش معك فربما منعه مانع من
ذكره فان ذكره تاذى به واستحيا وان لم يذكر بصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك
تسال عن مسالة لا حاجة بك اليها والمسوول ربما لا يسمح لنفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير
بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعنى هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال
ما لا يعنى ما روى ان لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع فجعل يتعجب فيما يرى
فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته حكمته فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغ قام داود ولبسه ثم
قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سوال فاستغنى
عن السوال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك فلم يساله فهذا وامثاله من الاسولة
اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعنى وتركه من حسن الاسلام
فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على
سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فايدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت

بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه سنبكته يقدر علي ان يقتنص
بها الحور العين ناهيك له وتضيعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة وان يضع
حجره في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان
في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الافة الثانية الفضول في الكلام** وهو ايضا مذموم وهذا
ايضا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما لا يعنى على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره
بكلام مختصر ويمكنه ان يقرره ويحسنه ويكرره ومهما تاد ى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين
فالثانية فضول اى فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم كما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطا بن رباح
ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا
كتاب الله تعالى او سنة رسوله او امر بمعروف او نهي عن منكر او تنطق لحاجتك في معيشتك التي
لابد لك منها ويقولون انكم ون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين عن اليمين وعن الشمال فتعيد
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره
وكان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه
اشهى الي من الماء البارد الى الظمان فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله
في قلوبكم فلا تذكرونه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما اشبه ذلك واعلم ان
فضول الكلام لا تنحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا
من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من
لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا
فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من
بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة
الغراء وانت انت فقال صلى الله عليه وسلم قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان
اذا اطلق في الثنا ولو بالصدق فيخشى ان يستهوي الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال بن مسعود
انذركم فضول الكلام فحسب امرء ما بلغ به حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل
ليسكت ابنه فيقول ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة وقال الحسن يا ابن ادم تبسط لك صحيفة
وكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك فامل ما شئت واكثر او اقلل وروي ان سليمان بن داوود
عليهما السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على

السوق

السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى الناس فهز راسه فسأله سليمان عليه السلام عن ذلك
فقال عجبت من الملايكة على رؤوس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون
وقال ابراهيم التيمي المومن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما يرسل لسانه
وسلا ارسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر سقطه وكذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن سا خلقه عذب
نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال عليه السلام كم دون
لسانك من باب فقال شفتاي واسناني فقال عليه السلام اما كان في ذلك ما يردع كلامك وفي رواية انه
قال عليه السلام ذلك في رجل اثنى عليه فاستحقر في الكلام ثم قال عليه السلام ما اوتي رجل شرا من فضل
لسانه وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة وقال بعض الحكماء اذا كان
المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت فان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال نوبه بن
ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه فان في الاستماع
سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال بن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو
الدرداء امراة سليطة فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها وقال ابراهيم يهلك الناس في خلتين
فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام وفضوله وسببه الباعث اليه وعلاجه ما
سبق في الكلام فيما لا يعنى **الافة الثالثة الخوض في الباطل** وهو الكلام في المعاصي كحكاية
احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة
واحوالهم المكروهة فان ذلك كله مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام واما الكلام فيما لا يعنى واكثر مما
يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعنى لابد له من غلبة الخوض في الباطل
لا يمكن ان تحصر لكثرتها وتفننها فلذلك لا يخلص منه الا بالاقتصار على ما يعنى من مهمات الدين
والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما تهلك صاحبها وهو مستحقر لها وقد قال بلال بن الحارث
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن انه تبلغ به ما بلغت
يكتب الله له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل يتكلم بالكلمة من سخط عز وجل ما يظن انه تبلغ ما بلغت
يكتب الله تعالى عليه بها سخطه الى يوم القيامة قال وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال
بن الحارث وقال عليه السلام ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة
ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها
في الجنة وقال عليه السلام اعظم الناس خطايا يوم القيامة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى

وكنا نخوض مع الخائضين ويقول تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم
وقال سليمان ان اكثر الناس ذنوبا يوم القيامة اكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل من
الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل
وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر مخطورات سبق وجودها
او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها ويدخل فيها ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب
الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه
خوض في الباطل **الآفة الرابعة المراء والمجادلة** وذلك منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم لا تمار
اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال عليه السلام ذر المراء فانه لا يفقه حكمته ولا تؤمن
فتنته وقال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعالي الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل
بنى الله له بيتا في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي
ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال عليه السلام ما ضل قوم الا اوتوا
الجدل وقال عليه السلام لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال عليه السلام
ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلاة في يوم
الدجن والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه
لا تجادل الناس بالقرآن فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه
عرضة للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعات جهل العالم وعندها
يبتغي الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدل من
الدين لبني وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمان لابنه يا بني لا تجادل العلماء
فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رأيت الرجل لجوجا معجبا برأيه فقد تم خسارته وقال سفيان لو
خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى الى السلطان وقال سفيان ما من شيء ثم
اغضبه بالمراء لم يتزد بداهية تمنعه من العيش وقال ابن ابي ليلى لامارى صاحبي فانا ان اكذبه وانما
ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال ماريا وقال عليه السلام تكفير كل لفظة من لجاج ركعتان
وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تترك العلم لثلاث لا تتعلم لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي
به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر ضحكه ذهب
جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروءته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقيل لميمون

اكثر ما تنقل

بن مهران مالك لا يقارب اخ لك اذا صحبك عن تلكى قال لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء
والجدال كثير وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه قصد المتكلم او ترك المراء بترك الانكار
والاعتراض وكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن منقلبا ما مور الدين
فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة
والعربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون
بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد احطت
منه لكذا وكذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت
فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو
ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السوال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والتكاده
او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وانما المجادلة فهي عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقصه
بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها
عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر لخطأه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة
من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به ولو سكت واما الباعث على هذا فهو الترفع باظهار الفضل
والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل من قبل
تزكية النفس فهي من مقتضى بقايا العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية
واما تنقيص الاخر فهي من مقتضى دعوى السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه
وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما فوتهما المراء والجدال فالمواظب على المراء والجدال مقوله لهذه
الصفات المهلكة وهو مجاوز حد الكراهية بل هو معصية مهما حصل منه ايذاء الغير ولا تنفك المراء
عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح
في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما
ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية واقوى في افحامه وافحاته واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له
على اظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب ذم الكبر وكتاب ذم الغضب
فان علاج كل علة بازالة سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن
من النفس ويعسر الصبر عنه وروي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي رحمهما الله لم اثرت العزوا
فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك

اما في اللفظ واما في المعنى
واما في م

ما رايت مجاهدة على اشد منه وهو كما قال لان من يسمح من غير خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه
الصبر عنه جدا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بنى له بيت في اعالي
الجنه لشدة ذلك على النفس فاكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقايد فان المرا طبع فاذا اطمأن اليه
ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض بل ينبغي للانسان يكف لسانه
عن اهل القبلة واذا رأي مبتدعا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق المجادله فان المجادله تخيل اليه انه
جيلة منه في التلبيس فان ذلك صنعة يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو اراد وافتستمر
البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد فاذا عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان
يردد قوله هذا سبع مرات وكل من تعود المجادلة مدة واثر الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا
وقبولا تقوت فيه هذه المهلكات فلا يستطيع عنها نزوعا واذا اجتمع عليه شيطان الكبر والغضب
والزيا وحب الجاه والتعزز بالفضل واحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف مجموعها

الافة الخامسه الخصومه وهي ايضا مذمومة وهو ورا المرا والجدال والمراطنة في كلام الغير
لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزيته الكماسه والجدال
عبارة عن مرا يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق
مقصود وذلك تارة يكون ابتدا وتارة يكون اعتراضا والمرا لا يكون الا بالاعتراض علي كلام سبق
فقد قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع
وقال بعضهم ايا كم والخصومه فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم قط ورع في الدين وقال بن قتيبة
مر بنا الحسين بن عبد الله ابن بكير فقال لما جلسك قلت خصومة بيني وبين عم لي قال ان لا بيك
عندي يدا واني اريد اجزيك بها واني والله ما رايت شيا اذهب للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة
ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لا ارجع فقال لخصمي ما لكة لا اخاصمك ابدا قال عرفت انه
حق قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب شيا هو لك **فان قلت** اذا كان للانسان
حق فلا بد له من الخصومه في طلبه او في حفظه مهما ظلم فكيف يكون حلمه وكيف تذم خصومته
فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل فان الذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه قبل ان
يعرف ان الحق في اي جانب هو يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم من غير علم ويتناول الذي

يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسليط او على قصد
الايذا ويتناول الذي يمزح بالخصومه كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجه واظهار الحق
ويتناول الذي يحمله على الخصومه محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من
المال وفي الناس من يمزح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت هذا المال منه
رئما رميته في بير ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا واما المظلوم الذي ينصر حجته
بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذا فعله
ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال
متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب فاذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد
من المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة الاخر ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا
بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات فاقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل
بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدا كل شر وكذا الجدال والمرا فينبغي
ان لا يفتح بابه الا بضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة
وذلك متعذر جدا فمن اقتصر على الواجب في خصومته فيسلم عن الاثم فلا يذم خصومته الا انه
ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم
اقل ما يفوته في الخصومة والمرا والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات
طيب الكلام اظهار الموافقة ولا حشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله
اما تجهيل او تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب
الكلام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكركم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقال تعالى
وقولوا للناس حسنا وقد قال بن عباس من سلم عليك من خلق الله فارد عليه وان كان مجوسيا لان الله تعالى
قال واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه
وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها
اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال مر بسلام
فقيل له يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم
الكلمة الطيبة صدقة وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر
رضي الله عنه البر شي هين وجه طلق وكلام ليّن وقال بعض الحكما كل كلام لا يسخط ربك الا انك

ترض به جليسك فلا يكن به عليك بخيلا فلعله عز وجل يعوضك ثواب المحسنين وقال ايضا
الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة فى الجوارح فهذا كله فى فضل الكلام الطيب ويضاده الخنا
والمرا والجدال واللجاج فانه الكلام المستكره الموحش الموذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب
الموغر للصدر **الآفة السادسة التقعر فى الكلام** بالتشدق والتكلف بالسجع والفصاحة
والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات وما جرت به عادة المتناصحين المتأنقين للخطابة وكل ذلك
من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من
امتي برآء من التكلف وقال عليه السلام ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون
المتفيهقون المتشدقون فى الكلام وقالت فاطمة عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون فى الكلام
وقال عليه السلام الاهلك المتنطعون ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله
عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه يسأله حاجته فتكلم بين
يدى حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت بحاجتك اليوم الى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما يتخلل البقر الكلا بالسنتها
وكانه انكر عليه ما قدمه على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات
اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العاده وكذلك تكلف السجع
فى المحاورات اذ قض رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف
ندى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال عليه السلام اسجع كسجع
الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر فى كل شئ على مقصوده
ومقصود الكلام التفهيم للغرض فيما ورآء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل فى هذا تحسين الفاظ
الخطابه والتذكير من غير افراط واعراب لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وبسطها
ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو لا يق به فاما المحاورات التي تجري فى قضاء الحاجات فلا يليق
بها التسجع والتشدق فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار
الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم مكروه فى الشرع ويزجر عنه والله الهادي
الى الصراط المستقيم **الآفة السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان** وهو منهي
عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش

ولا التفحش

ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا
هولا فانه لا يخلص اليهم شئ مما تقولون وتوذون الاحيا لان البذاء لوم وقال عليه السلام ليس المؤمن
بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال عليه السلام الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها
وقال عليه السلام اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذي يسعون بين الحميم والجحيم يدعون
بالويل والثبور رجل يسيل قوة قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول
ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم
يا عايشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء وقال عليه السلام البذاء والبيان شعبتان من شعب
النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا ان يكون المراد
بالبيان المبالغة فى الايضاح الى حد التكليف ويحتمل ايضا البيان فى امور الدين فى صفات الله تعالى
فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة فى بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه
شكوك ووساوس واذا اجمل بادرت القبول ولم يضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبدا يشبه
ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان من بيانه فان الاولي فى مثله الاغماض والتغافل
دون الكشف والبيان وقال عليه السلام ان الله تعالى لا يحب الفاحش المتفحش الصياح فى الاسواق
وقال جابر بن سمره كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى امامي فقال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شئ فان احسن الناس اسلاما احسنهم
اخلاقا وقال ابراهيم بن ميسره يجاء بالفاحش المتفحش يوم القيامة فى صورة كلب او فى جوف كلب
قال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوء الداء اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمة الفحش
فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحه بالعبارات الصريحة وتجري اكثر ذلك فى الفاظ
الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح
يتحاشون عن التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز وبذكر ما يقاربها ويتعلق بها
قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يعف ويكني بالكناية عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول
والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل
اكثرها فى الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوته فى الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف
ذلك بعادة البلاد واوايلها مكروهة واخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها وليس تختص
هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغايط اولى من لفظ التغوط والخراءة وغيرها

فان هذا ايضا مما يخفى نكل بالخفي ويستحي منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحه فانه فحش
ولذلك يستحسن في العبارة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة
كذا وقيل من وراء الستر او قالت ام الاولاد او قيل في الدار والتلطف في هذه الالفاظ محمود والصريح يفضي
الى الفحش وكذلك مستهجنات عيوب يستحي منها فلا ينبغي ان يعبر عنه بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير
بل يقال العارض الذي تكلموا وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان
قال العلاء بن هارون كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج لخراج في بطنه فقلنا نسأله
ماذا يقول قلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد
الحاصل من مخالطة اهل الفساد والخبث واللوم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه
يكن وبالا عليه واجره لك ولا تسبن شيأ قال فما سببت شيأ بعده وقال عياض بن حماد قلت يا
رسول الله الرجل من قومي يستبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال عليه السلام المنتصران
شيطانان يتكاذبان ويتهاتران وقال عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم
وقال عليه السلام سباب المومن فسوق وقتاله كفر وقال عليه السلام ملعون من يسب والديه وفي
رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال عليه السلام
يسب الرجل فيسب الاخر اباه **الافة التاسعة اللعن اما لحيوان او لجماد او لانسان**
وذلك مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن ليس بلعان لا تلاعنوا بلعنة الله عز وجل ولا بغضبه
سبحانه وتعالى ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا وجبت عليهم القول وقال عمران بن الحصين
بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذ امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها
فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة وكاني انظر تلك الناقة تمشي في الناس
لا يتعرض لها احد وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا الله تعالى
وعن عايشة رضي الله عنها قالت سمع صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه
فقال يا ابا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض
رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال عليه السلام ان اللعانين لا يكونون شفعاء
ولا شهداء يوم القيامة وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن البعير فقال
عليه السلام يا عبد الله لا تسير معنا على بعير ملعون وكان ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد

من الله

من الله تعالى وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بان يقول
لعنة الله على الظالمين والكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع لان في اللعنة خطرا لانه حكم
على الله بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه الا الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله
والصفات المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق واللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن
بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثاني اللعن باوصاف اخص منه كقولك
لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس والصابة والقدرية والخوارج والروافض او على الزناة
والظلمة واكلة الربوا وكل ذلك جايز ولكن في اصناف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة
فما لا يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة بمثل ويثير
نزاعا بين الناس وفسادا والثالث اللعن على شخص بعينه وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه الله
وهو كافر او فاسق او مبتدع فيه طريقان لان كل شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك
ابو جهل لعنه الله وفرعون لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص
بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي فهذا فيه نظر لانه ربما يسلم فيموت مقربا
عند الله تعالى فكيف نحكم بكونه ملعونا **فان قلت** يلعن الكافر لكونه كافرا في الحال كما
نقول للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله
اي ثبتته الله تعالى على الاسلام والطاعة الذي هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال نثبت الله الكافر على
ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان مات
على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدري والمطلق متردد بين الجهتين ففيه
خطر وليس في ترك اللعن خطر واذا عرف هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى
فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تنقلب على الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
يجوز ان يعلم من يموت على الكفر وذلك كان يقول في دعايه على قريش كان قد عين باللعن ثبوتا
فقال اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان
من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة في قنوته
شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم
ربما يتوبون فمن تعلم انهم ملعونون وكذلك من لم تعلم موته على الكفر جاز لعنته وجاز ذمه ان
لم يكن فيه اذى على مسلم وان كان فيه اذى على مسلم لم تجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال ابو بكر رض الله عنه هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى
رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد فقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام
واضرب للهام من ابى قحافة فقال ابو بكر يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم
اكفف عن ابى بكر وامسك وانصرف ثم اقبل على ابى بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا
فانكم اذا خصصتم غضب الآباء للآباء فلقى الناس عن ذلك وشرب نعيمان الخمر فحد مرات فى مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم
لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ونهاه عن ذلك فهذا يدل
على ان لعنة فاسق بعينه غير جايز وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولاحظر
فى السكوت عن لعنة ابليس مثلا فضلا عن غيره فان قيل هل تجوز لعنة يزيد لكونه قاتل
الحسين او امر به قلنا هذا لم يثبت اصلا ولا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت
فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق بل يجوز ان يقال انه قتل
بن ملجم عليا كرم الله وجهه وقتل ابو لؤلوة عمر رض الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز
ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا
يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال عليه السلام ما شهد رجل على رجل
بكفر الا باء احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه
وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطيا لا كافرا
وقال معاذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كان تشتم مسلما او تعصى اماما عادلا او التعرض
للاموات اشد وقال مسروق دخلت على عايشة رض الله عنها فقالت ما فعل فلان لعن الله قلت توفى
قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتوذوا
به الاحياء وقال عليه السلام ايها الناس احفظوني فى اصحابي واخواني واصهاري فلا تسبوهم ايها
الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل تجوز ان يقال قاتل الحسين رضى الله عن
الحسين لعنه الله او الامر بقتله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله
لانه تحتمل ان يموت بعد التوبة فوحشي قاتل حمزه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله
وهو كافر فتاب عن الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي الى رتبة الكفر
فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس فى السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا

لعنه الله ؟

لتهاون

لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان لها والمومن ليس بلعان فلا ينبغى ان يطلق اللسان
باللعنة الا على من مات على الكفر وعلى الاجناس الموصوفين المعروفين باوصافهم دون الاشخاص
المعينين فالاشتغال بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن ففى السكوت سلامة وقال مكى بن ابراهيم
كنا عند ابى عون فذكروا بلالا بن ابى برده فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وبن عون ساكت فقالوا
يا ابن عون انما ذكرناه لما ارتكب منك فقال بن عون انما لها كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة
لا اله الا الله ولعن الله فلانا وفلانا ولان تخرج من صحيفتى لا اله الا الله احب الى من ان تخرج لعنة الله
وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصنى فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال بن عمر ان البغض
عباد الله الى الله كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المومن يعدل قتله وقال حماد بن زيد بعد ان روى
هذا ولو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابى قتادة قال كان يقال من لعن مومنا فهو مثل ان يقتله
وقد نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان
بالشر حتى اذا دعا على الظالم كقول الانسان لا صح الله جسمه او لا سلط الله او ما يجرى مجراه
وكل ذلك مذموم وفى الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة
يوم القيامة **الآفة التاسعة الغناء والشعر وقد ذكرنا فى كتاب السماع ما تحرم من الغنا**
وما يحل والبعيد اما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان المتجرد له مذموم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلى جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلى شعرا
وعن مسروق انه سيل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له فى ذلك فقال انا اكره ان يوجد فى صحيفتى
شعر وسيل بعضهم عن شئ من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله تعالى خير من
الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره قال صلى الله عليه
وسلم ان من الشعر لحكما نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلهم الكذب وقد
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا ان يهجو الكفار والتوسع فى المدح وان كان كذبا فانه لا
يلتحق بالتحريم بالكذب كما قيل ولو لم يكن فى كفه غير روحه الجاد بها فليتق الله سايله
فان هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخا فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فللمبالغة
فى صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشعارا مبناها لو تنبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عايشة رض الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورًا قالت فبهتُّ انظر اليه قالت فنظر الي فقال صلى الله عليه وسلم مالكِ بُهِتِّ فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورًا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره فقال وما يقول يا عايشه ابو كبير الهذلي فقلت

و و و ومُبَرَّإٍ من كلِّ غُبَّرِ حيضةٍ ٭ وفسادِ مُرضعةٍ وداءِ مُغيلِ و و و

و و و واذا نظرتَ الى أسِرَّة وجهه ٭ بَرَقَتْ كبَرقِ العارضِ المتهلِّلِ و و و

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام فقبّل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة خيرًا ما سررتِ مني كسروري منكِ وما قسم النبي صلى الله عليه وسلم العنايم امر العباس بن مرداس بار بع قلايص فانبعث يشكو في شعره في اخره ٭ وما كان بدرٌ ولا حابسٌ ٭ يَسُودان مرداسَ في مجمع ٭ وما كنت دون امرئٍ منهما ٭ ومن تضع اليوم لا يُرفع ٭ فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار مايةً من الابل ثم رجع وهو من ارض الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقول الشعر في فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي والي لاحد الشعر ربت على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدًّا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الافة العاشرة المزاح** واصله مذمومٌ منهيٌّ عنه الا قدرٌ يسير يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه **فان قلت** المماراة إيذاء لان فيه تكذيبًا للاخ والصديق او تجهيلًا اما المزاح فمطايب وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانها اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة فاما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تُميت القلب وتورث الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما تخلوا عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقًّا ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقًّا واما غيره اذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساؤه يهوي بها البعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلّت هيبته ومن مزح استُخِفَّ به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه ماتت قلبه ولان الضحك يدل على الغفلة عن الاخرة قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلًا وقال رجل يا اخي هل لك ان اكفك انك وارد النار قال نعم قال فهل لك ان انك خارج منها قال لا قال فنعم الضحك

قال فما رُئِيَ ضاحكًا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة وانظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطرٍ فقال ان كان هو لا غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخايفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبًا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلًا يبكي الست تعجب من بكايه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكًا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معويه انبل اعرابيٌّ الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوصٍ له صَعْبٍ فسأله فجعل كلما دنى الى النبي عليه السلام ليسأله نفر به وجعل اصحاب النبي عليه السلام يضحكون منه ففعل ذلك ثلث مراتٍ ثم وثبه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك فقال عليه السلام نعم وافواهكم ملآمن دمه واما اذا المزاح الى اسقاط الوقار فقد قال عمر رض الله عنه من مزح استُخِفَّ به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمزح مع الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدنيء فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمراحة فانها تورث الضغينة وتجر القبيحة تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديثٌ حسن من حديث الرجال وقال عمر رض الله عنه اتذرون لم سمي المزاح مُزاحًا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق وقال لكل شيء بذرٌ وبذر العداوة المزاح ويقال المزاح مسلبةٌ للنهى ومقطعةٌ للاصدقا **فان قلت** فقد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله وهو ان تمزح ولا تقول الا حقًّا ولا توزي قلبًا ولا تفرط فيه فتقتصر عليه احيانًا وعلى الندور فلا حرج عليك ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفته ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدوم مع الزنوج ابدًا لينظر رقصهم ويتمسك بان رسول الله أذن لعايشة رض الله عنها في النظر اليهم وهم يرقصون في يوم عيدٍ وهذا خطأٌ اذ من الصغاير ما يصير كبيره بالاصرار عليه ومن المباحاة ما يصير صغيرةً بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روي ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تُدَاعِبُنا فقال اني وان داعبتكم لا اقول الا حقًّا قال عطا سال بن عباس رجل فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يمزح فقال نعم فقال الرجل فما كان مُزاحه قال بن عباس انه كان كساذات يوم امرأةً من نسآيه
ثوبًا واسعًا وقال البسيه واحمدي الله واجلي وجرّي منه ذيلًا كذيل العروس روي انس انه صلى الله عليه
وسلم كان مزاحه الناس ويروي انه كان عليه السلام كثير التبسّم وعن الحسن قال اتت عجوزٌ الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم لا تدخل عجوز الجنة فبكت فقال عليه السلام انكِ لستِ يومئذٍ
بعجوزٍ قال الله تعالى انا انشأناهن انشآءً فجعلناهن ابكارًا عربًا اترابًا وروي زيد بن اسلم ان امراة يقال
لها ام ايمن جآت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال عليه السلام ومن هو
أهُوَ الذي بعينه بياضٌ فقالت والله ما بعينه بياضٌ اراد به البياض المعهود المحيط بالحدقة وجآته
امراةٌ اخري فقالت يا رسول الله احملني على بعيرٍ فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت يا
رسول الله ما اصنع به لا يطقني ولا تحملني فقال وهل من بعيرٍ الا وهو ابن البعير وكان يمزح بذلك
وقال انس كان لابي طلحة ابنٌ يُقال له ابو عمير وكان عليه السلام يا اباعمير ما فعل النُغَيْر كان يلعب بالنغير
وهو فرخ العصفور وقالت عايشه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة بدرٍ فقال تعالي
حتى اسابقك فسابقته فسبقته على رجلي ثم خططنا خطًا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني فقال هذه
بتلك وكان ذو المجاز وكان جآ يومًا ونحن بذي المجاز وانا جارية قد بعثني الى شي فقال اعطينيه فأبيت
وسعيت فسبقني على اثري فلم يدركني وقالت عايشه سابقني النبي عليه السلام فسبقته فلما حملت اللحم
سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت عايشه كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت
حريرًا وجيت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلين او لألطخن وجهك فقالت
ما انا بذا يقةٍ فاخذت من الصحفة شيأً فمسحت به وجهي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروي
ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلًا ذميمًا قبيحًا فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له
يا رسول الله ان عندي امراتين احسن من هذه الحميرا افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعايشه
جالسه تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت اهي احسن ام انت فقال لا بل انا احسن منها واكرم فضحك
عليه السلام من مسئلة عايشه اياه لانه كان ذميمًا وروي علقمة عن ابي سلمة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عمه بن بدر
الفزاري والله ليكون لي الابن رجلًا قد خرج وجهه وما قبلته قط فقال عليه السلام ان من لا يرحم
لا يُرحم واكثر هذه المطايبات منقولة مع النسآ والصبيان وكان ذلك من رسول الله صلى الله عليه
وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميلٍ الى هزلٍ وقال عليه السلام لصهيب وبه رمدٌ وقد راه يا كل تمرًا

اتاكل التمر وانت رَمِدٌ فقال انا اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسًا الى نسوةٍ من بني كعبٍ
بطريق مكة فطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا اباعبد الله ما لك مع النسوة قال بقلن
صعبرًا الجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع عليه فقال يا اباعبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد قال فسكتُّ واستحييتُ قال فكلت بعد ذلك اتفزز منه كلما رايتُه
حيآ منه حتى قدمت المدينه وبعد ما قدمتُ حتى طلع عليَّ وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطوّلتُه
فقال عليه السلام لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال لي يا اباعبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد
بعدُ قال فسكتُّ فاستحييتُ فقام فكنت اتفزز منه حتى لحقتن وهو على جملٍ وقد جعل رجليه
من شِقٍّ واحدٍ فقال يا اباعبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق نبيًا ما شردَ
مذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر اللهم اهدِ أباعبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله تعالى وكان
نُعيمان الانصاري رجلًا مزّاحًا وكان يشرب فيوتي به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه
وبأمر اصحابه فيضربوه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجلٌ من الاصحاب يومًا لعنك الله فقال
عليه السلام لا تفعل انه تحب الله ورسوله وكان لا يدخل المدينة عسلٌ ولا طرفةٌ الا اشتري ثم جآ به
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول هذا اهديته لك فاذا جآ صاحبه يطالب نُعيمان بثمنه
جآ به الى النبي عليه السلام وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام اولم تُهدِه فيقول
يا رسول الله انه والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك عليه الصلاة والسلام ويأمر
لصاحبه بثمنه فهذه مطايباتٌ تُباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزلٌ مذموم
وسبب الضحك المميت للقلب **الافه الحادية عشر السخريه والاستهزا** وهذا
محرمٌ مهما كان مؤديًا قال الله تعالى لا يسخر قومٌ من قومٍ الاية ومعنى التسخريه الاستحقار
والاستهانه والتنبيه على العيوب والنقايص على وجهٍ يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاه
في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايما اذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبه
وفيه معنى الغيبة قالت عايشة رضي الله عنها حكيت انسانًا فقال صلى الله عليه وسلم ما احبُّ اني
حاكيت انسانًا ولي كذا وكذا وقال بن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً
ولا كبيرةً الا احصاها الصغيرة التبسّم بالاستهزا بالمسلمين والكبيرة القهقهة بذلك وهذه اشارةٌ
الى ان الضحك على الناس من الجرايم والذنوب وعن عبد الله بن رفعة انه سمع رسول الله صلى الله عليه

وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك احدكم ما يفعل مثله وقال عليه السلام
ان المستهزئين بالناس ليفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا جاء اغلق
دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما زال كذلك حتى
ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي عليه السلام من عيّر
اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به
واستصغارا له وعليه نبّه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لم تسخر به استصغارا ولعله
خيرا منه وهذا انما يحرم في حق من يتأذى به فاما من جعل نفسه مسخرة فربما فرح بان يسخر
منه صناعة ولعبا كانت السخرية به من جملة المزح وقد سبق ما يُعلم منه وما يحمد فانما المحرم
استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بان يضحك على كلامه
اذا خبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته وعلى صورته
وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا بعيب من العيوب فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية
المنهي عنها **الآفة الثانية عشر افشاء السر** وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون
بحق المعارف والاصدقاء قال صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي امانة وقال
عليه السلام مطلقا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى
ان معوية اسرّ الى الوليد بن عتبة حديثا فقال لابيه يا أبت ان امير المومنين اسرّ الي حديثا
وما اراه يطوي عن خبره ما بسطه الى غيرك قال فلا يا بني لا تحدثن به فان من كتم سرّه كان
الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت له يا أبت فان هذا البدخل بين الرجل وابنه فقال
لا والله يا بني ولكن احببت ان لا تذل لسانك باحاديث السر فاتيت معوية فحدثته فقال
يا وليد اعتقل اخي من رق الخطا فافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم اذا لم
يكن فيه اضرار فقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب الصحبة فلا نعيده **الآفة الثالثة عشر**
الوعد الكاذب فان اللسان سبّاق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا
وذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقال عليه السلام العدة
عطية وقال عليه السلام الوائي مثل الدين او افضل والوائي الوعد وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل
بوفائه بالوعد حيث قال انه كان صادق الوعد فيقال انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه
فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال انه كان خطب الي رجل من

قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله ما ألقى الله بثلث النفاق اشهدوا اني زوجته
ابنتي فلانة وعن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها
في مكانه ذلك فنسيته يومي والغد فاتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت
علي انا هنا اتردد منذ ثلث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظره
ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التي يحيى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى
وكان بن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله عز وجل وهو الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم
في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر وان كان عند الوعد عازما على انه لا يفي به فهذا هو النفاق
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه خصلة واحدة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على
عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم على الوفاء ثم عرض له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا
وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان تجعل نفسه معذورا من
غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم ابن ابي التيهان
خادما فاتى بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة عليها السلام تطلبه منه وهي تقول الا
ترى أثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي لابي الهيثم
فآثره به على فاطمة عليها السلام لما سبق من وعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم الغنايم التي لهوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال
ان لي عندك موعدا يا رسول الله فقال عليه السلام صدقت فاحتكم ما شئت قال احتكم ثمانين ضائنة
وراعيها فقال عليه السلام هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على
عظام يوسف عليه السلام كان احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه السلام فقال احكمك
ان ترد علي شابة فادخل الجنة معك قبل وكان الناس يصنعون (يضعفون) ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون
افسح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ اخر
اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشر الكذب في القول**
واليمين وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب وقال اسمعيل بن اوسط سمعت الصديق رضي الله عنه

وكيف ينبغي ان يحترز من صورة النفاق؟

تخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا
عام اول ثم بكى وقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية
والقول والعمل والمدخل والمخرج فان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال عليه السلام كبرت
خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت له فيه كاذب وقال بن مسعود قال عليه السلام
لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر صلى الله عليه وسلم برجلين
يتبايعان شاه ويحلف ان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الاخر والله لا ازيدك
على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال عليه السلام اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال
عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال عليه السلام التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله
تعالى قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون وقال عليه السلام
ثلثة نفر لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق بسلعته بالحلف
الفاجر والمسبل ازاره وقال عليه السلام ما حلف حالف بالله تعالى فادخل فيها مثل جناح بعوضة
الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة وقال ابو در قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم الله
تعالى رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه على اصحابه ورجل كان له جار سوء يؤذيه
فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهم موت او ظعن ورجل كان مع قوم في سفر او سرية فاطالوا
السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة
يبغضهم الله تعالى التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال عليه السلام ويل
للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس او القوم ويل له ويل له وقال النبي عليه السلام رايت رجلا جاني
فقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قايم والاخر جالس بيده القايم كلوب من حديد يدلقه
شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقي الجانب الاخر فيمدره فاذا مدره رجع
الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيامة وعن
عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المومن فقال قد يكون من
ذلك فقال يا نبي الله هل يكذب المومن فقال عليه السلام لا ثم تلا انما يفتري الكذب
الذين لا يومنون بايات الله وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم
طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب وقال عليه السلام ثلثة لا يكلمهم الله ولا

ينظر

ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زاني وملك كذاب وعايل مستكبر وقال عبد الله بن عامر
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال
اعطيك فقال عليه السلام وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة
وقال عليه السلام لو ان الله تعالى علق نعما عدد هذا الحصا لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا
ولا جبانا وقال عليه السلام وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم
قعد وقال الا وقول الزور وقال بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة
فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال عليه السلام تقبلوا لي بست اتقبل
لكم بالجنة قالوا وما هي قال عليه السلام اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ايتمن
فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال عليه السلام ان للشيطان كلا ولعوقا
ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كلله فالنوم وخطب عمر رضي الله عنه بالجابية
فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم هذا فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم
يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يحلف ويشهد ولم يستشهد وقال عليه السلام من حدث
بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال عليه السلام من حلف على يمين ماثم ليقطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله تعالى يوم القيامة
وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في كذبة كذبها وقال عليه السلام علي
كل خصلة يطبع او يطوى عليها المومن الا الخيانة والكذب وقالت عايشة رضي الله عنها ما كان من خلق
اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على
الرجل من اصحابه على الكذب فما يحل من جلده حتى يعلم انه قد احدث لله تعالى منها توبة وقال موسى عليه السلام
يا رب اي عبادك خير عندك قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمان لابنه يا بني اياك
والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام في مدح الصدق اربع اذا كن فيك
فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه
في خطبته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول
ثم بكى وقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال عليه السلام اني اوصيك بتقوى الله
وصدق الحديث واداء الامانة ووفاء بالعهد وبذل الطعام وخفض الجناح

اما الاثار

قال علي كرم الله وجهه اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة

وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة مد شددت علي ازاري وقال عمر رض الله عنه احبكم الينا
مالم نركم احسنكم اسرا فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا
واعظمكم امانه وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف فان انا كتبته زينت الكتاب
وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنادا ني منادٍ من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في
الحياة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي يا ادري ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما
ارا ني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة وقيل لحالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة يسمى باسمها
قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق
وان كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار وكما قرضتا نبتتا وقال ايضا الصدق والكذب يعتركان
في القلب حتى يخرج احدهما الاخر وكتم عمر بن عبد العزيز الوليد في شر فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت
قد علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما رخص من الكذب

او على المخاطب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان
يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره فربّ جهل فيه منفعة
ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران
الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى واخر وراه بالسيف فدخل دارنا فانتهى اليك
فقال رايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم ارَه وبالتصدق فهذا الكذب واجب فنقول الكلام وسيلة
الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن
التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان تحصيل
المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم تداختفى من ظالم فالكذب
فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب
مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا افتتح على نفسه باب الكذب فيخشى ان يتداعى اليه ما
يستغني عنه والى ما لا يقتصر فيه على حد الضرورة وكان الكذب حراما في الاصل لا لضرر فيه والذي يدل
على الاستثناء ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في شيء من الكذب الا في ثلث
الرجل يقول القول يريد به الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث
زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا
وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين

يصلح بينهما

يصلح بينهما او روي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام حتى
تصاريا فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعت تحسن الثناء عليك ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى
اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين الرجلين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل
اصلح بين الناس ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي
قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال عليه السلام لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عروة الدولي
وكان في خلافة عمر رض الله عنه خلع النساء اللاتي يتزوج فطار له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها
فلما علم بذلك قام بعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله عز وجل هل تبغضيني
قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم فقال لابن الارقم اسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم
لتحدثون اني اظلم النساء واخلعهن ظلما فسئل ابن الارقم فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عزرة
فجاءت وعنتها فقال انت التي تحدثين ان زوجك انكِ تبغضينه فقالت اني اول من تاب وارجع الى امر الله
تعالى انه ناشدني الله فتحرجت ان اكذب يا امير المومنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن
لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت التي تثنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام
والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي اراكم تتهافتون
في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب
فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال تو بان الكذب
كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي كرم الله وجهه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة
فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به غرض او مقصود صحيح له او
لغيره اما له فمثل ان ياخذه ظالم ويسال عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان ويسئله عن فاحشة
بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى وذلك بان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل
ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما غرض غيره فبان يسال عن
سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين اثنين وبين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة منهن
انها احب اليه وان كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او
يعتذر الى انسان وان كان لا يطيب قلبه الا بانكار من ذنب وزيادة توكيد فلا باس به ولكن الحذر فيه

ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن
بالميزان القسط فاذا علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وفقا في الشرع من الكذب فله الكذب وان
كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامر بحيث يتردد فيه وعند
ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب مباح بضرورة او حاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه
ولاجل هذا مدار اكمراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من القول الكذب مهما امكنه ذلك ولذلك
مهما كانت الحاجة فيستحب له ان يترك اعراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز
المسامحة لحق الغير والاضرار به والكثير كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات المال
والجاه ولامور ليس في فواتها محذور حتى ان المراة لتحكي عن زوجها فيما تفتخر به وتكذب لاجل مراغمة
الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امراة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي ضرة
واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اصارها بذلك فهل علي فيه شيء فقال المتشبع بما لا يعط كلابس ثوبي
زور يوم القيامة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحفظه وروايته الحديث الذي ليس ثبت
فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستكف ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلتحق
بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد او تحويف فكان ذلك مباحا نعم
قد رويا في الاخبار ذلك يكتب كذبة ولكن الكذب المباح ايضا قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب
بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما أبيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير لانه قد
يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغنى عنه فانما يتعذل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب
ذلك من اتى بكذبة فوقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم في الشرع
من الصدق امر لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز تركه كما يودي
الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه تجوز وضع الاخبار في فضايل الاعمال
وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يترك الا بضرورة ولا ضرورة فيها
اذ في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد في الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان
ذلك نكذب على الاسماع فسقط وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هو بين اذ ليس هذا من
الاغراض التي تقاوم محذورات الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويؤدي
فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله

عليه وسلم

بيان الحد من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض
ما يكفي الرجل عن الكذب وروي عن ابن عباس وغيره مثله وانما اراد واذلك اذا اضطر الانسان
الى الكذب فاما اذا لم يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض
اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال ما زلت
جنبا منذ فارقت الامير الا مرة فعن الله به وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب
فقل ان الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعنده
الايهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت امراته ما جئت به مما يأتي به العمال
من عراضة اهليهم ولم يكن جاء به فقال كان معي ضاغط قالت كنت أمينا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم والى بكر رضي الله عنه فبعث معك عمر ضاغطا فقال من بذلك في نسايها واشتكت عمر
فلما سمع عمر ذلك دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك
فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد الله سبحانه وتعالى وحفظه عليه
وكان النخعي لا يقول لابنته اشتري لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك فانه ربما لا يتفق
له وكان ابراهيم اذا طلب في الدار من يكرهه يقول للجارية قولي اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هاهنا
كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دايرة ويقول للجارية ضعي
الاصبع فيها وقولي ليس هو ها هنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا
يفهم للكذب وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع
ابي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساك امير المومنين فكنت اقول
جزا الله امير المومنين خيرا فقال يا بني اتق الله واياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك لان فيه تقريرا
لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فايدة فيه نعم المعاريض يتاح بغرض خفيف
كتطييب قلب الغير بالمزاح لقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك بياض ونحملك على
ولد البعير وما اشبهه واما الكذب كما فعله عثمان الانصاري مع عثمان في قصة الطير اذ قال له انه
نعيمان وكما يعتاده الناس من مداعبة الحمقى بتغيير بره اباه بان امراة قد رغبت في تزويجك فان فيه
ضرر ويودي ذلك الى ايذاء قلب فهو حرام وان لم يكن الامطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه
ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المومن ايمانه حتى يحب لاخيه

ما يحب لنفسه وحث بجتنب الكذب فى مزاحه واما قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة
يضحك بها الناس يهوى به ابعد من الثريا اراد به ما فيه غيبة مسلم او ايذاء قلب دون محض المزاح
ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به فى المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبك
ما يه مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعدد ها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن طلبه الا مرة
واحدة كان كاذبا وان طلب مرارا لا يعتاد مثلها فى الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة وبينهما
درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب وما يعتاد الكذب فيه وليس هذا من
ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك مما نهى عنه وهو حرام ان لم يكن غرض صحيح قال مجاهد
قالت اسما بنت عميس كنت صاحبة عائشة حين هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي
نسوة فلو جدنا عنده قرى الاقدحا من لبن فشربه ثم ناوله عائشة فاستحيت الجارية فقلت لا ترد
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه بأجزته على حيائها فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك
فقلن لا نشتهيه وقال عليه السلام لا تجمعن جوعا وكذبا فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشيء
تشتهيه لا اشتهيه أيعد ذلك كذبا فقال عليه السلام ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة
وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد
بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين هو قول الطيب
وهو يقول لا تمسح عينيك فاقول لا افعل وهذه مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره
فيكذب ولا يشعر قال خوات التيمي جاءت اخت الربيع بن خيثم عايدة الى بني لي فانكببت عليه فقالت
كيف انت يا بني فجلس الربيع فقال ارضعتيه قالت لا قال ناعليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة
ان يقول يعلم الله فيما لا يعلمه وقال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد
ان الله يعلم ما لا يعلم وربما يكذب فى حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يرى عينه فى المنام او يقول علي ما لم أقل وقال عليه السلام
من كذب فى حلم كلف يوم القيامة ان يعقد شعيرة **الآفة الخامسة عشر الغيبة** والنظر فيها طويل فنذكر اولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله تعالى على
ذمها فى كتابه وشبه صاحبه باكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا الآية وقال عليه السلام
كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله تعالى بينه وبين
الدم والمال وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم

بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم
والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا
يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي على
قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس
ويقعون فى اعراضهم وقال سليمان بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا
ينفعني الله به فقال عليه السلام لا تحقرن من المعروف شيأ ولو ان تصب من دلوك في إناء
المستسقي وان تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتابه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اسمع العواتق فى بيوتها فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته
يفضحه فى جوف بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من
يدخل الجنة ومن مات وهو مصر عليها فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا فجعل
الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر فأذن له وللرجل والرجل حتى جاء رجل
فقال يا رسول الله فتاتان من اهلي ظللتا صائمتين وانهما يستحييان ان يأتياك فأذن لهما ان
تفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال صلى الله عليه وسلم انهما لم يصوما وكيف صام
من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيا فرجع اليهما فاخبرهما
فاستقاتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي فاخبره فقال صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاء بعد ذلك
فقال يا رسول الله انهما والله قد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال عليه السلام ايتوني بهما فجاءتا فدعا
بحسي او بقدح فقال عليه السلام لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال
للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال عليه السلام ان هاتين صامتا عما احل الله وافطرتا على ما حرم الله
عليها جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله تعالى
في الخطيئة من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأدنى الربوا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال اما انهما ليعذبان

في كبيرة اما احدهما فكان يمشي بالنميمة او قال يعتاب الناس واما الاخر فكان لا يتنزه من بوله
ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرها ثم امر بكل كسرة فغرست على قبرها وقال عليه السلام
اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم ييبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرجل في الزنا فقال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه
بجيفة وهما معه فقال عليه السلام لهما انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال عليه السلام
ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يتصابون عند
الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلانة عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه
في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما اكلته حيا فيأكله ويضج ويصيح وروي ايضا مرفوعا
كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مختثا فترك
ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجاء في انفسهما ما قالا
فاتيا عطاء فسألاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلاة وان كانا صاما ان يقضيا صيام
ذلك اليوم قال مجاهد في قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة
الذي يأكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من
البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال
بعضهم ادركنا السلف ولم يروا العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس
وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوب نفسك وقال ابو هريرة يبصر احدكم
القذى من عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول يا ابن ادم انك لن تصيب حقيقة
الايمان حتى تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت
ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى
عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى عليه السلام
ما اشد بياض اسنانه كانه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم على انه لا يذكر من شيء من خلق الله الا احسنه
وسمع زين العابدين رضوان الله عليه رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب النار
وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدها

اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما تكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه

حتى في ثوبه وفي داره ودابته اما البدن فذكر العمش والحول والعرج والقصر والطول والسواد
والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فان يقول ابوه نبطي او هندي او
فاسق او خسيس او زنال او اسكاف او شيء مما يكرهه كيف كان واما الخلق فان يقول انه سيء الخلق
بخيل متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وكل ما يجري مجراه واما في
افعاله المتعلقة بالدين كقوله سارق وكذاب وشارب وخائر وظالم ومتهاون بالصلاة وبالزكوة
ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات ولبس باز ابوال الدبه ولا يضع الزكاة مواضعها
ولا يحسن قسمتها ولا يحترز صومه عن الغيبة والتعرض لاعراض المسلمين واما فعله المتعلق
بالدنيا كقولك انه قليل الادب يتهاون بالناس ولا يبالي لاحد حقا على نفسه ويبالي لنفسه
حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نووم وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في
ثوبه انه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب كثير العمامة واما الذين فقد قال قوم لا غيبة
فيه لانه ذم باذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلوتها لكنها توذي جيرانها فقال عليه السلام انها في النار
وذكر امراة اخرى بانها بخيلة فقال عليه السلام ما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا
يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن للتنقص فلا تحتاج اليه في غير
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه
فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فعلى هذا وان كنت
صادقا فيه فانت فيه مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي عن البر صلى الله عليه وسلم
انه قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكرهه قيل ارايت ان كان
في اخي ما اقول فيه قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ
بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال عليه السلام اغتبتم
صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه وعن حذيفة عن
عايشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال البر صلى الله عليه وسلم اغتبتيها
وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك والكل في كتاب الله تعالى الغيبة ان تقول ما
فيه والبهتان ما لم يكن فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين ابرهيم فقال الخنثى ولم يقل الامرد
وقالت عايشة لا يعتاب عندي احد احدا فاني قلت لامراة وانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صفية

لطويلة الذيل فقال عليه السلام الفظي الفظي فلفظت بضعة من لحم وذكر بن سيرين رجلا فقال
ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفروا الله اني اراني قد اغتبته **بيان الغيبة**
لا يقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم للغير نقصان
اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء
والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت
عايشة رضي الله عنها دخلت علينا امراة فلما ولت اومأت بيدي اني قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها
ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كانه يشتكي رجله وهو اشد من الغيبة بل هو غيبة لانه اعظم في التصوير
والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها حكت وامأت قال عليه السلام
ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احدى اللسانين وذكر المصنف
شخصا معينا وتحجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره كما
سياتي بيانه واما قوله قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حي واما
ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مررنا اليوم او بعض من رايناه اليوم اذا كان المخاطب يفهم
منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فانا اذا لم نفهم عينه جاز كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فقول بعض
من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة يفهم بها عين الشخص فهو غيبة واخبث
انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم
التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون انهم بجهلهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة
وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلطان والتذلل في طلب
الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحياء نسال الله تعالى ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب غيره
فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر
في العبادات ولكن قد اغتر او فتر وابتلي بما ابتلي به كلنا وهو قلة الصبر فذكر نفسه ومقصوده
ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون معتابا ومراييا ومزكيا
نفسه وجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب
الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتعجبهم ويحيط بمكايده اعمالهم ويضحك
عليهم ويسخر بهم ومن ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب

هذا

هذا حتى يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر اسم الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق جنبته
وهو من على الله تعالى بذكره جهدا منه وغرورا وكذا يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا من
الاستخفاف فنسال الله تعالى ان يروح سره ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء له
بل لو قصد الدعاء له لاخفاه له في خلوة او عقيب صلاة ولو كان يغتم لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه
وكذلك يقول ذلك المسلمين تدبلى بأفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله
مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو بجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له
الجهال اذا جاهر واوسن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد
نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول معجبا
علمت انه كذلك يا عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عانانا الله تعالى من بلاياه
فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع احد المغتابين وقد روي ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قال
احدهما للآخر فلان لئوم ثم طلبا اذمامن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا كلامح الخبز فقال
عليه السلام قد ايتدمتما فقالا يا نعلم فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما والقائل
كان احدهما والاخر مستمع وقال عليه السلام للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص
الكلب انهشا من هذه الميتة فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج عن اثم الغيبة الا ان ينكر بلسانه فان
خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وان كان يقول بلسانه
اسكت وهو مشتهٍ بذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه عن الاثم ما لم ينكره بقلبه ولا يكفي ان يشير
باليد اي اسكت او يحاجبه او راسه وجبينه وغير ذلك فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظه
فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره
فلم ينصره اذله الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلايق وقال ابو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم
من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامة وقال عليه السلام من ذب
عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يعتقه من النار وقد ورد في نصرة المسلم في الغيب وفضل
ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطول بالاعادة
بيان الاسباب الباعثة على الغيبة اعلم ان البواعث على الغيبة
كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية يطرد في حق العامة وثلثة تختص باهل الدين والخاصة

سببا

ضن

فاما الثانية **فالاول** تشفي الغيظ وذلك اذا جري سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وارع وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا يكون سببا دائما لذكر المساوى فالحقد والغضب من البواعث العظيمه على الغيبة **الثاني** موافقة الاقران ومجاملة الرفقا ومساعدتهم علي الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض نيري انه لو انكر وقطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويري ذلك من حسن المعاشره ويظن انه مجاملته في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السرا والضرا فيخوض معهم في ذكر المساوي والعيوب فيهلك معهم **الثالث** ان يستشعر من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادر به قبل ان يفتح هو حاله ويطعن فيه لتسقط اثر شهادته او يبتدى بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ليس من عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله وكان كما قلت **الرابع** ان ينسب الى شي فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبري نفسه ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل يمهد بذلك عذر نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاه وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو ربما يحمد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثنا عليه لانه يثقل عليه ان يسمع كلام الناس بالثنا عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي خيانة من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب والهزل والمطايبة ومزجه الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاه والتعجب **الثامن** السخرية والاستهزا استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضا في الغيبة ومنشأه التكبر واستصغار المستهزأ به واما الاسباب الثلثه التي في الخاصة فهي اعمها وادقها لانها شرور خبثا ها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به **الاول** ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار

المنكرات

المنكرات والخطأ في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان لانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل عليه الشيطان ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثما ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد عمي امره وما ابتلى به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذلك تعجبه ولكنه ساقه الى شر من حيث لا يدري فالرحمة والغم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان اذا راه وسمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهر على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالسوء فهذه الثلثه ترا يعمض دركها عن العلما فضلا عن العوام فانهم يظنون ان الرحمة والتعجب والغضب اذا كان لله تعالى كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصه لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سياتي روي عن عامر بن وائله ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال له اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لنبلغنه فقاموا فاتوا فلانا فاخبروه بما قال فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال وسال ان يدعوه فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال عليه السلام لم تبغضه فقال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته صلى صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل راى اخرتها عن وقتها او اساء الوضوء لها والركوع والسجود فسأله فقال لا قال والله ما رأيته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل راى قط افطرت فيه او نقصت من حقه شيا فسأله فقال لا قال والله ما رايته يعطي سايلا ولا مسكينا ولا رأيته ينفق من ماله شيا في سبيل الخير الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله هل راى نقصت منها او ماكست طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال عليه السلام للرجل فلعله خير منك

بيان العلاج الذي يمنع به اللسان عن الغيبة

اعلم ان مساوى الاخلاق كلها انما تعالج بمجون العلم والعمل وانما تعالج كل علة بمضادة سببها فلنحفص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما

فلنشخص

على الجمل والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الاخبار
التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانه تنقل حسناته يوم القيامة الى من اغتابه بدلا
عما احتاج من عرضه فان لم يكن له حسنات نقل اليه من سيات خصمه وهو مع ذلك متعرض لمقت الله
ومشبه عنده باكل لحم الميته بل العبد يدخل النار بان ترجح كفة سياته وربما تنقل اليه سيئة
واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب
اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك
تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فيها امن العبد بما ورد
به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في عيوب نفسه
فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب
الناس ومهما وجد عيبا ينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم
ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره
وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض
الحكماء يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه واذا لم تجد العبد عيبا في نفسه
فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلث الناس واكل لحم الميته من اعظم
العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب
وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له واذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب
فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه وهذه معالجات جلية اما التفصيل وهو ان ينظر في السبب
الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه
بما سياتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي
بسبب الغيبة اذ نهاني عنه فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان لجهنم بابا لا يدخل الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر
على ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شاء وفي بعض كتب الله تعالى
المنزلة يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فبان
تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان تورط غيرك

وتحقر

وتحقر بولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لا يوجب ان يذم المغضوب
عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقايك اذا ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بالفحش الذنوب
وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغني عن ذكر الغير فعلاجه بان
تعرف بان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى
يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الاخرة
او تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل دم الله تعالى لك يقينا او تنتظر دفع دم الخلق نسيئة وهذا
غاية الجهل والخذلان واما عدلك كقولك اني اكلت الحرام فلان ياكل وان قبلت مال السلطان
فلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف امر الله حجت
قدرته لا يقتدى به كاينا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه
ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت منه وسجلت
مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاه تنظر الى المعز تردي نفسها من الجبل
فتردي هي ايضا نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكته
نفسها فانا ايضا كذلك لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك
واما قصدك المباهاة وتزكية النفس وزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما
ذكرته ابطلت فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم فيك
اذا عرفوك بثلب الناس فيكون قد بعدت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو جعل لك من
المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيأ واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين
لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الاخرة
فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك خاسرا في الاخرة ايضا لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك
ناصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذا انت صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره غيبتك وينفعك
وينفعه اذ تنقل اليه حسناتك او ينقل اليك سياته ولا ينفعك فقد جمعت الى جنب الحسد جهل
الحماقة وربما يكون حسدك وقد حك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل

ن ن ن واذا اراد الله نشر فضيلة ٥ طويت اتاح لها لسان حسود ن ن ن

واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملايكة
والنبيين فلو تفكرت في خسرانك وحيايك وحجلك وخزيك يوم تحمل سيات من استهزأت به

عرض

وتساق الى النار لاد هشك ذلك عن احراز اصاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك
فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك يوم القيامة على ملا من الناس
ويسوقك تحت سياته كما يساق الحمار الى النار ستهزيا بك وفرحا لخزيك وسرورا بنصرة الله
تعالى اياه وتسليطه على الانتقام منك وانا الرحمة له على انه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقه
بما تنقل من حسناتك اليه بما هو اكثر من ضحكك فيكون حمل الاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما
وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب
فيه لا يوجب الغيبة فانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط عليك اجر غضبك وتصير متعرضا
لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت
دينك بدين غيرك او دنياه فانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وان يهتك الله سترك كما هتكت
بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقيق بهذه الامور التي هي من ابواب
الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة. **بيان تحريم الغيبة بالقلب** اعلم ان سوء الظن حرام مثل سوء القول وكما تحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك
بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك ونفس الظن باخيك ولست اعني به الاعتقاد القلب وحكمه
على غيره بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي
عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا
من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان
تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل بعد ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد
ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمع باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه
اليك فينبغي ان تكذبه فانه فاسق وقد قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الاية
فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم تجز ان يصدق به حتى
ان من استفتى فوجد في فيه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض
بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فهذا كله دلالة تحتمل فلا يجوز تصديقها بالقلب
واساءة الظن بالمسلم به فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه
وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو يقين مشاهدة او بينة
عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها ان حاله

عنك

عند ك ستور وكان حالك عنده وعند غيره ستور والاحتمال ان يسابك ظن فكذا وجب عليك ان
يكون عند ستره ولا تسئ به ظنا كما كان فان ما راتيه منه تحتمل الخير والشر **فان قلت**
فباذا تعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير
القلب معه عما كان فينفر عنه نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاعتمام
بسببه فهذه امارات عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث في المومن ولد منهن مخرج
فمخرجه من سوء الظن ان لا تحققه اي لا تحقق في نفسه بعقد ولا فعل الا بالقلب ولا في
الجوارح اما في القلب فبتغير والى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان
قد يقرر على القلب باذى مخيلة مسالة الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك
ودقايقك فان المومن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته
فانما اذا اخبرك به عدل فمالك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته لكنت خائنا
على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن بواحد
وتسيئه بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة او محاسدة وتحنث فيتطرق التهمة بسببه
وقد ورد الشرع برد شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العبد فلك عند ذلك ان تتوقف
فان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله تعالى عندي وكان
امره محجوبا وقد بقي كما كان لم يكشف لي من امره شيء وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا
محاسدة بينه وبين المذكور ولكن من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن
انه عدل وليس بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته رددت شهادته الا ان
الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في امر الغيبة ولم يكثرتوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر
لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعوا له بالخير فان ذلك يغيظ ابليس
ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت
هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا تخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته
فلا تغلظه وانت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار
وترتفع عنه بدالة الوعظ ولكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك
اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة
فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه

ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق ويشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه ومحرم في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد الله تحت ستر الله فيتوصل الى الاطلاع عليهم والتجسس عن احوالهم وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك وكان سالما لقلبك ودينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة امور **الاول** الظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم حسب اذا لا يمكن استيفاء حقه الا به فقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقالا وقال عليه السلام مطل الغني ظلم وقال لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته **الثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهما فسلم عليه فلم يرد عليه فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجا ابو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر ان اباحندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى اخره فتاب ولم يرد لذلك عمر ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحة هذا اذا قصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **الثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي وكيف طريقي في الخلاص فالاسلم التعريض بان يقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته او اخوه ولكن التعيين مباح بهذا العذر لما روى عن هند قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي أفآخذ من غير علمه فقال عليه السلام خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم ينزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلم من الشر فاذا رأيت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان يتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا او قد عرف المملوك بالسرقة او بالفسق

او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرره وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الظعن وكذلك المستشار في التزوج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزوج بمجرد قول لا تصلح لك فهو الواجب وفيه كفاية فان علم انه لا يتزوج الا بالتصريح بعينه فله ان يصرح بعينه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان اذكر الفاسق حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه **الخامس** ان يكون الانسان معروفا بلقب يعرب عن عيبه كالاعمش والاعرج فلا اثم على من يقول روى ابو زناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش ومالجوبي بحراء فقد فعل العلماء مثل ذلك للضرورة لاجل التعريف ولانه صار ذلك لا يكرهه صاحبه لو علم بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدوك **السادس** النقص ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان من يتظاهر بالفسق بحيث ان لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له قال لعمر رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر بفسقه دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته قال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر وهو لاء الثلثة بجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به وكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به أثم قال عوف دخلت على بن سيرين فتناولت الحجاج فقال بن سيرين ان الله تعالى حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله تعالى غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد ارتكب معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ويحتج في ذلك بما روي انس

قال قال صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكل لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسيل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة قال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت اوظلمت واساءت فان شئت احدث حقك وان شئت وهبت وهذا هو الاصح وقول القابل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فزيدت على سيآته وقالت عائشة رض الله عنها لامراة قالت لاخرى انها طويل الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فاذ الابد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعا وبكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل يجب فاقول لا انه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتدي ان يبالغ في الثنآء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتداره وتردده حسنة محسوبة له فيتقابل بها سيئة الغيبة في القيامة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال بن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرمه الله تعالى ابدا فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يتحللها وتحليل ما حرمه الله غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره بن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم اعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول فمعناه اني لا اطلب مظلمتي يوم القيامة ولا أخاصم ولا فلا تصير الغيبة حلالا ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفا بان لا يخاصم وان رجع وخاصم كان قياس جاير الحقوق ان له ذلك بل لو صرح الفقها بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حق القذف ومظلمة الاخره مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثث الامم بين يدي الله تعالى يوم القيامة نودوا ليقم من كان اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفى في الدنيا وقد قال تعالى خذ العفو الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله تعالى يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي

ان رجلا

ان رجلا قال للحسن ان رجلا فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام الآفة السادسة عشر النميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم الى قوله عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار الي ان كل من لا يكتم الحديث ويمشي بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا على قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة اللمزة النمام وقال تعالى حالة الحطب كانت نتامة حالة الحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امراة لوط عليه السلام تخبر بالضيفان وامراة نوح عليه السلام كانت تخبر انه مجنون وقال عليه السلام لا يدخل الجنة نمام وفي حديث اخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله تعالى احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون لابرا العثرات وقال عليه السلام من اشاع على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيامة وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة هو منها بري ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله تعالى ان يشينه بها يوم القيامة في النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها اهل فليتبوا مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وروي عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل اسمه وعزتي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا المصر على الزنا ولا القتات وهو النمام ولا الديوث ولا البشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على عهد الله ان لم افعل كذا وكذا ثم لا يفي به وروي كعب قال اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة اربعين صباحا فتابوا جميعهم فسقوا ويقال اتبع رجلا حكيما سبع بايه فوسخ الاجل سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي اتاك الله تعالى من العلم اخبرني عن السما وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منه وعن النار وما احر منها وعن الزمهرير وما ابرد منه وعن البحر وما اغنى منه وعن اليتيم وما ادل منه فقال البهتان على البري اثقل من السموات والحق اوسع من الارض والقلب القانع اغنى من

البحر والحرص والحسد احر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح ابرد من الزمهرير وقلب
الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره ادل من اليتيم **بيان حد النميمة**
وما يجب في ردها اعلم ان اسم النميمة انما ينطلق على الاكثر على من ينم قول
الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وليس النميمة مخصوصة بل حد
النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المقول عنه او المنقول اليه او كرههما ثالث وسواء
كان الكشف بالقول او بالكتبة او بالرمز او بالايماء سواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال
وسواء كان ذلك عيبا او نقصانا عن المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك
الستر عما يكره كشفه بل كل ما يراه الانسان من احوال الناس ينبغي ان يسكت الا ان كان في حكايته
فايدة لمسلم او دفع لمعصية كما اذا رأى من تناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود
عليه فاما اذا اراد ان يخفي ما لا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما نم به نقصانا فاحشا
او عيبا في المحكي عنه فهو كما انه قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء
للمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حمله اليه النميمة
وقيل له ان فلانا قال فيك كذا وكذا وفعل في حقك كذا وكذا وهو يدبر في افساد امرك او في
مالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري مجراه فعليه ستة امور **الاول** ان لا يصدقه
لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الآية
الثاني ينهاه وينصحه بذلك ويقبح له فعله قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر
الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه يبغض عبده عز وجل ويجب ان يبغض من يبغضه الله تعالى
الرابع ان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن **الخامس**
ان لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا **السادس**
ان لا يرضى لنفسه ما نهيت النمام عنه فلا يحكي نميمة فتقول فلان حكى كذا وكذا فتكون نماما
ومغتابا ويكون قد أتيت بما نهيت عنه وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل
فذكر عنده عن رجل شيأ فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه
الآية قوله تعالى هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المومنين لا اعود
اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر تخبر عن غيره فقال له الحكيم
قد ابطات في الزيارة وانيتني بثلث خبايات بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتممت نفسك

الامينة وروي ان سليمان بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان
بلغني انك وقعت في كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال له سليمان ان الذي اخبرني كان
صادقا فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمان صدقت اذهب بسلامة قال الحسن من
نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق به وبصداقته وكيف لا
يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد
بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله ان يوصل قال الله تعالى ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم قال صلى الله عليه وسلم ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع قيل قاطع بين الناس وهو النمام وقيل
قاطع الرحم وروي ان عليا كرم الله وجهه سعى اليه رجل برجل فقال له يا هذا تحب ان نسأل
عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال
أقلني يا امير المومنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المومن اوضع له قال كثرة الكلام
وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير
اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال لا احب
ان اشتم نفسي بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوحال وذكرت
السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم تحرم الصدق منهم بل كل طبقة من الناس الا منهم
وقال مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول
اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله واجازه فالقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه
ليما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف
جانبه سميت سعاية وقد قال صلى الله عليه وسلم الساعي يا لناس الى الناس الحمى الكناس لخير رشده
يعني ليس بولد حلال ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني متكلم
يا امير المومنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان ورآه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المومنين
تداكتفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم تخافوا الله
فيك فلانا منهم على ما ايتمنك الله عليه ولا تفح اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن
نالوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل

وسايلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤل عما اجترحوا ولبسوا بمسولين عما اجترحت ولا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا بايع اخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمان هذا فجمع بينهما الموافقة فاقبل زياد على الرجل يقول له انت سرؤسا اينهنك خالبا فخنت واما قلت قولا بلا علم فانت من الامر الذى كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال لعمرو بن عبيد الاسوارى ما زال يذكر فى قصة بشر قال لعمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الى حديثه ولا اديت حق حين ابلغتنى عن اخى ولكن اعلم ان الموت بعثنا والقيامة تضمنا والله تحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة بثينة فيها على بال يتيم تحامل على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة والمتاجر حمه الله والبتيم جبره الله والمال نشره الله والساعى لعنه الله وقال لقمان لابنه يا بنى انى اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد واسكك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك واياهم من قبول كل ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعشبهم ولم يعيبوك وقيل النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهى زانية فى الدين ولو صح ما نقله التمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر التمام عظيم ينبغى ان يتوقى قال حماد بن سلمة باع رجل عبدا وقال للمشترى ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذ الموسى واحلقى من قفاه عند نومه شعرات حتى اسحره عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناومت فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها وجاء اهل المراة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر

الافة السابعة عشر كلام ذى اللسانين

الذى يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدون من شر العباد يوم القيامة ذا الوجهين الذى ياتى هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء وفى لفظ اخر ياتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغى لذى الوجهين ان يكون اميناً عند الله تعالى ترات فى التوراة تطلب الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين

وقال مالك بن دينار

مختلفتين

مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين وقال عليه السلام أبغض خليقة الله تعالى اليه يوم القيامة الكذابون والمنكرون والذين يكثرون البغضا لاخوانهم فى صدورهم فاذا القوم تخلفوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا نوابطا واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال بن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال تجرى مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقات الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهى من جملتها ووى ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه حذيفه فقال عمر رض الله عنه يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلى عليه فقال يا امير المومنين انه منهم قال عمر انشدتك الله وانا منهم ارلا قال اللهم لا ولا اؤمن منها احدا بعدك **فان قلت** فما اد يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهى الى حد الاخوة اذ لو تحقق الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه فى كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد على جهته الى الاخر فهو نمام ذو لسانين وذلك شر من النميمة اد يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين الى الاخر فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بان ينصره وكذلك اذا اثنى على كل واحد منهما فى معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده بدته فهو ذو لسانين بل ينبغى ان يسكت او يثنى على المحق من المتعاديين او يثنى فى حضوره وفى غيبته وبين يدى عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق بها كان مستغنيا عن الدخول الى الامير وعن الثنا عليه فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل خاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذى احوج نفسه اليه فان كان يستغنى عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى فاثنى فهو منافق وهذا معنى قوله عليه السلام حب المال والجاه ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامرا والى مراعاتهم والى مداياتهم فاما اذا ابتلى به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقا الشر جاز قال ابو الدرداء انا لنكشر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت عايشه استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

ايذنوا له فبيس رجل العشيره فلما دخل عليه ألان له الكلام والقول فلما خرج قلت يا رسول الله
قد قلت بيس رجل العشيره ثم ألنت له القول فقال عليه السلام يا عايشه ان شر الناس الذي يكرم
لاتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال عليه والتبسم فاما الثنا فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة
واكراه يباح الكذب بسببه ويباح به افة الكذب كما ذكرناه بل لا يجوز الثنا ولا التصديق ولا تحريك
الراس في معرض التصديق على كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر
فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الافة الثامنة عشر المدح** وهو منهي عنه في بعض المواضع
اما الذم فهو الغيبة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخل ست أفات أربع في المادح واثنان في الممدوح
اما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح اماما او واحدا بما
ليس فيه على روس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يعثر بلسانه **الثانية** انه قد يدخله الريا
لانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا
الثالثه انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح ثم قال عليه السلام ان كان لا
بد لأحدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا احسبه الله ان كان يرى انه كذلك
وهذه الافة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله انه متقي وورع وزاهد
وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن
ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنه
وسمع عمر رجلا يثني على رجل فقال أسافرت معه قال لا قال أخالطته في المبايعة والمعاملة قال لا
قال فانت جاره صباحه ومساءه قال لا قال والله الذي لا اله الا هو ما تعرفه **الرابعة** قد يفرح الممدوح
وهو ظالم او فاسق وذلك غير جايز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح
الفاسق وقال الحسن من دعا الظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله تعالى في الارض فالظالم الفاسق
ينبغي ان يذم ولا يمدح ليفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه تحدث فيه اعجابا وكبرا
وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ أقبل
الجارود فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعه عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه
بالدرة فقال مالي ولك يا امير المومنين قال مالي ولك ولقد سمعتها قال اما لقد سمعتها في فمي
لا في راسي وقلبي قال خشيت ان تخالط قلبك منها شئ فاحببت ان أطاطي منك الثانية هو انه

اذا اثني عليه

اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورض عن نفسه ذلك ومن اعجب بنفسه قل تشميره وانما يتشمر للعمل
من يري نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسن بالثنا عليه ظن انه قد ادرك الغرض ولقد قال النبي عليه السلام
لذلك المادح قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت اخاك في وجهه
فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال صلى الله عليه وسلم لمن مدح رجلا عقرت الرجل
عقرك الله تعالى وقال مطرف ما سمعت ثنا أو مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم
ليس احد يسمع ثنا عليه او مدحة الا ترأى له شيطان ولكن المومن يراجع قال ابن المبارك لقد صدق
كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله
عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال
عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل لان المدح يوجب
الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب وهو لذلك مهلك كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم
المدح عن هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك
اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين
لرجح وقال لعمر لولم أبعث لبعثت يا عمر وايّ شئ يزيد على هذا ولكنه قال عليه السلام عن صدق
وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا او فتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح
لما فيه من الكبر والتفاخر وقال عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول هذا تفاخرا
كما يقصده الناس بالثنا على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله تعالى وبقربه من الله لا بكونه مقدما
على ولد آدم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على
بعض رعاياه وبتفصيل هذه الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال عليه السلام
وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم لجلساء من الملايكة فاذا ذكره اخاه المسلم
بخير قالت الملايكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملايكة يا ابن آدم المستور عورته ارجع على
نفسك واحمد الله تعالى اذ ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان ما على الممدوح**
اعلم ان على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن أفة الكبر والعجب وأفة الفتور ولا ينجو عنه
الا من يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقايق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه مالا
يعرف المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه
ان يظهر كراهيته المدح بادلال المادح واليه الاشارة بقوله عليه السلام احثوا التراب في وجوه

المدّاحين قال سفيان بن عيينه لايضرّ المدح من عرف نفسه واثنى على رجل من الصالحين فقال اللهم
ان هو لا يعرفني وانت تعرفني وقال اخر لمّا اثنى عليه اللهم ان عبدك هذا تقرّب الي بمقتك
وانا اشهدك على مقته وقال علي كرم الله وجهه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني بما يقولون
واجعلني خيرًا مما يظنون وروي عن ابي بكر رضي الله عنه مثل ذلك واثنى رجل على عمر رضي الله عنه
فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي كرم الله وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه
فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك **الآفة التاسعة عشر في الغفلة**
عن دقايق الخطا في خبوي الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر
على تقويم اللفظ في امور الدين الا العالم الفصيح فمن قصّر في علم او فصاحة لم تخل كلامه عن الزلل
لكن الله يعفو عنه لحلمه ومثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما
شاء الله تعالى وشئت ولكن يقل ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكًا وتسويةً
وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه في بعض
الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتني لله عدلًا بل ما شاء الله وحده وخطب رجلٌ
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوي فكره عليه السلام قوله ومن يعصهما
لانه تسويةٌ وحثّ وكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول
اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله تعالى ثم فلان ولا يقول لولا الله تعالى وفلان وكره بعضهم
ان يقول اعتقنا من النار وقال العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون
من النار وقال رجل اللهم اجعلني من تصيبه شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة ان الله
تعالى يغني المومنين عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون شفاعته للذنبين من المسلمين
وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة حمارًا رايتني خلقته او
خنزيرا خلقته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلمه يقول لولاه لسرقنا
وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر رضي الله عنه
ما حلفت بها منذ سمعت ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبّوا العنب الكرم انما
الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم
عبدي امتي كلكم عبيد الله وكل نسايكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي

ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي وكلكم عبيد الله والرب الله الواحد عز وجل
وقال عليه السلام لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكون سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال عليه السلام
من قال انا بريء من الاسلام فان كان كاذبًا فهو كما قال وان كان صادقًا فلن يرجع الى الاسلام سالمًا
وهذا وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تأمل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا
اطلق لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله عليه السلام حيث قال من صمت نجا الان هذه الآفات كلها
مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسانٌ
فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة في الدمة ويقلل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع
جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فتسلم
فالسلامة احدى العنيمتين **الآفة العشرون سؤال العامة عن صفات الله تعالى**
وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القران الا ان
ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بالخوض في العلم اذ الشيطان
يخيل اليه انه من العلما واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفرٌ وهو لا يدري
وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي اسلم له من ان يتكلم في العلم لاسيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما
شان العوام الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث
وسوالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون
لخطر الكفر وهو كسؤال سياسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب العقوبة وكل من سال
عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذمومٌ فانه بالاضافة اليه عامي ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على
انبيايهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم وقال انس سال الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال عليه السلام
سلوني فلا تسالوني عن شي الا نبأتكم به فقام رجل فقال يا رسول الله من ابي فقال عليه السلام
ابوك حذافه فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه
فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني الجنة انا او في النار فقال عليه السلام لا بل في النار فلما راى الناس
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربًا وبالاسلام
دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولًا فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى النبي

عليه السلام عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السوال وقال عليه السلام يوشك الناس يتسالون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله تعالى الخلق فمن خلق الله تعالى الله علوًا كبيرًا فاذا قالوا ذلك فقولوا قل هو الله احد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثًا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت اية التلاعن الا لكثرة السوال وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه عن المنع من السوال قبل أوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر وقال لا تواخذني بما نسيت الاية فلما لم يصبر حتى سال ثلثًا قال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال العوام عن عوامض الدين من اعظم الافات وهو من المثيرات للفتن فيجب ذمهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القران يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك كتابًا رسم له فيها امورًا فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق ام حديث فاستحق بذلك العقوبة لا محالة وكذلك تضييع العامي حدود القران واشتغاله بحروفه اهي قديمة ام حديثة وكذلك سايرالصفات هذا اخر كتاب افات اللسان ويتلوه كتاب افة الغضب والحقد والحسد بعون الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كتاب أفة الغضب والحقد والحسد

وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين نفع الله به

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم زينا بالحلم

الحمد لله الذي يتوكل على عفوه ورحمته الراجون ويحذر سوء غضبه وسطوته الخايفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وأسرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفزهم بالمكاره والدرات واملا لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به ختمهم ليعلم صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون ويعلنون وحذرهم بان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون فقال سبحانه وتعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهليهم يرجعون والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوايه النبيون والمرسلون وعلى اله واصحابه الذين هم الائمة المهديون والسادة المرضيون صلاة يواري عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والاخرون وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع على الافيدة وانها لمستكنة في طي الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار

عند

عند ما يستخرج الجمر النار من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان الرجيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا كان الحقد والحسد والغضب ما يسوق العبد الى سواء العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويبطبه من القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقضيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب وتحتها **بيان** ذم الغضب **ثم بيان** حقيقة الغضب واسبابه **ثم بيان** ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا **ثم بيان** الاسباب المهيجة للغضب **ثم بيان** علاج الغضب بعد هيجانه **ثم بيان** فضيلة كظم الغيظ **ثم بيان** فضيلة الحلم **ثم بيان** القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام **ثم القول** في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق **ثم القول** في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغاية الواجب في ازالته **ثم بيان** السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبين العم والاقارب وتاكده وقلته في غيره وضعفه **ثم بيان** الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب **ثم بيان** القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب **بيان ذم الغضب** قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الاية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انعم عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل فقال عليه السلام لا تغضب فراعاد فقال عليه السلام لا تغضب وقال بن عمر قلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله قال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الي ان لا تغضب وعن عبد الله بن عمر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا ينقذني من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقال بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فينا قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد الصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم

من ملك غضبه ستر الله عورته وقال سليمان بن داود عليهما السلام يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف قلب الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنه فقال عليه السلام لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليهما السلام لا تغضب قال يا أخي لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال لا لقيتني بالا قال هذا عسى ان شا الله وقال النبي عليه السلام الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال عليه السلام ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال له رجل اي شي اشد فقال عليه السلام غضب الله تعالى قال فما ينقذني من غضب الله تعالى قال لا تغضب

الاثار

قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وتبت بوشك ان تتوب وتبة تنقع في النار وعن ذي القرنين قال لقيت ملكا من الملايكه فقلت علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا فقال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤده واياك والعجله فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا ليبا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجاه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان دهبت ندمت فلم يلتفت اليه فقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا بالعباده والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جيتنا اليوم لغير ذلك لم نقبله منك فقال انه الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطعك فحسبك لتسالني عما شئت فاخبرك فقال ما اريد ان اسالك عن شي قال فوالى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون لك عليهم قال الحده ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكره وقال خيثمة الشيطان يقول وكيف يغلبني ابن ادم واذا رضيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر الصادق رضي الله عنه وعن ابائه الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحده وقايده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه قال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو ادم فلن يعجزوني في ثلث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامه فقدناه حيث شينا وعلمنا بما احتنا واذا اغضب قال بما لا يعلم وعمل ما يندم عليه ونحيل لما في يديه ونسيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما املك فلانا لنفسه قال اذا لا يذله الشهوه ولا يصرعه الهوي ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم اياك والغضب فانه يصيرك الى ذل الاعتذار وقيل

اتقوا

اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما ينال مني غدا والله لا كان ذلك ابدا اذهب فقد عفوت عنك وقال بعضهم لابنه يا بني لا يتبث العقل عند الغضب كما لا يتبت روح الحي في الثنايير المشجوره قال الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للاخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل وكان عمر اذا خطب قال في خطبته انلح منكم من خفظ الهوي والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاداه الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وقصد في غنا وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحميه ولا يغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخف حرص ولا يقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في غنا والناس منه في رخاء وقيل لابن المبارك اجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال نبي من الانبيا لمن معه من يتكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي في الجنه ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد القول فقال الشاب انا ووفا به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه كفل بالغضب ووفا به وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والحرق والطمع

بيان حقيقة الغضب

اعلم ان الله لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموان باسباب في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة فلا تزال الحراره تحلل الرطوبه وتجففها وتبخرها حتى يعشى اجزاءها بخارا تتصاعد منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذا يتخير ما يحل ويخرج من اجزايها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى الغذا الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذا كالموكل به في جبرما انكسر وسد ما ايتلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك هذا السبب

واما الاسباب الخارجه التى يتعرض له الانسان فكالسيف والسنان وساير المهلكات التى يقصدها
فافتقر الى قوة وحيةٍ يثور من باطنه فيدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه فى الانسان
وعجنه بطينته منها قصد فى غرض من اغراضه ومقصودٍ من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت
ثورانًا يغلى به دمُ القلب وينتشر فى العروق وترتفع الى اعالى البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع
الماء الذى يُغلى على النار فى القدر فلذلك ينصبُّ الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفايها
تحكى لون ما وراها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها وانما ينتشط الدم اذا غضب على من دونه
واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه يأسٌ من الانتقام تولد منه انقباض
الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حُرنًا ولذلك يصفرُّ اللون وان كان على تطيرٍ يشك فيه
تولد منه تردد الدم بين انقباضٍ وانبساطٍ فيحمرُّ ويصفرُّ ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب
محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام وانما توجه هذه القوة عند ثورانها الى
دفع الموذيات قبل وقوعها والى التشفى والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها
وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم الناس فى هذه القوة على درجاتٍ ثلثٍ فى اول الفطرة من التفريط
والافراط والاعتدال اما التفريط فيفقد هذه القوة او ضعفها وذلك هو مذمومٌ وهو الذى يقال
فيه انه لا حمية له وكذلك قال الشافعى رضى الله عنه من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى
فلم يرض فهو شيطان فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلًا فهو ناقص جدًا وقد وصف الله تعالى
الصحابة بالشدة والحمية فقال عز اسمه اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى لنبيه جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية وهو الغضب وانما
الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه
بصيرةٌ ونظرٌ وفكرٌ ولا اختيارٌ بل يصير فى صورة المضطر وسبب غلبته امورٌ غريزيه وامورٌ
اعتياديه فرب انسان هو بالفطرة مستعدٌ لسرعة الغضب حتى كان صورية فى الفطرة صورة
غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم فبرودة
المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتياديه فهو ان يخالط قومًا يتحدون بتشفى
الغيظ وطاعة الغضب ويستمون ذلك شجاعةً ورجوليه فيقول الواحد منهم انا الذى لا اصبر على
المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره فى معرض الفخر لجهله فمن سمعه ينتزع
فى نفسه حس الغضب وحس التشبه بالقوم فيقوى به الغضب وربما اشتدت نار الغضب وقوى

اصطرابها

وقوى اضطرابها اعمت صاحبها واصمته عن كل موعظةٍ فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضبًا فان
استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفى نور العقل ويتمحى فى الحال بدخان الغضب فان
معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخانٌ الى الدماغ يظلم ويستولى
على معادن الفكر وربما يتعدى الى معادن الحس فتظلم عينه فلا يرى بعينه شيأ وتسودُّ عليه الدنيا
باسرها ويكون دماغه مثل كهفٍ أُضرمت فيه نارٌ فاسودَّ جوّه وحمى مستقره وامتلأ بالدخان
حيوانه وكان فيه سراجٌ ضعيفٌ فانطفى وانمحى نوره فلا يثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلمة ولا يرى
فيه صوره ولا يقدر على اطفايه لا من داخلٍ ولا من خارجٍ بل ينبغى الى ان يصبر الى ان يحترق جميع
ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الغضب
التى فيها حياة القلب فيموت صاحبه غيظًا كما تقوى النار فى الكهف فيتشقق وينهدُّ اعاليه
على اسافله وذلك لابطال النار ما فى جوانبه من القوة الممكنة الجامعة لاجزايه فهكذا حال
القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة فى ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح فى لجة البحر احسن
حالًا وارجى سلامه من النفس المضطربة غيظًا اذ فى السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر
لها ويسويها واما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن
آثار هذا الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب
والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وحمرة الاحداق وتقلب
المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته لسكن غيظه
حياءً من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن
وانما قبحت صورة الباطن اولًا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيًا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن
فقس المثمر بالثمره فهذا اثره فى الجسد واما اثره فى اللسان فانطلاقه بالشتم والقبح وفحش
الكلام الذى يستحى منه ذوو العقول وقايله يستحى منه عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضا فبالضرب والتهجم بالقتل والجرح عند التمكن من غير
مبالاة وتمزيق الثياب فان هرب منه المغضوب عليه اوفاته بشهقةٍ وعجز عن الشفى رجع الغضب
على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه ويضرب راسه على الارض او يده ويعدو اعدو العوالو
السكران والمدهوش المتحير وربما سقط سريعًا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب وبعتريه
مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيكسر القصعة مثلًا والعضارة والمايدة ويتعاطى

اوفاته بسبب وعجز

افعال المجانين ويشتم الحمار والحيوان والبغل ويخاطبه بالشتم ويقول الى متى منك يا كيت وكيت
كانه يخاطب عاقلا حتى انه ربما رفسته دابة فيرفس الدابه ويقابلها بذلك واما اثره في القلب مع
المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على
افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط فاما ثمرته
الحميدة الضعيفة فقلة الالفة فيما يالف منه من التعريض للحرم والزوجة والأم واحتمال الذل
من الاختة وصغر النفس من الحماة وهو ايضا مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو صفة
خنوثة قال عليه السلام ان سعد الغيور وانا اغير من سعد والله أغير مني وانما خلقت الغيرة
لحفظ الانسان ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة
في رجالها وضعت الصيانة في نسايها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات
وقد قال عليه السلام خيار امتي احداوها يعني في الدين وقال تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في
دين الله بل ان فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة
حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخبيثة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود تغلب
يقتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث يجب الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد
الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى الفتور حتى احتشم من نفسه بضعف الغيرة
وخشة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله ينبغي ان يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن
مال غضبه الى الافراط حتى جرّه الى التهور واقتحام الفواحش ينبغي ان يعالج نفسه ليخرج
من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر
واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل الآية فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان يترك
الشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب
ودرجاته

بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا

اعلم انه ظن ظانون انه يتصور كسر الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة انما تتوجه واياه يقصد
وظن آخرون انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير
وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيا ويكره شيا فلا يخلو عن الغضب

والغضب ومادام يوافقه شي ويخالفه اخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يسمع
ذلك فانه سببها اخذ منه محبوبه عضب لا محاله واذا قصد بسكره غضب لا محاله الا ان ما يحبه الانسان
ينقسم الى ثلثة اقسام **الاول** ما هو ضرورة في حق الكافه وهو القوت والمسكن والملبس وصحة
البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر به
عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو يعيشه فهذه الضرورات
لا يخلو الانسان عن كراهية زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها **القسم الثاني** ما ليس
ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبه
بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب
على من يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس ما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل
الغيظ عليه فاما اذا كانت له دار زايدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب ويجوز ان يكون
بصيرا بامور الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب
وجودها لغضب على الضرورة باخذها والكثير غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت
والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب اذا زاحم مزاحم على
الصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك لا يبالي ولو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه
وهذه العادات الرديئة هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه فاكثرت غضبه وكلما كانت الارادات
والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان الحاجة صفة نقص فيها كثرت كثر النقص
والجاهل ابدا اجهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه يستكثر من اسباب الغم
والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرنا السوء الى ان يغضب لو قيل انه لا
يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري
مجراه من هذه الرذايل فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري **القسم الثالث**
ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب
على من يحرقه ويخرقه ويغرقه وكذلك لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان
هذه الامور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار ادوات الصناعات في حق المكتسب
الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله

من اصبح آمنًا في سربه معافًا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرًا
بحقايق الامور وسلم له هذه الثلث يتصور ان لا يغضب في غير ها فهذه ثلثة اقسام فلنذكر غاية الرياضة
في كل واحد منها **اما القسم الاول** فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر علي
ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حدٍ يستحسنه الشرع ويستحسنه العقل وذلك
ممكن بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال حتى يصير الحلم والاحتمال خلقًا له راسخًا فاما قمع اصل
الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن نعم يمكن كسر صورته وتضعيفه حتى لا يشتد
هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الي ان لا يظهر أثره في الوجه و لكن ذلك شديد جدًا
وهذا حكم القسم الثالث ايضًا لان ما صار ضروريًا في حق شخصٍ فلا يمنعه من الغيظ استغناءً في
غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العلة وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه
اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم ان الانسان وطنه القبر ومستقره الاخرة وانا الدنيا
معبرٌ يعبر عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبالٌ في وطنه ومستقره فيزهد
في الدنيا وينمحي حبها من قلبه ولو كان للانسان لا نحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب نتيجة
الحب فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادرٌ جدًا وقد ينتهي الى المنع من
استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون **فان قلت** الضروري من القسم الاول انما لم
يقوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له شاة مثلًا وهي قوته فماتت لا يغضب على احدٍ وان كان
تحصل فيه كراهة تليس من ضرورة كل كراهةٍ غضبٌ فالانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على
الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يري الاشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على احدٍ من
خلقه اذ رأهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب
على القلم فلا يغضب على من ذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يري الموت والذبح
من الله تعالى فيدفع الغضب بغلبة التوحيد ويدفع ايضًا بحسن الظن بالله وهو ان يرى الكل
من الله تعالى وان الله تعالى لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في الجوع ومرضه وجرحه
وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يري ان الخيرة فيه فنقول هذا على هذا الوجه
غير محالٍ ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوالٍ مختطفةٍ
ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعًا طبيعيًا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك
ذلك علي الدوام لبشرٍ لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يغضب حتى تحمر وجناه حتى

قال عليه السلام

قال عليه السلام اللهم انما انا بشرٌ اغضب كما يغضب البشر فايما سببته او لعنته او ضربته فاجعلها
منى صلاةً عليه وزكاةً وقربةً عليه تقربه اليك يوم القيامة قال عبد الله بن عمر يا رسول الله أكتب
عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي بعثني بالحق نبيًا ما يخرج منه الا
الحق وأشار الى لسانه فلم يقل عليه السلام اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل
بموجب الغضب وغضبت عايشة مرةً فقال مالك جاء شيطانك فقالت ومالك يا رسول الله شيطان
فقال عليه السلام بلي ولكن دعوت الله تعالى فاعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير ولم يقل عليه السلام
لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا تحملني على الشر وقال علي كرم الله وجهه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضب الحق لم يعرفه احدٌ ولم يقم بغضبه شيء حتى ينتصر له
فكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفاتٌ الى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من يأخذ
ضرورةً قوته وحاجته التي لا بدّ له في دينه منها فانما غضب لله تعالى فلا يمكنه الانفكاك عنه نعم قد
يفتقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولًا بضروريٍ اهم منه فلا يكون في القلب متسع
للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا
كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني فانا شرٌ مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول
فقد كان همه مصروفًا الى الاخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال للشاتم يا هذا
قد سمع الله تعالى كلامك وان دون الجنة عقبةً كؤودًا ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها
فانا شرٌ مما تقول وسبّ رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ساءك الله عنك اكثر فكانه كان مشغولًا
بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم يغضب بسبة غيره اياه
الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره قالت امرأة لمالك بن دينار
يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولًا بان ينفي عن نفسه أفة الرياء ومنكرًا على نفسه
ما يلقيه اليه الشيطان فلم يغضب لما نسب اليه وسبّ رجل الشعبي فقال ان كنت صادقًا فغفر الله لي
وان كنت كاذبًا فغفر الله لك فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم
بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان
هو الاغلب على قلوبهم فاذًا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات
بعض المحاب فاذًا يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهمٍ او بغلبة نظر التوحيد او بسببٍ ثالثٍ
وهو ان يعلم ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاظ فيطفي شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال

في احوال نادره وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب نحو حب الدنيا عن القلب
وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوايلها كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب المرايا عن القلب
تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه
ويهون دفعه **بيان الاسباب المهيجة للغضب** قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها
وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسباب الغضب وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شئ اشد قال
غضب الله تعالى قال فما يقرب من غضب الله تعالى قال ان تغضب قال فما يديم الغضب وما يثبته
قال عيسى عليه السلام الكبر والفخر والتعزز والحمية فالاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب
والمزح والهزل والتعيير والمراء والمعاداة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي
باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلا بد من ازالة
هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفة نفسك كما
سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك وقد قيل في المعنى

الناس كلهم بنو الاب آدم ٠ وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا

فبنو آدم جنس واحد وانما الفخر بالفضايل والفخر والعجب اكبر الرذايل وهي رؤسها واصلها فاذا المر
تخلص عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة
والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفت ذلك
واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضايل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة
الاخرة واما الهزؤ فتزيله بالكرم من ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزأ بك واما التعيير
فالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على مزايا العيش فبترك
القناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغنا وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة
من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوايلها
لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المباشرة على مواظبة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالممارسة
ملكة هنية على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت ايضا
عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة
ورجولية وعزة نفس وكبرهة وتلقيبه بالالقاب المحمودة عباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه
ويستحسنه وقد ذكرنا كذلك حكاية نشدة الغضب عن الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مايلة

الى التشم

الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه ويسمي هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو
مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه لضعف النفس ان المريض اضعف
قلبا واسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل وكذلك الصبي والشيخ الضعيف اسرع غضبا
من الكهل وذو الخلق السيي والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضايل فالرذل يغضب لشهوته
اذا فاتته اللقمة والبخيل اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند
الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي
ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك
كان ذلك منقولا عن الانبياء والحكما والعلما واكابر الملوك والفضلا وضد ذلك منقول عن الاراذل والاتراك
والاكراد والجهلة والاغبيا الذين لا عقل لهم ولا فضل **بيان علاج الغضب بعد هيجانه**
اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيج فعند
يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون
العلم والعمل اما العلم فهو ستة امور **الامر الاول** ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم
الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي
والانتقام وينطفي غيظه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وامر بضربه
فقلت يا امير المومنين نالتفت الي فقران حد العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان يتامل
الآية وكان وقافا على كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر ثم خلى الرجل وامر عمر
بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى والكاظمين الغيظ وقال لغلامه خل عنه **الامر الثاني**
ان يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله تعالى علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان
فلو امضيت غضبي عليه فربما امن ان يمضي الله تعالى غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو
وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك
فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال لولا القصاص
لاوجعتك ضربا اي القصاص في القيامة وقيل بما كان في بني اسرايل ملكا الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه
رقعة وفيها ارحم ترحم ارحم المسكين واخشى الموت واذكر الاخرة وكان يقراها فيسكن غضبه
الامر الثالث ان يحذر لنفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشهير العدو لمقابلته والسعي في هدم
اغراضه والشماتة بمصايبه وهو لا يخلو عن المصايب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا

تخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه لانه
مترد على حظوظه العاجلة تقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره ان يتشوش عليه في الدنيا
فراعته للعلم والعمل وما يعينه على الاخرة فيكون مثابا عليه **الامر الرابع** ان يتفكر في قبح صورته
عند غضبه بان يذكر صورة غيره حال الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب
الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبيا والعلما والحكما ويخبر نفسه
بين ان يشبه الكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يشبه الانبيا والعلما والصالحين وعبادتهم يميل نفسه
الى حب هولا الكبرا والاقتدا بهم ان كان قد بقي معه مسكة من عقل **الامر الخامس** ان يتفكر في
السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولابد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له
ان هذا الحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه يا
ما اجهلك يا نفس تأنفين من الاحتمال ولا تأنفين من حزي يوم القيامة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك
وانتقم منك وانت تحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا تحذرين من ان تصغر بين عند الله تعالى
والملايكة والنبيين بانتقامك من هذا فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظه لله تعالى ولعظمته عز وجل وجلاله
فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة اشد من ذله لو انتقم الآن فلا يحب ان يكون هو القايم اذا
نودي يوم القيامة ليقم من اجره على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا عن حق فهذا وامثاله من معارف الايمان
ينبغي ان يقرره على قلبه **الامر السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشر على وفق
مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون
غضب الله تعالى عليه اعظم من غضبه واما العلاج فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغيظ وكان عليه السلام اذا غضبت عايشة
رضي الله عنها أخذ بأنفها وقال يا عويش قولي اللهم رب محمد النبي اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي
واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان لم يزل ذلك فان كنت قايما فاجلس ان كنت جالسا
فاضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالاضطجاع والجلوس
السكون فان سبب الغيظ الحراره وسبب الحراره الحركه وقد قال عليه السلام ان الغضب جمرة توقد في
القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيأ فان كان قايما فليجلس
وان كان جالسا فليتم فان لم يزل ذلك فليتوضا بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء وقد قال
عليه السلام اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان

وان الشيطان

وان الشيطان خلق من النار وانما تطفى النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا وقال بن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري
قال صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب جمرة في قلب بن ادم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه
فمن وجد من ذلك شيأ فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضا من ادل
المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزيل به العزه والزهو الذي سبب الغضب وروي
ان عمر رضي الله عنه غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب
وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي اني اولي قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السما فوقك
والارض تحتك ثم اعظم خالقها وروي ان ابا ذر رضي الله عنه قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمرا
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اباذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال نعم
فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا اباذر ادفع راسك فانظر ثم اعلم بانك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال
اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكي وان كنت متكيا فاضطجع وقال المعتمر بن سليمان
كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب له ثلث صحايف واعطى كل صحيفة رجلا وقال
للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن اذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث
اذا سكن غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت وهذا
الغضب انك لست بالهٍ انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض غضبه فاعطى الثانية
وفيها ارحم من في الارض يرحمك من في السما ثم اعطى الثالثة وفيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم
الا ذاك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شيبة لا تغضب لله بما شد من غضبه لنفسه
فقال خلوا سبيله **بيان فضيلة كظم الغيظ** قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ذكره الله تعالى
في معرض المدح وقال عليه السلام من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره
ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال عليه السلام اشدكم من غلب نفسه عند الغضب واحلمكم من عفى
عند القدرة وقال عليه السلام من كظم غيظا ولو شا ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيامة رضا وفي
رواية ملا الله عليه امنا وايمانا وقال بن عمر قال صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من
جرعة غيظ كظمها ابتغا وجه الله تعالى وقال بن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جهنم بابا

لا يغضب الله

لا يدخله الامن شفا غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تعالى
من جرعة غيظ يكظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه
دعاه الله على رؤوس الخلايق يخيره من اى الحور شا **واما الاثار** قال عمر رض الله عنه من اتقى الله لم يشف
غيظه ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال لقمان لابنه يا بني
لا تذهب مالك وجهد بالمسئلة ولا تشف غيظك بفيضحك واعرف قدرك ينفعك معيشتك وقال ايوب حلم
ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع التوري وابو خزيمة اليربوعي والفضيل فتذاكروا الزهد فاجمعوا
على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر رض الله عنه والله ما تقضي
بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين الم تسمع
الى قول الله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال لعمر صدقت
فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه فقد استكمل الايمان بالله تعالى ادا رض لم يدخله
رضاه في الباطل واذا غضب لم تخرجه غضبه من الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجا رجل الى
سليمان فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

بيان فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي
تكلف الحلم فلا تحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه وتحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود
ذلك مدة صار اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظم تعب وهو الحلم الطبيعي وهو
دلالة كمال العقل واستيلاؤه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم
وكظم الغيظ تكلفا وقال عليه السلام انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق
الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه
التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم
ليّنوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلما فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا
الى ان التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعايه اللهم اغنني بالعلم
وزينني بالحلم وكرمني بالتقوى وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابغوني الرفعة عند الله قالوا وما الرفعة يا رسول الله فقال عليه السلام تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتحلم عمن ظلمك او جهل عليك وقال عليه السلام خمس من سنن المرسلين الحيا والحلم والحجامة والسواك
والتعطر وقال علي كرم الله وجهه قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة

وما كظمها عبد

العليم

الصايم القايم وانه ليكتب جبارا عنيدا وما يهلك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا
رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي واحلم عنهم فقال
عليه السلام لين كان كما تقول فكانما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملّ
يعني به الرّمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فاتبما رجل أصاب من
عرض شيأ فهو عليه صدقة فاوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له بذلك وقال عليه السلام
ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمض قالوا وما ابو ضمض يا رسول الله قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح
يقول اللهم اني اتصدق اليوم بعرضي على من ظلمني وقيل في تفسير قوله تعالى ربانيين اي حلما علما
وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال
عطا بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما قال ابن ابي حبيب في قوله تعالى وكهلا قال
الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد اذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن
مسعود رض الله عنه مر بلغو معرضا فقال عليه السلام اصبح ابن مسعود واسيي كريما ثم تلى ابراهيم
بن مسيرة وهو الراوي واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا
أدركه زمانا لا يتبعون فيه العلم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب الجم والسنتهم
السنة العرب وقال عليه السلام ليليني منكم ذوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروي انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم الاشج
فناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين خشنين فلبسهما
وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله تعالى ورسوله قال وما هما بابي انت وامي يا
رسول الله فقال عليه السلام الحلم والاناة قال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلت عليهما فقال
عليه السلام بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله
وقال عليه السلام ان الله تعالى يحب الحليم الحيي العفيف المتعفف ويبغض الفاحش البذي السايل الملحف
وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله
تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال صلى الله عليه
وسلم اذا جمع الخلايق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فيتطلقون
سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملايكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل

تسفهم

استلمني

الاشج

ابغوني

ومن يتولى الله يسنع ومن لا يسأل الله يفتقر ومن لا يتكل على الله يخذل ومن يستعين بالله ولا
يستعين بغيره يطفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء فقال وانت إذاً على أكرم
من نفسي اني اذا فعلت ذلك فقد اهديت اليك حسناتي وقال رجل لبعض الحكماء اسبك سبًا يدخل
معك في قبرك فقال معك يدخل لا معي وقال بعض العلماء الحلم أرفع من العقل لان الله تعالى تسمّى به ومرّ
عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرًا فقال لهم خيرًا فقيل له انهم يقولون شرًا وانت تقول
خيرًا فقال عليه السلام كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمان عليه السلام ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة
لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخاك الا عند حاجتك اليه ودخل على حكيم
صديق له فقدم اليه الطعام فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المايده واقبلت على شتم
الحكيم فخرج الرجل مغضبًا فتبعه الحكيم وقال تذكر يومًا ما كنا في منزلك نطعم فتسقط دجاجه
على المايده وافسدت ما عليها فلم يغضب احدنا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسرّ
عنه وانصرف وقال صدق الحكيم شفا من كل ألم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في
ذلك فقال أتيته مقام حجر تعثرت به فوقعت وربحت الغضب وقال محمود الوراق في معنا ه

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت مني علي الجرايم
وما الناس الا واحد من ثلثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ... واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ... إجابته عرضي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل او هفى ... تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله ولا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا
مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا سايرالمعاصي وانما القصاص والغرامة
على ما ورد الشرع به وفصلنا ه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله لقوله صلى الله عليه وسلم
إن امرؤ عيّرك بما فيك فلا تعيّره بما فيه وقال عليه السلام المستبّان شيطانان يتهاتران
وشتم رجل ابا بكر رضي الله عنه وهو ساكت فلما انتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انك كنت جالسًا ساكتًا لما شتمني فلما انتصرت منه قمت فقال عليه السلام لان الملك
كان يجيب عنك فلما انتصرت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن اجلس في مجلس فيه الشيطان

فيقولون ما كان فضلك فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسي الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا
فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الاثار** قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم
السكينه والحلم وقال علي كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك
ويعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال
الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ادركت الناس وَرَعًا لا يسئول فيه فاصبحوا شوكًا لا ورق فيه ان فقدتهم
فقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تغرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال علي كرم الله
وجهه ان اول غرض الحليم من حلمه ان الناس كلهم انصاره واعوانه على الجاهل وقال معاويه لا يبلغ
الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال ايضا
لعمرو بن الاهم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح
دينه وقال انس رضي الله عنه في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها
الا الذين صبروا الاية هو الذي يشتم اخوه فيقول ان كنت كاذبًا غفر الله لك وان كنت صادقًا فغفر الله
لي وقال رجل شتمت رجلًا من اهل البصره فحلم عني فاستعبدني بها زمانًا وسب رجل بن عباس فلما فرغ
قال يا عكرمه هل للرجل حاجة نقضيها فنكس الرجل راسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
اشهد انك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك وروي عن زين العابدين رضي الله عنه انه سبّه
رجل فرمي اليه خميصة كانت عليه وأمر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط
الادي وتخليص الرجل مما يبعده عن الله وحمله على الندم والتوبه ورجوعه الى المدح بعد الذم
اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال معاويه لعرابة بن اوس بما شدت قومك يا عرابه
فقال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سايلهم واسعى في حوايجهم فمن فعل فعلي فهو
مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر الصادق رضي الله عنه
انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر وانا اريد اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال لجعفر
انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد رحمة الله عليه من اساء اليك فاحسن اليه تجعل له حاجزًا من قلبه
يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبّه من يرحم
يُرحم ومن يصغ يسلم ومن جهل يُغلب ومن يعجل يخطئ ومن يحترص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المرا
يشتم ومن لا يكره الشتم يأثم ومن يكره الشر يعصم ومن تبع وصية الله تعالى يحفظ ومن يحذر الله يأمن

وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير محمول على التنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود رضي الله عنهما وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن امتك وسئل قوله يا احمق قال لم اطرف فكل الناس احمق فيما بينه وبين الله تعالى الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر رضي الله عنه في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى وكذلك قوله يا جاهل اذا ما من احد الا وفيه جهل فلا أداه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه يا تلأب الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله فيه لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت وخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والكذب والغيبة وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روى انه كان من خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان باثم بعضنا في بعض فلم يسع السوفكيف تجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام ولا هو مثل الحرام كالنسبة الى الزنا والسب والفحش ما روت عايشة رضي الله عنها ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلن الله فاطمة عليها السلام فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلتني ازواجك يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد فقال يا بنية الحبيبة ما أحب قالت نعم فقال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرت بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي تساميني في الحسب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكته أنتظر ان يستاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي عليه السلام كلا انها بنت ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد الفحش من الكلام بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق مثل قولها انا بنت ابي بكر وماله وانت بنت جحش وما ادراك بين وغير ذلك مما يشبه هذا الكلام وقال النبي عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يتعدى المظلوم فانتبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي أباحه هو لا وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق باللسان ولا بعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه لانه ينجر الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على قدر الحق فيه والسكوت على اصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتدا ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفا سريع

الوقود سريع الخمود وبعضهم كالقضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد لينتهي الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي رضي الله عنه من استغضب فلم يغضب واسترضي فلم يرض فهو حمار وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات فمنهم بطيء الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفي الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفي وشرهم السريع الغضب البطيء الفي ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومستوفيا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه ولهذا عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركت قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب ان أضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبني لولا انك اغضبتني لعاقبتك **القول في معنى الحقد ونتايجه وفضيلة العفو والرفق** اعلم ان الغضب اذا الزم كظم المجزع عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقال والبغضة له والعارمنه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر بثمانية امور **الاول** الحسد وهو ان يحاك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت وهذا من افعال المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه **الثاني** ان يزيد على اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلا **الثالث** ان تصرمه وتهاجره وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره **السادس** ان تحاكيه استهزاء به وسخرية فيه **السابع** ايماؤه بالضرب وما يولم بدنه **الثامن** ان تمنعه حقه من حله رحم او قضاء دين او رد مظلمة وكذلك حرام واقل درجات الحقد ان يحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا يخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله تعالى به ولكن يستثقل بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او تترك الدعاء له والثناء عليه او التحريض

على بره ومواساته وهذا كله ما ينقص درجتك في الدين وتحول بينك وبين فضل عظيم وثواب
جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رض الله عنه ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه
لانه تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله
لكم فقال ابو بكر بلى نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه فالاولى ان تنفي ما كان فان امكنه ان يزيد في
الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضايل اعمال
المقربين فللحقود ثلثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة عليه
ولا نقصان وهو العدل والثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث ان يطلبه
بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو
منتهى درجة الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان **فضيلة العدل والاحسان**
اعلم ان معنى العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتبري عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم
الغيظ ولذلك افردناه وقد قال الله تعالى خذ العفو الآية وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا
ولا عفى رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا فتح رجل باب
مسئلة الا فتح عليه باب من فقر وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله عز وجل والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله تعالى والصدقة لا تزيد
المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا
من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك حرمة من محارم الله تعالى فاذا انتهك من محارم الله شئ كان اشدهم
في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن مأثما وقال عقبة بن عامر لقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فجبذته فأخذت بيده او بدني فأخذ بيدي وقال عليه السلام
يا عقبة ألا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وقال عليه السلام قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال عز وجل الذي اذا قدر عفا
وكذلك سئل ابو الدرداء رض الله عنه من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله
عز وجل وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامر النبي عليه السلام ان يجلس واراد
ان يأخذ له بمظلمته فقال عليه السلام ان المظلومين هم المفلحون يوم القيامة فأبى ان ياخذها
حين سمع الحديث وقالت عايشة رض الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه

فقد انتصر

فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيامة نادى
منادٍ من تحت العرش ثلثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله تعالى قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وسعى وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة
فأخذ بعضادتي الباب فقال عليه السلام ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم رحيم حليم
قالوا ذلك ثلثا فقال عليه السلام اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
فخرجوا فكانما نشروا من القبور ودخلوا في الاسلام وقال سهيل بن عمر لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة ووضع يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا
رسول الله نقول خيرا ونظن خيرا أخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال عليه السلام اقول كما
قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى منادٍ ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي
اجره على الله قال العافين عن الناس فقاموا كذا الفا فدخلوها بغير حساب وقال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يوتى بحد الا اقامه والله تعالى عفو يحب
العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الاية وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من جاء
بهن مع ايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من اذى دينا حقيرا
وقرأ في دبر كل صلاة قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله قال ابو بكر واحدهن يا رسول الله
فقال واحدهن **الاثار** قال ابراهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فأرحمه وهذا احسان ورأى العفو
لانه يشغله قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب
وقال بعضهم اذا اراد الله تعالى ان يخفف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز
فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك
من ان تلقاه وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك فان الله يقول
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه
يوم القيامة فليسعك ما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه
فانه اسرع اليه من دعايك عليه الا ان يبادركه بعمل وعمر ان لا يفعل وعن بن عمر عن ابي بكر الصديق
رض الله عنهما بلغنا ان الله عز وجل يأمر منادا يوم القيامة فينادي من كان له عند الله عز وجل شئ فليقم

فيقوم اهل العفو فيكافيهم بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتى النعمان
بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفى عنه والاخر اذنب ذنبا معيرا فاقامه وقال
١٠ يعفو الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ٥ ولقد تعاقب في البسير وليس ذاك بجهلها ٥
١٠ الا يعرف حلمها ويخاف شدة بطشها ٥ وعن ابن المبارك بن فضالة قال اوفدني سوار
بن عبد الله في وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر وكتب عنده اذا اتى برجل فامر بقتله فقلت في
نفسي يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المومنين الا احدثك حديثا سمعته من الحسن
قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم منادي فيقول من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى
فقال والله لسمعته من الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خلوا عنه وقال معاوية عليكم
بالحلم والاحتمال حتى تكدكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا
دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين أكان نبيا فقال لا ولكنه انا اعطي ما
اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا اوعد وفا واذا حدث صدق ولا يجمع من اليوم لغد
وقيل ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر لينتقم ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة
تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتى هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل
يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المومنين قال الله تعالى يوم تاتي كل
نفس تجادل عن نفسها افتجادل الله تعالى ولا تكلم انت كلا فقال هشام ويحك بلى تكلم وروي
ان سارقا دخل على حجاب عمار بن ياسر رضي الله عنه بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعداينا فقال
بل استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيامة وجلس بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع
متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي
فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله علي
أخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حمله جراة على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال العضيل
ما رايت احدا ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت
دنانيرا كانت معه فجعل يبكي فقلت أعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن ابكي لمكثي وايا ه بين
يدي الله تعالى فاشرف عقيل على مثلثي ادخل حجتي فبكاي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا
منزل الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خايف ودخلنا عليه مع الحسن فاكنا

معه

معه الا بمنزلة الغرابيح فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم
له في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير
ما اذا صنع الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كعبه وجعله على خزاين الارض فماذا صنع حين اكل
له امره وجمع له اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم تعرض للحكم بالعفو عن اصحابه
قال الحكم فانا اقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو لم أجد الا ثوبي لواريتكم تحته
وكتب بن المقفع الى صديق له يسأله العفو عن بعض اخوانه فلان هاربٌ من زلته لا عفوك
لا يدنيك ويعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتى عبد الملك باسارى
من الاشعث فقال للحجاب جسوه ما تري قال ان الله تعالى اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما
تحب من العفو فعفى عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فاقبلت عنه فاخذ اخاه فقال
ان جيت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايتك ان جيت بكتاب من امير المومنين تخلي سبيلي
قال نعم قال فان اتيتك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين ابراهيم وموسى عليهما السلام
قوله تعالى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فقال زياد
خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان
فضيلة الرفق اعلم ان الرفق محمود وبضاده العنف المذموم والعنف نتيجة الغضب والفظاظة
والرفق واللين نتيجتا حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة الغضب وقد يكون
سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور
شرة لا يتمرها الا حسن الخلق والحسن الخلق لا يضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظها
على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال
عليه السلام يا عايشة انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم
حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال عليه السلام اذا احب الله تعالى اهل بيت
ادخل عليهم الرفق وقال عليه السلام ان الله تعالى ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله
عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال عليه السلام ان الله تعالى
رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال عليه السلام يا عايشة ارفقي فان الله تعالى اذا
اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق وقال عليه السلام من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال
عليه السلام انما وال ثلاث ورفق رفق به يوم القيامة وقال عليه السلام تدرون من يحرم على النار

كل هين لين سهل قريب وقال عليه السلام الرفق يمن والخرق شوم وقال عليه السلام التأني من الله عز وجل والعجلة من الشيطان وروي أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال عليه السلام اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوي ذلك فانته عنه وعن عايشة رضي الله عنها انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يمينا وشمالا فقال عليه السلام يا عايشة عليك بالرفق فانه لا يدخل في شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه (الاثار) بلغ عمر رضي الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا امرهم ان يوافوه فلما انتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعية ان لنا عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله تعالى ولا اعم من حلم الامام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله تعالى ولا اعم من جهل الامام وخرقه واعلموا انه من يأخذ بالعافية ممن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثمن الحلم وفي الخبر موقوفا او مرفوعا العلم خليل المومن والعقل دليله والحلم وزيره والعمل قيمه والرفق والده واللين اخوه والصبر أمير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل به وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من يقدر على ضرك وقال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا عبد الله قال ان تضع الامور مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق شعر

ووضع الندي في موضع السيف بالعلى ٥ مضر كوضع السيف في موضع الندى

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة والعنف أميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر ولذلك كثر ثناء الشرع في جانب الرفق دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد هكذا قاله عمر بن عبد العزيز وروي ان عمر بن العاص كتب الى معاوية يعاتبه في التأني فكتب اليه معاوية اما بعد فان التنفس في الخير زيادة رشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخاسر من الاناة وان المتئدة مصيب

اوكاد

اوكاد ان يكون مصيبا وان العجل يخطي اوكاد ان يكون مخطأ وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدركه المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا والى جانبها كلمة أليَن منها تجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذن من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انه لا يعطونك بالشدة شيأ الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متأني وليس كل خاطب ليل فهذا انشأ اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواضع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة واشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد

وفي حقيقته وفي اسبابه وفي معالجته وغاية الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل أصيل ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يخفى وقد ورد في ذم الحسد خاصة احاديث كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال عليه السلام في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف أشر وضوءه من لحيته وقد علق نعليه في يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي عليه السلام مثل ذلك فطلع الرجل بعينه وقال الرجل في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني قد تباينت مع ابي كلام لا احب اني فاقسمت اني لا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى يمضي ذلك فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيأ غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم حتى يقوم لصلاة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مضت الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلثا كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما ولّيت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا أجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله تعالى اياه فقال عبد الله هي التي بلغت وهي التي

لا تطيق وقال عليه السلام ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم
بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي روايه ثلث لا
ينجو منهن احد فاثبت في هذه الروايه امكان النجاه وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم
قبلكم الحسد والبغضاء والعيبة وهي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي
نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت
ذلك افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب
القدر وقال عليه السلام انه سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر
والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال
عليه السلام لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وروي ان موسى عليه السلام لما تجلى
الى ربه رأى في ظل العرش رجلا مغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره
باسمه فقال احدثك من عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق
والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط
لقضائي غير راض بقسمتي وقال عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون
ويقتتلون وقال عليه استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال
عليه السلام ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من
فضله وقال عليه ستة يدخلون النار قبل الحساب بسببه قيل يا رسول الله منهم قال الامراء بالجور
والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء
بالحسد **الاثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة كانت هي الحسد حسد ابليس آدم
عليه السلام ان يسجد له فمحل الحسد على المعصية وحكي ان عون بن عبد الله دخل على المفضل
بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اتحفظ بشيء فقال وما داك قال اياك
والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرأ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الى قوله ابى واستكبر
واياك والحرص فانه اخرج آدم عليه السلام من الجنة اسكنه الله تعالى جنة عرضها السموات
والارض يأكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه أكل منها فاخرجه الله منها
ثم قرأ اهبطوا الى آخر الآيات واياك والحسد فانه قتل ابن آدم أخاه حين حسده وقرأ
واتل عليهم نبأ ابني آدم الآيات واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسكت

واذا ذكر

واذا ذكر القدر فاسكت واذا ذكر النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك
فيقوم من عنده الملك ويقول احسن الى المحسن باحسانه فان المسيء سيكفيكه اساءته فحسده رجل
على ذلك المقام والكلام وسعى به الى الملك فقال ان هذا الذي يقوم عندك ويقول ما يقول زعم ان
الملك أنتن فقال الملك وكيف يصح ذلك عندي فقال تدعوه أيها الملك غدا إليك فانه اذا دنا منك
يضع يده على أنفه ليايشم رائحة البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج الرجل من عند الملك ودعا
الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام عند الملك وقال احسن الى المحسن
باحسانه فان المسيء سيكفيكه إساءته فقال له الملك اذن مني فدنا منه ووضع يده على فيه
مخافة ان يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا الا قد صدق وكان الملك
لا يكتب بخطه الا لجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله اذا اتاك كتابي هذا
فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به
فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني فقال هو لك فاخذه ومضى الى العامل
فقال العامل في كتابك أن أذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي والله الله في امري حتى أراجع
الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل الى
الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما صنعت بالكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه
مني فوهبته له فقال انه ذكر انك تزعم اني انتن قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك
وفيك قال اطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت ان تشتمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء
اساءته وقال بن سيرين ما حسدت احدا على شيء من أمور الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف
أحسده على امر الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو
يصير الى النار وقال رجل للحسن هل تحسد المومن قال فما اتاك حتى بنى يعقوب نعم ولكن غمه
في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعده يدا ولسانا وقال ابو الدرداء ما اكثر عبد ذكر الموت الا
قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا
زوالها وقد قيل في ذلك كل العداوة ان ترجى امانتها الا عداوة من عاداك عن حسد
قال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرى وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم
من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذي
اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار

وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا **بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه** اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله تعالى على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احداهما ان تكره تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد كراهية النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه **الحالة الثانية** ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد تخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني وقد قال عليه السلام المومن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حسد وهو حرام بكل حال الا ان يكون نعمة أصابها فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك كراهيتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعم بل من حيث هي آلة الفساد ولواحب فساده لم يغمك تنغصه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله تعالى في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية تزيد على كراهيتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القران بقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة تبتلي زمان وقال عز اسمه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر ان حبهم زوال نعمة الايمان حسدهم وذكر الله حسد اخوة يوسف عليه السلام وعبر عما في قلوبهم بقولهم قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة فلما كرهوا حب ابيه له سآءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه قال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لا يضيق بهم صدورهم فلا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار امر يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فأمرهم ان يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ أراد كل واحد ان يتفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض قال ابن عباس كان اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله والكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا وكانوا ينصرون فلما جاء النبي من ولد اسماعيل عرفوه

وكفروا به بعد معرفتهم اياه فقال تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا قالت صفية بنت حيي للنبي جاء ابي وعمي عندك يوما فقال اي لعمي ما تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى عليه السلام قال فما ترى قال أرى معاداته ايام الحياة فهكذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليس بحرام بل هي انا واجبة وانا مندوب اليها او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة وقال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل ان يأتيا النبي عليه السلام فيسألاه ان يؤمرهما على الصدقة لعلي كرم الله وجهه حين قال لهما علي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما دامك الا منافسنا والله لقد زوجك ابنته فما تفسادذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه اباك فاطمة عليها السلام والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد منهما ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانصاري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم يوته مالا فيقول لو ان لي مال فلان لعملت فيه بعمل فلان فهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يوته علما فهو يخبط في ماله بغير حق ورجل لم يوته الله مالا ولا علما فيقول لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الوزر سواء فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة نيته المعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ماله فاذا لا حرج على من يغبط في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مما لم تجب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم اذا كانت تلك النعمة دينية واجبة كالايمان والصلاة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضايل كالانفاق للاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادته مساواته بالمحسود به في النعمة وليس فيها كراهية النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره

احد الوجهين وهو تحلف نفسه وتحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل وينافض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وها هنا دقيقة غامضة وهو انه اذا أيس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يدرك النقصان اما بان ينال مثل ذلك او بان تزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلف وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فان كان بحيث لو التفت اليه اسرع اليه ودرى الى اختياره يسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان بره التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى بقوله عليه السلام ثلثة لا ينفك المومن عنهن الحسد والظن والطيرة ثم قال عليه السلام وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ واذا ظننت فلا تحقق وان تطيرت فامض وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الاول زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحسد من المنافسة تباخم الحسد الحرام فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر والاحذر الا وهو يرى فوق نفسه من يعارفه واقرانه من يحبان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت فظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو الى مساواته فانه اذا لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى ذلك عنه ما لم يحمله ان شاء الله ويكون كراهية ذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فهي اربعة الاولى ان يحب زوال النعمة منه وان كان ذلك لا ينتقل اليه وهذا غاية الخبث الثانية ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة او ولاية نافذة واسعة تنالها غيره وهو بحيث يكون له مطلوبة تلك النعمة لازوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا ينعم غيره بها الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالث فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض ويسميه

الرتبة

الرتبة الثانية حسدا فيه بخور وتوسع ولكنه مذموم قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم واما تمنيه غير ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافس وان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الان في الحسد المذموم وهو كثير جدا ولكن تحصرجملتها سبعة اسباب العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد الخير له وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب إساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبر ومفاخرة لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون لحب الرياسة التي تتشفى على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل يخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب

السبب الاول العداوة والبغضا

وهذا اشد اسباب الحسد فان من اذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى من نفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحيل ذلك الى كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصاب عدوه بلية فرح فظن انه مكافاه من جهة الله تعالى له على بغضه وانه لاجله اصابته ومهما اصابه نعمة من الله تعالى ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يظهر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي اذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية الشفي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يتسوى عنده سيئته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا ما وصف الله الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ الآيتين وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض وربما يقتضي التنازع والتقاتل واستغراق العمر

فى ازالة النعمه بالحيل والسعايه وهتك الستر وما يجرى مجراه **السبب الثانى التعزز** وهو أن
يثقل عليه ان يترفع اليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولايةً او علماً او مالاً خاف ان يتكبر عليه وهو لا
يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال خلقه وتفاخره عليه وليس من غرضه ان يتكبر بل من غرضه ان
يدفع كبره فانه قد رضى بمساواته مثلاً ولكن لا يرضى بترفعه عليه **السبب الثالث التكبر**
وهو ان يكون فى طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة له
فى اغراضه فاذا نال نعمةً خاف ان لا تحتمل تكبره فيترفع عن متابعته وربما تيسوف الى مساواته او الى
ان يترفع عليه فيعود متكبراً بعد ان كان متكبراً عليه ومن التعزز كان اكثر حسد الكفار لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطى له رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم اى كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذ كان عظيماً وقال الله تعالى
يصف قولهم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة **السبب الرابع التعجب**
كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضيه اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكم اذاً لخاسرون
فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرياسه والوحى والقرب من الله تعالى بشر مثلهم يحسدونهم واحبوا
زوال النبوة عنهم جزعاً ان يفضل عليهم من هو مثلهم فى الخلقه لا عن قصد تكبر وطلب رياسةٍ
وتقدم عداوةٍ او سببٍ آخر من سايرالاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشراً رسولاً وقالوا
لولا انزل علينا الملايكه فقال الله تعالى او عجتم ان جاءكم ذكرٌ من ربكم على رجلٍ منكم
السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصودٍ واحدٍ
فان كل واحدٍ يحسد صاحبه فى كل نعمةٍ يكون له عوناً فى الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس
تحاسد الضرات فى التزاحم على مقاصد الزوجيه وتحاسد الاخوه فى التزاحم على نيل المنزله فى
قلب الابوين للتوصل الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين للاستاد واحد فى نيل
المنزله فى قلب الاستاد وتحاسد ندماء الملك وخواصه فى نيل المنزلة فى قلبه للتوصل به الى الجاه
والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدةٍ اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم
وكذلك العالمين المتزاحمين على طايفةٍ من المتفقهه محصورين اذ يطلب كل واحدٍ منزلةً فى قلوبهم
للتوصل به الى اغراضٍ لهم **السبب السادس حب الرياسة** وطلب الجاه للرتبة من غير توسلٍ
به الى مقصودٍ وذلك كالرجل الذى يريد ان يكون عديم النظير فى فنٍ من الفنون اذا غلب عليه
حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه اوحد الدهر وفريد العصر فى فنه فانه لا نظير

له فانه لو سمع بنظيرٍ له فى أقصى العالم ساءه ذلك واحب موته وزوال النعمة التى بها يشاركه
فى المنزله من سجاعةٍ او علمٍ او عبادةٍ او فضلٍ او صناعةٍ او جمالٍ او ثروةٍ او غير ذلك مما يتعود
هو به ويفرح بسببه تنزه وليس السبب فى هذا عداوته ولا تكبر ولا تعزز على المحسود
ولا خوف من فوات مقصوده سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا اورأ ما بين احاد
العلماء من طلب الجاه والمنزلة فى الدنيا وفى قلوب الناس للتوصل الى مقاصد الرياسه وقد كان
علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ولا يومنون خيفةً من ان تبطل رياستهم واستتباعهم
مما رسخ عليهم **السبب السابع خبث النفس وشحها** بالخير على عباد الله فانك تجد من لا
يشتغل برياسةٍ وتكبرٍ ولا طلب مالٍ اذا وصف عنده حسن حال عبدٍ من عباد الله شق عليه ذلك
واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو
ابداً يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كانهم ياخذون ذلك من خزانته وملكه
ويتأذى البخيل من بخل مال نفسه والشحيح هو الذى يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله
تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوه ولا رابطه وهذا البخل سببه ظاهر اما
خبث النفس وردائة فى الطبع وعليه وقعت الجبلة ومعالجته شديده لان الحسد الثابت
لسايرالاسباب اسبابه عارضه يتصور زوالها فيطمع فى ازالتها وهذا خبث فى الجبلة لا عن سببٍ
عارضٍ فيعسر ازالته او يستحيل فى العادة ازالته فهذه هى اسباب الحسد وقد يجتمع بعض
هذه الاسباب او اكثرها او جميعها فى شخصٍ واحدٍ فيعظم فيه الحسد لذلك ويقوى قوةً لا يقدر
معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة فيظهر للعداوة بالكاشفه والكثير
من المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقل ما يتجرد سبب واحد منها **بيان**
السبب فى كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوه وبين العم والاقارب
وتاكده وقلته فى غيرهم وضعفه ٥ اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم يكثر بينهم الاسباب التى
ذكرناها وانما يقوى بين قوم يجتمع من هذه الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز أن
يحسد لانه يمنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب
انما تكثر بين اقوام بجمعهم روابط يجتمعون بسببها فى مجالس المخاطبات ويتواردون على الاغراض
فاذا خالف واحد صاحبه فى غرض من اغراضه نفر طبعه وابغضه وثبت الحقد فى قلبه فعند ذلك
يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمه الى توصله

الى اعراضه وتتراد ف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين فى بلدتين متقابلتين فلا يكون
بينهما تحاسد وكذلك فى محلتين نعم اذا تجاورا فى مسكن او سوق او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد
تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك
ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف
يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع فى الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه
اكثر مما يحسد الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد
البزار غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا تحصل الا بكثرة
الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمه البزاز
المجاور له اكثر من مزاحمه البعيد عنه الى طرف السوق فلا جار يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع
يحب الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا
يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ
اكثر من حسده للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود أخص فاصل هذه المحاسدات العداوة
واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل لا يجمع الا متباينين فلذلك
يكثر الحسد بينهم ثم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت فى جميع اطراف العالم بما هو فيه
فانه يحسد كل من هو فى العالم وان بعد من تسامه فى الخصلة التى يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك
حب الدنيا فان الدنيا هى التى تضيق عن المتزاحمين اما الاخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الاخرة نعمة
العلم فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه فلا
يحسد غيره اذ اعرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف
عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره بل تكمل بكثرة العارفين زيادة
الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله
تعالى وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ولا ضيق فيما عند الله تعالى لان اجل
ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيه مانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد
الانس بكثرتهم فاذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام واذا وقعت
فى يد واحد خلت عنها يد الاخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم
الاخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلبك بالفرح بمعرفة الله تعالى

لم يمنع ذلك

لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به وان يفرح به فلا فرق بين العلم والمال ان المال لا يحل فى يد
مالم ويخلو عن يد الاخر والعلم فى القلب من العالم مستقر ويحل فى قلب غيره بتعليمه من غير ان
يرتحل عن قلبه وان المال اجسام واعيان لها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما فى الارض لم يبق بعده
مال يملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الذكر فى جلال الله تعالى
وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك عنده الذ من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه
ولا يكون فى قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت
لذته بموانسته فيكون لذته هو لا فى مطالعة عجايب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر
الى اشجار الجنة وسباتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التى هى صفة ذاته
يأمن زوالها وهو ابدا يجنى ثمارها فهو بروحه وبقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهى فاكهة غير مقطوعة
ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع فى جنة عالية ورياض
زاهرة فان فرض كثرة فى العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا
ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد فى الدنيا فماذا تظن بهم عند
انكشاف الغطاء وسعادة المحبوب فى العقبى فان لا يتصور ان يكون فى الجنة محاسدة ولا ان يكون
من اهل الجنة فى الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة ولا تنال الا بمعرفة الله التى لا مزاحمة
فيها فى الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة تبرأ عن الحسد فى الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات
المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان الرجيم اللعين وذكر من صفاته
انه حسد آدم عليه السلام على ما خصه به من الاجتباء لما دعى الى السجود واستكبر وابى وتمرد وعصى
فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون
على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التى هى جزء يسير من الارض وكل الارض لا وزن
لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء متسعة اقطارها وافية لجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد
اصلا فعليك ان كنت بصيرا على نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيها ولذة لا تكدرها ولا يوجد ذلك
فى الدنيا الا فى معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجايب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك فى الاخرة
الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها وتفتر عنها رأيك وضعف فيما رغبتك
فأنت فى ذلك معذور فالعين لا تشتاق الى لذة الوقاع والصبى لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات
تخص ادراكها للرجال دون الصبيان والمخنثين فلذلك لذة المعرفة تخص ادراكها الرجال رجال لا تلهيهم

تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف
ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين
في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **بيان**
الدّوا الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب اعلم ان الحسد من الامراض العظيمه للقلوب
ولا يُداوى امراض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان يعرف تحقيقًا ان الحسد
ضرٌ عليك في الدين والدنيا وانه لا ضرر به عن المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين
ومهما عرفت هذا عن بصيرةٍ ولم يمكن عداوة نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محاله
اما كونه ضررًا عليك في الدين انك بالحسد سخطت قضا الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله
الذي اقامه في ملكه تخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه خيانةٌ على حراقة التوحيد
وقدحٌ في عين الايمان وناهيك بها على الدين وقد انضاف إليه انك غششت رجلًا من المومنين
وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه عليهم السلام في حبتهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس
وسايرالكفار في بحبتهم للمومنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايثٌ في القلب تاكل حسنات القلب
كما تاكل النار الحطب ونحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررًا عليك في الدنيا فهو انك تألم
بحسدك وتتعذب به ولا تزال في حكدٍ وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله من نعمةٍ يفيضها عليهم ولا تزال
معذبٌ بكل نعمةٍ تراها وتألم بكل بليةٍ تنصرف عنهم فتبقى محمومًا مرجومًا متشعب القلب
ضيق الصدر كما تشتهيه لاعدايك وكما يشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتجزت
في الحال محنتك وغمك ولا تزال النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم يكن تؤمن بالبعث والحساب
لكان مقتضى الفطنة ان كنت غافلًا ان تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم
النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة فما اعجب من عاقل ان يتعرض
لسخط الله تعالي من غير نفعٍ يناله بل مع ضررٍ يتحمله والم يقاسيه فهلك دينه ودنياه من غير
فايدةٍ ولا جدوى واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
بل ما قدره الله تعالى من اقبال ونعمةٍ فلا بدّ وان يدوم الى اجلٍ قدّره الله تعالي فلا حيلة في دفعه
بل كل شيء عنده بمقدار ولكل اجلٍ كتاب ولذلك شكا نبيٌ من الانبيا من امراةٍ ظالمةٍ مستوليةٍ
على الخلق بالادي فاوحى الله تعالي اليه فرّ من قدّامها حتى تنقضي ايامها اى ما قدّرناه في الازل
لا سبيل الى تغييره فاصبر الى ان تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فبها ومهما لم تزل النعمة

بالحسد

بالحسد لم يكن على المحسود ضررٌ في الدنيا ولا عليه اثمٌ في الاخره ولعلّك تقول لئن زالت النعمة عن
المحسود لحسدي وهذا غاية الجهل فانه لما يشتهيه اولًا لنفسك فانك لا تخلوا عن عدوٍ يحسدك فلو
كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمةٌ ولا على الخلق ولا نعمة الايمان ايضًا لان الكفار
يحسدون المومن على الايمان قال الله تعالى ودّت طايفةٌ من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا
انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفرٌ
فمن اشتهى ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار
وكذا سايرالنعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا يزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية
الجهل والحماقه فان كل واحدٍ من حمقى الحساد ايضًا يشتهي ان يختص بهذه الخاصيّة ولست باولى من
غيرك فنعمة الله تعالى عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد ما يجب عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها
وفي معناه لا زلت محسودًا على نعمةٍ ٥ فانما الكامل من يُحسد ٥
واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في الدين فانه مظلومٌ من جهتك
لا سيما اذا خرجت الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه
فهذا هدايا تهديها اليه اعزاوك بذلك يهدي اليه حسناتك حين يلقاه يوم القيامة كما حرمت في
الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم يزل نعم كان لله تعالى عليه اد وفقك للحسنات
فنقلتها اليه فاضفت له نعمةً الى نعمةٍ واضفت الى نفسك شقاوةً الى شقاوه واما منفعته في الدنيا
فهو ان اكثر اعراض الخلق مساءة الاعدا وغمّهم وشقاوتهم معدبين معمومين ولا عذاب اعظم
مما انت فيه من ألم الحسد وغاية أمانى اعدايك ان يكونوا في نعمةٍ وان تكون في غمٍ وحسرةٍ بسببهم
وقد فعلت بنفسك ما هو مُرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك
ولتكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسدًا وغمًا ولذلك قيل
لا مات اعداؤك بل خلّدوا حتى يروا فيك الذي يكد ٥ لا زلت محسودًا على نعمةٍ ٥ فانما الكامل من يحسد
ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه
ذلك اعظم مصيبةً وبليّةً عنده فما انت فيما تلازمه من غمّ الحسد الا كما يشتهيه عدوك واذا
عرفت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضرّرت به في الدنيا والاخرة
وانتفع به عدوك في الدنيا والاخره وصرت مذمومًا عند الخلق والخالق عز وجل شقيًا في الحال والمآل
ونعمة المحسود دايمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى توصلت الى ادخال

اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدا يك لانه لما راك محرومًا عن نعمة العلم والورع والجاه والمال
الذي اختص به عدوك عنك خاف ان تحبذ لذلك فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير
لأخيه المسلم كان شريكًا له في الخير ومن فاته الالتحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم بما
احب ذلك فيخاف ابليس ذلك ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فيفوز بثواب الجنة فبغضه
اليك حتى لا تلحق بحبك اياه لعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم
ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال متى الساعة يا رسول الله فقال ما اعددت لها قال ما اعددت لها كثير صلاة ولا صيام الا اني احب الله
ورسوله فقال عليه السلام انت مع من احببت قال انس ففرحنا بحب الله ورسوله وابا بكر وعمر ولا نعمل
مثل عملهم ونرجوا ان نكون معهم وقال ابو موسى قيل يا رسول الله الرجل يحب المصلي ولا يصلي ويحب
الصيام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز انه
كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما وان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما فان لم تستطع ان
تكن متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله لكل شئ مخرجا فانظر
الآن كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض اليك وحملك على الكراهية
حتى أثمت وكيف لا وعساك ان تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان تحظى في دين الله وينكشف خطاؤه
ليفتضح وتحب ان تخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض فلا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك
فليتك اذا فاتك الالتحاق به ثم اغتممت به سلمت من الاثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث اهل الجنة
ثلثة المحسن والمحب له والكاف عنه اي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهية فانظر كيف
ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلثة حتى لا تدور بها البتة فقد نفذ عليك حسد ابليس وما
نفذ على عدوك حسدك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرأيت نفسك ايها الحاسد
في صورة من يرمي حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها
فيزيد غضبه ثانيا فيعود يرميه ثانيا اشد من الاول فيرجع الحجر على عينه الاخرى فيعميها
فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيسجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة
بعد اخرى واعداوه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه فهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه
لا بل حالك في الحسد أقبح من هذا لان الحجر لم يفوت الا العين ولو يفقيت لفاتت بالموت لا محالة والحسد
يعود بالاثم والاثم لا يعود بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان يذهب عينه في

الدنيا

الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل بها الى النار فيذهبها لهب النار فانظر كيف انتقم الله من الحاسد
اذا اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزيلها عنه ثم ازال نعمة الحاسد اذ السلامة من الاثم نعمة والسلامة
والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وربما
يبتلي بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما بشمت شامت بمساءة الا ويبتلى بمثلها حتى قالت عايشة ما تمنيت
لعثمان شيأ الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت رضي الله عنها فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر
اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق اللسان اليه بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الذي
فيه هلك الأمم السالفة فهذه هي الادوية العلمية فيها تفكر الانسان فيها بدهن صاف وقلب
حاضر انطفئ من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك نفسه ومفرح عدوه وسخط ربه ومنغص عيشه
واما العمل النافع فهو ان يحكم الحسد فحل ما يقتضاه الحسد من قول وفعل ينبغي ان يكلف نفسه
نقيضه فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له والثناء عليه فان حمله على التكبر عليه
الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام
منها فعل ذلك من تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه فاحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد
من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمة يستمل
قلب المنعم عليه واسترقه واستعطفه وحمله على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود
الى الاول فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو
لو تواضعت فأتيت حمله العدو على العجز او على النفاق والخوف فان ذلك سلامة وجهاد فان ذلك
من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفا كان او طبعا فكسر نفوس العداء من الجانبين ويقل
من غربها ويقود القلوب الى التوالف والتحاب وبه تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض
فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة حقا الا انها مرة حقا ولكن النفع في الدواء المر فمن ما يصبر
على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما تهون مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم
بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحتما
احب وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شئ على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما يكون
اذ لا مطمع في ان يكون ما تريد وفوات المراد ذل وخيبة ولا طريق الى الخلاص الا باحد امرين
اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما
الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي

فاما الدواء المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما يفوت وسيأتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا يقمع المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين وتطفية ولا يزال مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواده فانه ما دام محبا للجاه فلا بد وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغتم ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهره بلسانه ويده واما الخلو عنه رأسا فلا يمكنه اعلم ان المودى ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك الا تبغضه نعم اذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهها حتى يستوي عندك حال عدوك وسوء حاله بل لا يزال تدرك في النفس بينهما تفرقة والا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد ولكن ان قوي ذلك فيك حتى يحملك على اظهار الحسد بقول وفعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك في باطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهية لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال الله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا وقال ان تسسكم حسنة تسؤهم اما الفعل فهو غيبة وكذب وهو علم صادر عن الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليست مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة على الجوارح فانك اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قليل كراهية ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كلفك بمقت نفسك على ما في طبعها فيكون تلك الكراهية في جهة العقل في القلب في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد ادّيت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع ليستوي عنده المودي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لها من نعم او ينصب عليها من بلية سواء فهذا مما لا يطاوع الطبع وعليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله تعالى مستولي الحال كان الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاضل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفة الله افعالا لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود الحقد الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة فيها تابله بكراهية الزم قلبه فقد ادّى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون الى انه لا اثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمة فانه لا يضرك ما لم تبده وروى عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلث لا تخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه

من الحسد ان لا يبغي فالاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهية من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهية تمنعه من البغي والايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد اثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل من احب مساءة المسلمين فهو حاسد نافذا كونه اثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ بعيد ان يعفى عن العبد في ارادته مساءة مسلم واشتاله بالقلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلثة احوال احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكرهه بقلبك وتكرهه حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنك قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة وهو من الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا تخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه اخر كتاب ذم الغضب والحسد ويتلوه كتاب ذم الدنيا ان شاء الله

كتاب ذم الدنيا

وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين نفع الله به

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اعصمنا من فتن الدنيا

الحمد لله الذي عرّف اوليآءه غوايل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا حسناتها بسيآتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوّها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل قلوب الناس بحالها ولها اسرا سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقيا لها فاذا اقبلت لم يؤمن شرها وبالها وان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة جعلتها سنة فدوايرا قبالها على التقارب دايره وتجارة بنيها خاسرة بايعة وآفاتها على التوالي لصدور طلابها لاشقة ومجاري احوالها بذلك طالبيها ناطقة وكل متعزز بها الى الذل مصيره وكل مستكثر بها الى التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من قصدها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا تخلو اوصافها عن شوايب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها يسوق الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من

فرارة

احبابها كثرت لهم عن ابنائها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم عن مكنون عجايبها
نادت افتهم قوائل سمامها ورشقتهم بصوايب سهامها بينما اصحابها منها فى سرورٍ وانعامٍ ادولت
عنهم كانها اضغاث احلام كثرت عليهم بدواهيها ومحنتهم طحن الحصيد ووارتهم فى اكفانهم تحت الصعيد
ان ملكت واحدًا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدًا اكان لم يغن بالامس ثم تمنى اصحابها سرورًا
وتعدهم غرورًا حتى يأملون كثيرًا ويبنون قصورًا فتصبح قصورهم قبورًا وجمعهم بورًا وسعيهم هباءً
منثورًا وكان امر الله قدرًا مقدورًا والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرًا ونذيرًا
وعلى من كان من اله واصحابه له فى الدين ظهيرًا وعلى الظالمين نصيرًا وسلم كثيرًا **اما بعد**
فان الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة لاوليا الله تعالى وعدوة لاعدا الله اما عداوتها لله تعالى فانها
قطعت الطريق على عباد الله سبحانه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها واما عداوتها لاوليا الله فانها
تزينت لهم وغرتهم بزهرتها ونظارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها واما عداوتها
لاعدا الله تعالى فانها استدرجتهم بمكرها وبكيدتها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثبوا اليها
وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم
حرمتهم السعادة ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن كايدها يستغيثون ولا يغاثون
بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون واذا عظمت غوايل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفة حقيقة الدنيا
وما هى وما الحكمة فى خلقها مع عداوتها ومما ادخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف لا يتقيه
ويوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال
المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله سبحانه بسبب التشاغل
بفضولها ان شا الله تعالى **بيان** ذم الدنيا **بيان** المواعظ فى ذم الدنيا وصفتها
بيان صفة الدنيا بالامثله **بيان** حقيقة الدنيا وماهيتها فى
حق العبد **بيان** ماهية الدنيا فى نفسها واشغالها التى استغرقت
هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم **بيان** ذم الدنيا
الايات الوارده فى ذم الدنيا كثيرة واكثر القران يشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم
الى الاخره بل هو مقصود الانبيا عليهم السلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بايات
القران لظهورها وانا نورد بعض الاخبار الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مرّ على شاةٍ ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا نعم قال عليه السلام والذي نفسي بيده
للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى
كافرًا منها شربة ماء وقال عليه السلام الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال عليه السلام الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى الاشعري قال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر
باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل
خطيئة وقال زيد بن ارقم كنا مع ابي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه
بكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسئلته ثم مسح
عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع
عن نفسه شيأ ولم ار معه احدًا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال عليه السلام
هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليكِ عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من
بعدك ثم ردّ الشراب ولم يشربه وقال عليه السلام يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى
لدار الغرور وروى انه صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد
بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى ان زينتها تستحلق
مثل ذلك الخرق وان الاجسام التى تزينت بها ستصير عظاما بالية وقال عليه السلام ان الدنيا حلوة خضرة
وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرايل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في
في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدينار ربًا فتتخذكم الدنيا عبيدًا
اكثروا اكثركم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه
الآفة وقال ايضًا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من
حبب الدنيا ان الله عصى فيها وان من خبث الدنيا ان الاخرة لا تدرك الا بتركها فاعبروا الدنيا ولا
تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت اهلها حزنًا طويلًا وقال ايضًا
بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا اراني زعمكم فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم
لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال ايضًا الدنيا طالبة ومطلوبة
فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجيئه الموت فيأخذ
بعنقه وروى موسى بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقًا ابغض اليه
من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام مرّ في موكبه والطير تظله

والجن والانس عن يمينه وشماله فمر بعابد من عُبّاد بني اسرايل فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكًا عظيمًا فسبح سليمان عليه السلام كلامه فقال لتسبيحة في صحيفة مومن خير مما اعطي بن داود فانما اعطي بن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال عليه السلام الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها تحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال عليه السلام من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله تعالى قلبه اربع خصال همًا لا ينقطع عنه ابدًا وشغلًا لا يتفرغ منه ابدًا وفقرًا لا يبلغ غناه ابدًا وأملًا لا يبلغ منتهاه ابدًا وقال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ألا أريك الدنيا جميعًا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي واتى بي واديًا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها جاجم رؤس وعذرات وخرق وعظام ثم قال عليه السلام يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل املكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صايرة رمادًا وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيًا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى استذكرنا وروي في بعض الكتب ان الله تعالى لما اهبط ادم عليه السلام قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت لهم وتزينت لهم اني قد قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقًا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك ألا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وأن تحل بك ماجد وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا بي ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزا اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملايكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال عليه السلام الدنيا موقوفة بين السما والارض مذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبًا اليوم فيقول اسكتي يا لاشي اني لم ارضك لهم في الدنيا أرضيك لهم اليوم وروي في اخبار ادم عليه السلام انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثقل ولم يكن ذلك يجعل في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكًا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال ادم عليه السلام

اريد ان اضع ما بطني من الأذى فقيل للملك قل له اي مكان تضعه على الفرش ام على السرر ام على الانهار او تحت ظلال الاشجار هل ترى ها هنا موضعًا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين فقال عليه السلام كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هُنَيَّةً من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال عليه السلام في بعض خطبه المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفس بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الاخرة وحب الدنيا في قلب مومن كما لا يستقيم الماء والنار في آنية واحد ويروي ان جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبيا عمرًا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتًا فقال يكفينا بنيان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه ثم قال هل فيكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرًا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله سبحانه علمًا بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجابر ولا الغنا الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنا وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى اعطاه الله سبحانه وتعالى ثواب صديقًا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يومًا فجعل يطلب بيتًا فرفعت له خيمة من بعد فاتاها فاذا فيها امراة حائض عندها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى اليه مأواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيامة مايه حورا خلقتها بيدي ولاطعمنك في عرسك اربعة الاف عام يومًا منها كعمر الدنيا ولامرن منادًا ينادي اين الزهاد في الدنيا انظروا عرس الزاهد في الدنيا عيسى بن مريم عليه السلام وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويا منها وتغره ويثق بها وتخذله ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدًا بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام يا موسى مالك

ولدار الظالمين انها ليست لكم بدار أخرج منها همكم وفارقها بعقلكم فبيست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعم الدار هي يا موسى انى مرصدٌ للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اباعبيدة بن الجراح فجاء بمالٍ من البحرين فسمعت الانصار بقدومه فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى النبي انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال عليه السلام ابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله تعالى لكم من بركات الارض فقيل يا رسول الله ما بركات الارض فقال عليه السلام زهرة الحياة الدنيا وقال عليه السلام لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فتهى عن ذكرها فضلاً عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مرّ عيسى عليه السلام بقرية ناداها يا اهلها موتي فاتاه الموتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معاشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتداعوا فقالوا يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسأل ربه عز وجل فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبونك فلما كان الليل اشرف على نشزٍ من الارض ثم نادي يا اهل القرية فاجابه مجيبٌ لبيك يا روح الله وكلمته فقال ما حالكم وقصتكم فقالوا بتنا في عافية واصبحنا في هاوية قال وكيف ذلك قالوا لحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال فكيف كان حبكم للدنيا قالوا لو احب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نارٍ بأيدي ملائكةٍ شدادٍ قال فكيف اجبتني انت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلقٌ على شفير جهنم لا ادري أنجوا منها ام اكب فيها قال المسيح عليه السلام للحواريين لاكل الخبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء اعرابي على ناقةٍ له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال عليه السلام انه حقٌ على الله تعالى ان لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى عليه السلام علّمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الاخرة

وقال ابو الدرداء

وقال ابو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن لغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شرٌ من البهائم التي لا تدع هواها مخافة ما في عاقبته مالكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على دين ما فرق بين اهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر لتحابيتم مالكم لا تناصحون في أمر الدين ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخبر الاخرة وشرها كانوقنون بالدنيا لاشرتم طلب الاخرة لانها املك بامورهم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امرٍ لعلكم لا تدركونه فبئس القوم انتم ما حققتم أيمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شكٍ مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاتونا نلقين لكم ولنريكم من النور ما يطمئن به قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فتعذركم انكم لتبصرون صواب الرأي في دنياكم وتاخذون بالحزم في امركم مالكم تفرحون بالسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على السير منها يفوتكم حتى تبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتشمونها المطايب وتقيمون فيها المآثر وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوههم ولا يتغير حالٌ بكم اتى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالشرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبل صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله تعالى اراحني منكم والحق من احب لقاءه ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خيرٌ فقد اسمعكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريون ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا

وما احسن قول القايل ينشد في معناه

اري رجالا بادنى الدين قد قنعوا ... ولا ارام رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى لا تزكن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي عليك اشد منها ولما مرّ موسى عليه السلام برجلٍ يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران انه لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع

يديه حتى تسقط لم اغفر له وهو حب الدنيا **الاثار** قال علي كرم الله وجهه من رجع سخط له
لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا اولها من عرف الله تعالى فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف
الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال الحسن رحم الله اقواما كانت الدنيا عندهم
وديعة فادوها الى من ايتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن
نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها
ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان به عز وجل وشراعها التوكل على الله
تعالى لعلك تنجو وما اراك ناجيا وقال الفضيل رحمه الله طالت فكرتي في هذه الاية قوله انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكماء انك لن
تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لدعن الدنيا الا عشاء ليلة
او غدا يوم فلا تهلك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا الهوى وربحها الثار
وقيل لزاهد كيف ترى الدهر قال تخلق الابدان وتجدد الامال وتقرب المنية وتبعد الامنية قال
فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب **وقد قيل في المعنى**

ومن يحد الدنيا بعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ... وان اقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان يحبسها
تكدر وصفوها كدروا اهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال
بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما تزيد واما تنقص وقال سفيان اما ترى النعم
كانها مغصوب عليها وقد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها
لم يعط منها شيأ الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابو حازم اشكو اليك حب
الدنيا وليت لي بدا فقال انظر ما اتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في
حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لا تبعته حتى تتبرم بالدنيا
ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيأ فيجيء
فيا خذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا
ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم
اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم

ما حقره الله

ما حقره الله تعالى وقال بن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف
ممتحل والعارية مردوده **وقد قيل في معنى ذلك**

وما المال والاهلون الا ودايع ... ولا بد يوما ان ترد الودايع
وزار ربعة العدويه اصحابها فذكروا الدنيا واقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذمها فلو لا
موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيأ اكثر من ذكره وقيل لابراهيم بن ادهم كيف انت
فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
وقيل فطوبى لعبد اثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع
اري طالب الدنيا وان طال عمره ... ونال من الدنيا سرورا وانعما
وقيل كبان بنى بنيانه فأتمه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما
هب الدنيا تساق اليك عفوا ... اليس مصير ذاك الى انتقال
وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحها جميعا ولا تبع اخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا
وقال مطرف بن الشخير لا نتظر الى حفض عيش الملوك ولين رياستهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم
وضيق منقلبهم وقال بن عباس ان الله عز وجل جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمومن وجزء للمنافق
وجزء للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل الدنيا جيفة فمن اراد منها
فليصبر على معاشرة الكلاب ومهارشتهم **وقد قيل في معناه**

يا خاطب الدنيا الى نفسها ... تنح عن حظبتها تسلم
ان الترخطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم

وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها
وقد قيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق
وقال ايضا

يا راقد الليل مسرورا باوله ... ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
افنى القرون التي كانت منعمة ... كر الليالي ابطالا وابدارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه اسفارا
هل اتركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس ابكارا
ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك ان لا تامن النارا

قال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت

امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قالوا ان كانوا يحبونها لا أبا لي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدوا واروح عليهم بثلث باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه واساكه عن حقه والشرك له تبعٌ لهذا وقال رجل لعلي كرم الله وجهه يا امير المومنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف من دار من صح فيها ما أمن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له مرة اخرى فقال لكرم الله وجهه الطول ام أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو اسليمان الداراني اذا كانت الاخرة في القلب جات الدنيا تزحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة واللئيم يزاحم الكريم وهذا تشديد صعب عظيم ونرجوا ان يكون ما ذكره سنان بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والاخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعًا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا تخرج هم الاخرة من قلبك وهذا قتباس ما قاله امير المومنين علي بن ابي طالب حيث قال الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقوامًا كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذين يمشون عليه ما يبالون اشرقت عليهم الدنيا ام غربت اذهبت الي ذا ام ذهبت الي ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل اتاه الله مالًا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه ألَهُ ان يعيش فيه يعني التنعم فقال لا لو كانت الدنيا كلها اكله ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالًا أحاسب عليها في الاخرة لكنت أقذرها كما يقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله ابا عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال عمر لو اتخذت متاعًا فقال يا امير المومنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك ومن الاخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرايل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار مبتاعد عنها وقال سعيد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص اخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص وهو على المنبر والله ما رايت قومًا قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يزهد

يزهد منه منكم والله ما مزج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثًا الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا من قال هذا قاله من خلقها من هو اعلم بحالها منكم واعلمكم اباها وخالها وحذركم منها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل منها الا اوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضًا مسكين بن ادم رضي بدار حلالها حسابها وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم ليستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بدراهمه ولا يهتم بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر السلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال الفضيل الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبًا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبًا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبًا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها وعجبًا لمن يعرف ان القدر حق كيف يتعب وقدم على معاوية رجل من بجران عمره مايتا سنه فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سددت بالآسنات رجا يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الحلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال له عمر مضى تردّه أو اجل حضر تدفعه قال لا املك ذلك قال فلا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن ادم فرحت ببلوغ أملك فانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوف تعلم عملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله تعالى الدنيا فانما يسال طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد ألزق اليه شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمّل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنا فقال انما نال الغنا من عتق من رق الدنيا وقال ابو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا نامر بعضنا بعضًا ولا ينهى بعضنا بعضًا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري اي عذاب انتظر ان يترك علينا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الاخرة وقال الحسن اهينوا أنفسكم والله ما هي لاحد بأهنأ منها إهانتها وقال ايضًا اذا اراد الله بعبد خيرًا اعطاه الله من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا تفد اعاد اليه واذا أهان عبدًا بسط الدنيا بسطًا وكان بعضهم يدعوا يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عني وقال محمد بن المنكدر رايتان رجلًا صام الدهر فلا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله

وعظم الدنيا في عينه فيوتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظمت في عينه ما صغره الله وصغر في عينه
ما عظمه كيف ترى حاله فمن مثل ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا
قال ابو حازم اشتدت مؤونة الدنيا والآخرة فاما مؤونة الآخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤونة
الدنيا فانك لا تضرب يدك الى شيء منها الا وجدت واحدا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة
بين السما والارض كالبشر البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول
لها اسكتي اسكتي يا لاشيء اسكتي يا لاشيء وقال بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته
فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطى الحكمة ومن جعل شهوته
تحت قدمه فرق الشيطان من ظله ومن غلب عقله هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع
الدنيا وذهب الى الآخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع
هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا ويل
لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل والآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار
خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والآخرة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد
كان الشافعي رضي الله عنهما من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدين وعظ احدا له في الله وخوفه الله
تعالى فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور
زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعتبار والاعتبار فيها
ايسار فافزع الى الله تعالى وارض برزق الله عز وجل لا تستلف من دار بقايك الى دار فنايك فان
عيشك في زايل وحدا رما يأل اكثر من عملك وقصر من املك وقال بن ادهم لرجل أدرهم في
المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت فان الذي تحبه في
الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن اسماعيل
بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليكم عنا يا خنزيره فلو وجدوا
لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحبين اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال الحبي
بن معاد العقلا ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارض خالقه
قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا بلغ من سومها ان تستبد لها تلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع
فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال
بندار ادارايت ابنا الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل

على الدنيا احرقته بنيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفته نيرانها نار
سبيكه ذهب ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته بنيران التوحيد فصار جوهرا لاحد
لقيمته وقال امير المومنين علي انما الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح
ومشموم فاشرف المطعومات العسل وهو بذقة ذباب واشرف المشروبات الما ويستوي فيه البر
والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبان الفرس وعليه تقتل الرجال
واشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال والله ان المرأة لتزين احسن شيء فيها ويراد اقبح شيء
منها واطيب المشموم المسك وهو دم العزال

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها

قال بعضهم يا ايها الناس اعلموا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل
ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المتجلية العيون اليها ناظره والقلوب عليها عاكفه
والنفوس لها عاشقه فكم من عاشق لها قتلت ومطين اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقه
فانها دار كثرت بوايقها ودمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها
يقل وحيها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال
ان فلان عليل او مدنف ثقيل فهل على الدوا من دليل او هل الى طبيب من سبيل فيدعى لذلك الاطبا
ولا يرجى لذلك الشفا ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال وقد ثقل لسانه فما يتكلم احد منه
ولا يعرف جيرانه وعرف عند ذلك حبيبك وتتابع انينك وبانت يقينك ولطمت خدوك
وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكا اخوانك وقيل هذا ابيك فلان واخول فلان فصنعت من الكلام
فلا تنطق وختم على لسانك فما ينطلق ثم حال بك القضا وانتزعت النفس من الاعضا ثم عرج بها الى
السما فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح
حساده فانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك ان احق الناس
بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها واعطى حاجته فيها لانه يتوقع افة تغدو اعلى ماله فتجتاحه او علي
جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه بنيه وهو
ظنين به من احبابه فالدنيا هي احق بالذم هي الاحزة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها
اذ ضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذ ابكت عليه وبيناهي تبسط كفه بالاعطا اذ بسطتها بالاستر
تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب وبقا ما بقي

تجد فى الباقى من الذاهب خلفا وترض بكل من كل بدلا وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان
الدنيا دار ظعن وليست بدار اقامة وانما انزل اليها ادم عليه السلام عقوبة فاحذرها يا امير المومنين
فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها فى كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هى كالسم
ياكل من لا يعرفه وهى حمة فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على
شدة الدوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدار الغدارة المحتالة الخداعة التى قد تزينت بخدعها
وقتلت بغرورها وحلت بامالها وتشوقت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون اليها ناظرة
والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهى لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقى بالماضى معتبر ولا الاخر
بالاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى
ونسى المعاد فشغل فيها لبه حتى زالت عنها قدمه فعظمت بليته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات
الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته فكم من راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرو ح نفسه من التعب
فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون عليها
فكذا صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه الساز فيها الاهلها عار والنافع غدا ضار
وقد وصل الرضا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى الفنا فسروره مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى
وابن ادم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعا على خطر ومن البلا على حذر فلو كان الخالق لم يخبر عنها
خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا ايقظت النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جا من الله عز وجل منها زاجر
وفيها واعظ فما لها عند الله جل وعلا قدر وما نظر اليها منذ خلقها وقد عرضت على نبيك صلى الله عليه
وسلم بمفاتيحها وخزاينها فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره او يحب ما ابغضه خالقه
اويرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا واو بسطها لاعدايه اغترارا فيظن المغرور بها
والمقتدر عليها انه اكرم بها ونسى ما صنع الله عليه وسلم حين شد على بطنه الحجر ولقد جاء
الروايه عنه عن ربه جل قدرته ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب
عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شيت فاقتد بصاحب
الروح والكلمة عيسى بن مريم عليهما السلام كان يقول ادامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف
وصلاتى فى الشتا مشارق الشمس وسراجى القمر ودابتى رجلاى وطعامى وفاكهتى ما انبتت الارض امتى
وليس لى شى واصبح وليس على الارض احد اغنى منى وقال وهب بن منبه لما بعث الله عز وجل

موسى

وحضل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل وعلمت القلوب لاشفائها من سالف الذنوب
وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت ان الله تعالى
يقول ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين
مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه واحبائه حتى يحلنا واياكم دار
المقامة من فضله انه حميد مجيد رحيم ودود وقال بعض الحكماء الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك
كل يوم بسهامه ويخبر منك بليليه واياميه حتى يستغرق جميع اجزائك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام
وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك
واستثقلت مر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوايل الدنيا وجد لهم لذا تما
وانما الامر من العلقم اذا عجمها الحكيم وقد اعيت الواصفين لعيوبها بظاهر افعالها وما ماتي به من العجايب
اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله تعالى رشدا الى الصواب وقال الحكيم وقد استوصف الدنيا وقد
بقاياها الدنيا وفتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك به
والدهر يوم مقبل تبعده ليلة وتطويه ساعة واحدة ثم يتوالى على الانسان بالتغير والنقصان
والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانجرام السئل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله
تصير الامور خطب عمر بن عبد العزيز فقال ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به وتفعلون
ما يظهر من افعالكم فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به فانتم هلكى كانما خلقتم للابد هاهنا ولكنكم
من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق والانصفوا
لكم بغبة تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم فيه صايرون وفيه خالدون
ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي كرم الله وجهه في خطبة له اوصيكم بتقوى الله تعالى والترك للدنيا
التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم
ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم وكانهم بلغوا وكم عسى
ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم من الدنيا وطالب حثيث يطلبه
حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمائها فانه الى زوال
عجبت لطالب دنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسن لما علم اهل العقل
والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليائه وانها عنده حقيرة
قليله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وتزودوا

نفضلا

نضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العوره واكلوا من الطعام ادناه
ما سد الجوعه نظروا الى الدنيا بعين انها فانيه والى الاخرة انها باقيه فتزودوا منها كتزود الراكب
فخبروا الدنيا وعمروا بها الاخرة نظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها باعينهم
وارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم اليها سيرتحلون بابدانهم صبروا قليلا ونجوا طويلا وكل ذلك
بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم **بيان** صفه الدنيا بالامثله
اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفا تنظر اليها فتراها سالنه
مستقره وهي سايرة سيرا عنيفا ومرتحله ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا تحسن بحركتها
فيطمئن اليها وانما تحسن عند انقضايها ومثالها الظل فانه متحرك في الحقيقه ساكن في الظاهر
لا تدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنه وانشد الحسن لما ذكرت عنده الدنيا

احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان الحسن بن علي عليهما السلام يتمثل ويقول

يا اهل لذات دنيا لا بقا لها ان اغترارا بظل زايل حمق

وكان يروي انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم
فنام هناك فاتلعوا الخيمه ورحلوا فاصابته الشمس فانتبه وفاه يقول

الا انما الدنيا كظل اتيته ولا بد يوما ان ظلك زايل

مثال اخر الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها بعد افلاتها تشبه خيالات المنام واضغاث احلام
وينشد وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد
ما شبهت في الدنيا نفس الا كرجل نام فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذ انتبه
وكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس بايديهم شي مما كانوا اليه وفرحوا به وقيل ليعض
الحكما اي شي اشبه شي بالدنيا قال احلام النايم مثال اخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها
بنبها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتواصل الى الاهلاك اخرا وهي كامراة تتزين
للخطاب حتى اذا اكتنهم ذكتهم وقد روى عن عيسى عليه السلام انه كوشف بالدنيا فراها في صورة عجوز
شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم
طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى يوسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين

الاولى
الاولى

كيف تهل بكم واحدا واحدا ولا يكونن منك على حذر مثال اخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر فيسحة السرائر وهي تشبه عجوزا مزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وتجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلا بن زياد رايت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها يتعجبون منها وينظرون اليها فجئت ونظرت من تعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اوما تعرفني قلت ما ادري من انت قالت انى انا الدنيا قلت اعوذ بالله منك قالت فان احببت ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابي بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما قابلتني لوطفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهولا ثم بكا ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان ادخل بغداد وقال الفضل قال بن عباس يوتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلايق فيقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال لهذه الدنيا الذي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام بينكم وتحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا اجرحته فاذا هي ادبر كانت احسن شئ راها الناس فاذا اقبلت كانت اقبح شئ راها الناس عجوز شمطاء ينشوها مئة سنة زرقاء عمشاء قال قلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت سواد وجهك قالت انا الدنيا مثال اخر للدنيا وعبور الناس بها اعلم ان الاحوال ثلثة حالة لم تكن فيها شيا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا تكون فيها شيا شاهدا للدنيا وهو بعد موتك الى الابد وحالة متوسطة بين الازل والابد وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فقال في ظلها ساعة ثم راح وتركها ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف تقضت اياه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة تو في رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من خص فقال عليه السلام اري الامر

كانت تخدني اذا اقبلت على فقالت لوظفرت بك

اياه

اعجل من هذا فان كر ذلك والى هذا اشار عيسى عليه السلام حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال واضح فان الحياة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة قريبة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد له من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان مثال اخر للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو اهينة ليتة يظن الخايض فيها ان حلاوة حفظها كحلاوة الخوض فيها وهيهات نا الخوض فيها سهل والخروج منها مع السلامة شديد وقد كتب علي كرم الله وجهه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه يشا لها فقال مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وقع عنك همومها لما ايقنت من فراقها ولن اسرة ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه عن مكروه مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص منها ومن تبعاتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا تبتل قدماه وهذا يعرفه كل جهالة قوم خاضوا اتتهم تخوضون في نعيم الدنيا بايديهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم مقاطعة وذلك مكيدة من الشيطان بل لو اخرجوا امامهم فيه لكانوا اعظم المنجعين بفراقها مكان الشئ في الما يقتضي بللا لا محاله يلتصق بالقدم فكذلك ملامسة الدنيا يقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العباده قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ باكله من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتستهين تصعبت وتغير خلقها كذلك القلوب اذا لم ترفق بذكر الموت وبنصب العبادة تقسوا وتعلك بحق اقول لكم ان الرزق اذا لم يتحرق او تعجل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تحرقها الشهوات او يدنسها الطبع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية للحلل وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاؤها وفتنها وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال اخر لما بقي من الدنيا وقلتها بالاضافة لما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي معلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع مثال اخر لتادية علايق الدنيا

منقطعة

عمشاء

اعجل

بعضها الي بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله **مثال اخر** لمخالفة اول الدنيا اخرها وآخرها اولها و لنظارة أوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة و سيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في القلب من النتن والكراهة والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان ألذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى وألذ وأقوى فنتنها وكراهيتها والتأذي بها عند الموت اشد بل هي في دار الدنيا مشاهدة فان من تذهب داره وأخذ ولده وماله فيكون تفجعه ومصيبته وألمه في كل ما فقده بقدر لذته به وحبته له وحرصه عليه وكل ما كان عند الوجود اشهى عنده وألذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما للموت معنى الا فقد ما في الدنيا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للضحاك بن سفيان الكلابي البست توتي بطعامك وقد مُلِح وقرِح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما بصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال عليه السلام فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما بصير اليه طعام بن ادم وقال أبي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه الى ما يصير وقال عليه السلام ان الله تعالى ضرب الدنيا لمطعم بن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا مثلا وان قزحه وملحه وقال الحسن قد رأيتهم رأيتهم يطيبونه بالاقاويه والطيب ثم يرسون به حيث رأيتم وقال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال بن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحي فقال لا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته وقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر الى هذا ما خلت به انظر الى ما صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثماركم ودجاجكم وعسلكم وسمنكم **مثال اخر** في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع اليه **مثال اخر** للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج الى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاختار اوسع الاماكن وأليَنها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ونسي السفينة وعجلتها وجعل ينظر الى ازهارها وانوارها العجيبة

وحياضها

وحياضها الملتفة وطيورها ذات النغمات الطيبة والحانها الموزونة العربية وصار يلتقط من يلتقط من احجارها وجواهرها ويعادها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش الشالبة اعين الناظرين لحسن ترجيعها وعجايب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الامكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على بعض تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها حملا من الحجارة فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله من الحجارة ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا لا تقدر على اخذه فلم يقدر على رميه ولم يجد في السفينة مكانا لوضعه فحمل على عاتقه وهو متأسف على اخذه ولم ينفعه التأسف وبعضهم توجه الغياض ونسي المركب وسيره عاجلا وبعد في متفرجه ومتنزهه حتى لم يبلغ نداء الملاح لاشتغاله بأكل الثمار واشتمام تلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار والتشمم لتلك الازهار والانوار من تلك الاشجار وهو مع ذلك خايف على نفسه من السباع وغيرها من السفطات والنكبات ولا ينفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وزبره او صوت هايل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وعطشا وبعضهم لم يبلغ النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع وسمّ من تاه فيها على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الازهار وشغله من الحجارة المزبرجة فقد استرقته به واشغله الحزن لحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار وظهر نتن ريحها فصار مع كونه مضيقا عليه موذيا له بنتنه وحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما قد اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه الاسقام بتلك الروائح والاطعمة فبلغ سقيما مدنفا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل نتأذى بضيق المكان مدة قريبة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف الدنيا في اشتغالهم بحظوظها العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم وما أقبح بمن يزعم انه بصير عاقلا ثم تغتره احجار الارض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال

شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذا حال الخلق كلهم الامن عصمه الله تعالى **مثال اخر**
لاعتزار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم يقول الله عزّ وجلّ في تحذيره إياهم غوايل الدنيا قال الحسن
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انا مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا
مفازة عنبرا حتى اذا لم يبق لهم الا كثر أو ما بقي انفدوا الزاد وخسروا الظهر وبقوا
بين ظهراني المفازة لازاد ولاحمولة فايقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطو
رأسه سأفقالوا هذا قريب عهد ببريد وما جاكم هذا الامن قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء
قالوا ايا هذا قال على ما انتم عليه قالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء روآء وريا خضر
خضر ما تعلمون قالوا لا نعصيك شيأ قال اعطوني عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم
ومواثيقهم بالله تعالى لا يعصونه شيأ قال فأوردهم ماء روآء وريا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله عزّ وجلّ
ثم قال يا هؤلاء قالوا ايا هذا قال الرجل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم وريا ليست كريا كم
فقال اكثرهم يا هذا والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خبيث من هذا وقالت
طائفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيأ وقد صدقكم في اول
حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدوٌّ فاصبحوا بين
اسير وقتيل **مثال اخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تجمعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما
اعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ دارا وزينها وهو يدعوا الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد واحد
فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه خوز وريا حين ليشمه ويتركه لمن يلحق لا ليستملكه
ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه وتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه
صجر وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره وردّه بطيبة قلب وانشراح صدر وكذلك من
عرف سنّة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة قد سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا
منها وينتفعوا كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل تلوبهم حتى تعظم مصيبتهم
عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وافاتها وغوايلها **بيان حقيقة الدنيا وما هيتها في**
حق العبد اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي
ان تجتنب منها وما الذي لا تجتنب فلا بدّ وان نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدرة
قاطعة لطريق الله تعالى ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب
الدّاني منهما يسمّى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمّى اخرة وهي ما بعد الموت وكل ما له

فيه حظ

فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه الا ان جميع
ما له اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثة اقسام **القسم الاول**
ما يصحبك الى الاخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيأن العلم والعمل فقط واعني بالعلم العلم بالله
بالله تعالى وصفاته وافعاله وملايكته وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمايه والعلم بشريعة نبيه صلى الله
عليه وسلم واعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك لذة الاشيا
عنده فهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا
اذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعدّ هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته
فيستلذها بحيث لو منع منها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من الموت
الا من حيث انه يحول بيني وبين قيام الليل وقال آخر اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود
في القبر فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا يطلق عليه من حيث الاشتقاق
من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب
الي من دنياكم ثلث الطيب والنسآء وقرة عيني في الصلاة فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل
ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم المشاهدة والشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح
بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك أضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا
للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا **القسم الثاني** وهو المقابل له على الطرف الاقصى
كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزايدة
على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والترفهات كالتنعم بالقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور
والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كلها هي الدنيا المذمومة وفيما يعدّ فضولا
او في محل الحاجة نظر طويل وروى عن عمر رض الله عنه انه استعمل ابا الدرداء فاتخذ كنيفا انفق عليه
درهمين فكتب اليه عمر بن الخطاب امير المومنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي
به عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الي دمشق
فلم يزل بها حتى مات رحمه الله فهذا رأه فضولا من الدنيا فتأمل فيه **القسم الثالث** وهو متوسط
بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن
وكل ما لا بدّ منه ليتأتى للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا العيش من الدنيا

الريش ارض فيها زرع وخصب

فقدم سيرتك

كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول ووسيلة اليه فمنها تناوله العبد من الدنيا على قصد الاستعانة
على العلم والعمل لم يكن فيه متناولا للدنيا ولم يصر بها من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون
الاستعانة على القوة إلى التحقق بالقسم الثاني وصار من زمرة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات
صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله جل اسمه وصفاء القلب وطهارته
لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا تحصل الا بكثرة ذكر الله تعالى بالمواظبة عليه والحب لا تحصل
الا بالمعرفة ولا تحصل بمعرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلثة هي المنجيات المسعدات بعد الموت
وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ تكون جنة بين العبد
وبين عذاب الله تعالى كما ورد في الاخبار ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه
جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث كل واما الانس والحب
فهما من المسعدات وهما موصلات للعبد الى لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت
الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر عليه روضة
ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوايق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت
العوايق فانثلت من السجن وضره وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع
آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا معذبا ولم يكن له محبوب الا في الدنيا وقد غصب منه
وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وقد قيل
ما حال من كان له واحد ... غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدما انما هو الفراق لمحات الدنيا وقدوم على الله تعالى فاذا سالك طريق الاخرة
هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات
الدنيا ويبغضها اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال
الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا
اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك
لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا
تنقسم الى ما يعرض صاحبه للعذاب في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما تحول بينه وبين الدرجات
العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الوقف في عرصات القيامة
لاجل الحساب والمحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم

حلالها

حلالها حساب وحرامها عذاب وقال ايضا حلالها عذاب يعني الحساب فان الحساب عذاب الا انه عذاب
اخف من عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب
من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيره خسيسه لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في
الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليه حسرة
مع علمك بانها سعادات متصرمة لا بقاء لها ومنغصات بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة
لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من
طاير او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة اضعافه وهو المعنى بقوله
صلى الله عليه وسلم لعمر هذا من النعيم الذي يسأل عنه أشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال
فيه ذل وخوف وحظ وشقاوة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه
اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأباه في كفه ثم امتنع عن
شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعون الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس
من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى واتقى كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام
وضع راسه على حجر لما نام ثم رماها اذ تمثل له ابليس وقال يا ابن مريم رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان
عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذايذ الاطعمه وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا
الطريق امتحانا وشدة فان الصبر على لذايذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا روى ان الله
تعالى اوحى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا
سلط الله تعالى البلاء على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر
من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة العواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة
عليه وحنانا له لا تخلا به عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله عز وجل فهو للدنيا وما هو لله تعالى
فليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله سبحانه وتعالى فاقول الاشياء ثلثة أقسام منها ما لا يتصور
ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي
الدنيا المحض المذمومة فهذه الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله تعالى ويمكن ان تجعل لغير الله
تعالى وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليها باعث
سوى امر الله تعالى واليوم الاخر فهي لله تعالى وليست من الدنيا فان كان الغرض من الفكر طلب العلم
للتشرف به وطلب القبول من الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال

او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان ضرورته انه لله تعالى
ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن ان يجعل بمعناه لله تعالى وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به
بقاؤه وبقاء ذريته فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة للتقوى فهو لله
تعالى بمعناه وان كان صورته صورة الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا لم يمت خائرا مفاخرا
لقى الله تعالى وهو عليه غضبان ومن طلبها استغناء عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه
كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذى لا حاجة اليه لا لأمر
الاخرة ويعتبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى
وجوامع الهوى خمسة امور وهى ما جعله الله تعالى فى قوله انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد والاعيان التى منها يجعل هذه الخمسة سبعة بجمعها قوله تعالى
زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله فليس من الدنيا وقد رضوره القوت
وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله سبحانه ان قصد به وجه الله تعالى والاستكثار منه تنعم
وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب
من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم
ويقرب منه فينبغى ان يحذر وبينهما وسايط وتنتهى بتشابهة ومزجام حول الحمى يوشك ان يقع
فيه والحزم فى الحذر والتقريب والتقوى من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء
اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرنى كان يظن اهله انه مجنون
لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم وكان ياتى عليهم السنة والسنتان والثلث
لا يرون له وجها الا انه كان يخرج الى المسجد اول الاذان ويعود العشا الاخرة وكان طعامه
ان يلتقط النوى وكلما اصاب الحشف خبأها لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق
بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه ما يجده على
المزابل يلتقط من اقطعة الاكسية يغسلها فى الفرات ويكفف بعضها على بعض ثم يلبسها وكان
ذلك لباسه وكان اذا مر به الصبيان يرجمونه بالحجارة يظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه
ان كنتم ترمونى فارمونى بحجار صغار فانى اخاف ان تدمونى فيحضر وقت الصلاة ولا اصيب الماء
فهكذا كانت احواله وسيرته ولهذا عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال انى لاجد نفس الرحمن
من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولى عمر رض الله عنه قال ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم
فقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من مراد
فقام جماعة فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلس كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرنى انت
فقال نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرنى فوصفه له فقال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين
والله ما فينا احمق منه ولا احجر منه ولا ادنى منه فبكى عمر رض الله عنه ثم قال
ما قلت الا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر
فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لى هم الا ان اطلب اويس القرنى
واسأل عنه حتى وجدته على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت الذى
نعت لى به فاذا رجل طويل شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب
المنظر فسلمت عليه فرد على السلام ونظر الى فقلت حياك الله من رجل ومددت يدى لاصافحه
فنادانى ان يا صاحى فقلت يا اويس رحمك الله كيف انت غفر الله ثم خنقتنى العبرة من حبى اياه ورقتى
عليه اذ رأيت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكا ثم قال وانت فحياك الله يا هرم يا ابن حيان كيف انت
يا اخى ومن دلك علىّ قلت الله تعالى فقال لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال
فتعجبت حين عرفنى ولا والله ما رايته قبل ذلك اليوم ولا رأنى فقلت من اين عرفت اسمى واسم ابى وما
رأيتك قبل اليوم قال نبأنى العليم الخبير وعرف روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ان الارواح
لها انفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله تعالى وان لم
يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وان تأت بهم الدار وتقرب بهم المنازل قلت حدثنى رحمك الله عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث اسمعه منك قال انى لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن
لى معه صحبة بأبى وأمى رسول الله ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغنى من حديثه كوا ما بلغك
ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسى ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا فى نفسى شغل عن الناس
يا هرم بن حيان فقلت يا اخى اقرأ علىّ اية من كتاب الله تعالى اسمعها منك وادع لى بدعوات واوصنى
بوصية احفظها عنك فانى احبك فى الله فقام واخذ بيدى على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم ثم بكا وقال قال ربى والحق قول ربى واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام
كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق حتى انتهى الى قوله
انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشى عليه ثم قال يا ابن حيان مات ابوك حيان

ويوشك ان تموت فاما الى جنة او نار ومات ابوك ادم ومات امك حوا ومات نوح ومات ابراهيم
خليل الرحمن ومات موسى نجى الله يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم
رسول رب العالمين ومات ابو بكر صاحب رسول الله ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي ثم قال يا عمر اه
يا عمراه فقلت رحمك الله ان عمر لم تمت قال نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم قال وانت في الموتى كانه
قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات ثم قال لهذه وصيتي اليك يا هرم
بن حيان كتاب الله ويقين الصالحين المومنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق
قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك ادا رجعت اليهم وانصح الامة جميعا واياك ان تفارق الجاعه
قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة وادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا
يزعم انه يحبني لك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه
ما دام في الدنيا حيثما كان وضع عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا
فيسره له تيسيرا واجعله مما اعطيته من نعايمك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعتك الله
يا هرم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة
والوحدة احب الي لاني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس حيا فلا تسال عني ولا تطلبني واعلم بانك مني
على بال وان لم تراني فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت
ها هنا وانطلق انا ها هنا فخرجت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقني وبكى وابكاني فجعلت انظر
وراءه حتى دخل بعض السكك ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا اخبرني عنه بشيء رحمه الله
فهكذا كانت سيرة ابينا الاخر المعرض عن الدنيا وقد عرفت مما سبق من بيان الدنيا ومن سيرة
الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك وضد
الدنيا الاخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله
عز وجل فذلك ليس من الدنيا وبين هذا المثال وهو ان الحاج اذا اخذ انه في طريق الحج لا يشتغل
بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لابد للحاج منه
لم يحتسب في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس ينتفع به مسافة العمر
فتعهد البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا
قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان مخرجا عن الاخرة ومحتشى على قلبه القسوة
قال الطفاوي كنت على باب بني شيبة بسبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة منادي وانا بين اليقظة

والنوم

والنوم الا من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله تعالى عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا

في حقك **بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم**
انفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجوده وللانسان
فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس
كذلك اما الاعيان الموجوده التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا
ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش الادميين ومهاد وسكن ومستقر
وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح وبجمع ما على الارض ثلثة اقسام المعادن والنبات
والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات والتداوي واما المعادن يطلبها الادمي للاواني
كالنحاس والرصاص او النقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان
والبهايم اما البهايم فيطلب لحومها للاكل وظهورها للركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي
ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب
قلوب الناس لملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعتبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك
قلوب الادميين فهذه هي الاعيان التي يعتبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب
الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانس والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وهذا من الجواهر
والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلي والياقوت والخيل المسومة والانعام هي البهايم والحيوانات
والحرث هو النبات والزرع فهذه هي اعيان الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو
حبه لها وحظه منها وانصراف همته اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل
في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن
والمداهنة وحب الثناء وحب التفاخر والتكاثر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان
التي ذكرناها **العلاقة الثانية** مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه
وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم
وما بهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف
نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة
التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بسطح وملبس ومسكن كالا يبقى الابل
في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف

في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها
انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة
وعن بقائه في البادية فريسة السباع هو ونافته والحاج البصير لا يهتم من امر الجمل الا بالقدر الذي
يقوي به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة كما لا يدخل
بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما
ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما يشغل الناس عن الله تعالى
هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن والملبس هون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه
الامور واقتصروا عليها لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم
منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير
نهاية محدودة فتاهوا بكثرة الاشغال فنسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا
وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لكل ان اشغال الدنيا كيف
صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف
والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشتغال هو ان الانسان يضطر
الى ثلث القوت والمسكن والملبس القوت للغذا والبقا والملبس لدفع الحر والبرد والمطر ولدفع اسآ
الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة
الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان النبات تغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤذيانه فيستغني
عن البناء ويقنع بالصحرا ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك
فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوايل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة
والرعاية والاقتناص والحياكة والبنا اما البنا فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة
فللملبس والفلاحة للطعم والرعاية للماشي للحيل وهو ايضا للطعم والمركب والاقتناص يعني به
تحصيل ما خلقه الله تعالى من صيد او معدن او حشيش او حطب والفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ
الاموال ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من
معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات
واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والآت اما تتوخذ اتا من النبات وهي الاخشاب
او من المعادن كالحديد والرصاص وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر

من الصناعات

من الصناعات النجارة والحدادة والخرز وهولا هم عمال الآلات ونعني بالنجارة كل عامل على الخشب
كيف ما كان وبالحدادة كل من عمل على جواهر المعادن حتى النحاس والابريزي وغيرها وعرضنا ذكر
الاجناس فانا أحاد الحرف فكثيره واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها
فهذه امهات الصناعات ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع
غيره من جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقا جنس الانسان ولا يكون ذلك الا
باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس وتربية
الولد فان الاجتماع يفضي الى الولد لا محاله والواحد لا يستقل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت
ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة
كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج
الى آلاتها ويحتاج الآلة الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى خبان وخباز وكذلك كيف يتفرد
بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراثة القطن وآلات الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك
امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحرا لم يكفهم
لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت بزوجه وبما
معه من الآلات والاثاث والمنازل يدفع الحر والبرد ويدفع أذى الجيران عن اللصوصية ولكن
جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل الى التناصر
والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فهي البلاد ولعاملوا تولدت منهم الخصومات
اذ لحدث ولاية ورياسة للزوج على الزوجة وولاية الأبوين على الولد لان ضعيف يحتاج الى القوام
به ومنها حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة
المخاصمة وان ظلمت فاما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين هذا في المنزل واما اهل البلد
ايضا فيها ملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة
وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محاله
ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او مرض وهرم وتعرض عوارض مختلفة لو تركوا ضائعا
لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتجادلوا ولو خص واحد من غير سبب بخصه لكان لا يذعن له فيحدث
بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات اخرى منها صناعة الساحة التي بها يعرف
تقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع

ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل الى فصل الخصومة والتوسط بينهم ومنها الحاجة
الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر
النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل
بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة
اخرى ويحتاجون الى المعاش وتحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا
تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطمع القوت تعطلت البلاد عن الخراص
واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم وارزاقهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها ان
كانت او تصرف اليهم الغنايم ان كانت الغزوات مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا بالقليل
من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم
يمدوهم بالحواسة فتحدث الحاجة الى الخراج فيتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات اخر
اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي منهم
بالرفق وهم الجباه والمستخرجون والى من يحفظ عنده ليحفظه الى وقت النفرقة وهم الخزان والى من يفرق
عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا يجمعهم رابط لاختل النظام
فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا ويختار لكل واحد ما يليق به
ويرعي النصفة في اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب
ونصب الامير والقايد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم
اهل السلاح وبعد الملك الذي تراقبهم بالعين الكالية ويدبرهم الخزان والحساب والجباه والكتاب
والعمال ثم هولا ايضا محتاجون الى معيشة لا يمكنهم الاشتغال بالحرب فتحدث الحاجة الى مال الفرع
مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون
والوعاه والمحترفون والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المتردد بين الطايفتين في
الاخذ والاعطا وهم العمال والجباه واما لهم فانظر كيف ابتدأ الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس
والى ما لا انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا
يتناهى الى حد غير محصور كانها هاوية لا نهاية لها ولعمقها ومن وقع في مهواة منها سقط منها
الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال
عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاعد به ثم الاماكن التي يسعى فيها للتعيش

كالحوانيت

كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والآلة ثم الآلات والآلات وقد يكون في
الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الاصطياد والبقر آلة الحراثة والفرس آلة للحرب ثم تحدث من
ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاح والحداد والنجار وسكان قرية لا
يسكن بها الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان
يبدل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه عرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح
الغذا لانه ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الآلة فلا سعه والفلاح اذا طلب الآلة من النجار
بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى
حانوت يجمع آلة كل صناعة يتربص بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليه ما يحمله الفلاحون
من الطعام فيشتريه منهم صاحب الانبار ويتربص بها ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق
والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فخزنوها
في انتظار ارباب الحاجات طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم تحدث لا محالة من
البلاد والقرى تردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد والقرى الآلات
وينقلون ذلك ويتعيشون به لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلد ربما لم يوجد كل آلة وكل قرية لا
يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج الى البعض فيخرج الى النقل فتحدث التجار المتكلفون
بالنقل وباعثهم عليه حرص جميع الاموال فيتعبون طول النهار والليل في الاسفار لاغراض غيرهم
وتصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن
جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظمت بالغفلة
وخسة الهمة ولو عقل الناس وارتفعت همتهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش
ولو بطلوا لهلكوا ولهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها
فيحتاج الى دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فيحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة
تسمى الاجارة ويصير الكري نوعا من الاكتساب ايضا ثم تحدث بسبب البياعات الحاجة الى التقدير بالنقد
فان من يريد ان يشتري طعاما بثوب فمن اين يدري الى المقدار الذي يساويه من الطعام فلا بد من
حاكم هو والمعاملة تجري في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثبوت وهذه امور
لا تتناسب فلا بد من حاكم عدل يتوسط بين المتباعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل
من اعيان الاموال ثم تحتاج الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت

النقود من الذهب والفضة والنحاس ومست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة
الى دار الضرب والى الصيارفة وهكذا ابتداعي الاشتغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهى الى ما
تراه فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشئ من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب
في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن
الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان
اللصوصية والكدية اذ جمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين
ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم
من يطلب اعوانا ويكون في بدنه شولة وقوة فيجتمعون ويكابرون ويقطعون الطرق كالاعراب
واما الضعفا منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان
يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى
استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك مال الكد
والبطالة فلا يعطي فافتقروا الى حيلة في استخراج الاموال وتسهيل العدر لانفسهم في البطالة
فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعجزون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذرون بالعمى
فيعطون واما التعامي والتعالج والتحابن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع بيان ان
تلك محنة أصابته من غير استحقاق ليكون ذلك سببا للرحمة وجماعة يلتمسون اقوالا وافعالا فتجب
الناس منها حتى ينشط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسمحوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب به
ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتشخر والمحاكاة والسعبدة والافعال
المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون
اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب لتعلق المذاهب كاشعار مناقب الصحابة وفضايل اهل
البيت او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق وتسليم ما يشبه
العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بانه ادوية فيخدع بذلك الصبيان
والجهال وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤس المنابر
اذا لم يكن وراءهم طايل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد
على الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم التي
اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم

ومنقلبهم

ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتلهفوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها رخاوة اشغال الدنيا
خيالات فاسدة انقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطايفة غلبتهم الغفلة والجهل
فلم تنفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت
ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فنياكلون ليكتسبون ويكتسبون ليا كلون وهذا مذهب
الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا ليا كل ليلا ويا كل
ليلا ليتعب نهارا وذلك كثير الشوامي فانه لا ينقطع الا بالموت وطايفة اخرى زعموا انهم تفطنوا
للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره
من شهوة الدنيا وهو شهوة البطن والفرج فهولا نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع الشهوات
وجمع لذايذ الاطعمة ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات
فشغلهم ذلك عن الله واليوم الاخر وطايفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغنا بكثرة الكنوز
فاسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويتردون
في الاعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص
وهذه لذتهم وفي ذلك دائبهم وحركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض او يظفر به من ياكله
في الشهوات واللذات فيكون للجامع تعبه ووباله وللاكل لذته ثم الذين يجمعون ينظرون
الى امثال ذلك من غيرهم ولا يعتبرون وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق
الالسنة بالثنا والمدح بالتجمل والمروءة فهولا مغبونون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في
المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والملابس النفيسة ويزخرفون ابواب
الدور وما يقع عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعادة فهمتهم
في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر في الثنا وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين
الناس وانقياد الخلق للتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات
وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم
وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادات عظيمة وان ذلك غاية المطلوب وهذا اغلب الشهوات على
قلوب المتغافلين من الناس فهولا شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله عز وجل وعن عبادته وعن
التفكر في آخرتهم ومعادهم ووراءهولا طوايف يطول حصرها يزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا
واضلوا وضلوا عن سواء السبيل وانما جرهم الى ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما يراد له هذا

كثير السوامي طلاب

تعبون

النفس

الأمور الثلثه والقدر الذي يكفي منها واجزت لهم اوايل اسبابها الى اواخرها وتداعي بهم ذلك الى مهاوي
لا يمكنهم الترقي منها فمن عرف وجه الحاجه الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود منها
فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بخطه ونصيبه منه وان غايه مقصوده
تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال
وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الاخرة وانصرفت الهمه الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت
الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتشعبت به الهموم ومن تشعب به الهموم
في أودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه منها فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لذلك
طايفة واعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واصلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى
طوايف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة والاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها سواء تعبد
في الدنيا او لم يتعبد فرأوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا واليه ذهب عقلاء
من طوايف الهند فهم يتحجون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك خلاص
لهم من محن الدنيا وبلاياها ووصول الى سعادة الاخرة واخطؤا الطريق وظنت طايفة اخرى ان
القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في
قطع الشهوه والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضه
وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليهم طريق العباده وبعضهم عجز عن قمع الصفات
بالكلية وظن ان ما طلبه الشرع محال وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الزندقة والالحاد
والكفر بهذا وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله تعالى وحده وان الله مستغن عن عباده العباد
لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عباده متعبد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحه وطووا
بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفا توحيدهم ومعرفتهم بالله تعالى واحسانه فاسقطوا عن انفسهم
بجهلهم التكليف والعبادات حيث اعتقدوا ان الله مستغن عن عباده العباد وظنت طايفة اخرى ان
المقصود من العبادات المجاهده حتى يصل العبد بها الى معرفة الله تعالى فاذا حصلت المعرفة فقد وصل
وبعد الوصول يستغنى عن الوسيله والحيلة والتكليف فتركوا السعي والعباده وزعموا انهم ارتفع محلهم
في معرفة الله تعالى عن ان يتنهى بوا بالتكليف وانما التكليف على عوام الخلق وراء هذا مذاهب باطله
وضلالات هايله يطول احصاؤها الى ان يبلغ نيفا وسبعين فرقه الناجي منها فرقة واحده وهي السالكة
ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكليه ولا يقمع الشهوات بالكليه

اما الدنيا

اما الدنيا فيا خذ منها قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل ولا يتبع كل شهوة
ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يطلب كل شئ من الدنيا ولا يترك كل شئ من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما
خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيا خذ من القوت ما يقوى به البدن على العباده ومن المسكن ما
يحفظ من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك ما يمنع من الحر والبرد حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن
أقبل على الله تعالى بكنه همته فاشتغل بالعبادة والذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات
ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع في التقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة
الناجيه هم الصحابه فانه لما قال عليه السلام الناجي منها واحد قالوا يا رسول الله ومن هم فقال عليه السلام
اهل السنة والجماعه فقيل وما اهل السنة والجماعه قال عليه السلام ما انا عليه واصحابي فقد كانوا على المنهج
القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يا خذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يتركون
ويحجرون الدنيا بالكليه وما كان لهم في الامور تفريط ولا افراط بل كان امرهم بين ذلك قواما وذلك
هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سيوذكره في مواضع ثم كتاب
ذم الدنيا بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ويتلوه كتاب ذم المال بتوفيق الله سبحانه وتعالى

كتاب ذم المال

وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين نفع الله تعالى به

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم تنعنا بما رزقتنا وانت خير الرازقين

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق وافاض
على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردد هم فيها بين اليسر والعسر والغنا والفقر
والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعه والحرص والقناعه والبخل والجود والفرح بالموجود
والاسف بالمفقود والايثار والانفاق والتوسع والاطلاق والتدبير والتقتير والرضا بالقليل واستحقار
الكثير كذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا وينظر ايهم اثر الدنيا على الاخرة بدلا وابتغى عن الاخرة عدولا
وحولا واتخذ الدنيا دخيرة وخولا والصلاة على محمد الذي نسخ بسلته ملل وطوى بسريعته اديانا ووقع
وعلى اله واصحابه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا وسلم كثيرا اما بعد فان فتن الدنيا كثيرة
الشعب والاطراف واسعة الارجا والاكناف لكن الاحوال اعظم فتنها واعظم محنها واعظم فتنة فيها
انه لا غنى لاحد عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة لاحد منها فان فقد المال جعل منه الفقر الذي يكاد ان
يكون كفرا فان وجد جعل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهم لا تخلوا من الفوايد

والآفات وفوايدها من النجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المسايل المعوصات التي
لايقوى عليها الاداو والبصاير في الدين من العلما الراسخين دون المتوسمين المغرورين وشرح ذلك مهم علي
الانفراد فان ماذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصه بل في الدنيا عامه فالدنيا تتناول كل
حظ عاجل والمال بعض اجزا الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم
الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها العراض كثيره ويجمعها كل مالالانسان فيه حظ عاجل
فهو من الدنيا ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وفوايد وللانسان من قول صفة
الفقر ومن وجوده وصف الغنا وهما حالتان يحصل بهما الاختيار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة
والحرص واحدهما مذمومه والاخرى محموده وللحرص حالتان طمع فيما في ايدي الناس او تشمر في الحرف
والصناعات مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح بالانفاق
واحدهما مذموم والاخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور
متشابهه وكشف الغطا عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه في اربعة عشر فصلا وهو بيان
ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوايد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم
علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخا ثم حكايات الاسخيا ثم ذم البخل ثم
حكايات البخلا ثم الايثار وفضله ثم حد السخا والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع
الوظايف في المال ثم بيان ذم المال وكراهية مدحه قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا لاتلهكم اموالكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم
واولادكم فتنه وقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الايه وقال الهاكم التكاثر وقال ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت
الما البقل وقال عليه السلام ماذيبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه
في دين الرجل المسلم وقال عليه السلام هلك الاكثرون الا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما
هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنيا وقال عليه السلام سياتي بعدي قوما ياكلون اطايب الدنيا
والوانها وينكحون احل النسا والوانها ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها
لهم بطون من القليل لاتشبع وانفس بالكثير لاتقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها
الهة من دون الاهتهم وربا من دون ربهم الى امرهم ينتهون وهوا هم يتبعون فعزيمة من محمد
بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لايسلم عليهم ولايعود مرضاهم ولايتبع جنايزهم

ولايوقر

ولايوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال عليه السلام دعوا الدنيا لاهلها من
اخذ من الدنيا فوق مايكفيه اخذ حتفه وهو لايشعر وقال عليه السلام يقول بن ادم مالي مالي وهل
لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله مالي احب
الموت قال هل لك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المومن مع ماله ان قدمه احب
ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال عليه السلام اخلا ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض
روحه والثاني الى قبره والثالث الي محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الي
قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام مالك تمشي علي
الما ولانقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة لكنها عندي والمدر
سوا وكتب سلمان الى ابي الدرداء رضي الله عنهما اياك يا اخي ان تجمع من الدنيا ما لاتؤدي شكره فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين
يديه كلما يكبو به الصراط قال له ماله أمض فقد ادّيت حق الله تعالى فيّ ثم يجا بصاحب الدنيا الذي
لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما يكبو به الصراط قال له ماله ويلك ألا ادّيت حق الله فيّ فما
يزال كذلك حتى يدعوا بالثبور والويل وكلما ذكرناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنا ومدح
الفقر يرجع جميعه الى ذم المال لحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في
المال خاصه وقال عليه السلام اذا مات العبد قالت الملايكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال
عليه السلام لاتتخذوا الضيعه فتحبوا الدنيا الاثار روي ان رجلا اتا لمن الى الدردا
رضي الله عنه وأراه سوا فقال اللهم من فعل بي سوا فاصح جسمه وأطل عمره واكثر ماله فانظر
كيف راى كثرة المال غاية البلا مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وان يفضي الى الطغيان ودفع
على كوم الله وجهه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لاتنفعني وروي ان عمر ارسل الى زينب
بنت جحش رضي الله عنها بعطايها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له
ثم جلت ستورا كان لها فقطعته وجعلته خمرا وقسمتها في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها
وقالت اللهم لايدركني عطا عمر بعد عامي هذا وكانت اول نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحقت به وقال
الحسن والله ما اعز الدرهم احدا الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعها ابليس ثم
وضعها على وجهه ثم قبلها وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال شبيط بن عجلان ان الدنانير والدراهم
ادمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ درحم الله الدرهم عقرب فان لم تحس رقيته

فلا تاخذه فانه ان لم يقتلك قتلك ستة قيل ما رفيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلا بن زياد
تمثلت الدنيا الى وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فما بغض الدينار والدرهم وذلك لان
الدينار والدرهم هي الدنيا كلها اذ يتوصل بها الى جميع اصنافها فمن صبر عنها اصبر عن الدنيا ولذلك قيل
انى وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند هذا الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى مسلم
وقد قيل ايضا لا يعرنك من المرء قميص رقعه وازار فوق كعبا الساق منه ملفع
ولدى الدرهم فانظر عيشه اوورعه ويروي عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند
موته فقال يا امير المومنين صنعت صنعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم
وكان عنده ثلثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما
فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم واما ولدي احد رجلين اما مطيع لله تعالى والله كافيه
وهو يتولى الصالحين واما عاص لله تعالى فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد بن كعب القرظي اصاب مالا
كثيرا فقيل له لو ادخرت لولدك من بعدك قال ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي
وروي ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو عبد ربه من
مائة الف درهم وقال لحيي بن معاذ مصيبتان لم يسع الاولون والاخرون بمثلها للعبد في ماله
عند موته قيل وما هما قال ان يوخذ عنه كله ويسال عنه كله **بيان مدح المال والجمع**
بينه وبين الذم اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جا في ثواب الصدقة والحج
فهو ثناء على المال اذ لا يمكن الوصول اليها الا به وقال تعالى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال
تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام
كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف
حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوايله حتى ينكشف لك انه خير من وجه شر من وجه وانه محمود
من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر وانه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو
سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لاجاله مرة ويذم مرة ولكن البصير المميز يدرك
ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد بما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات
وتفضيل درجات النعم والقدر المنتفع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصاير سعادة الاخرة
التي هي النعيم الدايم والملك المقيم والمقصد الى هذا اب الاكرام والاكياس اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من اكرم الناس واكيسهم قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعادة لا
تنال الا بثلث وسايل في الدنيا وهي الفضايل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضايل البدنية
كالصحة والسلامة والفضايل الخارجة عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسية
ثم البدنية ثم الخارجة والخارجة اخستها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير
فانها خارجان ولا خادم لها ومرادان لغيرها ولا يراد ان لذاتها اذ النفس هي الجوهر الشريف
المطلوب سعادتها وانما تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن
تخدم النفس بواسطة الحواس والاعضا والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود
من المطاعم ابقا البدن ومن المناكح ابقا النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم
والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو ضرورة المطاعم
والملابس التي هي ضرورة ابقا البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف غاية الشر وغايته
ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن وانتفع وكان ما حصل
له الغرض مقصودا في حق فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ آلة ووسيلة
الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الاخرة وتسد سبيل العلم والعمل فهو اذن
مذموم ومحمود محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافة الى المقصود المذموم
فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فهو اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع
مايلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبل الله تعالى وكان المال سهلا لها وآلة لها عظم الخطر
فيما يزيد على قدر الكفاية فلم يطلب من الدنيا الا ما يتخلص خبره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا
واستعاذ ابراهيم عليه السلام فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنى به هذين الحجرين الذهب
والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان يعتقد الالهية في شئ من الحجارة واما معنى عبادته
حبه والاعتزار به والركون اليه وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس
وانتعس واذا شيك فلا انتقش بين ان محبها عبدا لها ومن عبد حجرا فهو عابد صنم وهو شرك
الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المومنون فانه اخفى من دبيب
النملة وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل افات المال وفوايده** اعلم
ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوايدها ترياقها وغوايلها سمومها فمن عرف غوايلها وفوايدها
امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها اما الفوايد فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية

لا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشترك من اصناف الخلق ولو لا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فنحصرها في ثلثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على العباده اما في العبادة فهو كالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقر محروم من فضلهما واما فيما يقويه على العباده وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشه فان هذه الحاجات اذا تيسر كان القلب مُتفرغًا الى تدبيرها ولا تتفرغ الى الدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عباده فأخذه الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانه على الدين من الفوايد الدينيه ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجه فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهو اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام واما الصدقة فلا تخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب فقد ذكرنا فضايلها فيما تقدم واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنيا والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقه بل الصدقه ما يسلم الى محتاج الا ان هذا ايضا من الفوايد الدينيه اذ به يكتسب صفة الاسخيا فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروه وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات والطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعرا وثلب السفها وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مما تتجر فايدته في العاجلة من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى به المرؤ عرضه كتب له صدقة وكيدلا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز المغتاب عن شر من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعه واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيية اسبابه كثيره ولو تولاها بنفسه ساعة اوناته وتعذر عليه سلوك سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذي هو اهل مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شرا الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم غيرك ويحصل به غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك فتضيع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا تصرفه الى انسان معين ولكن تحصل به خيرا عاما كبنا المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحبات في الطرق وغير ذلك من الاوقات المرصده للخيرات المؤبده الداره بعد الموت المستجلبة بركة ادعية العالمين الى اوتاف متادية وناهيك

بـ خيرا

به خيرا فهذه جملة فوايد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجله من الخلاص من ذل السوال وحقارة الفقر والوصول الى العز والمجد من الاخوان وكثرة الاعوان والاصدقا والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية واما الافات فدينيه ودنيوية اما الدينيه فثلثة الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضيه والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استتبع القدرة عليه انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السرا اعظم من فتنة الضرا الثانية انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اقل الدرجات فمتى لقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن فيترك لذايذ الاطعمه كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويتمرن عليه نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوبا اليه لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض فاذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديه ليتنظم له امر دنياه ويتيسر له بنعة فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان يُنافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم انسان من الافة الاولى وهي مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة ويبتنى عليه الحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمه وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان والجوارح وكل ذلك ينشو او يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه الثالثه وهي لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح حاله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام ان في المال ثلثة آفات ان يأخذه من غير حله فقيل اذ اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات وبخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركا ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء على التقصير في العماره وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون مفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير الاصناف

الاموال وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولايزال التفكر مترددا فيما يحرفه
اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يغير عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار الدنيا
لانهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامه عن جمع ذلك فهذه جمل الآفات الدنيوية سوى ما
يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والأمن والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد
وتحشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا تريا في المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات
وماعداه سموم وآفات **بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعه واليأس عما في ايدي**
الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع
الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف ما كان ولا يمكنه ذلك
الا بان يقطع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا واحسنه نوعا وردأ أمله
الى يومه والى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهره وان تشوف الى الكثرة اوطول الامل فاته
عز القناعه وتدنس لا محالة بالطمع ودل بالحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب
المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ورأهما ثالثا ولا يملا جوف بن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه
ويعلمنا بما اوحي اليه فجيت ذات يوم فقال ان الله تعالى يقول انا انزلنا المال لاقام الصلاه وايتاء
الزكاه ولو ان لابن آدم واديا من الذهب والفضه لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان الثاني لاحب
ان يكون اليهما الثالث ولا يملا جوف بن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال موسى الاشعري
نزلت سورة نحو براءه ثم رفعت وحفظ منها ان الله تعالى يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم
ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملا جوف بن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وقال النبي عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال عليه السلام يهرم ابن ادم
ويشب منه اثنتان الأمل وحب المال اوكما قال ولما كانت هذه جبلة الادمي مضلة وغريزة مهلكه
اثنى الله تعالى ورسوله على القناعه فقال عليه السلام طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا
وقنع به وقال عليه السلام ليس الغنا كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة
في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى
ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام سال ربه تعالى فقال اي عباد ك اغنى

قال

قال اقنعهم بما اعطيته قال فاني اعدل قال من انصف من نفسه وقال بن مسعود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من
ماء وعلى الدنيا الدمار وقال صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس
ما تحب لنفسك تكن مسلما وتنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري
ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا
تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا او ليس قد
بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك
فعلى ماذا نبايعك فقال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ والصلاة الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة
خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله اياه
الاثار وقال عمر رضي الله عنه ان الطمع وان اليأس غنى وانه من ييأس عما عند الناس استغنى عنهم
وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك **ولذلك قيل** العيش ساعات تمر
وخطوب ايام تكر اقنع بعيشك ترضه واترك هواك وانت حر فلرب حتف ساقه ذهب ويا قوم دع
وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال سفيان
خير دنياكم مالم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم بها ما اخرج من ايديكم وقال بن مسعود رضي الله عنه
ما من يوم الا وملك ينادي يا ابن ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال شبيط بن عجلان انما
بطنك يا ابن ادم شبر فلم تدخلك النار وقيل لحكيم ما المال قال التحمل في الظاهر والقصد في
الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروي ان الله تعالى قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك
منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وقال
بن مسعود اذا طلب احدكم الحاجه فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع
ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه
فكتب اليه رفعت حاجتي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء اي شيء
اسر للعاقل وايها اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن
الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنا هم عيشا القنوع واصبرهم

على الادى الحريص اذا الطمع واخفضهم عيشًا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامه العالم المفرط وقيل

ارفه ببالٍ فتًى يُسيء على ثقةٍ ٭ ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصونٌ ما يدنّسه ٭ والوجه منه جديدٌ ليس يُخلِقه
ان القناعة من كلل ساحتها ٭ لم يلق في دهره شيًا يُوَرِّقه وقيل
حتى متى انا في حِلٍ وترحالٍ ٭ وطول سعيٍ وادبارٍ واقبالِ
ونازح الدار لا انفك مغتربًا ٭ عن الاحبّة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورًا او بمغربها ٭ لا تخطر الموت من عرض على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعةٍ ٭ ان الفتوح الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحلّ من مال الله تعالى حلتان لستاى وقيظي وما استغنى من الظهر لحجي وعمرتي ومتوى بعد ذلك كقوت رجل من قريش ليست بارفعهم ولا باوضعهم ووالله ما ادري الحلز ذلك ام لا كانه شك في هذا القدر هل هو زيادة على الكفايه التي تجب القناعة بها منها وعاتب اعرابيٌ اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالبٌ ومطلوبٌ يطلبك من لا تفوته وتطلب انت ما قد كفيته وكلما طاب عنك قد كشف لك وما انت فيه فقد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصًا محرومًا وزاهدا مرزوقا وقد قيل

اراك يزيدك الاثراء حرصًا ٭ على الدنيا كانك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يومًا ٭ اليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي حكي ان رجلًا أصاد قنبرةً فقالت ما تريد ان تصنع بي فقال ادخلك واشويك وآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا اشبع من جوع ولكن اعلمك ثلث خصالٍ هن خيرٌ لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما الثانيه فاذا صرت على الشجره واما الثالثه فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات فخلاها فلما صارت على الشجر قال هات الثانيه قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو دخلتني لأخرجت من حوصلتي دُرَّتين في كل واحدةٍ عشرين مثقالًا قال فعض على شفته وتلهف قال هات الثالثه قالت انت قد نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثه الم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي وبطني ورئيس لا يكون عشرون مثقالًا فكيف يكون في حوصلتي درّتان في كل واحدةٍ عشرون مثقالًا ثم طارت فذهبت وهذا مثالٌ ضُرِبَ لفرط طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجا حبلٌ في قلبك قيدٌ في رجلك فاخرج الرجا من قلبك تخرج القيد من رجلك وقالوا ابو محمد الترمذي

دخلت

دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقةٍ مكتوبٍ فيها بالذهب فلما رأى تبسم فقلت فايدة اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني اميّه فاستحسنتها وقد اضفت اليهما ثالثًا وانشد اذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجةٍ ٭ فدعه لاخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملأه ٭ ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبدالًا لعرضك واجتنب ٭ ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعبٍ ما يذهب العلوم من قلوب العلما بعد ان وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجلٌ للفضل فسّر لي قول كعبٍ قال يطمع الرجل في شيٍ فيطلبه فيذهب عليه دينه حتى يحصل له والشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا يحب ان يفوتها شيٌ ويكون لك الى هذا حاجةٌ والى هذا حاجةٌ فاذا قضاها لك خزا انفك وقادك حيث شا واستمكن منك وخضعت له فمن ثَمَّ قيل للدنيا اذا امرت به سلمت عليه وعُدّ منه اذ امرض لم تسلم عليه لله تعالى ولم تعُده لله ولو لم يكن لك اليه حاجةٌ كان خيرًا لك ثم قال هذا خير لك من مايةِ حديثٍ عن فلان وعن فلان وقال بعض الحكما من محبة امر الانسان لدنوي بدوام البقا في الدنيا لم يكن في قوى خليقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قِصَر مدة التمتع وتوقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهبٍ فقلت له من اين تاكل قال سير اللطيف الخبير الذي خلق الارحا هو ياتيها بالطحين واوما بيده الى رحًا اخراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدوا الذي يكتسب صفة القناعه

اعلم ان هذا الدوا مركبٌ من ثلثة اركانٍ العلم والعمل والصبر ومجموع ذلك خمسة امور الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عزّ القناعه فينبغي ان يشدّ على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويردّ نفسه الى ما لا بدّ منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم يمكنه القناعه بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوبٍ واحدٍ خشنٍ ويقنع باي طعامٍ كان ويقلّل من الادام ما امكنه ويوطّن نفسه عليه وان كان له عيالٌ فيردّ كل واحدٍ الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسّر بادنى جهدٍ ويكثر معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشه هو الاصل في القناعة ويعنى به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الرفق في الامر كله وقال عليه السلام ثلثٌ منجياتٌ خشيةُ الله في السرّ والعلانيه والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وروي ان رجلًا ابصر ابا الدرداء يلتقط حبًا من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم

الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال عليه السلام من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال عليه السلام اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فرجا ومخرجا والتؤدة في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شدة الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لابد وان يأتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده بالفقر ويأمره بالفحشا ونقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وتعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السوال فلا يزال طول العمر تتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتمالة التعب يقدما مع الغفلة عن الله تعالى لتوهم التعب في ثاني الحال ربما لا يكون وفي مثل قيل ومن يتق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وقد دخل انس على خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فان الانسان تلده امه أجيم ليس عليه قشره ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال لا تكثرهمك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال عليه السلام الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمه ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله في تقدير ارزاق العباد وان ذلك لا يحصل لا محاله مع الاجال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال عليه السلام اتى الله ان يرزق عبده المومن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك فاقده الضروره بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل قلت لاعرابي من اين معاشك قال يرد الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الناس بشيئين شغل منهما هو لي فلن أعجل قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيء منها هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي بمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين أفنى عمري فهذا وفاء من جهة المعرفة لابد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر **الثالث** ان تعرف ما في القناعة من عز الاستغنا وما في الطمع من الذل فاذا تحقق عنده ذلك

انبعثت رغبته الى القناعه لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخرة وذلك فيما ينضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والماثم ويفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق ويلزمه المداهنة وذلك مما لله دينه ومن لا يوثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان وقد قال عليه السلام عز المومن استغناوه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره **الرابع** ان يكثر تامله في تنعم اليهود والنصاري وارذال الناس والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبيا والاولياء والى سنة الخلفا الراشدين وساير الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطلع على احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق او على الاقتدا بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل والقناعة باليسير ثم ينظر انه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهم في رتبته الا الانبيا والاولياء **الخامس** ان يفهم ما في جميع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه من حرف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ وتامل ما ذكرناه من آفات المال والحسرات عند الموت مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة الى خمسماية عام فانه اذا لم يقنع مما يكفيه التحق بزمرة الاغنيا واخرج عن جريدة الفقرا ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تقنع عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اهم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم بالتقشف قال ابو درداء اوصاني خليلي عليه السلام أن أنظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي في الدنيا وقال ابو هريرة قال عليه السلام اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه فبهذه الامور تقدر على اكتساب خلق القناعه وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلايل للمتبع هو اطوله فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدوا لشدة طمعه في انتظار البقا

بيان فضيلة السخا

اعلم ان المال ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعه

وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار والسخا واصطناع المعروف والتباعد
من الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا وهو اصل من اصول النجاه وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال السخا شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن
الى الجنه وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلح الا السخا وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حبل الله تعالى وليا له الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الايمان افضل قال الصبر والسماحه وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله تعالى وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخا واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضا حوايج الناس وروي المقدام بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنه قال ان من موجبات المغفره بذل الطعام وافشا السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخا شجرة في الجنه فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت رضاي فيهم ورحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن بن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى اخذ بيده كلما عثر وقال بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير فان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملايكه وقال عليه السلام ان الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل عن الاسلام شيأ الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشيا وكثير من شيا الصدقه فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفاقه وقال بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني النضير وامر بقتلهم واقرد منهم رجلا فقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلام نزل علي جبريل فقال

اقتل هولا واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاه فيه وقال عليه السلام ان لكل شي ثمره وثمرة المعروف تعجيل التراح وعن نافع عن بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دوا وطعام البخيل دا وقال عليه السلام من عظت نعمة الله عليه عظت حوايج الناس اليه فمن لم يحتمل تلك المونه عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام استكثروا من شي لا تاكله النار قيل وما هو قيل المعروف وقالت عايشه قال صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخيا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل وادى الله البخل وقال عليه السلام اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال عليه السلام ان بدلا امتي لا يدخلون الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخا الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاه كما يسر الغيث الى البلدة الجدبه فيحييها ويحيي بها اهلها وقال عليه السلام كل معروف صدقه والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال عليه السلام كل معروف فعلته الى غني وفقير صدقه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن عباده فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركايب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عليه السلام ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الاشعار** قال علي كرم الله وجهه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها لا تغنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى **والشعر**

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ٭ فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ٭ فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

وسال معاوية الحسن بن علي عن المروه والنجده والكرم اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرمة نفسه وحسن قيامه بضيعه وحسن المنافعه والاقدام في الكراهيه واما النجدة فالدرية عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في المحل والرافة بالسايل مع بذل التاويل ودفع رجل الى الحسين بن علي عليهما السلام رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله تعالى عن ذل

مقامه بين يدي حتى اقر ارقعته وقال بن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسيل بعض الاعراب فقيل من سيدكم قال من احتمل مُشتريمنا واعطى سايلنا واغض عن جاهلنا وقال زين العابدين ببذل ماله لطلاّبيه لم يكن سخيًا وانما السخي من يبتدي بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حُبّ الشكر له اذا كان بغيته ثواب الله تعالى ما ما وقيل للحسن البصري ما السخا قال ان تجود بمالك في الله تعالى فيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسه وقال جعفر الصادق رض الله عنه لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشاوره الا وان الله تعالى يقول اني جواد كريم لا بجاورني لئيم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنه وقال الحديم رُبّ فاجرٍ في دينه اخرقُ في معيشته يدخل الجنة بسماحته ورأي الاحنف بن قيس رجلاً في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي قال اما انه ليس لك حتى تخرج من يَدِك وفي معناه قيل

٥ انت للمال اذا امسكته ٥ فاذا انفقته فالمال لك ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

وسمى واحل بن عطا الخزال لانه كان يجلس الى الخزالين فاذا رأى امرأة ضعيفةً اعطاها شيأ وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الي الحسين بن علي رض الله عنهم يعتبُ عليه في اعطاء الشعرا فكتب فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفيان بن عيينه ما السخا فقال السخا البرُّ بالاخوان والجود بالمال وورث بن بعضهم خمسين الف الف درهم فبعث بها الى اخوانه ضرًا وقال قد كنت اسأل الله تعالى لاخواني الجنة في صلاتي فأبخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكما من احبُّ الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال فمن كثرت ايادي عنده قال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل مكّنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شبيه كيف رايت الناس في داري فقال يا أمير المومنين ان الرجل منهم ليدخل داجيًا ويخرج راضيًا وتمثل مثيل عند عبد الله بن جعفر فقال ان الصنيعة لا تكون صنيعةً ٥ حتى يصاب بها طريق المقنع ٥ ٥ ٥

٥ ٥ ٥ فاذا صنعت صنيعةً فاعدبها ٥ لها اولذوي القرابة أو دَع ٥ ٥ ٥

فقال عبد الله بن جعفر هذا بين البينين ليحتجلان الناس ولكن امطر المعروف مطرًا فان اصاب الكرام كانوا لها اهلاً وان أصاب اللئام كنت له اهلا وحكايات الاسخيا عن محمد بن المنكدر عزام دزة وكانت تخدم عايشة رض الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث إليها بمال في غرارتين قيل

انه كان ثمانين وماية الف درهم فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جاريه هلمّي فطورك فجاءت بخبز وزيت فقالت لها ام دِرّه ما استطعتِ فيما فَرَّقتِ اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه فقالت لو كنتِ ذكرتيني لفعلت وعن أبان بن عثمان قال اراد رجلٌ ان يُضارّ عبد الله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدّوا عندي اليوم فاتوه حتى ملأوا عليه الدار فقال ما هذا فاخبر بالخبر فأمر عبد الله ببُترًا فاكهةٍ وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا وقدمت الماكهه اليهم فلم يفرغوا منها حتى وُضعت الموايد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلا يه أمّوجوذ كلما اردت قالوا نعم فليتغدّ عندنا هو لا في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معاويه فلما انصرف من المدينه قال الحسين بن علي لاخيه الحسن لانلقاه ولا نسلم عليه فلما خرج معاويه قال الحسن ان علينا دينًا ولا بدّ لنا من إتيانه فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمرّ واعليه بنختيٍ عليه ثمانون الف دينار وقد انيخا وتخلف عن الابل وقومٌ يسوقونه فقال معاويه ما هذا فذكروا له حاله فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد ليسوقه إلى المدينة وهي قريبةٌ وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع رقعةً الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلّة صبره عليه فوقّع المامون على ظهر رُقعته انك رجلٌ اجتمع فيك خصلتان سخاءٌ وحياءٌ فاما السخا فهو الذي اطلق ما في يدك واما الحيا فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بماية الف درهم فان كنت قد أصبت فاردد في بسط يدك وان لم اكن أصبت فحياءك لا تضيق على نفسك وانت حدثني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بايدي العرش يبعث الله تعالى الى كل عبدٍ بقدر نفقته فمن كثر كثّر له ومن قلّل قلّل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احبُّ الي من الجايزة ومن ماية الف اخرى وسال رجل الحسن بن علي كرم الله وجهه حاجةً فقال له يا هذا حق سوالك الذي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكثر علي ويدي تعجز عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاءٌ لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مونة الاحتيال والاهتمام لما انكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبلُ واشكر العطيه واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثماية الف فاحضر خمسين الفا فقال ما فعل الخمسماية دينار فقال هي عندي قال احضرها فاحضر فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات

من يحملها لك فأتاه بحالين فدفع اليهما الحسن رداءه لبكر الحالين فقال له مو اليه والله ما عندنا درهم فقال
ولكن ارجو ان يكون لي عند الله اجرٌ عظيم واجتمع قرأ البصره الى ابن عباس وهو عامل البصره فقالوا انا
جارٌ صوّامٌ قوّامٌ يتمنّى كل واحدٍ منّا ان يكون مثله وقد زوّج بنيّةً له من ابن اخيه وهو فقير وليس
عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بأيديهم وادخلهم داره وفتح ضندوقًا واخرج منها
ستّ بدر فقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا
بنا نكلّ عواله على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مومنًا عن عبادة ربه وما بنا من التكبّر ما لا
يخدم اولياء الله تعالى ففعلوا وحكى انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال الله
لا علمن الشيطان انى عدوه لعالج محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرجل وللتجار عليه
الف الف درهم فرهنهم بها حلىّ نسايه وقيمتها خمس مايه الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب اليهم
ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم ينله صلاته ليقتسموها وكان ابو طالب بن كثير
تاعبًا فقال له رجل بحق علي بن ابى طالب لما وهبت لى نخلتك بموضع كذا فقال قد فعلت وحقه
لا عطينّك ما يليها وكان ذلك اصعاف ما طلب الرجل وكان ابو امر تذّ احد الكرما فمدحه بعض
الشعرا فقال للشاعر ما عندى ما اعطيك ولكن قدّمنى الى الفاض واذّعى علىّ عشرة الاف درهم
حتى أقرّ لك بها ثم احبسنى فان اهلي لا يتركونى محبوسًا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة
الاف درهم واخرج ابو مرتد من الحبس وكان معن بن زايده عاملًا على العراقين بالبصره فحضر بابه
شاعر فاقام مدّة واراد الدخول على معنٍ فلم يتهيأ له فقال يوم لبعض خدم معنٍ اذا دخل الامير البستا
نعرفنى فلما دخل اعلم فكتب الشاعر بيتًا على خشبةٍ والقاها فى الما الذى يدخل البستان وكان معنٍ
على راس الما فلما ابصر بالخشبه اخذها وقراها فاذا عليها مكتوب

ايا جود معنٍ ناج معنًا بحاجتى ٭ فمالى الى معنٍ سواك شفيع

قال فقال من صاحب هذه فدُعى بالرجل فقال له كيف قلت قال قلت فقال له فانّ له بعشرة بدر فاخذها
ووضع الامير الخشبه تحت بساطه فلما كان اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط وقراها فيها ودعا
بالرجل فدفع اليه مايه الف درهم فلما اخذها الرجل تفكر وخاف ان يأخذ ما اعطاه فخرج فلما كان فى
اليوم الثالث قرأ فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معنٍ حقّ ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى
دينارٌ ولا درهم وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر سلام الله عليهم حجّاجًا
ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمرّوا بعجوزٍ فى خبا لها منفرده فقالوا هل من شرابٍ فقالت نعم

فاناخوا

فاناخوا اليها ليس لها الا شويهه فى كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتدقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها
هل من طعامٍ فقالت لا الا هذه الشاه فليذبحها احدكم حتى اهيّى لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها
وكشطها ثم هيّأت لهم طعامًا فاكلوا واقاموا حتى بردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفرٌ من قريش نريد
هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين فالمّى بنا فانا صانعون بكِ خيرًا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر
القوم والشاه فغضب الزوج وقال ويلك تذبحين الشاة لقومٍ لا تعرفينهم ثم يقولون نحن نفرٌ من قريش
قال ثم بعد مدّة اجأتهم الحاجه الى دخول المدينه فدخلوها وجعلوا ينقلون البعر اليها ويتسعّان
بثمنه فمرّت العجوز ببعض التكك فاذا الحسن بن علي جالسٌ على باب داره فعرف العجوز وهى له منكره
فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله أتعرفيننى فقالت لا قال انا ضيفك يوم كذا قالت العجوز
بابي انت وامّي انت هو قال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شا الصدقه الف شاه وامر لها معها بالف دينار
وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها بكم وصلكِ اخى قالت بالف شاه والف دينار فامر لها الحسين
ايضًا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله بن جعفر فقال لها بكم وصلكِ الحسن والحسين قالت
بالف شاه والف دينار فامر لها عبد الله بالف شاه والف دينار وقال لها لو بدأتِ بي لاعطيتهما
فرجعت الى زوجها باربعة الاف شاه واربعة الاف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد
يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام
قال الصلاح لك وفلاحك رايتك تمشى وحدك فقلت أقيك بنفسى واعوّدك ان طار بجنابك مكروه
فأخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال اسفق هذه
فنعم ما ادّبك اهلك وحكى ان قومًا من العرب جاءوا الى قبر بعض اسخيايهم للزيارة فنزلوا عند قبره
وقد جاءوا من سفر بعيدٍ فباتوا عند قبره فراى رجلٌ منهم فى النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك
ان تبادل بعيرك سختٌ وقد كان خلف السخى الميت بخيتًا معروفًا به ولهذا الرجل بعيرٌ سمين فقال
فى النوم نعم وباع فى النوم بعيره ببخيته فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره فى
النوم فانتبه الرجل من نومه ينتح الدم من نحر بعيره فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخه
وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثانى وهم فى الطريق استقبلهم ركبٌ فقال رجل منهم
من هؤلاء بن فلان فيكم باسم ذلك الرجل فقالوا نعم فقال هل بعث من فلانٍ شيأً وذكر الميت صاحب القبر
قال نعم بعث منه بعيرى ببخيته فى النوم فقال خذ هذا بخيته ثم قال هو انى قد رايته فى النوم وهو
يقول ان كنت ابنى فارفع نحيى الى فلان وشاه وقدم رجلًا من قريش من السفر فمرّ برجلٍ من الاعراب

على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال يا هذا اعيتنا على الدهر فقال الرجل لغلامه
ما بقي من النفقه فادفعه اليه فصب الغلام في حجر الاعرابي اربعة الاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من
الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك
فابكاني واشتري عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين الف درهم
فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لأهله مالهؤلا يبكون قالوا ليبكون لدارهم قال يا غلام أبهم فاعلمهم
ان الدار والمال لهم جميعا وقيل انقدها هارون الرشيد المالك بن انس خمس مايه دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد
فانفذ اليه الف دينار فغضب فقال له اعطيه خمس مايه دينار وتعطيه انت من رعيتي فقال يا امير المومنين
ان لي في كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم يجب عليه الزكاه
مع ان دخله كل يوم الف دينار وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيأ من عسل فامر لها بزق فقيل انها
تقنع باقل منها فقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم
كل يوم حتى يتصدق على ثلثمايه وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت ستاه عندي وكان حشيه بن
عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني عنها هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا
لبنها وكان تحتي لبدا اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاه اكثر من
ثلثماية دينار من بره وانا استغفر والله حتى تمنيت ان الشاه لم تبر اقال عبد الملك بن مروان لاسما
بن خارجه بلغني عنك خصال خدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني
بها فقال يا امير المومنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما
الا كانوا ممن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط ليسالني شيأ فاستكثرت شيأ اعطيته اياه ودخل
سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيأ كتب لمن سأله الصكاك
على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر سليمان شكل بهذا البيت يقول:

انى سمعت مع الصباح منادیا ... يا من يعين على الفتى المعوان

ثم قال حاجتك قال ديني قال وكم هو قال سلثون الف دينار قال لك ديني ومثله وقيل مرض قيس
بن سعيد بن عباده فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا
يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر منادیا فنادي من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل قال فكسرت
درجته بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحاق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غرما
لي فلما صليت وضع بين يدي خل ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس الكندي

قدم البارحة

قدم البارحة فامر لكل من صلى في المسجد بخله ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد الحركوشي النيسابوري
سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المحاربي بمكه قال كان بمصر رجل عرف بابن
بجع للفقر اشيأ فولد لبعض الناس ولدا قال فحبيت اليه فقلت ولدي مولود وليس معي شي فقام معي
ودخل على جاعة فلم يفتح له بشر فجا الى قبر رجل وجلس عنده وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني
واني دهيت اليوم على جاعة وكلفتهم دفع شر لمولود فلم يتفق لي شي قال ثم قام واخرج دينارا وكسره
نصفين وناولني نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله لك بشر قال فاخذته وانصرفت واصلحت
ما اتفق لي به قال فرأى ذلك المحتسب تلك الليله ذلك الشخص في المنام فقال سمعت جميع ما قلت
وليس لنا اذن في الجواب ولكن احرس منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابه
فيها خمس مايه دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصه
فقالوا له اجلس وحفروا الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا
ما لكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احيأ فلما الحوا عليه حمل الدنانير
الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصه قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي
اقترضه وحمل النصف الاخر وقال بلغني هذا تصدق به على الفقرا قال ابو سعيد فلا ادري اي هؤلا
اسخى وروي ان الشافعي رضي الله عنه انه لما مرض مرض موته فقال مروا فلانا يغسلني فلما توفي
بلغه خبر وفاته فحضر وقال ايتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي سبعون
الف درهم دين فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اراد به هذا قال ابو سعيد
الواعظ الحركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جاعة من احفاده
وذريتهم فرايت فيهم سيما الخير واثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم وظهرت بركته عليهم مستدلا
بقوله تعالى وكان ابوهما صالحا وقال الشافعي لا زال احب خالد بن ابي سليمان لشر بلغني عنه انه كان ذات
يوم راكبا حماره فخرقت ريحه فمزقه على خياط واراد ان ينزل اليه ليشوي زقه فقال الخياط والله
لا نزلت فقام الخياط اليه فاخرج صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه في قلتها
وانشد الشافعي لنفسه يالهف نفسي على مال افرقه ... على المقلين من اهل المروات
ان اعتذارا الى من جا يسالني ... ما ليس عندي من احدى المصيبات
وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل بركاب الشافعي قال يا ربيع اربعة دنانير واعتذر له عني
وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعا الى مكه بعشرة الاف دينار فضرب خباه

في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه فقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر
ونفض الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور قال اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قليل يا يمسك
شيأ من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك قال فخرج
ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال قال فما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان أشتريها المعرفتي بأصلها
وقد وقفت اكثرها ولكنني بنيت بمنا مصرا يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيه وانشد الشافعي

ارى نفسي تتوق الى امور ويقصرون مبلغهن مالي

فنفسي لا تطاوعني لبخل وما لي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل الى على المامون فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها
فاخبر بذلك المامون فلما عاد اليه عاتبه المامون في ذلك فقال يا امير المومنين منع الموجود سوء
الظن بالمعبود فوصله بمائة الف اخرى وقام رجل الى سعيد بن العاص فسال فامر له بمائة الف
درهم فبكى فقال سعد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك فامر له بمائة الف اخرى ودخل
ابو تمام على ابراهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل بنه المدحه وامر حاجبه بسله
ما نصلحه وقال عسى ان أقوم من مرض فأكافيه فأقام شهرين فاوحشه طول المقام فكتب اليه

ان حرامًا قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد

فما الدنانير والدراهم في البيع حرام الابدًا بيد

فلما وصل الى ابراهيم البيتان قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال اعطه ثلاثين الفا وجنيه دواة
فكتب اليه

اعجلتنا فأتاك عاجل برّنا قللًا ولو امهلتنا لم نقلل

فخذ القليل وكن كانك لم تقل ونكون نحن كانا لم نفعل

ويروي انه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يومًا الى المسجد فقال له
طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروءتك وقالت سعدي بنت عوف
دخلت على طلحة فرايت منه ثقلًا فقلت مالك فقال اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع
قومك ففرقه فيهم فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربعمائة الف
وجاء اعرابي الى طلحة فسأله وتقرب اليه برحم فقال ان هذه لرحم ما سألني احد بها قبلك ان لي ارضًا
قد اعطاني بها عثمان ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن
فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع الثمن اليه وقيل بكى على كرم الله وجهه يومًا فقيل ما يبكيك

فقال

فقال لم يا تيني ضيف منذ سبعة ايام أخاف ان يكون الله قد اهانني واتي رجلا صديقًا له فدق
عليه الباب فقال لم جيتني قال لاربع مائة درهم دين علي قال فورن اربعمائة واخرجها اليه وعاد
يبكي فقالت امراته لم اعطيته أدشق عليك فقال انما ابكي الا اني لم اتفقد حاله حتى احتاج الي
مفاتحتي به **بيان ذم البخل** قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وقال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله
وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا
محارمهم وقال عليه السلام اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا
محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا سيئ
الملكة وفي رواية ولا حارك ولا سان ان الله يبغض ثلثة الشيخ الزاني والبخيل المتان والمختال
المحتال وقال عليه السلام مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما
الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيأ الا اتسعت او زفرت على جلده حتى تخفي بنانه واما البخيل فلا
يريد ان ينفق شيأ الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع
وقال عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ
بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وقال عليه السلام اياكم
والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش واياكم
والشح فانه اهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم
بالقطيعة فقطعوا وقال عليه السلام شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد
النبي صلى الله عليه وسلم فبكت باكية فقالت واشهيداه فقال النبي عليه السلام وما يدريك انه شهيد
فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينما نحن نسير مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه الناس متغلقة من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه
حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف عليه السلام فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه
العضاة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا وقال عمر قسم النبي صلى الله عليه وسلم
قسمًا فقلت غير هؤلاء كانوا احق به منهم فقال انهم خيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني
ولست ببخال وقال ابو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه ثمن بعير

فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب فأثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما
فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مايةٍ ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فيتطلق في مسئلتهِ بتأبطها
وهي نار فقال عمر فلم تعطهم ما هو نار قال يا بون الا ان يسالوني وياى الله لي البخل وعن ابن عباس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالي فجودوا يجدالله لكم الا ان الله خلق الجود
فجعله في صورة شجره وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبي وشذا اغصانها باغصان سدرة
المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنه الا ان السخا من الايمان
والايمان في الجنه وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا وجعل اشه في اصل شجرة الزقوم
ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر
في النار وقال عليه السلام السخا شجرة تنبت في الجنه فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت
في النار فلا يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني
لحيان قالوا سيدنا حدين قيس الا انه رجل فيه بخل فقال عليه السلام واي داءٍ ادردي من البخل
ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي روايةٍ انهم قالوا سيدنا حدين قيس فقال وما تسودونه قالوا
انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنتربه بالبخل فقال عليه السلام واي داءٍ ادوا من البخل ليس ذلكم سيدكم
قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال سيدكم بشر بن البرا وقال علي كرم الله وجهه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبغض البخيل في حياته السخي عند موته قال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبدٍ وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء
الخلق وقال عليه السلام لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال عليه السلام يقول فايكم الشحيح
اعذر من الظالم واي ظلمٍ اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنه شحيح
ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبه
وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي وغفرت ذنبي فقال عليه السلام وما ذنبك حفه لي قال هو
اعظم من ان اصفه لك قال وتحك ذنبك اعظم من الارضين قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك
اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم البحار قال بل ذنبي يا رسول الله قال
فذنبك اعظم من السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم من العرش قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلي قال وتحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل

وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي المجهول احب الى الله من العابد البخيل؟

ذو اثروة

ذو اثروةٍ من المال وان السايل ليا تيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة نارٍ فقال عليه السلام
اليك عني لا احرقني الله بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامه لو قمت بين يدي الوكن والمقام ثم
صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري من دموعك الانهار وتسقي بها الاشجار ثم متّ وانت لئيم
لاكبك الله في النار وبحك اما علمت ان البخل كفرٌ وان الكفر في النار وبحك اما علمت ان الله يقول
ومن يوق شح نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئكم المفلحون الاثار قال ابن عباس
لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل
وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري
سُرُرِكِ وحجالكِ وكراستكِ وحليكِ وحللكِ وحور عينكِ فاظهرت فنظر اليها فقال تعالى
فقالت طوبى لمن دخلني فقال الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز
اف للبخل لو كان البخيل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد
ما نجد البخلا ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امّر عليهم
شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلايهم وقال علي كرم الله وجهه في خطبته انه سياتي على الناس
زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم
وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه
ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد
غورا في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال
للهندي تكلم فقال خير الناس من يلقى سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة
متواضعا وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكر
لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يمقتون فقرا ومن لا يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال
الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان قال البخل امسك الله تعالى
ايديهم عن النفقه في سبيل الله تعالى فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباحٍ الا وقد وكل به
ملكان ينادیان اللهم اجعل لممسكٍ تلفا ولمنفقٍ خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف
رجلا فقال لقد صغر فلانا في عين العظيم الدنيا في عينه فكانما يريني بالسايل اذا راه ملك الموت اذا
اتاه وقال ابو حنيفة رض الله عنه لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمل البخل على الاستقصا فياخذ
فوق حقه حيفة من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامونا على الامانة وقال علي كرم الله وجهه

والله ما استقص كريم قط قال الله تعالى عرّف بعضه واعرض عن بعض وقال الحاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخيل وأكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له وقال قال النبي عليه السلام ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا صوّامة قوّامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها إذن وقال بشر النظر الى البخيل يقسر القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ بأبي القلب للاسخيا الأحبّا ولو كانوا فجارا وللبخلا الابغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز أبخل الناس من له اجود هم بعوضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحبّ الناس اليك وابغض الناس اليك قال احبّ الناس اليّ المومن البخيل وابغض الناس اليّ الفاسق السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي الخوف ان يطلع الله تعالى عليه في سخايه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك بحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدّم اليه طاهجة ببيض فاكل منه فاكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوّى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيّأ ما اكلت فقال هاه اتقيّأ طاهجة بيض اموت ولا اتقيّأ طاهجة بيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وهو جالس وبين يديه طبق تين فغطى التين بكمّه لما رآه مجلس الاعرابي فقال له الرجل تحسن من القران شيأ قال نعم وقرأ والزيتون وطور سنين فقال واين والتين فقال له هو تحت كمّك ودعا بعضهم اخّاله ولم يطعمه شيأ الى العصر حتى اشتدّ جوعه واخذه مثل الجنون فأخذ صاحب البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي أن اسمعك قال صوت المقلي ويحكى ان محمد بن يحيى كان بخيلا قبيح البخل فسئل نسيبٌ له كان يألفه عنه وقال له قايل صف ما يديه فقال هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حبّ الخشخاش قال فمن يحضره قال الكرام الكاتبون قال أفما ياكل بعه احد قال بلى الذباب فقال سوّة له انت خاصّ به وتوبك مخرّق فقال اني والله ما اقدر على إبرة اخيط بها ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوءا ابرا تهجاه جبريل وميكاييل ومعهما يعقوب النبي يضمنون عنه ابرا ويسألونه اعرنا اياه لنخيط بها قميص يوسف الذي قدّ من دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصه لا ياكل اللحم بخلا حتى يقوم اليه فاذا قوم اليه ارسل غلامه فاشتري له راسا فاكل فقيل له نراك لا تاكل الا الرؤس في الصيف والشتا فلم تختار ذلك فقال نعم الراس اعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس فانه ان مشرعيا او اذنا او خدّا او فقت

على ذلك

على ذلك منه وأكل منه الوانا أكل منه عينيه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا ولسانه لونا وكفى مؤنة طبخه فقد احتجت لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت امراة من اهله مالي عليك ان رجعت بالجايزة قال ان اعطيت ماية الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربع دوانيق واشترى مرة لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش جار لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرة عندنا وملحا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سأل سايل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه السايل المسئلة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت لك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدّة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان فضيلة الايثار وفضيلة ثوابه

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخا الايثار وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج اولغير محتاج والبذل مع الحاجة اشدّ وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يحبّ الانسان على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي لما ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي الشهوة فلا يمنعها منها الا بالثمن ولو وجدها مجانا لأكلها فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك يوثر على نفسه غيره مع الحاجة فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله تعالى حيث يشا وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد اثنى الله تعالى على الصحابة فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال عليه السلام ايما امرء اشتهى شهوة فردّ شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عايشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام متتابعات حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا نوثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيأ فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام فأمر امراته باطفاء السراج وجعل يمدّ يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى أكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم الى ضيفكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخا خلق من اخلاق الله والايثار أعلى درجات السخا وكان ذلك من ذاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمّاه الله عظيما فقال وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى عليه السلام يارب أريني بعض

روى ان سفينة بن لنجرم البلخي [illegible] فقال وهل تعرف [illegible] فعال وكيف [illegible] فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا واذا اعطوا شكروا واذا اعطوا آثروا

درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال يا موسى لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السما فنظر الى منزل كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بما ابلغت به الى هذه الكرامة فقال لخلق اختصته به من بينهم وهو الإيثار يا موسي لا ياتيني احدٌ منهم قد عمل وقتاً من عمره الا استحييت من محاسبته وتوانيه من حيث يشا وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على بخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها إذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلبٌ ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فما أكثرت به هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة جايعاً فكرهت ردّه قال فما انت صانع اليوم فقال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر بئس الأكم على السخا وان هذا الأسخى مني فاشترى الحايط والغلام وما فيه من الأثاث فاعتق الغلام ووهبها منه وقال عمر اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان أخي كان احوج مني اليه فبعث به اليه فلم يزل كل واحد يبعث به الى اخر حتى تداولت سبعة ابيات حتى رجع الى الأول وبات علي بن ابي طالب على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبريل وميكايل اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر على صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه و يوثره بالحياة اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكايل عند رجليه وينادي جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملايكه فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيفاً وثلثون نفساً وكانوا في قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدوده لم تسع جمعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع الطعام اذا هو كما له ولم ياكل واحدٌ منهم شيأ ايثاراً لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة جاءه سايل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال حديفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب بن عم لي ومعي شيء من ماء وانا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول اه فاشار بن عمي انطلق به اليه فجيته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هشام قد مات فرجعت الى بن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احدٌ من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجلٌ في مرضه فشكا اليه الحاجه فنزع قميصه فاعطاه فاستعار ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفيه قال كنا بطرسوس

فاجتمعنا

فاجتمعنا جماعةً وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلبٌ من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن ببدابةٍ ميتةٍ فصعدنا الى موضعٍ خال فقعدنا فلما نظر الكلب الى الميته رجع الى البلد ثم عاد بعد ساعةٍ ومعه مقدار عشرين كلبا فجا الى تلك الميته وقعدنا ناحيةً ووقعت الكلاب في الميته فما زالت تاكلها وذلك الكلب قاعدٌ ينظر اليها حتى اكلت الميته وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجا إلى تلك العظام فاكل ما بقي على العظم قليلاً ثم انصرف وقد ذكرنا جملةً من اخبار الإيثار واحوال الاوليا في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرفت بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وما يصير الانسان بخيلاً وما من انسانٍ الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلاً وقد يصدر فعلٌ من انسانٍ فيختلف فيه الناس فيقول قومٌ هذا بخيلٌ ويقولون اخرون ليس هذا من البخل وما من انسانٍ الا ويحد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويسئل فان كان يصير باسئال المال بخيلا فاذا لا ينفك احدٌ عن البخل واذا كان الاسئال مطلقا لا يوجب البخل ولا معنى للبخل الا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخا الذي يستحق العبد به صفة السخاوه وثوابها فنقول قد قايلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيلٍ وهذا غير كافٍ فان من يرد اللحم مثلاً الى القصاب والخبز الى الخباز بنقصان حبةٍ او نصف حبةٍ فانه يعد بخيلاً بالانفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمةٍ زاد واعلمها او شربةٍ اكلوها من ماله عد بخيلاً ومن كان بين يديه رغيفٌ فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عنه عد بخيلاً وقال قايلون البخيل هو الذي يستصعب العطيه وهذا ايضا قاصرٌ فانه إن أريد به انه يستصعب كل عطيه فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليله كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان أريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من جوادٍ الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاءٌ بلا من واسعافٌ على غير روية وقيل الجود عطاءٌ من غير مسئلةٍ على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسايل والفرح بالعطا لما امكن وقيل الجود عطاءٌ على روية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير روية الفقر وقيل من اعطى البعض وتقي البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الأكثر وابقى لنفسه شيأ فهو صاحب جودٍ ومن قاسى الضر او اثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار ومن لم يبذل شيا فهو صاحب بخلٍ وجملة هذه الكلمات غير محيطةٍ بحقيقة الجود والبخل بل نقول المال خلق لحكمةٍ ومقصودٍ وهو صلاحه

لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن بدله بالصرف الى ما الاحسن
الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبدل حيث يجب البدل
فالامساك حيث يجب البدل بخل والبدل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي
ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يومر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالسخا وقد قيل له ولا
تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود
وسط بين الاقتار والسرف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بدله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي
ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه
تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث
يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه اليه فان قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب
فما الذي يجب بذله الواجب قسمان واجب بالشرع وواجب بالمروءة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع
واجب الشرع الحاكم الذي يمنع اذا الزكاة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤذيهم ولكن يشق عليه
فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يسهم الخبيث من ماله ولا يطيب نفسه ان يعطي من اطيب
ماله او من اوسطه فهذا كله بخل واما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان
ذلك مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من
الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل المضايقة مع اهله واقاربه وما يلحقه ما لا يستقبح مع الاجانب
ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح من البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه
في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة او بما به المضايقة من
طعام او ثوب او يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية
او شراء خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك يختلف بمن معه المضايقة من صديق
واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن معه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم وجاهل
وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما الحاكم الشرع واما الحاكم المروة وذلك لا
يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ
المال لان صيانة الدين اهم من حفظ المال فمانع الزكاة والنفقة بخيل فالمضايق في الدقايق مع من لا
يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروة لحب المال فهو بخيل وبقي درجة اخرى وهي ان يكون الرجل
ممن لا يودي الواجب ويحفظ المروة ولكن معه مال كثير قد جمعه فليس يصرفه الى الصدقات

والى

والى المحتاجين فقد يقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوايب الزمان وغرض الثواب
ليكون رافعا لدرجاته في الاخرة فامساك المال عن هذا الغرض يخل عند الاكياس وليس بخل عند عوام
الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب الزمان سببا
وربما يظهر عند العوام ايضا سيئة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكاة الواجبة
وليس علي غيرها وتختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصاحبه
ودينه واستحقاقه فمن اذى واجب الشرع وواجب المروة اللايق به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف
بصفة الجود والسخا ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا تسمحت نفسه
ببذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملام في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه
من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف ورد ما يتوجه
العادة والمروة هو الجود وليس بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة
او شكر او ثنا فان من طمع في الشكر والثنا فهو بياع وليس بجواد وانه يشتري المدح بماله والمدح
لديذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك
الا من الله تعالى فاما الادمي فما سمي الجود عليه مجازا او لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا التوا
في الاخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا وان كان الباعث
عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينا له من المنع عليه فكل ذلك
ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعواض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد
كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حيان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اساله
عن مسالة فقالوا لها سلي عما شيت واشاروا الى حيان بن هلال فقالت ما السخا عندكم قالوا العطا والبذل
والايثار قالت هذا السخا في الدنيا فما السخا في الدين قالوا نعبد الله تعالى سخية بها انفسنا غير مكرهة
قال فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعد بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله
فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه قالوا لها فما السخا عندك يرحمك الله قالت
السخا عندي ان تعبدوا الله متنزهين من متلذذ دين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى
يكون مولاكم يفعل بكم ما شا الا تستحيون من الله تعالى ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا
بشيء ان هذا في الدنيا قبيح وقال بعض المتعبدات لبعض أتحسب ان السخا في الدرهم والدينار فقط قيل
فعم قالت السخا عندي في بذل المهج وقال المحاسبي السخا في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله تعالى

ويسخو اقلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله تعالى سماحة عن غير اكراه ولا تريد بذلك ثوابا عاجلا
ولا اجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخا بترك الاختيار على الله
حتى يكون مولاك هو الذى يفعل بك ما الاحسن اختياره لنفسك **بيان علاج البخل**
اعلم ان البخل سببه حب المال وحب المال سببه ان احد اصناف الشهوات التى لا وصول اليها الا بالمال
مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم او ما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذى يحتاج اليه فى
يوم او فى شهر او فى سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل
فانه يقدر بقاءهم بقاء نفسه فيبخل لاجلهم ولذلك قال عليه السلام الولد مبخلة محزنة فاذا
اضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بسعى الرزق قوى البخل لاجل السبب الثانى ان يحب عين
المال فمن الناس من يعد ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته ويفضل الالف وهو
شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار
محبا للدنانير عاشقا لها يتلذذ بوجودها فى يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت
فتضيع او ياخذها اعداؤه ومع ذلك فلا تسمح نفسه بان يا كل او يتصدق منها بحبة وهذا مرض للقلب
عظيم عسير العلاج لاسيما فى كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق
شحصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسى محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات
فصارت محبوبة لذلك لان الوصول الى الشديد لديد ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب
فى نفسه وهو غاية الضلال بل ترى بينه وبين الحجر فرقا فهو يجهل الامر من حيث قضاء حاجته به فالفاضل
عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال واما علاج كل علة بضادة سببها فيعالج
حب الشهوات بالقناعة باليسير والصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر فى موت الاقران
وطول تعبهم فى جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذى خلقه خلق معه
رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه بجمع المال لولده يريد
ان يتركه بخيير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان
فاسقا فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التامل فى الاخبار
الواردة فى ذم البخل ومدح السخا وما توعد الله تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة
كثرة التامل فى احوال البخلا ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل
من غيره ويستثقل ويستقذر فى قلوب الناس مثل سايير البخلا فى قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر

فى مقاصد المال وانه لما دا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقى يذخره لنفسه
بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خيرا
له من الامساك فى الدنيا والاخرة هاجت رغبته فى البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغى
ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو
الحسن البوسنجى فى الخلافة عاتليدا له فقال انزع عنى القميص وادفعه الى فلان فقال هل اصبرت
حتى تخرج قال خطر لى بذله ولم اتمكن على نفسى ان تغير ولا يزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا
كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر
عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذى يريد علاج البخل ينبغى ان يفارق المال تكلفا بان يبذله
بل لو رماه فى الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطايف الحيل فيه ان يخدع نفسه
بحسن الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا فى حشمة الجود
فيكون قد ازال عن خبث البخل واكتسب به لها خبث الرياء ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله
بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبى عند الفطام
عن الثدى باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ولكن ليقل عن الثدى اليه ثم ينقل عنه الى
غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغى ان يسلط بعضها على بعض كما سلط الشهوة على الغضب
ويكسر صورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد فى حق من كان
البخل عليه اغلب عليه من حب الرياء والجاه فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال
فلا فايدة فيه فانه يقطع عليه ويزيد فى الاخروى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل
لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه وان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغى ان يبذل
فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال بعض هذه الصفات ببعض ما يقال ان الميت
يستحيل جميع اجزايه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا حتى يقل عددهم ويكبرون ثم ياكل بعضهم
بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان الا ان يغلب احدهما الاخر فياكله ويسمى
به ثم لا يزال يبقى وحده جايعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها
على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قويا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها
واذا بتها بالمجاهدة وهو منع القوت منها ومنع القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضى
لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات ومانت مثل البخل فانه يقتضى امساك المال فاذا منع مقتضاه

وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار صفة البذل طبعًا وسقط التعب فيه
فإذن علاج البخل بعلم وعمل العلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفايدة الجود والعمل يرجع الى البذل
على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته واذا لم تحقق
المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذى يمنع معرفة الدوا
وامكان استعماله فانه لاحيلة له الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في
معالجة علة البخل فى المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزوايا هم وكان اذا توسم فى مريد فرحة
بزاويته ومافيه نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ماملكه واذا رأه
يلتفت الى ثوب جديد يلبسه اوسجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره وبلبسه ثوبًا خلقًا
لايميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك طريق التمرن بالدنيا واجبا وان
كان له الف متاع كان له الف محبوب وكذلك اذا سرق كل واحد من ذلك الف به مصيبته بقدر
حبه له فاذا مات نزلت الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو فى حياته
على خطر المصيبة بالفقد والهلاك وحمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير
له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال بعض الحكما عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا
قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لاجبر لها وان سرق صرت فقيرا اليها ولم تجد مثلها وقد كنت قبل
ان حمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه وقال
صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لله تعالى اذ تغمهم بالصبر
عنها وعدوة لاعدا الله تعالى اذ تسوقهم الى النار وعدوة لله تعالى اذ تقطع طريقه على عباده وعدوة
لنفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال
وهو بدل الدراهم والدنانير فالمال لم يأنس به ولم يأخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا
يبخل لانه ما امسكه لحاجته فليس ببخيل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله فهو كالمالك
على شط دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس بمقدار الحاجة **بيان الوظايف التى على العبد
فى ماله** اعلم ان المال كالماء وصفاؤه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثل حية يأخذها الراقى ويستخرج
منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلوا احد عن سم المال الا بالمحافظة
على خمس وظايف **الاولى** ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب
ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه **الثانية** يراعي جهة دخل المال فيجتنب

الحرام

الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة فى المروة
كالهدايا التى فيها شوايب لرشوة وكالسؤال الذى فيه الذل وهتك المروة وما يجر بمجراه **الثالثة**
فى المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس
ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مايلا الى جانب القلة ومقربا
من حد الضرورة كان محقا وبحى فى جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع فى هاوية لا آخر لها لعمقها
وسنذكر تفصيل هذه الدرجات فى كتاب الزهد **الرابعة** يراعي جهة الخرج ويقتصد فى الانفاق
من غير تقتير ولا تبذير كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله فى حقه ولا يضعه فى غير حقه فان الاثم
فى الاخذ من غير حقه والوضع فى غير حقه سوا **الخامسة** ان يصلح نيته فى الاخذ والترك والانفاق
والامساك فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا
فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال على كرم الله وجهه لو ان رجلا اخذ جميع ما فى الارض وأراد
به وجه الله تعالى فهو ليس بزاهد فليكن جميع حركاتك وسكناتك لله تعالى مقصورة على عبادته
او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الأكل وقضا الحاجة وهما معينان على العبادة
فاذا كان ذلك قصدك بهما صارتا عبادة فى حقك وكذلك ينبغى ان يكون بيتك فى كل ما تحفظ من قميص
وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما تحتاج اليه فى الدين وما فضل عن الحاجة ينبغى ان يقصد به أن
ينتفع به عبد من عباد الله تعالى فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذى أخذ من حية المال
جوهرها وترياقها وابقى سمها فلا يضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ فى الدين قدمه
وعظم فيه علمه والعامى اذا تشبه بالعالم فى الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنيا الصحابة لشابه
الصبي الذي يرى المعلم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها يخرج ترياقها فيقتدى به ويظن انه
أخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقدر أنه فتقتله فى الحال الا ان قتيل
الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقيل هي حية تنفث السم
وان كانت المحسة لا تبت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى البصير فى تخطي قلل الجبال واطراف البحار
والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامى بالعالم الكامل فى تناول المال **بيان ذم
الغنى ومدح الفقر** اعلم ان الناس قد اختلفوا فى تفضيل الغنى الشاكر على الفقير الصابر
فقدا وردنا ذلك فى كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا فى هذا الكتاب ندل على ان
الفقر افضل واعلى من الغنا على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية فصل

ذكره الحارث المحاسبي في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء الصحابه
وبكثره مال عبد الرحمن بن عوف وشبهه نفسه بهم والمحاسبي حبر الامه في علم المعامله وله السبق
على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه
وقد قال بعد كلام له في الرد على العالم السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا معلم السوء تصومون وتصلون
وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون به فيا سوءة ما تحكمون تتوبون
بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم
لا تكونوا كالمخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخاله فكذلك انتم تخرجون الحلم من افواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا ينقطع
منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي على اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعلم تحت اقدامكم
بحق اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخسر منكم لو تعلمون
ويلكم حتى متى تصفون الطريق لمن حاد عن الطريق وتقيمون في محل المحترس كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ما ذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحشو مظلم
كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطله يا عبيد الدنيا لا كعبيد
اتقيا ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم على وجوهكم ثم تكبكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم
بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم
ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهاولاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس
رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة وادلوا الدين للدنيا فهم للعاجل عاروا وشين
وفي الاخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعدنا في راية الهالك الموتر للدنيا سروره
ممزوج بالتنغيص فتنفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح
الهالك برحا لم يسق له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والاخرة الا ذلك هو الخسران المبين يبكي
لها من مصيبة ما افظعها ومن رزية ما اجلها الا فراقبوا الله تعالى لا يغرنكم الشيطان واوليائه
من الانس بالحجج الداحضه عند الله تعالى فانهم يتحالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج
ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فسرس المغترون بذكر الصحابه
ليعدوهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وهم لا يشعرون ويحك ايها المفتون ان احتجاجك
بال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة

اراد والمال

اراد والمال للتكاثر والشرف والزينه فقد اغبت السادة ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في هذا
الخبر الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل الذي تجمعوا المال كما جمعت
ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله لم ينصح الامه اذ نهاهم عن
جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت وربت
السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد كان للامة ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤفا ومتى زعمت ان
جمع المال افضل فقد زعمت ان الله تعالى لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال
خيرا لهم او زعمت ان الله تعالى لم يعلم ان الفضل في الجمع وكذلك نهاهم عنه وانت علمت ما في المال
من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى عن جهلك
انما المفتون تدبر ما دهاك به الشيطان حتى زين لك الشيطان الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما
ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف فلعل وذر بن عوف يوم القيامة انه لم يمت من الدنيا الا قوتا
وقد بلغنا انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انا نخاف على
عبد الرحمن بن عوف فيما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق
طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بحمى عظم بعير فاخذه بيده ثم انطلق
يطلب كعبا فقيل لكعب ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنهم يستغيث به
واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس
خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهود يزعم انه لا باس بما ترك عبد الرحمن
بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما في نحو احد وانا معه فقال يا ابا ذر فقلت لبيك يا رسول الله
فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل
ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت لبيك يا رسول الله بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في
سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر انا ئت تريد ام الاكثر وانا اريد الاقل
فرسول الله صلى الله عليه وسلم يود هذا وانت تقول يا ابن اليهود ذيه لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف
كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج خوفا منه وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدم من عليه
عير اليمن فضجت المدينه ضجة واحده فقالت عايشه ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف
قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اني رأيت الجنة فرايت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم

الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارتقاها
أحرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغنا ان النبي عليه السلام قال لعبد الرحمن بن عوف اما انك اول من يدخل الجنه
من اغنيا أمتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا وبحك ايها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن
في فضله وتقواه وصنايعه المعروفه وبذله الاموال في سبيل الله مع محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيامه واهوالها كسبه من حلال المتعفف والصنايع المعروفه والانفق
منه قصدا واعطى في سبيل الله سخا مبتغ من السعي الى الجنه مع الفقرا المهاجرين وصار بخنوا في اثارهم
حبوا فما ظنك في امثالنا الغرقى في فتن الدنيا فالعجب كل العجب لكل مفتون ممرغ في تخاليط الشهات
والسخت وتكالبه على اوساخ الناس وهو يتقلب في الشهوات والزينه والمباهات في فتن الدنيا ثم
يحتج بعبد الرحمن بن عوف ويزعم انى ان جعت المال فقد جمع الصحابه كانك اشبهت السلف وفعلهم
وبحكان هذا من قياس ابليس ومن قياه لا وليا يه وسأصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضايحك
وفضل الصحابة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال اراد وها للتعفف والبذل في سبيل الله فلبسوا
حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا ولم يبخلوا بها ولكنهم جاد وا لله
باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشدة أثروا الله على نفسهم كثيرا فبالله كذلك انت والله انك لبعيد
التشبه بالقوم وبعد فان اختيار الصحابه كانوا المسكنة محبين ومن خوف الفقر آمنين وبالله في
ارزاقهم واثقين وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين
وفي المتراحمين وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر وعن لم ينا لوا من الدنيا الا المباح
ورضوا بالبلغة منها وزجروا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها
فبالله كذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله
تعالى واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح وعند
عياله شئ اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شئ اصبح فرحا مسرورا فقيل لهم ان الناس اذا لم يكن
عندهم شئ حزنوا واذا كان عندهم شئ فرحوا وانت لست كذلك فقال انى اذا اصبحت وليس عندي عيالي شئ
فرحت اذ كانت لي محمد صلى الله عليه وسلم اسوه واذا اصبحت وكان عندي عيالي شئ اغتممت اذا لم يكن لي
بآل محمد صلى الله عليه وسلم اسوه وبلغنا انهم كانوا اذا سئلك بهم سبيل الرضا حزنوا واشفقوا وقالوا
مالنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم سبيل البلا فرحوا واستبشروا
وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونحتهم وفيهم من الفضل ما وصفنا فبالله اكذلك انت

انك لبعيد الشبه

انك لبعيد الشبه بالقوم وسأصف احوالك ايها المفتون وهي ضد الاحوالهم وذلك انك تطغى عند
الغنا وتبطر في الرخا وتفرح عند السرا وتغفل عن شكر ذي النعما وتقنط عند الضرا وتسخط عند البلا
ولا ترض بالقضا نعم وتبغض الفقر وتا نف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وانت تا نف من مخرم
وتدخر المال وتجمعه خوفا من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما
مبينا وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم وتنبت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال
ليجيئن يوم القيامة قوم يطلبون حسناتهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها وانت في غفلة وادمت في ذلك فقد حرمت نعيم الاخره بسبب نعيم الدنيا فيا لها من حسرة ومصيبة
نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينه في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا للتكاثر
بها والتفاخر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك من غضب الله تعالى
حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار الله تعالى
وانت تكره لقا الله والله للقا يك اكره وانت في غفلة وعساك تتاسف على ما فاتك من عرض الدنيا
وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أسف على دنيا فارقته اقترب من النار مسيرة
سنه وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى ولعلك تخرج من دنياك احيانا
لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من احب الدنيا وبشر بها ذهب حزن الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال
انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح
بدنياك وقد سلبته الخوف من الله تعالى وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى بامور اخرتك
وعساك ترى ان مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك من
ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جعت من الاوساخ كلها للعلو
والرفعة في الدنيا اهون عليك من احتقار الناس اياك عسى تخفى من المخلوقين بمساويك ولا تكثرت
باطلاع الله عليك فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة عند الناس وكان العبد أعلى
قدرا عندك من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اقل لك تتلوث
في الأقذار وتحتج بحال الأبرار هيهات هيهات ما ابعدك من السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما
أحل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم فكانوا للزلة الصغيره

اشتراستعظامًا منكم للكبايرِ المعاصي فليتك اطيب مالك واحلّه سئل شبهات اموالهم وليتك اشفقت من
سيأتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليتك صمت عن مثل اوطارهم وليت اجتهادك في العباده على نحو هم
ونومهم وليتك جميع حسناتك مثل واحدةٍ من حسناتهم وقد بلغنا عن بعض الصحابة انه قال غنيمة الصديق
ما فاتهم من الدنيا وخشيتهم على ما نُوي عنهم منها فمن لم يكن ذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة
سبحان الله كم بين الفريقين من التفاوتِ فريق خيار الصحابة في العلوّ عند الله وفريق امثالكم في السفالة
او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متأثر بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله
تعالي فتدبر امرك ويحك هل تجد الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال
كما احتاطوا وقد بلغنا ان بعض الصحابة قال كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة ان نقع في بابٍ من الحرام
فتطمع من نفسك مثل هذا الاحتياط لا ورب الكعبة ما أجدك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال
البر مكرٌ من الشيطان لتوقع بسبب البر في اكتساب الشبهات المزوجة بالسحت والحرام ولقد بلغنا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك أن يقع في الحرام ايتها المغرور اما علمت ان
خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله تعالي
وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهمًا واحدًا مخافة ان لا يكون حلالًا خير لك من ان تتصدق
بالف دينار من شبهةٍ لا تدري أتحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبّس بالشبهات وانما تجمع المال
بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغًا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابه
خافوا المسايله بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكسب كل يوم الف دينار من حلالٍ وانفقه في طاعة الله تعالي
ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعه قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غنيّ عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من اين
اكتسبت وفي اي شيء انفقت فهؤلا المتقون كانوا في حدة الاسلام والحلال موجودٌ لديهم تركوا المال وجلًا من
الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت في نهاية الامه والحلال في دهرك مفقود وتكالب على الاوساخ وتزعم
انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودًا لديك اما تخاف ان يغير عند
الغنى قلبك وقد بلغنا ان بعض الصحابة كان يرى المال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه فتطمع ان يكون قلبك
اتقى من قلوب الصحابه فلا تزول عن شيء من الحق في امرك واحوالك لين ظننت ذلك لقد احسنت الظنّ بنفسك
الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح اري لك ان تقنع بالبلغه ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب عذّب وقال عليه السلام يوتى بالرجل يوم القيامه وقد
جمع مالًا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويوتي بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالًا من حلالٍ

150

وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويوتى بالرجل يوم القيامة وقد جمع مالًا من حلالٍ وانفقه
في حرامٍ فيقال اذهبوا به الى النار ويوتى بالرجل وقد جمع مالًا من حلالٍ وانفقه في حلالٍ فيقال له لعلك
قصرت في طلب هذا بشيء مما فرض الله عليك من صلاةٍ لم تصلّها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها
ووضوئها فيقول لا يارب كسبت من حلالٍ وانفقت في حلالٍ ولم اضيّع شيأ مما فرضت عليّ فيقال لعلك
لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركبٍ او ثوبٍ باهيت به فيقول لا يارب لم أختل ولم أباهِ بشيء فيقال
لعلك سمعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليامى والمساكين وابن السبيل فيقول
لا يارب كسبت من حلالٍ وانفقت في حلالٍ ولم اضيّع شيأ مما فرضت عليّ ولم اختل ولم أباهِ ولم اضيع حق
احد امرين ان اعطيه قال فيجي اوليك فيخاصمونه فيقولون يارب اعطيته فاغنيته وجعلته من اظهرنا
وأمرته ان يُعطينا فان كان اعطاهم وما ضيّع مع ذلك شيأ من الفرايض ولم يختل في شيء فيقال قف الآن
هات شكر نعمةٍ انعمتها عليك من اكلةٍ او شربةٍ او لقمةٍ او لذةٍ فلا يزال يسأل ويحك فمن ذا الذي
يتعرض لهذه المسايله التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها واذي الفرايض
بحدودها حوسب هذه المحاسبه فكيف تراه يكون احوال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها
وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسايله يخاف المتقون ان يتلبّسوا بالدنيا
فرضوا بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك سهولا الاخيار اسوة فان أبيت ذلك
وزعمت انك بالغٌ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلالٍ بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله
ولم تنفق شيأ من الحلال الا بحقٍ ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شيء من
من سرايرك وعلانيتك فان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان ترض بالبلغ وتعتزل دوي
الاموال اذ وقفوا للسؤال وتسبق مع الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا حبس عليك في المسايلة والحساب
فاما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل
اغنيايهم الجنة بخمس مايه عام وقال عليه السلام يدخل فقراء المومنين الجنة قبل اغنيايهم فيمتعون
ويا كلون والاخرون جثاةٌ على ركبهم فيقول فلم طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ما صنعتم
فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما سرّني ان لي حُمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد
صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين
من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصل المتقون لقد بلغنا ان بعض الصحابة
عطش فاستسقى فاتي بشربةٍ من ماءٍ وعسل فلما اذاق حنكته العبرة وبكي وابكي ثم مسح الدموع عن وجهه

وهب ان يتكلم بعاد فى المكاقل الكثر البكا قيل له اكل هذا من اجل هذه الثربه قال نعم بينما انا يوم عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه احدٌ فى البيت غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك عنى فقلت له
فداك ابى وامى ما أرى بين يديك احد فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت الىّ بعنقها وراسها فقالت
لى يا محمد خذني فقلت اليك عنى فقالت ان تنج منى يا محمد فانه لا ينجو امنى من بعدك فاخاف ان يكون هذه
قد لحفتنى تقطعنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قوم فهذه الاخيار بكوا وجلًا ان يقطعهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربةٌ من حلال ويحك انك فى انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات الاتحشى
الانقطاع أفٍّ لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت يوم القيامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظرنّ
الى اهوالٍ جزعت منها الملايكة والانبيا وان قصرت عن السباق فليطولنّ عليك اللحاق ولين اردتّ الكثير
لتصيرنّ الى حساب عسير ولين لم تقنع بالقليل لتصيرنّ الى وقوف طويل وضراج وعويل ولين رضيت
باحوال المتخلفين لتنقطع عن اصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطيئنّ عن نعيم المتنعمين
ولين خالفت عن احوال المتقين لتكونن من المحتبسين فى اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت وبعد
فان زعمت انك فى مثال خيار السلف تقنع بالقليل زاهدٌ فى الحلال بدولٍ لمالك موثرًا على نفسك الاتحشى
الفقر ولا تدخر شيأ لغدك مبغضٌ للتكاثر والغنى راضٍ بالفقر والبلا فرحٌ بالقلة والمسكنه
مسرورٌ بالذل والصغر كارهٌ للعلو والرفعه قويٌّ فى امرك لا يتغير عن الرشد قلبك قد حاسبت
نفسك فى الله واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى فان توقف فى المسايله ولا تحاسب
مثلك من المتقين وانا تجمع المال الحلال للبذل فى سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر للامر
واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكر والتذكار والفكر
والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واحق للمسايله وأمنٌ من روعات القيامه واجزل للثواب
واعلى لقدرك عند الله تعالي اضعافًا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال لوان رجلين احدهما فى حجره
دنانيرٌ يعطيها والاخر يذكر الله تعالي لكان الذاكر افضل وسيل بعض اهل العلم فى الرجل يجمع المال
لاعمال البر قال تركه ابزل وبلغنا ان بعض حيا رالتابعين سيل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالًا
فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها ولم يطلبها ولم ينالها فايهما افضل
فقال والله بعيدٌ ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل
لمن يترك الدنيا على طلبها ولك فى العاجل ان تترك الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقلّ
لتعبك وارخى لبالك واقلّ لهمومك فما عدرك فى جميع الاموال وانت تترك افضل من طلب المال

لاعمال البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال فى سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع
السلامه والفضل فى الاجل وبعد فلو كان فى جمع المال فضل عظيم لوجب عليك فى مكارم الاخلاق ان
تتأسّى بنبيك عليه السلام اذ هو اك به وترضى ما اختار لنفسه فى مجانبة الدنيا ويحك فتدبر ما
سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز فى مجانبة الدنيا فسِر مع لِوا المصطفى سابقًا الى الجنة الماوى
فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سادات المومنين فى الجنه من اذا تغدّي لم يجد عشاً
واذا استقرض لم يجد قرضًا وليس له كسوةٌ الا ما يوارى به ولا يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك
ويصبح راضيًا عن ربه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وحسن اولئك رفيقًا الا يا أخي فمتى جمعت المال من بعد هذا البيان فانك سطلٌ مما اذعيت انك للبيّ
والفضل تجمعه لا ولكنك خوفًا من الفقر تجمعه وللزينة والتنعّ والتكاثر والفخر والعلوّ والرياء والشمعه
والتعظم والتكوّم تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمعه ويحك راقب الله تعالى واستحى من دعواك
ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونًا بحب المال والدنيا فكن مُقرًّا ان الخير والفضل فى الرضا بالبلغه
ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريًا على نفسك معترفًا بإساءتك وكن صيرفيًّا على نفسك
عند جمعه وجِلًا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحج لجمع المال اخوانى اعلموا ان
دهر الصحابه كان الحلال موجودًا فيه وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم فى المباح لهم وبخ
فى دهرٍ الحلال فيه مفقود فكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت والمسكن وستر العورة فاما جمع المال
فى دهرنا فأعاذنا الله واياكم منه وبعد فاين لنا مثل تقوى الصحابه وورعهم ومثل زهدهم واحيائهم
واين لنا مثل ضمايرهم وحسن نيّاتهم ذهبنا ورب السما بادوا النفوس واهواها وعن قريب يكون
الورود فالسعادة للمخفين يوم النشور وحسن طويل الاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان
قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خيرٍ برحمته هذا آخر كلامه وفيه كفايةٌ فى اظهار فضل
الفقر على الغنى ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التى اوردناها فى كتاب ذم الدنيا وفى كتاب الفقر
والزهد ويشهد له ايضًا ما روي عن أمامة الباهلي ان ثعلبة بن خاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى
مالًا قال يا ثعلبه قليلٌ تودى شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالًا فقال
يا ثعلبه قليلٌ تودى شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقنى مالًا قال يا ثعلبه
اما لك فىّ اسوةٌ اما ترضى ان تكون مثل نبى الله تعالى اما والذى نفسى بيده لو شيت ان تسير معى الجبال ذهبًا

او فضة لسارت قال والذي بعثك بالحق ان دعوت الله ان يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه
ولأفعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو
الدود فضاقت عليه المدينه فنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة
ويدع ماسواها ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعه الا الجمعه وهي تنمو اكما تنمو الدود
حتى ترك الجمعه وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار ويسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما فعل ثعلبه بن حاطب فقيل يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينه فاحتبر بامره كله فقال
يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه قال وانزل الله تعالي فيه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله تعالى فرايض الصدقه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا
من جهينه ورجلا من بني سليم على الصدقه وكتب لهم كتابا بأخذ الصدقه وأمرهما ان يخرجا فياخذا
الصدقة من المسلمين وقال مُرّا بثعلبة بن حاطب وفلان رجل من بني سليم وخُذا صدقاتهما
فخرجا حتى أتيا ثعلبه فسالاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا
جزية ما هذه الا اخت الجزيه ما هذه انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا حتى السلمي فسمع بهما
فقام الى خيار اسنان إبله فعزلها للصدقه ثم استقبلهما بها فلما راوها قالوا لا يجب عليك هذا وما
نريد ان ناخذ منك هذا قال بلى خذوها نفسي بها طيبه وانها لمي احب لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتها
رجعا الى ثعلبه فسالاه الصدقه فقال أريا ني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزيه انطلقا حتى
اري رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال ويح ثعلبه قبل ان يكلماه ودعا
للسلمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبه والذي صنع السلمي فانزل الله في ثعلبه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن الى قوله وما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب
ثعلبه فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبه فقال ويحك يا ثعلبه قد انزل الله فيك كذا فخرج
ثعلبه حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل
صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني
فلما ان يقبل منه شيأ رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى بكر الصديق
رضي الله عنه فأبى ان يقبلها منه وجاء الى عمر رضي الله عنه فأبى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبه بعد خلافة
عمر رضي الله عنه فهذا طغيان المال وشومه وقد عرفت من هذا الحديث ولاحل بركة الفقر وشوم الغنى

أثر

أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه قال كان
لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران لكل عند نا منزلة وجاها فهل لك في عيادة
فاطمه بنت رسول الله فقلت نعم بابي وامي فقام وقمت معه حتى وقف بباب منزل فاطمه عليها السلام فقرع
الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن
معك يا رسول الله قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال اصنع بها هكذا وهكذا واشار بيده
فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة قال شدي بها علي
راسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني
وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام اكله فقد اضرني الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلث وانى لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن
أثرت الاخره على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنه فقالت
أسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران فقال أسيه سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجه
سيدة نساء عالمها وانت سيدة عالمك انكن في بيوت من قصب لا ادى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي
بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الاخره فانظر الآن الى فاطمه عليها السلام وهي
بضعة من رسول رب العالمين كيف أثرت الفقر وترك المال ومن راقب احوال الانبيا والاوليا
واقوالهم وما دُرِس من اخبارهم وآثارهم لم يرتب في ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الي
الخيرات إذا قل ما فيه مع إذا الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى الخيرات اشتغال
الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله تعالى اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال
وقد روي عن جرير عن ليث قال قال صحب عيسى عليه السلام رجل فقال اكون معك واصحبك فانطلقا
فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفه فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى
الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانطلق معه
صاحبه فراى ظبية معها خشفان فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشوى منه واكل هو وذلك الرجل
ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الايه من اخذ الرغيف
قال ما ادري قال ثم انتهيا الى وادي ساهر فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشى على الماء فلما جاوزا قال
اسالك بالذي اراك هذه الايه من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى
عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن باذن الله ذهبا فصار ذهبا باذن الله تعالى فقسمه ثلثة اقسام

فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف فقال عيسى عليه السلام نكله
اذا لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازه ومعه المال فاراد ان ياخذاه منه
ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القريه حتى يشترى طعاما قال فبعثوا احدهم
فقال الذي بعث لاى شئ أقاسم هو آهذا المال لكنى اصنع فى هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ جميع
ففعل ذلك ورجع ومعه الطعام المسموم وقال الرجلان لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال لكنا اذا رجع قتلناه
واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام وماتا وبقى ذلك المال فى المفازه واولئك الثلاثه
قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام وهم على تلك الحال فقال لاصحابه فأخذوها وحكى ان ذا القرنين
أتى على امة من الامم ليس فى ايديهم شى يستمتع به الناس من دنياهم فاذا احتفروا قبورهم فاذا اصبحوا
تعهدوا تلك القبور فكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما يرعى البهايم ولقد قيض لهم فى ذلك معادن
من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقيل له اجب الملك ذا القرنين فقال مالى اليه حاجه
فاقبل اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتينى فأبيت فها انا ذا قد جيت فقال له لو كانت لى
اليك حاجه لاتيتك فقال له ذو القرنين بالى اراكم على الحال التى لم أر أحدا من الامم عليها قالوا وما
ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شى افلا اتخذتم الذهب والفضه واستمتعتم بها قالوا انما كرهناها الا
ان احدا لم يعط منها شيأ الا اتاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال لهم قد احتفرتم قبورا
فاذا اصبحتم تعهدتموها فتكنسوها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها وامثلنا الدنيا منعتنا
قبورنا وذكرتها ورويتها من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهايم من
الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورانينا فى نبات
الارض بلاغا وانما يكفى ابن ادم ادنى العيش من الطعام وانا جاوزا لحنك من الطعام لم نجد له طعاما كاينا
ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين
أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فظلم وغشم وعتا
فلما راى الله تعالى ذلك منه حسره بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى
آخرته ثم تناول جمجمة اخرى فقال ياذا القرنين وهل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك
ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله
تعالى واسر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى آخرته ثم اهوى
الى جمجمة ذى القرنين فقال وهذه الجمجمه كأن صارت هكذا فانظر ياذا القرنين ما انت صانع فقال له

ذو القرنين هل لك فى صحبتى فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما اتانى الله تعالى من هذا المال قال ايما اصلح
انا وانت فى مكان واحد او ان نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق
قال ولم قال يعاديك لما فى يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد احدا يعادينى لرفضى لذلك ولما عندى
من الحاجه وقلة الشى قال فانصرف عنه ذو القرنين معجبا له ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات
الغنى مع ما قدمناه من قبل ان شاء الله تعالى ثم كتاب ذم المال ويتلوه كتاب ذم الجاه والرياء

كتاب ذم الجاه والرياء

وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين نفع الله تعالى به

بسم الله الرحمن الرحيم وفقنا اللهم للاخلاص

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سرائر القلوب المتجاوز عن كبائر الذنوب العالم بما تجنه الضمائر
من خفايا العيوب البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كان لوجهه
وتخلص عن شوايب الشرك والرياء صفا فانه المتفرد بالملكوت والملك وهو الغنى عن الاغيار عن الشرك
والصلاة على محمد وعلى اله واصحابه المبرئين عن الخيانة والافك وسلم كثيرا اما بعد
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما أخاف على امتى الرياء والشهوة الخفيه والرياء
من الشهوة الخفيه التى هى اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ولذلك عجز
عن الوقوف على غوايله سماسرة العلماء فضلا عن عامة العباد والاتقياء وهو من اواخر غوايل النفس
وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلماء والعباد المتشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الاخره
فانهم لما قهروا انفسهم وجاهدوها وقطعوها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر
على اصناف العبادات تحجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهره الواقعة على الجوارح فطلبت
الاستراحه الى الظاهر بالخير والاظهار للعمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهده الى لذة التبوء
عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فنازعته الى اظهار الطاعه وتوصلت الى اطلاع الخلق
ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحته بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه
للشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء والغوا فى
التفريط والاطراء ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بسناء هدته ولقايه ورغبوا فى بركة
دعايه وحرصوا على اتباع رايه وفاتحوه بالسلام والخدمه واكرموه فى المحافل غاية الاكرام وساعدوه فى
البيع والمعاملات وقدموه فى المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا

له فی اغراضه موقرین فاصابته النفس فی ذلک لذة هی اعظم اللذات وشهوة هی اغلب الشهوات فاستحقر
فیه ترک المعاصی والهفوات واستلانت خشونة المواظبة علی العبادات لادراکها فی الباطن لذة
اللذات وشهوق الشهوات فهو یظن ان حیاته بالله وبعباداته المرضیه وانما حیاتها بهذه الشهوة
الخفیة الذی یعمی عن درکها الا العقول النافذة القویة ویروی انه مخلص فی طاعة الله تعالی ویجتنب
لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزیینا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالته من المنزله
والوقار واحبطت لذلک ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد ابثت اسه فی جریدة المنافقین وهو
یظن انه عند الله من المقربین وهذه مکیدة للنفس لایسلم عنها الا الصدیقون ومهواة لایترقی منها
الا المقربون ولذلک قیل اخر ما یخرج من رؤس الصدیقین حب الجاه واذا کان الریا هو الداء الدین
الذی هو اعظم شبکة للشیاطین وجب شرح القول فی سببه وحقیقته ودرجاته واقسامه وطرق
معالجته والحذر منه ویتضح الغرض منه فی ترتیب الکتاب علی شطرین ان شاء الله تعالی

٥ الشطر الاول فی حب الجاه والشهوة وفیه ٥٥٥٥

بیان ٥ بیان ٥ بیان ٥ بیان ٥ بیان

دم الشهوه وانتشار الصیت ٥ فضیله الخمول ٥ دم الجاه

بیان ٥ بیان ٥ بیان ٥ بیان

معنی الجاه وحقیقته ٥ السبب فی کونه محبوبا اشد من حب المال ٥ ان الجاه کمال وهمی ولیس بکمال حقیقی

بیان ٥ بیان ٥ بیان ٥ بیان

ما یحمد من حب الجاه ومایذم ٥ السبب فی حب المدح والثنا وکراهیة الذم ٥ العلاج فی حب الجاه

بیان ٥ بیان ٥ بیان

علاج حب المدح ٥ علاج کراهة الذم ٥ اختلاف احوال الناس فی المدح والذم

نهی اثنا عشر فصلا منها منشا معانی الریا فلا بد من تقدیمه والله تعالی اعلم

بیان دم الشهوه وانتشار الصیت اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصیت والاشتهار
وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالی لنشر دینه من غیر تکلف منه للشهرة
قال انس قال رسول الله صلی الله علیه وسلم حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله تعالی ان یشیر الناس
الیه بالاصابع فی دینه ودنیاه وقال جابر بن عبد الله قال رسول الله صلی الله علیه وسلم حسب المرء
من الشر الا من عصمه الله تعالی من السوء ان یشیر الناس الیه بالاصابع فی دینه ودنیاه الا الله لاینظر الی

صورکم

صوارکم ولکن ینظر الی قلوبکم والی اعمالکم الحدیث ولقد ذکر الحسن للحدیث تاویلا لاباس به اذ روی
هذا الحدیث فقیل له یا اباسعید ان الناس اذا راؤک اشاروا الیک بالاصابع قال انه لم یعن هذا انما
عنی به المبتدع فی دینه والفاسق فی دنیاه وقال علی کرم الله وجهه تبذل لا تشتهر ولا ترفع
شخصک لذکر تعلم واکتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغیظ الفجار وقال ابراهیم بن ادهم ما صدق الله
من احب الشهره وقال ایوب والله ما صدق الله عبد الا سرّان لایشعر بمکانه وعن خالد بن معدان
انه کان اذا کثرت حلقته قام مخافة الشهره وعن ابی العالیة انه کان اذا جلس الیه اکثر من ثلاثة قام
ورای طلحة قوما یمشون معه نحوا من عشره فقال دبّان طبع وفراش نار قال سلیمان بن خطله
بینا نحن حول ابی بن کعب نمشی خلفه اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر یا امیر المومنین ما
تصنع فقال ان هذا ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج بن مسعود یوما من منزله
فاتبعه الناس فالتفت الیهم فقال علی ما تتبعونی فوالله لو تعلمون ما اغلق علیه بابی ما اتبعنی
منکم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلّما بیئت له قلوب الحمقی وخرج الحسن
ذات یوم فاتبعه قوم فقال هل لکم من حاجة والا فما عسی ان یبقی هذا من قلب المومن وروی ان
رجلا صحب بن محیریز فی سفر فلما فارقه قال اوصنی قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشی
ولا یمشی الیک وتسال ولا تسال فافعل وخرج ایوب فی سفر فشیعه ناس کثیر فقال لولا انی
اعلم ان الله تعالی یعلم من قلبی انی لهذا کاره لخشیت المقت من الله تعالی وقال معمر عاتبت ایوب علی
طول قمیصه فقال ان الشهرة فیما مضی کانت فی طوله وهی الیوم فی تشمیره وقال بعضهم کنت مع ابی
قلابه اذ دخل علیه رجل علیه اکسیة فقال ایاکم وهذا الکار النهّاق یشیر به الی طلب الشهرة
وقال الثوری کانوا یکرهون الشهرتین الثیاب الجیده والثیاب الردیه والاصاویمتد الیها
جمیعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصنی فقال اخمل ذکرک واطیب مطعمک وکان خوشب یبکی
ویقول بلغ اسمی مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف رجلا احب ان یعرف الا ذهب دینه وافتضح وقال
ایضا لا تجد حلاوة الآخرة رجل یحب ان یعرف الناس **بیان فضیله الخمول**
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم رب اشعث اغبر ذی طمرین لایوبه له لو اقسم علی الله لابرّه
لو قال اللهم انی اسالک الجنه لاعطاه الجنه ولم یعطه من الدنیا شیأ وقال علیه السلام الا ادلکم علی اهل
الجنه کل ضعیف مستضعف لو اقسم علی الله لابرّه واهل النار کل مستکبر جواظ وقال ابو هریرة
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان اهل الجنة کل اشعث اغبر ذی طمرین لایوبه له الذین اذا استاذنوا

على الامرا لم يوذن لهم واذا خطبوا النسا لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوابج احدهم تتجلجل
فى صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم وقال عليه السلام ان من امتى لواتى احدكم يباله
دينارًا لم يعطا ياه ولو سأله درهمًا لم يعط اياه ولو سأله فلسًا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالي
الجنه اعطاه اياها ولو سأله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه لهوانه عليه ذواطمرين لا يوبه له لو
اقسم على الله لابرّه وروي ان عمر رض الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الرّيا شرك
وان الله يحب الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح
الهدي يخرجون من كل غبراء مظلمه وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينه وكان بها رجل صالح لازم المسجد
النبى صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى دعايهم اذ جاء رجل عليه ظمران خلقان فصلى ركعتان واوجز فيهما
ثم بسط يده فقال يارب اقسمت عليك الا امطرت علينا السأعه فلم ترد يده ولم يقطع دعاه حتى
تغشت السما بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينه من مخافة الغرق فقال يارب ان كنت تعلم
انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب الذى استسقى المطر حتى عرف منزله ثم
بكر عليه فخرج اليه فقال ائتيك فى حاجة قال ما هى قال تخصنى بدعوة فقال سبحان الله انت
أنت وتسألنى ان اخصك بدعوة قال ما الذى بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما أمرنى ونهانى
فسالته فاعطانى وقال بن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدي احلاس البيوت سرج الليل
جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون فى اهل السما وتخفون فى اهل الارض وقال ابو امامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اغبط اوليآى عبدٌ مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة
احسن عبادة ربه واطاعه فى السرّ وكان غامضًا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع فبن صبر على ذلك
ثم نفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال
عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغربا قيل ومن الغربا قال الفارون بدينهم يحتشرون يوم
القيامه الى عيسى بن مريم عليهما السلام وقال الفضيل يلعنى ان الله تعالى يقول فى بعض ما يمنّ
به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلنى عندك
من ارفع خلقك واجعلنى فى نفسى من اوضع خلقك واجعلنى عند الناس من اوسط خلقك وقال
الثوري وجدت قلبى يصلح بمكه والمدينه مع قوم غربا أصحاب قوت وعبا وقال ابراهيم بن ادهم
ما قرّت عينى يومًا فى الدنيا قط الا مرّة بتّ ليلة فى بعض مساجد قرى الشام وكان بى داء البطن

فجرّني

فجرّنى الموذن برجلى حتى اخرجنى من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما
عليك الا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك ان لا تكون مذمومًا عند الناس اذا كنت
محمودًا عند الله تعالي فهذه الاخبار والآثار تعرّفك مذمّة الشهره وفضيلة الخمول وانما المطلوب
بالشهره وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان قلت
فاىّ شهرة تزيد على شهرة الانبيا والخلفا الراشدين وائمة العلما فكيف فاتتهم فضيلة الخمول
فاعلم ان المذموم طلب الشهره فاما وجودها من جهة الله تعالي من غير تكلف من العبد فليس
بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفا دون الاقويا وهو كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة
من الغرقى فالاولي به ان لا يعرفه احد منهم فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم
واما القوي فالاولي ان تعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه **بيان ذم الجاه**
قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا فى الارض ولا فسادًا وجمع بين
ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الاخره للخالي عن الارادتين جميعًا وقال تعالي من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى
الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضًا متناول لبعضه لحب
الجاه فانه اعظم لذة من لذات الحياة الدنيا واكثر زينة من زينتها وقال عليه السلام حب الجاه
والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال عليه السلام ما ذيبان ضاريان ارسلا فى زريبة
غنم باكثر فسادٍ فيها من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم وقال عليه السلام لعلى كرّم الله
وجهه انما هلك الناس باتباع الهوي وحب الثنا **بيان معنى الجاه وحقيقته**
اعلم ان المال والجاه هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك
القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها وكما ان الغنى هو الذى ملك الدنانير والدراهم اي يقدر
عليها ليتوصل بها الى الاغراض والمقاصد وقضا الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك
ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها
فى اغراضه وآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق
بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب
فيه وصفًا من اوصاف الكمال اي انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وحسب درجة ذلك الكمال
عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كما لا فى نفسه بل يكتفى ان لا يكون كما لا عنده وفى اعتقاده

وقد يعتقد ما ليس كمالا ويُدعى قلبه للموصوف به انقيادًا اضروريًا بحب اعتقاده فان انقياد القلب
حالٌ للقلب واحوال القلوب تابعةٌ لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيّلاتها وكما ان محبّ المال يطلب
ملك الارقاب للعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم
بل الرق الذى يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد متأتي بطبعه ولو خلي وراءه
لانسلّ عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعه طوعًا ويبغي ان تكون له الاحرار عبيدًا بالطبع والطوع
مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فإذًا معنى الجاه
قيام المنزلة فى قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعتٍ من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون
من كماله تُذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته يكون
فرحه وحبّه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال
لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى وكالخدمة والإعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر
اعتقاده فيكون سخرةً له مثل العبيد فى اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير
والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقدم فى جميع المقاصد فهذه آثارٌ تصدر عن
قيام الجاه فى القلب ومعنى قيام الجاه اشتمالات القلوب على اعتقادات صفات الكمال فى الشخص
اما بعلمٍ او عبادةٍ او حسن خلقٍ او نسبٍ او ولايةٍ او جمالٍ فى صورةٍ او قوة بدنه او شئ مما يعتقده
الناس كمالًا فان هذه الاوصاف كلها يعظم محلها فى القلوب فتكون سببًا لقيام الجاه **بيان**
سبب كون الجاه محبوبًا بالطبع حتى لا يخلوا عنه قلبٌ الا بشديد المجاهده
اعلم ان السبب الذى يقتضى كون الذهب والفضة وسايرانواع الاموال محبوبًا هو بعينه يقتضى
كون الجاه محبوبًا بل يقتضى ان يكون احب من المال كما يقتضى ان يكون الذهب احب من الفضه
مع تساويا فى المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض فى اعيانها اذ لا تصلح بنفسها
لمطعمٍ ولا مشربٍ ولا منكحٍ ولا ملبسٍ وانما هى والحصا بمثابةٍ واحدةٍ ولكنها محبوبةٌ لانها وسيلةٌ
الى جميع المحابّ ذريعةٌ الى قضاء الشهوات فكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك
الذهب والفضة يفيد قدرةً يتوصّل الانسان بها الى سايراغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة
على استخدامها تفيد قدرةً على التوصّل الى جميع الأغراض والاشتراك فى السبب يقتضى الاشتراك
فى المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احبّ من المال وللملك القلوب ترجيح على ملك
المال من ثلثة اوجه **الاول** ان التوصّل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او

الزاهد الذي تقرّر له جاهٌ فى القلوب اوقصد اكتساب الاموال يتيسّر له فان اموال ارباب القلوب
مسخرةٌ للقلوب ومبذولةٌ لمن اعتقد فيه الكمال اما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة الكمال
اذا وجد كنزًا ولم يكن له جاه تحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسّر له فاذًا الجاه آلةٌ
ووسيلةٌ الى المال فمن ملك الجاه ملك المال ايضًا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حالٍ فلذلك صاحب
الجاه احب **الثانى** هو ان المال معرّضٌ لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه
الى الحفظة والحراس والخزائن ويتطرّق اليه اخطارٌ كثيرة واما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات
فمتى على التحقيق خزائن عبيده لا يقدر عليها السرّاق ولا يتنا ولها ايدى الغصاب واثبت الاموال
العقار ولا يومن فيه الغصب والدل ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزائن القلوب فهى محفوظة
بانفسها وذو الجاه فى أمنٍ وأمانٍ من الغصب والسرقة فيها نعم اما يغصب القلوب بالتخريب والتقبيح
الحال وتغيير الاعتقاد فيما صُدّق به من اوصاف الكمال وذلك ما يهون دفعه ولا يتيسّر على
محاولة فعله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجةٍ الى تعبٍ ومقاساةٍ فان
القلوب اذا ادعت لشخصٍ واعتقدت كماله بعلمٍ او عملٍ او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها
فيصف ما يعتقده لغيره وتقتضى ذلك القلب له ايضًا ولهذا المعنى تحب الطبع وانتشار الذكر
لان ذلك اذا استطار فى الاقطار اقتنصت القلوب ودعتها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري
من واحدٍ الى واحدٍ ويتزايد وليس له مرقًى معين واما المال فمن ملك منه شيأ فهو ما ملكه فقط
ولا يقدر على استنمائه الا بتعبٍ ومقاساةٍ فالجاه ابدًا فى النماء بنفسه ولا مردّ لموقفه والمال
واقفٌ ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثنا استحقرت الاموال فى مقابلته
فهذه مجامع ترجيح الجاه على المال واذا فُصّلت كثرت وجوه الترجيح **فان قلت**
فالاشكال قايمٌ فى المال والجاه جميعًا فلم ينبغى ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذى يتوصل
به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلومٌ كالمحتاج الى الملبس والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرضٍ او
بعقوبةٍ اذا كان لا يتوصّل الى رفع العقوبة عن نفسه الا بمالٍ او جاهٍ فمحبة المال والجاه بمعلوم
اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوبٌ وفى الطباع امرٌ عجيبٌ وراء هذا وهو حب جمع الاموال
وكنز الكنوز واذخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء جميع الحاجات حتى لو كان للعبد وادیان
من ذهبٍ لا يبغى اليهما ثالثًا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصى البلاد
التى يعلم قطعًا انه قط لا يطأها ولا يشاهد اصحابها ليعظموه او ليثروه بماله او ليعينوه على

غرض من اغراضه وقع اليأس عن ذلك فانه يتلذذ به غاية الالتذاذ وحبّ ذلك ثابتٌ بالطبع
ويكاد يظنّ ان ذلك جهلٌ فانه حبٌّ لما لا فايدة فيه لا في الدنيا ولا في الاخرة فنقول نعم هذا الحب
لا تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جليٌّ يدركه الكافة والاخر خفيٌّ وهو اعظم السببين
ولكنه ادقّهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكيا فضلاً عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرقٍ
خفيٍّ في النفس وطبيعةٍ مستكنّةٍ في الطبع لا يكاد يقف عليها الا العواصون فاما السبب الاول
فهو دفع الم الخوف لان الشقي بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيًا في الحال فانه طويل الامل
ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف
من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مالٍ اخر يفرغ اليه ان اصابت هذا المال
جائحة فهو ابدًا الشفقته على نفسه وحبّه للحياة يقدر طول الحياة ويقدّر هجوم الحاجات
ويقدّر امكان تطرّق الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو
كثرة المال حتى ان اصيب بطايفةٍ من ماله استغنى بالاخر وهذا خوفٌ لا يوقف له عند مقدارٍ
مخصوص من المال فلذلك لم يكن لميله سوقفٌ الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال عليه السلام
منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذا كله يطرد في حبّه قيام المنزلة والجاه
في قلوب الآباعد عن وطنه وبلده خاصة لا تخلوا عن تقديرٍ لسببٍ يزعجه عن وطنه او يزعج اولاده
عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنًا ولم يكن احتياجه اليهم
مستحيلًا لاحتمالة ظاهره كان للنفس فرح ولذةٌ بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا
الخوف واما السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امرٌ ربانيٌّ به وصفه الله تعالى اذ قال
ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيًا انه من اسرار علوم المكاشفة والارحق
في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلًا
الى صفاتٍ بهيميةٍ كالاكل والوقاع والى صفاتٍ سبعيةٍ كالقتل والضرب والايذاء والى صفاتٍ شيطانيةٍ
كالمكر والخديعة والاغواء والى صفاتٍ ربوبيةٍ كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك
لانه مركبٌ من اصولٍ مختلفةٍ يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحبّ الربوبية
بالطبع ومعنى الربوبية التوحّد بالكمال والتفرّد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال
من نعوت الالهية وصار محبوبًا بالطبع للانسان والكمال في التفرّد بالوجود اذ في المشاركة في
الوجود نقصٌ لا محالة وكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمسٌ اخرى كان ذلك

نقصانًا في حقها اذ لم تكن متفرده بكمال معنى الشمسية والمتفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس
موجودٌ سواه فان ما سواه اثرٌ من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قايمٌ به فكل موجودٍ امعه لا
محبة توجب المساواه في الرتبة والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له
في رتبةٍ وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانًا في الشمس بل هو من جملة كمالها
وانما نقصان الشمس بوجود شمسٍ اخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل
شيء في العالم يرجع الى اشراق انوار القدره فيكون تابعًا ولا يكون معًا فاذن معنى الربوبيّة هو التفرّد
بالوجود وهو الكمال وكل انسان بطبعه فهو محبٌّ لان يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض
مشايخ الصوفيه ما من انسانٍ الا وفي باطنه ما صرّح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له
محلًا وهو كما قال فان العبودية قهرٌ على النفس والربوبيّة محبوبة بالطبع وتلك النسبة الرثانيه
التي اوحى اليها قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن درك درجة الكمال
لم تسقط شهوتها للكمال فهي محبةٌ للكمال ومشتهيةٌ ومتلذذةٌ به لذاته لا لمعنى اخر وراء الكمال
فكل موجودٍ فهو محبٌّ لذاته ولكمال ذاته ومبغضٌ للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفة
الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان لم يسلم التفرّد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان
اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم يكن منك فبان تكون مستوليًا عليه فصار
الاستيلاء على الكل محبوبًا بالطبع لانه نوع كمالٍ وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحبّ
كمال ذاته ويلتذّ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الاراده وكونه
مسخرًا لك تردّد كيف تشاء فاحبّ الانسان ان يكون له الاستيلاء على كل الاشيا الموجودة معه
الا ان الموجودات منقسمه الى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغيير
ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملايكه والجن
والشياطين وكالجبال وكالبحار والى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالارض واجزايها وما عليها من
النبات والمعادن والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلةٌ للتاثر والتغيير مثل اجسادهم
واجساد الحيوانات فاذن انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات
والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملايكه والسموات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك
نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة وللعالم كالمستولي عليه فلذلك احبّ ان يعرف الله
تعالى والملايكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك

نوع استيلاء عليها والاستيلا نوع كمال وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق
الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يري
صنعة عجيبة في الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو يستشعر في نفسه نقص العجز والقصور
عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علم واما
القسم الثاني وهي الارضيات التي يقدر الانسان عليها فهو بالطبع يحب ان يستولي عليها بالقدرة علي
التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح الاجساد هي الدراهم والدنانير والامتعة فيحب
ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة
كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج
اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعبادا شخاص الاحرار
ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستخدار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما
لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا او تستوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لدبدبه لما فيها من القدرة
القسم الثاني نفوس الادميين وقلوبهم وهي باعلى وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلا وقدرة عليها
لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيها من كمال الاستيلا والتشبه بالصفات الربوبية
والقلوب انما تتسخر بالحب ولا يحب الا بالاعتقاد للكمال فان كل كمال يحبوب لان الكمال من الصفات الالهية
والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني الذي من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت
فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالي والساعي
اليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة
والاستيلا كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال
والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق
لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال
والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدرك من
الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر ورا كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء
الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به
الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع
العجايب والمشكلات لان العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات الربوبية

فكان

فكان محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها **بيان**
الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له قد عرفت انه لا كمال بعد
فوات النفود بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه
ان كمال العلم لله تعالي وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع
المعلومات فكذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله والثاني من حيث تعلق العلم بالمعلوم
على ما هو به وكون العلم المعلوم مكشوفا كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله تعالي بانم انواع
الكشف على ما هي عليه فكذلك بمقدار ما كان علم العبد اوضح وايقن واصدق واوفق للمعلوم في تفاصيل
صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابدا الآباد بحيث لا يتغير ولا
يزول فان علم الله تعالي لا يتصور ان يتغير فكذلك بمقدار ما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير
والانقلاب كان اقرب الى الله تعالي فالمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله
العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار وسمي اعتقاد
كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدته اعتقادا موافقا له
وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصانا ويعود عليك جهلا
ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم بعلمك مثلا بارتفاع جبل او مساحة ارض وتعدد
البلاد وتباعد ما بينها من الاميال والفراسخ وساير ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم
باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل
الذي بتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب القسم الثاني
هي المعلومات الازلية وهي جواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه
معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه
الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له وما يستحيل في صفاته وما يجوز في افعاله وحكمته
في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به الكمال الحقيقي الذي يقرب
من يتصف به من الله تعالي ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون هذه المعرفة نورا للعارف بعد الموت
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفه راس مال يوصل
الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور
لسراج اخر فيكمل النور بذلك السور الخفي به على سبيل الاستنام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع

في ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالي لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها بل كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج فاذا الاسعادة الا في معرفة الله تعالي
واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة لها اصلا كمعرفة الشعر واسناب العرب وغيره ومنها ما
له منفعة في اعانة على معرفة الله تعالي كمعرفة لغة العرب ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في
القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة تزكية النفس تفيد في استعداد
النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالي قد افلح من زكاها وقال تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا فيكون جملة هذه المعارف كالوسايل الى تحقيق معرفة الله تعالي وانما الكمال في
معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات
كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي افعال الله ومن حيث ارتباطها بالقدره والارادة والحكمة فهي
تكملة معرفه الله تعالي فهذا حكم كمال العلم ذكرناه وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والربا ولكن
اوردناه لاستيفا اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي
وليس له قدرة حقيقيه وانما القدرة الحقيقيه لله تعالي وما يحدث من الاشيا عقيب ارادته وقدرته
وحركته فهي الحادثة باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل في مواضع
شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله الى الله تعالي واما كمال القدرة فلا
نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده
للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوي آلة للوصول بها الى حقيقة كمال العلم
وقد يحتاج في استيفا هذه القوي الى القدرة بالمال والجاه للتوصل به الى المطعم والمنزل والملبس
وذلك الذي قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا خير فيه البتة الا من حيث
اللذة الحالية التي تنقضي على القرب وظن ذلك كمال جهل والخلق كلهم غالكون في غمرة هذا الجهل
فانهم يظنون ان القدره على الاجساد تقهر الحشمه وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم
القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به
وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالي ومن ملايكته وهو العلم والحرية
اما العلم فما ذكرناه من معرفة الله تعالي واما الحرية فالخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلا
عليها بالقهر تشبها بالملايكة الذين لا يستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الغضب
والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملايكه ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير

والتاثر

والتاثر عليه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض أبعد كان الى الله تعالي اقرب وبالملايكة أشبه
ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورد في اقسام الكمال لان حقيقته
ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كاينة وهلاكها والهلاك النقص
في الذات وفي صفات الكمال اللذات فاذا الكمالات ثلثة ان عدنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد
لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الربوبيه والقدرة
وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية
بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استخدام القلوب فالابدان تنقطع بالموت ومعرفته
وحريته لا تنعدم بالموت بل يبقى كما لا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالي فانظر كيف تقلب الجاهلون
وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدره بالجاه والمال وهو الكمال
الذي لا يسلم وان سلم فلا بقا له واعرضوا عن كمال العلم والحرية الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع
له وهؤلا هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخره فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وهم الذين لم يفهموا قوله تعالي المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير املا فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كما لا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقض علي
القرب وهو كما مثل الله تعالى حيث قال انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السما الايه وقوله تعالى
واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح فكل ما تذروه رياح
الموت فهو زهرة الحياة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا
ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا أصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا
فهو جاهل الا قدر البلغه منهما الى الكمال الحقيقي **بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم**
مما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من
اعراض الحياة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخره فكل ما خلق في الدنيا فيمكن
ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد له من ادنى جاه
لضرورة المعيشه مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
او المال الذي يبتاع به الطعام فلذلك لا يخلوا عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان
يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار محبته لا يكون له من المحل في قلب خادمه ما يدعوه الى الخدمة ليس
بمذموم وحبه لا يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به موافقته ومعاونته ليس بمذموم

وحبه لايكون له فى قلب استاده ما يحسن به ارشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه
لايكون له من المحل فى قلب سلطان ما يحثه على دفع الشر عنه ليس بمذموم فانه الجاه وسيلة
الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق فى هذا يفضى الى ان لايكون المال والجاه
فى اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان فى ان يكون فى داره بيت ما لانه مضطر اليه
لقضاء حاجته وبوده لو استغنى عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس تحبب لبيت الماء وكل ما
يتوسل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوسل اليه ويدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل
قد يحب زوجته من حيث يدفع بها مضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضل الطعام ولو كفى مؤونة
الشهوة لكان بمجرد زوجته كما انه لو كفى قضاء الحاجة لكان لايدخل بيت الماء ولايدوريه
وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفى الشهوة لبقى مستصحبا نكاحها فهذا هو الحب
دون الاول وكذلك المال والجاه قد يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل
الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه
يوصف صاحبه بالعشق والعصيان ما لم تحمله المحبة على مباشرة معصيته وما لم يتوصل الى اكتسابه
بكذب وخداع وان كان محظورا اذا لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال
بالعبادة خيانة على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سياتى فان قلت
طلب الجاه والمال والمنزلة فى قلب استاده وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط امره به مباح
على الاطلاق كيف ما كان او مباح على حد مخصوص وعلى وجه مخصوص يطلب ذلك على ثلثة اوجه
وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور فهو ان يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم
باعتقاد هم صفة هو منفك عنها مثل العلم والنسب فيظهر لهم انه علوى او عالم او ورع ولا
يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة واما المباح فهو ان
يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى
حفيظ عليم فانه طلب منزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه
والثانى ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لايعلم فلا تزول منزلته به
فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبائح جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا
ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة فى العلم به كالذى يخفى عن السلطان
انه يشرب الخمر ولا يلقى اليه انه ورع فان قوله انى ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لايحب

اعتقاده

اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظورات ان تحسن الصلاة بين يديه ليحسن
فيه اعتقاده فان ذلك رياء وهو ملتبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو
يرائى بما يفعله فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك
يجرى مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لايجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس فى عوض او
فى غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب فى حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وبغضها الذم ونفرتها منه

اعلم ان لحب القلب اربعة اسباب **الاول** وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان
الكمال محبوب وكل محبوب فالمدرك له لديد ومهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت
والمدح ليشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذى به يمدح لايخلو اما ان يكون جليا ظاهرا
او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لايخلو عن
لذة كشاعر يمدح على انه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه تخيلا
عن لذته فاذا اشعر به لم يحل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه
الشك فاللذة فيه اعظم كالمثنى عليه بكمال العلم وكمال لذة الورع او باحسن المطلق فان الانسان ربما
يكون شاكا فى كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال الشك بان يصير متيقنا
بكونه عديم النظير فى هذه الامور او تطمئن نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة
وثقة باستشعار ذلك الكمال فيعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من
بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف بالقول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاده
عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه فى غاية اللذة وان صار ممن يجزف فى الكلام او لايكون
بصيرا فى ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكرهه لانه يشعره بنقصان
نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك يعظم الالم اذا صدر
الذم من بصير موثق به كما ذكرناه فى المدح **السبب الثانى** ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك
الممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله
لديد وبهذه اللذة تعظم اللذة مهما صدر الثناء من يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر
ويضعف مهما كان المثنى ممن لا يوبه له ولا يقدر على شى فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير
فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتالم به القلب فاذا كان من الاكابر

كانت نكايته اعظم لان الغايت به اعظم **السبب الثالث** ان ثنآ المثنى ومدح المادح سببٌ لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بتنكيه وهذا المختص بشآءٍ يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثنى احد ربان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم أشد على النفس **السبب الرابع** ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى الطلاق اللسان بالثنآ عليه اما عن طوعٍ واما عن قهرٍ فان الحشمة ايضاً لديه لما فيها من القهر والقدره وهذه اللذة تحصل وان كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطرًا الى ذكره نوع قهرٍ واستيلآءٍ عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تسنّع المادح وقوته فيكون لذة ثنا القوى الممتنع عن التواضع بالثنا اشدّ فهذه الاسباب الاربعه قد تجتمع في مدح مادحٍ واحدٍ فيعظم به الالتذاذ وقد يفترق فتنقص اللذه به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح انه غير صادقٍ في مدحه كما اذا مدح بانه نسيبٌ او سخيٌ او عالمٌ بعلم او متورعٌ عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلا على قلبه وعلى لسانه وبقيه اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفه بطلت اللذة الثانيه وهو استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلا بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثنا فان لم يكن ذلك عن خوفٍ بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات فلم يكن فيه لذةٌ اصلاً لفوات الاسباب الاربعه فهذا ما يكشف الغطاء عن التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرناه لتعرف طريق العلاج وحب المحمده وخوف المذمّة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته اذ العلاج عبارة عن حلّ اسباب المرض **بيان علاج حبّ الجاه** اعلم ان من غلب على قلبه حبّ الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مستغرقًا بالتودّد اليهم والمرايا ه لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتًا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك يدر النفاق واصل الفساد ويجرّ ذلك لا محاله الى التساهل في العبادات والمرايا ه بها والى اقتحام المحظورات للتوصّل الى اقتناص القلوب ولذلك شبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم حبّ الشرف والمال وافسادهما الدين بذيبين ضاريين وقال انهما ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصالٍ حميده هو خالٍ عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات فيجب ازالته وعلاجه عن القلوب فانه طبعٌ جبل القلب عليه كما جبل على حبّ المال وعلاجه مركبٌ من عملٍ وعلمٍ اما العلم فهو ان تعلم ان السبب الذي لاجله احببت

الجاه

الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينّا ان ذلك ان صفا وسلم فأخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنه لا يبقى الساجد ولا المسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحياة الابديّه التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كاسمق صَغُر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخره كانه يشاهدها ويستحقر العاجله ويكون الموت كالحاصل عنده كما قال الحسن البصري حيث كتب الي عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك بأخرٍ من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مدّ نظره نحو المستقبل وقدره كاينًا وكذلك قال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل فهو لا كان إلتفاتهم الى العاقبه فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا المال والجاه في الدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفةٌ مقصورة على العاجله لا يستنورها الى مشاهدة العواقب وكذلك قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خيرٌ وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخره فمن هذا حذره فينبغي ان يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجله وهو ان يتفكر في الاخطار التي تستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسودٌ ومقصودٌ بالايذا وخايف على الدوام على جاهه ومحترزٌ من ان تتغير منزلته فى القلوب والقلوب اشدّ تغيرًا من القدر في غليانه وهي مردّدة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعات القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحسّاد ومنع أذى الاعداء ذلك غموم عاجله تكدّر لذّة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضًا مرجوّتها بخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة فبهذا ينبغي ان يعالج ذآ البصيرة الضعيفه فاما من فقدت بصيرته وقوى ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعالٍ يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق ويفارقه لذّة القبول ويأنس بالخمول وبردّ الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو منهج الملامتيّه اذا اقتحموا الفواحش في صورها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير جايز لمن يقتدي به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدي به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعامًا وبقلًا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم

من شرب شرابًا حلالًا مباحًا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مما رأوا صلاح قلوبهم فيه ثم يتدارکون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حمامًا ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع لا يعرفون فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يتخلوا عن حب المنزلة التي يترشح له في القلوب بسبب عزلته وربما يظن انه ليس محبًا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد طفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك وباطن ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا احوز قوته من كسبه او من جهة اخوي فقطع طمعه عن الناس راسًا اصبح الناس عنده كلهم كلاش او كالاراذل فلا يبالي كانت له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي ذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذي مثل قولهم المومن لا يخلوا من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهية الذم اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رجاء الناس ورجاء المدح وخوفًا من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم **اما السبب الاول** فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان لم تكن اما صفة تستحق الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاغراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض التي يصير على القرب هشيمًا تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي

في سرور

في سرور يتيقن عنه صاحبه انتقالًا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بذكر المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو بسبب وجودها فلا يجب ان يفرح به بل بسبب وجودها هو الله تعالى فهو المستحق للمدح والحمد وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باقٍ ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح فكل ما في الدنيا بل الدنيا دار حزن وغموم لا دار فرح وسرور نعم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك وبالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح تابع له فلم ينبغي ان يفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلًا ان كانت الصفة التي مدحت بها انت خالٍ عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثال ذلك مثال من بشر انه انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشايه وما اطيب الروائح التي تفوح منه اذا تغوط حاجته وهو يعلم ما اشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به وكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبايا باطنك وغوايل سرائرك واقدار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فان المادح ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك فان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به **واما السبب الثاني** وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببًا لتحريك قلب اخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله فكيف تفرح به **واما السبب الثالث** وهو الحشمة التي اصطرت المادح الى المدح فهو ايضًا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه لغضب به كما نقل ذلك من السلف لان اثمة المدح على الممدوح عظيم كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال لبئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وروى في بعض الاخبار فان صح فهو قاصم الظهر ان رجلًا اثنى على رجل خيرًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لو كان صاحبك حاضرًا فمرض الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال عليه السلام مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيامة وقال عليه السلام الا تمادحوا واذا رايتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كانت الصحابة على وجل عظيم من المدح ونتنته وما يدخل على القلب

من السرور به حتى ان بعض الخلفا الراشدين سال رجلا عن شي فقال انت يا امير المومنين خير مني
واعلم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك
واشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق
فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله تعالى ببغض الهيم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى
والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله
من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله
تعالى وثنايه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله تعالى قل التفاته
الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه **بيان**
علاج كراهة الذم قد سبق ان العلة فى كراهة الذم هو ضد العلة فى حب المدح فعلاجه
ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلثة احوال اما ان يكون قد صدق فيما
قال وقصد النصح والشفقه واما ان يكون ملاقا ولكن قصده الايذا والتعنت او يكون كاذبا فان
كان صادقا فلا ينبغى ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغى ان تتقلد منه منة فان من
اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها فينبغى ان تفرح به وتشتغل بازالة
الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه فانه غاية
الجهل وان كان قصده التعنت بقوله اذا ارشدك الى عيب ان كنت جاهلا به او ذكر لك عيبك ان
كنت غافلا عنه او قبحه فى عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك اسباب
سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك اسبابها بسبب ما سمعته من
المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وانت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك
لخفت ان تحرر قبتك لتلويثك مسجده بالعذره فقال لك قايل ايها الملوث بالعذره طهر نفسك
فينبغى ان تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الاخلاق مهلكه فى الاخرة والانسان
انما يعرفها من قول اعدايه فينبغى ان يغتنمه فاما قصده التعنت فخيانة منه على دين نفسه
وهو نعمة منه عليك اراد بها الله تعالى لك والا فمن تنبهك أأنت ممن يوحي اليه فهذه رتبة لك
عند الله تعالى فلم تغضب عليه بفعل انتفعت به وقصر فيه هو به الحالة الثانية ان يفترى عليك بما
انت برئ منه عند الله تعالى فينبغى ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر فى ثلثة امور احدها
انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تغلو عن امثاله واشباهه وما ستر الله من عيوبك اكثر فاشكر الله

اذ لم يطلعه

اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت عنه برئ والثانى ان ذلك كفارات لبقية
مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب انت برئ منه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من
اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر
وتحزن بهدايا الحسنات التى تقرب بك الى الله تعالى وانت تزعم انك تحب القرب من الله تعالى واما الثالث
فهو ان المسلمين حنق على دينه حتى سقط من عين الله تعالى واهلك نفسه بافترايه وتعرض لعقاب الله
تعالى فلا ينبغى ان يغضب عليه مع غضب الله عليه فيشمت الشيطان به ويقول اللهم اهلكه بل ينبغى
ان يقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال عليه السلام اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
لما ان ضربوه ودعا ابراهيم بزادهم لمن شتم راسه بالمغفرة وقال اعلم انى ماجور بسببه فلا ارضي
ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة الذم قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما
ذمك لم يعظم اثر ذلك فى قلبك واصل الدين القناعه وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال وما دام
الطمع قايما كان حب الجاه والمال والمدح فى قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى تحصيل المنزله
فى قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغى ان يطمع طالب المال والجاه ومحبة المدح وبغض
الذم فى سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا **بيان اختلاف احوال الناس فى المدح والذم**
اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح **الحالة الاولى** ان يفرح بالمدح ويشكر
المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق وهو غاية
درجات المعصيه فى هذا الباب **الحالة الثانية** ان يبغض فى الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه
وجوارحه عن مكافاته ويفرح بالمدح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور
وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال **الحالة الثالثة** وهى اول درجات الكمال ان
يستوي داته ومادحه عنده فلا تغره المدحه ولا تسوءه المذمه وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه
ويكون مغرورا ان لم يستحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد فى نفسه استثقالا للذام عند تطويله
الجلوس عنده اكثر مما يجده فى المادح وان لا يجد فى نفسه زيادة هزة ونشاط فى قضاء حوايج المادح
فوق ما يجده فى قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح
وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية فى قلبه من موت الذام وان لا يكون عنده بمعصية
المادح وما ينال له من اغراضه اكثر مما يكون بمعصية الذام وان لا تكون زلة المادح اخف على قلبه
وفى عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كاخف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه

الرتبه وما ابعد ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم
وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح
دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله تعالى بمذمتك والمادح قد اطاع الله
بمدحك فكيف تسوي بينهما فانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد
لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كباير المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في حقه ثم انه لا يستثقلهم
ولا ينفر عنهم ويعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه
لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره
فاذا العابد المغرور لنفسه بغض ولهواه مبغض ثم تخيل اليه الشيطان انه من الدين حتى يعتدر
على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر
عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويحشر في الاخره وفيهم قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا الآيه **الحاله الرابعه** وهي الصدق في العبادة وان يكره المدح
ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضر له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه
عيبه ومرشد له الى مهذبه ومهد اليه حسناته وقد قال عليه السلام راس التواضع ان تكره ان تذكر
بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه عليه السلام قال
ويل للصايم وويل للقايم وويل لصاحب الصوف الا فقيل يا رسول الله الامن فقال الامن تنزهت
نفسه عن الدنيا وابغض المدحه واستحب المذمه وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة
الثانيه وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل واما الحالة
الثالثه وهي التسوية بين المادح والذام فلا مطمع فيها ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانيه
فانها لا تخفى بها فانها لا بد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتثاقل عن اكرام الذام
والثناء عليه وقضى حوايجه ولا يقدر على ان يسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا يقدر عليه في سريرة
القلب ومن قدر على التسوية من الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا
الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى تكيف بما بعده من المرتبتين وكل واحدة
من هذه الرتب ايضا ففيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثنا
وانتشار الصيت فيتوصل الى نيل ذلك بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمفارقة المحظورات
لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك فيطلبه

بالمباحات

المباحات لا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على جرف هار فان حدود الكلام
الذي تشتمل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل
الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحه ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق
السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهده ولم يتكلف الكراهيه فهو قريب من ان يستجره فرط
السرور الى الرتبة التي قبلها وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهيه ولعل السرور عليه
بالفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهده فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا
سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن يوثر فيه وهذا على خطر وان كان قد بقي عليه بقيته من الاخلاص
ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته
ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه الا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين
النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مخلص عنه وكذلك بالضد من هذا
تتفاوت الاحوال في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب واخره اظهار الفرح ولا يكون الفرح
واظهاره الا من في قلبه حسد وحقد على نفسه لتمرده عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبه
وتلبساتها الخبيثه فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح ممن يذم عدوه وهذا شخص عدو نفسه
فيفرح اذا سمع ذمها ويذكر الذام عليها ويعتقد فطنته ودكاءه لما وقف على عيوبها ويكون
ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذا صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلى
بفتنة الجاه واذا سبقت اليه حسنات لم ينصب فيها فحساه يكون خيرا بعيوبه الذي هو عاجز عن
عزاماتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخطة الواحده وهو ان يستوي دامه
ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيره هذه
احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهده الشديدة في العمر الطويل

النظر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزله بالعبادات وهو الرياء وفيه

بيان ٥ بيان ٥ بيان ٥

ذم الرياء ٥ حقيقة الرياء وما يرائي فيه ٥ درجات الرياء

بيان ٥ بيان ٥ بيان ٥

الرياء الخفي ٥ ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط ٥ دواء الرياء وعلاجه

بيان ٥ بيان ٥ بيان ٥

الرخصة في الطاعات الرخصة في كتمان الذنوب ترك الطاعات خوفا من الرياء والآيات

بيان ذم الرياء

ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق ما يجب على المريد ان يلزمه قبل الطاعة وبعدها

بيان ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام والمراءي عند الله ممقوت وقد شهد لذلك الايات والاخبار والآثار اما الايات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين نفى كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء هو ضده وقال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي ممن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله واما الاخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروي ابو هريرة في حديث الثلثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارئ لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان سخاء كذبت بل اردت ان يقال فلان قاري فاخبر عليه السلام انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم وقال بن عمر تا لعليه السلام من راءى راءى الله ومن سمع سمع الله به وفي حديث أخر طوبى لملايكته ان هذا لم يرد في بعمله فاجعلوه في سجين وقال عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء وقال عليه السلام استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم أعد للقراء المرائين وقال عليه السلام يقول الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بري فانا اغنى الاغنياء عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه ليلا يرى الناس انه صايم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستره بابه فان الله تعالى يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مثقال ذرة من رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما حين رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي

ايضا

ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقايقه وقال عليه السلام ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه وكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفا وقال عليه السلام ان المراءي ينادي يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال عليه السلام لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الله الجبال فصيرها اوتادا الارض فقالت الملايكة ما خلق الله ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله تعالى الحديد يقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله تعالى الماء فاطفا النار وامر الريح فركدت الماء فاختلف الملايكة فقالت نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيأ هو اشد من ابن ادم حين يتصدق بصدقة يمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروي عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله بابي انت وامي يا رسول الله قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا اطلعت به الى السما الدنيا ذكرته فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السما الثانية فيقول لهم الموكل بالسما الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصيام وصلاة قد اعجب الحفظة فيجاوزون به الى السما الثالثة فيقول لهم الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد

يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا بها الى السماء
الرابعة فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوه ظهره وبطنه
انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب
في عمله قال وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوه الى السما الخامسة كانه العروس المزفوفة
الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحلوه على عاتقه
انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس ومن يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة
يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد
من صلاة وزكوة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به الى السما السادسة فيقول لهم الملك الموكل
قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله تعالى أصابه بلاء
او ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد الى السما السابعة من صوم وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي
الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلثة آلاف فيجاوزون به الى السما السابعة فيقول لهم الموكل
بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا بها جوارحه اقفلوا على قلبه انا حجبت عن كل
كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله تعالى انه اراد به رفعة عند الفقها وذكرا
عند العلما وصوتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن فيه
اخلاصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكوة
وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله وتشيعه الملايكة حتى يقطعوا الحجب كلها
الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى قال فيقول الله
تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به
غيري فعليه لعنتي فتقول الملايكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه
لعنتك ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله
وانا معاذ قال اقتدي وان كان في عمرك تقصير يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك
من حملة القران واحذر ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزكي نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك
عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك
ولا تتاجر رجلا وعندك اخر ولا تعظم على الناس فيقطع عنك خير الدنيا والاخرة ولا تمزق الناس

تتمزقك كلاب النار يوم القيامة قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما
هي بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي فمن يطيق هذه الخصال
ومن ينجو منها قال يا معاذ انه يسير على من يسره الله تعالى فمرائي اكثر تلاوة للقران من معاذ
للحديث في هذا الحديث **واما الاثار** يروي ان عمر رض الله عنه راى رجلا يتطامن في رقبته
فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلب ورائي ابوا
أمامة رض الله عنه رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي
كرم الله وجهه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل
اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد
وجه الله ومحمدة الناس قال لا شئ لك ثلث مرات كل ذلك يقول لا شئ لك ثم قال في الثالثة
ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنيا عن الشرك الحديث وسال رجل سعيد بن المسيب فقال أحدنا
يصطنع المعروف فيحب ان يحمد به ويوجر عليه فقال له اتحب ان تنفق قال لا قال فاذا عملت لله
عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله تعالى وللرحم
فان الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رض الله عنه رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل
أدعها لله تعالى ولك فقال له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله تعالى وحده
فقال ودعتها لله تعالى وحده قال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له
الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة فان كان ليمر
في بري الأدي على الطريق فما يمنعه ان يتخيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادى يوم القيامة
باربعة اسما يا مرائي يا غاوي يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال
الفضيل كانوا يراؤون بما يعملون واليوم يراؤون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله تعالى يعطي
العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب
قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاربا
فلا يذ القلوب المومنين ان تعرفه وقال قتادة اذا رايا العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ
بي وقال مالك بن دينار اقرأ ثلثة قرأ الدنيا وقرأ الملوك وقرأ الرحمن وان محمد بن واسع من قرأ الرحمن
وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مرائي فلينظر اليّ وقال محمد بن المبارك الصوري اظهروا السنة بالليل
فانه اشرف من سنتك بالنهار للمخلوقين وسنت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على العمل

اشد من العمل قال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو يرآي بخراسان قال كيف ذلك قال
يحب ان يذكر انه مجاور بمكه وقال بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان حقيقة الرياء ومايرآي به**
اعلم ان الرّيا مشتقٌ من الرؤيه والسمعة مشتقّةٌ من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزله فى قلوب الناس
يا راتهم خصال الخير ١٧ ان الجاه والمنزله يطلب فى القلب باعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات
واسم الرّيا مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة فى القلوب بالعبادات واظهارها فحدّ الرّيا هو إرادة العباد
بطاعة الله تعالي فالمرآي هو العابد والمرآي له هو الناس المطلوب رويتهم لطلب المنزلة فى قلوبهم
والمرايي به هى الخصال التى قصد المرآى اظهارها والرّيا هو قصده اظهار ذلك والمرآى به كثير ويجمعه
خمسة اقسام وهى مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع
والامشا الخارجه وكذلك اهل الدنيا يراؤن بهذه الاسباب الخمسه الا ان طلب الجاه وقصد الرّيا باعمال الاجتهاد
ليست من جلة الطاعات اهون بالرّيا من الطاعات **القسم الاول** الرّيا فى الدين من جهة البدن
وذلك باظهار النحول والصّفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة خوف
الاخرة وليدل بالنحول على قلّة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن فى الدين وكذلك يرآي
بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب
مهما ظهرت استدلّ الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمحبتهم فلذلك تدعوا النفس الى اظهارها
لنيل تلك الرّاحه ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين ودبول الشفتين ليستدل بذلك
على انه مواظبٌ على الصوم وان وقار الشرع هو الذى خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذى ضعّف
قوّته وعن هذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجّل شعره ويكحل عينيه
وكذلك روى عن ابى هريرة وذلك كله لما خاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال بن مسعود
اصبحوا صيّامًا مدهّنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيرآؤن باظهار التّزين
وصفاء اللون واعتدال القامه وحسن الوجه ولطافة البدن والثوب وقوة الاعضا وتناسبها **الثاني**
الرّيا بالزي والهيئه فبتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس فى المشى والهدوء فى
الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريبٍ من الساق وتقصير
الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرّقًا كل ذلك يرآى به ليظهر من نفسه انه متبعٌ للسنة فيه
ومقتدٍ بعباد الله الصالحين ومن ذلك لبس المرقّعة والصلاة على السجاده ولبس الثياب الزرق
تشبّهًا بلصوفيه مع الإفلاس من حقايق التصوف فى الباطن ومنه التقنّع بالازار فوق العمامه

ليري انه قد انتهى تقشفه الى الحد من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميّزه بتلك
العلامه ومنه الدّراعة والطيلسان يلبسه من هو خالٍ عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراؤن بالزي
على طبقات منهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقه الوسخة
القصيره الغليظه ليرآي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبًا وسطًا نظيفًا
ما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الدرج ولذلك خوفه ان يتقوّل الناس قد بدا من الزهد
ورجع عن تلك الطريقه ورغب فى الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل
الدنيا من الملوك والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخره ردّهم القرا ولو لبسوا الثياب المخرقه النازله
ارد تهم اعين الملول والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون
الاصواف الرقيقه والاكسية الرفيعه والمرقعات المصوغه والفوط الدقيقه فيلبسونها وقيمة
ثيابهم قيمة ثياب الاغنيا ولونها وهيأتها لون ثياب الصلحا فيلتمسون القبول عند الفريقين
وهو لا لو كلفوا لبس ثوب خشن او وسخ لكان عندهم كالدرج خوفًا من السقوط من اعين الملوك
والاغنيا ولو كلفوا الدّسقي والكتان الرقيق الابيض والقصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة
ثيابهم لعظم عليهم ذلك خوفًا من ان يقول اهل الصلاح قد رغب فى زيّ اهل الدنيا وكل طبقةٍ منهم
يرآي منزلته فى زيّ مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحًا خفيفة
من المئنة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسه والمراكب الرفيعه وانواع التوسع والتجمل
فى الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبّغة والطيالسة النفيسه وذلك ظاهرٌ
بين الناس فانهم يلبسون فى بيوتهم الثياب الخشنه ويشتدّ عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئه
والثياب ما لم يبالغوا فى الزينه **الثالث** الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق
بالحكمه وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال فى المحاورة اظهارًا لغزارة العلم ودلالةً على شدة الغايه
باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر فى محض الناس والامر بالمعروف والنهى عن المنكر
بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مفارقة الناس المعاصي وتضعيف
الصوت فى الكلام وترقيق الصوت بقرأة القران ليدل بذلك على الخوف والحزن وادّعاء حفظ
الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروى الحديث ببيان خلل فى لفظه ليعرف انه بصير بالأحاديث
والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح لاظهار الفضل والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس
قوّته فى علم الدين والرياء بالقول كثير وابوابه لا تنحصر فاما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول لحفظ

الاشعار والامثال والتفاصح بالعبارات وحفظ النحو الغريب للاعراب على اهل الفضل واظهار
التودد الى الناس لاستمالة القلوب **الرابع** الرياء بالعمل كمرايات المصلي بطول القيام وتطويل
السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار الهدو والسكون وتسوية القدمين
واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام وبالاخبات في المشي عند
اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المراي قد يسرع في المشي الى
حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه
الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى العجلة فاذا راه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله
تعالى حتى يكون تجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه تخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد
والصلحا ومنهم من اذا سمع هذا استحى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمراي من الناس
فكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا راه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه تخلص
به عن الرياء وقد يضاعف به رياؤه فانه صار في خلوته ايضا مرائيا فانه انما حسن مشيته في الخلق
ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله تعالى وحيا منه واما اهل الدنيا فمرايا هم بالتبختر والاختيال
وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاحذ باطراف الذيل وإدارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه
والحشمة **الخامس** المراياة بالاصحاب والزايرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما
من العلما ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العبّاد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته
ويتردّدون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم
رتبته في الدين كالذي يكثر ذكر الشيوخ ليري انه لقي شيوخا كثيرا واستفاد منهم فيباهي بشيوخه
ومباهاته ومراياته تترشح منه عند محاصمته فيقول لغيره ومن لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت
فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما تجري مجراه فهذه مجامع ما يراءى به المراؤن
وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب الناس ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم
من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديده وانما حياته
من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم ينسبونه الى جريمة في ديره او صومعته
لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة
ذلك من قلوبهم مع انه قد قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه
في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر

الناس

الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع ببقاء منزلته في القلوب بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان
بالثنا والحمد ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد للرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند
الملوك ليقبل شفاعته ويتحجز الحوايج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة ومنهم من يقصد
التوصل بذلك الى جمع حطام الدنيا او كسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام
وهؤلا شر طبقات المرايين الذين يراؤن بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما يقع به
الرياء **فان قلت** فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء
هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب
المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب الناس ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات
واسباب مخطوره فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما تحتاج اليه الانسان محمود فكسب
قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال
اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع فكذلك الجاه وكما ان كثير من المال يلهي ويطغي وينسي
ذكر الله تعالى والدار الاخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد ففتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا
نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حمله كثرة المال
وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهمم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهمم الى
كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما
سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من
جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفا الراشدين ومن بعدهم من علما الدين وكل انصراف الهمم الى
طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا القول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان
عند الخروج الى الناس مراياة وهو ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقيس على هذا اكل الجيد
للناس وتزيين من قول وفعل والدليل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان
يخرج الى اصحابه فكان ينظر في حب الما ويسوي عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله
قال نعم ان الله تعالى يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن
اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكيلا تزدريه اعينهم فان
اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرايز فكان ذلك قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في انفسهم حذرا من ذمهم ولومهم واستر حالا الى توقيرهم
واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان
ومهما استثقلوه واستعدروه لم يأنس بهم فاذن المرايا بما ليس من العبادات قد يكون مباحا
وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما بحسب الغرض المطلوب به وكذلك تقول الرجل اذا انفق
ماله على جماعة من الاغنيا لا في معرض العباده والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه
مرايا ليست بحرام وكذلك اسائر لها اما العبادات كالصدقه والصلاه والحج والغزو فالمرائي فيه حالتان
احدهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات
وهذا ليس يقصد العباده ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل
يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الاخبار والآثار والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو
التلبيس والمكر والخداع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك
والتلبيس ايضا في امر الدنيا حرام حتى لو قضى دين جماعة لهم عليه وخيل الى الناس انه متبرع
عليهم ليعتقدوا سخاوته أثم به لما فيه من التلبيس وسلك القلوب بالخداع والمكر والثاني
يتعلق بالله تعالى وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله تعالى ولذلك قال
قتاده اذا رايا العبد قال الله انظروا اليه كيف يستهزي بي وسئل ابن بشر بين يدي ملك من
الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وانا واقوفك لملاحظتك جارية من حواري الملك او غلاما
من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصدت به عبدا من
عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراعاة عبد ضعيف لا يملك
له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى
وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ أثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء
يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي بيانه ولا تخلو اثم منه
عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراياه ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله تعالى
لكان فيه كفاية فانه إذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري لو عظم غير الله
بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت
تلك العظمه ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون من وجه وفي بعض الكتب يا عبدي اخفيت

المعاصي

المعاصي من خلقي وجعلتني اهون الناظرين اليك وفي معناه في الطاعة اذا كانت لغير وجه الله
تعالى ومهما لم يقصد تعظيم الله بالسجود وبقي لتعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد
تعظيم نفسه في قلب من عظم عبده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله تعالى نعم هذا كان شركا خفيا
لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان وأوهم عنده ان العباد ملكون
من نفعه وضره ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله اكثر مما يملكه الله فذلك عدل بوجهه عن الله
تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم واو وكله الله اليهم في الدنيا والاخره لكان
ذلك افل بكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا
ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا تجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيأ بل يقول الانبيا فيه نفسي نفسي فكيف يستدل الجاهل عن ثواب الاخرة ونيل القرب
عند الله تعالى ما يرتقبه اطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي
بطاعة الله في سخط الله تعالى من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر اما اذا
قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي ينافض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه
في كتاب الاخلاص ويدل عليه ما نقلناه من الاثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت
انه لا أجر فيه اصلا **بيان درجات الرياء** اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض
واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلثه المرايا به والمرايا لاجله ونفس
قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون
مجردا دون ارادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان ذلك فلا يخلو اما
ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او أضعف او مساوية لارادة العباد فتكون الدرجات اربعا
الاول وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد
لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله
وكذلك من يخرج الصدقه خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها
فهذه في الدرجة العليا من الرياء **الثانيه** ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا
بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء
يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه
المقت والاثم **الثالثة** ان يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين بحيث لو كان كل واحد منفردا

عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لا استقل بحمله على العمل
فهذا قد افسد بمثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا برأس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما له من
العقاب وظواهر الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص **الرابعة** ان يكون
اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العباده ولو كان قصد الرياء وحده
لما أقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد
الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا
ما تساوي القصدان او كان قصد الرياء ارجح **الركن الثاني** المرايا به وهو الطاعات وذلك
ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها **القسم الاول** وهو الاغلظ الرياء بالاصول
وهو على ثلث درجات **الدرجة الاولى** الرياء باصول الايمان وهذا اغلظ ابواب الرياء وصاحبه
مخلد في النار وهو الذي يظهر بكلمة الشهاده وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يراءي بظاهر الاسلام
وهو الذي ذكره الله في كتابه في مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى في دلالتهم بقولهم
على ضمايرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه الآيات
وقال تعالى واذا قولكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقال تعالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا والايات فيهم كثيره وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممتن يدخل في
ظاهر الاسلام ابتداء لغرض في ذلك ما يقل في زماننا ولكن كثر نفاق من ينسلخ عن الدين باطنا
فيجحد الجنة والنار والدار الاخرة ميلا الى قول الملحده او يعتقد طي بساط الشرع ميلا الى اهل
الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه مهولا من المنافقين المرايين الملحدين المخلدين
في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلا اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر
الباطن ونفاق الظاهر **الدرجة الثانيه** الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين
وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيومر باخراج
الزكوه خوفا من ذمه والله يعلم منه انه لو كان في يده لما اخرجها ويدخل وقت الصلاه وهو في جمع
وعادته ترك الصلاه في الخلوه وكذلك صوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعه
ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او
يغزو او يحج كذلك فهذا مراء في معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان

يعبد

يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع
الناس فتكون منزلته عند الخالق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس
اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا
غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسلخ عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد
الدرجة الثالثة ان لا يراءي بالايمان ولا بالفرايض ولكن يراءي بالنوافل والسنن التي لو
تركها لا يعصي ولكنه ينسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولا يتاثر لذة الكسل
على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاه وعيادة المرضى
واتباع الجنازه وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام عرفة وعاشورا ويوم الاثنين والخميس
فقد يفعل المراءي جلة ذلك خوفا من المذمة او طلبا من المحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا
بنفسه لما زاد على ادا الفرايض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد
الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد يفعل ذلك وابقى دم الخلق دون دم الخالق فكان دم
الخلق اعظم عنده من عقاب الله تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم تخف عقابا على ترك النافلة
لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي الرياء باصول العبادات
القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلث درجات **الدرجة الاولى**
بان يراءي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي عرفه تخفيف الركوع والسجود ولا يطول القراءة
فاذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال
بن مسعود رضي الله عنه من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اى انه ليس يبالي باطلاع الله
تعالى عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه ادمي احسن الصلاة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او
متكيئا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسه كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد
لا محاله وهذا حال المراءي بتحسين الصلاة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة
من الدنانير الرديه او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك
الظالم يصون صومه عن الغيبة والرفث اكلا لعبادة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء
المحظور لان فيه تقديم المخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول التطوعات فان قال المراءي
انما انا فعلت ذلك صيانة لا لسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات
اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصيه فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس

وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وخدمتك لمولاك اعظم من ضررك بغيبة غيرك فلو
كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك اكثر وما انت فى هذا الا كمن يهدي وصيفةً الى ملك
ليتال منه ولاية يقلدها اياه فيهدي بها اليه وهي عوراء قبيحةٌ مقطوعة الاطراف ولا يبالى به اذا كان
الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه استنع خوفًا من مذمة غلامه وذلك محالٌ بل من يراعي غلام
الملك يكون مراقبته للملك اكثر نعم للمراي فيه حالتان يطلب بذلك المحمدة والمنزلة عند الناس وذلك
حرام قطعًا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص فى تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت
صلاتى عند الله ناقصةً واذاني الناس بغيبتهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم
والارجو اعليه ثوابًا فهو خيرٌ من ان اترك تحسين الصلاه فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه
ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان تحسين الصلاه ويخلص فان لم تحضره النية فينبغى ان يستمر
على عادته فى الخلوة فليس له ان يدفع الدم بالمرايا ه بطاعة الله تعالى فان ذلك استهزاء كما سبق
الدرجة الثانيه ان يُرآى بفعل ما لا نقصان فى تركه ولكن فعله فى حكم التكمله والتتمه
لعبادته كالتطول فى الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة فى رفع اليدين والمبادرة الي
التكبيرة الاولي وتحسين الاعتدال والزيادة فى القراءه على السورة المعتاده وكذلك كثرة الخلوة
فى صوم رمضان وطول الصمت واختيار الاجود على الجيد فى الزكوة واعتاق الرقبة الغاليه فى الكفار
وكل ذلك مما لو خلى بنفسه لكان لا يقدم عليه **الدرجه الثالثه** ان يراي بزيادات خارجه عن
نفس النوافل ايضًا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول وتوجهه الى يمين الامام وما يجرب
بجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي به اين وقف ومتى يحرم بالصلاة
فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يراآى به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم **الركن الثالث**
المراآى لاجله فان للمراي مقصودًا لا محاله فانما يراآي لادراك مال او جاه او غرضٍ من الاغراض
لا محاله وله ايضًا ثلث درجات **الدرجة الاولي** وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده
التمكن من معصيةٍ كالذى يراي لعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن
اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالأمانة فيولى القضا والاوقاف والوصايا او مال الايتام فياخذها
او يسلم اليه تفرقة الزكوة او الصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها او يودع الودايع فياخذها
ويجحدها او يسلم اليه الاموال التى تنفق فى طريق الحج فيحتال بعضها او كلها او يتوصل بها الى النفاع
الخبيح ويتوصل بقوتهم الي مقاصده الفاسده فى المعاصى وقد يظهر بعضهم زي الصوفيه وهيئة

الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكرة وانما قصده التحبب الى غير الله اما الى امراةٍ او غلامٍ
لاجل الفجور او لاجل التزويج وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القران يظهرون الرغبة
فى سماع العلم والقران وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الي الحج ومقصوده الطفر بمن
فى الرفقه من امراةٍ او غلامٍ وهولا الجض المرايين الى الله تعالي لانهم جعلوا طاعة ربهم سلمًا الى معصيته
واتخذوه آلةً ومتجرًا وبضاعةً لهم فى نفسهم وبقرب من هولاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم
بها وهو مصرٌ عليها ويريد ان ينفى التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفى التهم كالذى تحد ودبجة واتهم
الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل بمال غيره وكذلك ينسب الى فجورٍ
بامراةٍ او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع ولطهارالتقوى **الدرجة الثانيه** ان يكون
غرضه نيل حظٍ مباح من حظوظ الدنيا من مالٍ او نكاح امراةٍ جميلةٍ او شريفةٍ كالذي يظهر
الحزن والبكا ويشتغل بالوعظ والتذكير ليبدل له الاموال فترغب فى نكاحه النساء فيقصد اما امراةً
بعينها لينكحها او امراةً شريفةً على الجملة او كالذي يرغب فى ان يتزوج بنت عالمٍ عابدٍ فيظهر له العلم
والعباده ليرغب فى تزويجه ابنته فهذا رياءٌ محظورٌ لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون
الاول فان المطلوب بهذا مباحٌ فى نفسه **الدرجة الثالثه** ان لا يقصد نيل حظٍ وادراك مالٍ
او نكاحٍ ولكن يظهر عبادته خيفةً من ان يُنظر اليه بعين النقص ولا يُعَدُّ من الخاصة والزهاد
ويُعتقد انه من جملة العامه كالذى يمشى فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجل كيلا يقال
انه من اهل اللهو والشهوة لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدر منه المزاح فيخاف
ان يُنظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول
ما اعظم غفلة الأدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان فى خلوةٍ لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف
ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذى يرى جماعةً يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون
الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفةً ان يُنسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه
لكان لا يفعل شيا منه وكالذي يعطش فى يوم عرفة او عاشورا او فى الاشهر الحرم فلا يشرب خوفًا
من ان يعلم الناس غير صايم فاذا اطلعوا به الصوم امتنع عن الاكل لأجله او يدعى الى طعام فيمنع منه ليُظن
انه صايم وقد لا يصرح بانه صايم ولكن يقول لى عذرٌ وهو جمعٌ بين خبثين فانه يرى انه صايم ثم يرى
انه مخلص ليس بمراي فانه تحرز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مراييًا ويريد ان يقال انه ساترًا
لعباداته ثم ان اضطر الى شرب المآلم يصبر عن ان يذكر فيه لنفسه عذرًا تصريحًا او تعريضًا بان يتعلل بمرض

يان استتباع

يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا
بشربه كيلا ينطق به انه يعتد رديا ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول
ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد
بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت
فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الريا فلا يسبق الى اللسان الا الرسوخ عرق الريا في
الباطن اما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد
ان يعتقد غيره ما يخالف علم الله تعالى فيه فيكون ملبسا وان كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم
يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وعرور وسيأتي
ذكر ذلك وشروطه فهذه درجات الريا ومراتب اصناف المرايين جميعهم تحت مقت الله تعالى وغضبه وهي
من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول
العلماء فضلا عن العباد الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب **بيان الريا الخفي الذي هو اخفى من**
دبيب النمل اعلم ان الريا جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه لولا قصد الثواب
وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل المجرد الا انه يخفف العمل الذي به اريد به وجه الله تعالى
كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا دخل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لولا
رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يوثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف
ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات
واجلا علاماته ان يستر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الريا بل يكرهه ويبرده
ويتهم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العباده
وهذا السرور يدل على ريا خفي منه يترشح منه السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر
سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الريا مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهره منه اطلاع
الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك
قوتا وغذاء للعرق الخفي من الريا حتى يتحرك على نفسه حركة خفيته فتتقاضى تقاضيا خفيا ٥
ان تتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا
يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت
وتيبس الشفتين وجفاف الريق واثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك

ان تختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يثر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا رأى الناس احب ان
يبدأوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه
وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقت ثقل ذلك على قلبه
ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع
عليه ولو لم يكن قد سبقت منه الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود
العباده كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى ولم يكن خاليا عن شوب
خفي من الريا اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون
وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة الم نكن نرخص
لكم السعر الم تكونوا تبدؤن بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد
استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال
لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا
في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا القي احب
ان يعظم لمكان دينه وان ينال حاجة احب ان تقضى له لمكان دينه وان اشتري شيأ احب
ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فاحب ان يتبرك به فركب في موكب من الناس
فاذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اطلك فقال
للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو اشدقه ويأكل اكلا عنيفا
فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث اخر بخير فقال الملك
ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي دائم فلم تزل
المخلصون خايفون من الريا الخفي يجتهدون كذلك في مخادعة الناس عن اعمالهم الصالحة يحرصون
على اخفائها اعظم ما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذلك رجاء ان تخلص اعمالهم من الشوائب
فيجازيهم الله يوم القيامة باخلاصهم على ملإ من الخلق اذ علموا ان الله تعالى لا يقبل في القيامة
الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا
يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد لنفسي نفسي فضلا عن غيرهم
وكانوا الزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستحيون مع انفسهم الذهب المعزى
لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروح عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه

ولا جسم يتمسك به فلا ينجى الا الخالص من النقد فهكذا شاهد ارباب القلوب يوم القيامة
والزاد الذي يتزود له من التقوى فاذن شوايب الرياء الخفي كثيرة لا تحصر ومهما ادرك من نفسه
تفرقة من ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهايم
لما يبال حضرت البهايم والصبيان الرضع ام غابوا اطلعوا على حركته اولم يطلعوا فلو كان مخلصا
تابعا بعلم الله تعالى لاستحقر عقلا العباد كما استحقر صيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلا لا يقدرون
له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر البهايم والصبيان والمجانين واذا
لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبط للأجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل
فان قلت فما ترى احدا ينفك عن السرور اذا عرف طاعاته فالسرور مذموم كله او بعضه
محمود وبعضه مذموم فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى
مذموم فاما المحمود فاربعة اقسام **الاول** ان يكون قصده اخفا الطاعة والاخلاص لله تعالى
ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من احواله فليستدل به على حسن
صنيع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله تعالى يستر عليه المعصية
ويظهر الطاعه والطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد
الناس وثنايهم المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه اظهر
له انه عند الله مقبول ففرح به **الثاني** ان يستدل باظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في
الدنيا انه كذلك يفعله في الاخره فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة في المستقبل
وهذا التفاته الى المستقبل **الثالث** ان يظن ان رغبة المطلعين على الاقتدا به في الطاعه
فيتضاعف بذلك اجره فيكون له اجر العلانيه باظهار اخرا واجر السر بما قصده اولا ومن
اقتدى به في طاعة فله اجر اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجره شي وتوقع ذلك حسن
بان يكون سببه السرور فان ظهور مخايل الربح لا بد وموجب للسرور لا محاله **الرابع** ان
يحمد المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله تعالى في مدحه وبحبتهم للطيع وميل قلوبهم
الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة فيمقته ويحسده او يدثه ويهزأ به وينسبه الى الرياء
ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن لسان عباد الله تعالى وعلامة الاخلاص في هذا الورع ان يكون فرحه
بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم اياه واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته
في قلوب الناس حتى يسودوه ويعظموه ويقوموا بقضا حوايجه ويقابلوه بالاكرام في معاملاته

وسواردة فهذا مكروه **بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط**
فنقول اذا عقد العبد العباده على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد
فراغه من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط
العمل اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرى بعده فنرجوا ان لا ينعطف عليه اثره لا
سيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله
تعالى ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تمم العمل على الاخلاص من غير عقد
رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا محظور وفي الاخبار والآثار ما
يدل على انه يحبط فقد روي عن ابي سعيد انه تسمع رجلا يقول قرات البارحة البقره فقال لذلك
حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال لصمت الدهر يا رسول الله
فقال له صمت ولا افطرت فقال بعضهم انما قال ذلك لانه اظهر وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر
فكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على
ان قلبه عند العبادة لم تخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرء
من العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ويعاقب على سراياته
بطاعة الله بعد الفراغ منها بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة فان ذلك قد يبطل
الصلاة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص
ولكن ورد في اثنايها وارد الرياء فلا يخلو اما ان يكون مجرد سرور لا يوثر في العمل واما ان يكون
رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم العبادة به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع
فتجردت له نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان ينظر اليه او يذكر شيا نسيه من ماله وهو
يريد ان يطلبه ولو لا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه
الاعاده ان كان في فريضة وقد قال عليه السلام العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته
وروي من رايا بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله وهذا منزل على الصلاة في هذه الصوره لا على
الصدقة ولا على القراة فان كل جزء منه مفرد فما يطرى يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل
الصلاة فاما اذا كان وارد في الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة
في اثنا صلاته ففرح بحضورهم واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لاجل نظرهم وكان لو لا حضورهم
لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فان لم يحبط حتى امتحق بعد الاحساس

بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغي ان يفسد الصلاة مهما مضى
وكثر من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرى ما يغلبها
ويغمرها ويحتمل ان يقال لا تفسد العباده نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل قصد الثواب وان
ضعف بهجوم قصد اغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر اهون من هذا وقال اذا
لم يرد المجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو لحب المنزله والجاه قال قد اختلف الناس
في هذا فصارت فرقة الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم تختم عمله
بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وانا لم يتزيد في العمل ولا أمن عليه
قد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل
قد قال الحسن انما هما سورتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانيه وقد روي ان رجلا قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران
اجر السر واجر العلانيه ثم حكم على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره انه لا
يدع العمل ولا يضره الخطره وهو يريد الله تعالى ولم يقل اذا اعتقد الريا بعد عقد الاخلاص لم
يضره واما الحديث فنتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد
ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به لا قتدا الناس
به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب المحمده والمنزله بدليل انه جعل
له به اجرا ولا ذاهب من الامة الا ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص
اجر وللمرآي اجران الثالث ان قال اكثر من يروي هذا الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة
بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الوارده في الريا اولى هذا
ما ذكره ولم يقطع بميل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر اذا لم يظهر اثره
في العمل بل يبقى العمل صادرا عن باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل
لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام واما الاخبار
التي وردت في الريا فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في الشركة فهو محمول على
ما اذا كان قصد الريا مساويا لقصد الثواب او اغلب منه اما اذا كان ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط
بالكلية ثواب الصدقه وساير الاعمال ولا ينبغي ان تفسد الصلاة ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي
وجب عليه صلاة خالصة لوجه الله تعالى والخالص ما لا يشوبه شي فلا يكون مؤديا للواجب

مع هذا الشوب

مع هذا الشوب والعلم عند الله وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص كلاما اوفى مما اوردناه الان فليرجع
اليه فهذا حكم الريا الطاري بعد عقد العبادة اما قبل الفراغ او بعد الفراغ **القسم الثالث**
الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلاة على قصد الريا فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه
يعصي ولا يعيد صلاته وان ندم عليه في اثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام فيما يلزمه ثلثة
اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الريا فليستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة
الافعال كالركوع والسجود وتفسد اعماله دون تحريمه الصلاة لان التحريم عقد والرياء خاطر
في قلبه لا يخرج التجريد عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزمه اعادة شي بل يستغفر الله بقلبه
ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العباده كما لو ابتداه بالإخلاص وختم بالريا لكان
يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة فاذا أزيل العارض عاد الى الاصل
قالوا ان الصلاة والركوع والسجود لا يكون الا لله تعالى ولو سجد لغير الله لكان كافرا ولكن
اقترن به عارض الريا ثم زال بالندم والتوبه وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح
صلاته ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة
الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زايده في الصلاة
فيبطل الصلاة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف
لان الريا يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم
على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الريا في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال
الامر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل ولما راي الناس تحرم
بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلاة لا نية فيها
اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وها هنا لا باعث ولا اجابه فاما اذا كان بحيث لو لا الناس
ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له الرغبه في المحمده ايضا واجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة
وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم او في عقد صلاة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابه باعث
الريا واطاع باجابة باعث الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخر وان كان في
صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية فلا يخلوا اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمه
ايضا حكم الصدقه وقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن ان يقال

صلاته فاسده والاقتداء به باطل حتى ان من فضل التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدًا بل نظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضًا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاصٍ فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الانجاب لم ينتهض باعثًا في حقه لمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلًا حتى لو لم يكن باعث الرياء الا ادّى الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوعًا لاجل الرياء فهذا محل النظر وهو محتمل جدًا فيحتمل ان يقال ان الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب امتثال الامر باعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيًا بايقاع الصلاة في الدار المغصوبة فانه مطيع باصل الصلاة ويسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلاة اما اذا كان الرياء في المبادرة مثلًا دون اصل الصلاة مثل من بادر الى الصلاة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخّر الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلاة لاجل الرياء فهذا ما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به لان باعث اصل الصلاة من حيث انها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا بعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثًا على العمل وحاصلًا عليه فاما مجرد السرور باطلاع الناس اذا لم يبلغ أثره الى حيث يوثر في العمل فيبعد ان يفسد الصلاة فهذا ما نراه لا يقابل بقانون الفقه والمسلة غامضة من حيث ان الفقها لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقها في صحة الصلاة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله

بيان ذم الرياء وطريق معالجة القلب فيه لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه جدير بالتشمر عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق فلا شفا الا في شرب الادوية المرّة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم ويرى الناس

يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترشح ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكًا بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترشح منه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولًا وتخف آخرًا وفي علاجه مقامان احدهما قطع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال **المقام الاول** في قطع عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصّل رجع الى ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار من الذم والطمع لما في ايدي الناس وتشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة القرآن لما روي ابو موسى ان اعرابيًا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر ويذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال عليه السلام من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى وقال بن مسعود اذا التقى الصفان نزلوا الملايكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه لا اعقل لأحدكم ان ينوي فهذا اشارة الى الطمع وقد لا يشهر الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الاسخيا وهم يصدقون بمال كثير فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين السجعان لا يفرّ من الزحف خوفًا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا أيس من الحمد كره الذم كالرجل من قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدوده حتى لا يدمّ بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم ولذلك قد يترك السوال عن علم ما هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدّعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرًا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك المرائي الى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشر ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما في المآل فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سمًا اعرض عنه فكذلك قطع طريق هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه

وما حرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله تعالى وما يتعرض له من العقاب العظيم
والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث يناد ي على رؤس العباد يا فاجر يا غاوي يا مرائي اما استحييت
اذا اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا راقت قلوب العباد واستهزيت بطاعة الله تعالى وتحببت الى
العباد بالتبغض الى الله تعالى وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت اليهم بالبعد من الله تعالى وتحدثت
اليهم بالدم عند الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احدا هون عليك من الله تعالى فمهما تفكر
العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوتهم من الاخرة ربما
يحبط عليه من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص واذا
فسد بالرياء حول الى كفة السيات فترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة
لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان مع ذلك ساير حسناته راجحة فقد كان ينال بها الحسنة
علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال
من مراتب الاولياء هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان
رضا الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضي به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم
ومن طلب رضاهم في سخط الله تعالى سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار
دم الله لاجل حمدهم ولا يزيد بمدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة
واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق
مضطرون فيه ولا يرزق الا الله ومن يطمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد
لم يخل عن المنة والمهانة وكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ
واذا اصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته واما دمهم فلم تحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئا مما لم
يكتبه الله تعالى عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة
ولا يبغضه الى الله ان كان محمودا عند الله ولا يزيل مقته ان كان ممقوتا عند الله فالعباد كلهم
عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا فاذا قرن في قلبه
انه هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل عليه قلبه فان العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره
ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء والاظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله
عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مرائي مقيت عند الله ولو اخلص لله تعالى كشف الله لهم
اخلاصه وحببه اليهم وسخره لهم واطلق السنتهم بحمده والثناء عليه مع انه لا اجمال في مدحهم ولا انتفاع

في ذمهم

ذمهم كما قال شاعر بني تميم ان مدحي زين وان ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبت ذاك الله الذي لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس
وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك في ذم الناس وانت عند الله محمود في زمرة المقربين
فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها الموبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام
الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه وانصرف الى الله تعالى قلبه وتخلص من
مذمة الرياء ومقاسات قلوب الخلق وانعطف من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح
له من لطايف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله تعالى ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا
واستعظامه للاخرة وسقط محل الخلق من قلبه واخل عنه داعية الرياء وتدلل له منهج الاخلاص
فهذا وما قدمناه من الشطر الاول هي الادوية القالعة لمغارس الرياء اما الدواء العملي فهو ان
يعود نفسه اخفاء العبادات من اغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع
قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عبادته لا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به وقد روي ان بعض
اصحاب ابي حفص الحداد دم الدنيا واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا جل السنا
بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دواء للرياء مثل الاخفاء
وذلك يشق في بداية المجاهدة واذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل
الطاف الله تعالى وما يمده به عبادته من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله التوفيق والهداية ومن العبد قرع الباب ومن الله
فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما

المقالة الثانية وفي دفع العارض عنه في اثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه ايضا فان من جاهد
نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار
مدح الخلق وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثناء العبادة بل يعارضه بخطر الرياء ولا ينقطع عنه نزغاته
وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وان يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء وخواطر
الرياء ثلثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق
ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم يتلوه قبول
النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفة والثاني حالة تسمى شهوة الرغبة
والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوة في دفع الخاطر الاول وورود قبل ان يتلوه

الثاني فاذا خطر له معرفة اطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم دفع ذلك بان قال مالك وللخلق علموا
اولم يعلموا والله عالم بحالك فاي فايدة في علم غيره فان هاجت الرغبه الى لذة الحمد تذكر ما
رسخ في قلبه من مقت الرياء وتعرض للمقت عند الله تعالى في القيامة وخيبته في احوج
أوقاته الى اعماله وكذا ان معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة انه الرياء
تثير كراهة له يقابل تلك الشهوه اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله تعالى وعقابه الأليم والشهوة
تدعوه الى القبول والكراهة تدعوه الى الإباء فالنفس يتطاوع لا محاله اقواهما واغلبهما فاذا
لا بد في رد الرياء من ثلثة أمور المعرفة والكراهة والإباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم
الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفه ولا الكراهة التي كان في الضمير منطويا
عليها وانما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه حتى لا يبقى في
القلب لخوف الذم وحب المدح واستيلاء متسع لغيره فيغرب عن القلب المعرفة السابقه بآفات
الرياء وشوم عاقبته اذ لم يبق في القلب موضع خال عن شهوة الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث
نفسه بالحلم ودتم الغضب ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد
به غضبه فينسى سابق عزمه ويستولي قلبه غيظا يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه وكذلك
حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفه مثل مرارة الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجره على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسينا ها يوم
حنين حتى نودي يا اصحاب الشجره فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد
السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا يكون اذ ينسى معرفة مضرته الراجحة
في عقد الايمان ومهما نسي المعرفه لم تظهر الكراهة فان الكراهة ثمرة المعرفه وقد يتذكر فيعلم
ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي تعرضه لسخط الله تعالى ولكن يستمر عليه لشدة شهوته
فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن الفكر في ذلك
لشدة الشهوه وكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى ذكره الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر
عليه فتكون الحجة عليه أوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا
ينفعه معرفته اذا خلت المعرفه عن الكراهة وقد يحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل
داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفه بالإضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته
اذ الغرض من الكراهة ان يصرف عن الفعل فان لا فايدة الا في اجتماع الثلث وهو المعرفة والكراهة والإباء

فالآباء

فالآباء ثمرة الكراهة والكراهة ثمرة المعرفه وقوة المعرفه بحسب قوة الايمان ونور المعرفة
وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الاخره وقلة التفكر فيما عند الله تعالى
وقلة التأمل في آفات الدنيا وعظم نعيم الاخره وبعض ذلك ينتج بعضا وثمره واصل ذلك كله حب
الدنيا وغلبة الشهوات فهو راس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم
الدنيا هي التي تغصب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب
والسنة وانوار العلوم **فان قلت** فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على
الرياء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته إياه الا انه كارة لحبه وميله
ولغير محب اليه فهل يكون في زمرة المرائي فاعلم ان الله تعالى لم يكلف العبد الا ما يطيق
وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطمع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع
اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول
الإيمان بالله واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في إذا ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار
ما روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا يعرض لقلوبنا اشيا لان نخر من السما
فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح الى مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه
قال نعم قال ذاك صريح الإيمان ولم تجدوا الا الوسواس والكراهه ولا يمكن ان يقال اراد بصريح
الايمان الوسوسه فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوية للوسوسه والرياء وان كان عظيما
فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهه فبان يندفع ضرر
الاصغر أولى ولذلك يروي ان النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بن عباس انه قال الحمد لله الذي
رد كيد الشيطان الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك نكرهته نفسك لنفسك فعاتبها
عليه فاذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا يضرك مهما رددت مرادها بالإباء والكراهة
والخواطر التي هي العلوم والتذكيرات والتخيلات للاسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة
والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن آثار العقل الا ان للشيطان ها هنا
مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة
الشيطان وبمطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال
بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجات مع الله تعالى فيوجب ذلك نقصانا في منزلته
عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب **الاول** ان يرد

على الشيطان مكيدته ولا يقنط عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدل معه لظنه ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجات الله تعالى وعن الخير الذى هو بصدده وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان من السلوك **المرتبة الثانية** ان يعرف ان الجدال والقتال نقصان فى السلوك فيقتصر على تكذيبه وعلمه دفعه ولا يشتغل بمجادلته **الثالثة** ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا لان ذلك وقعه وان قلت بل يكون قد قرر فى عقد ضميره كراهة الريا وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالكذب ولا بالمخاصمة **الرابعة** ان يكون قد علم ان الشيطان سيحسده عند جريان اسباب الريا فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله واخفى الصدقه والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذى يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له انى لاغيظه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العاده كف عنه خيفة من ان يزيد فى حسناته وقال ابراهيم التيمى ان الشيطان ليدعوا العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا رأى الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك ماضيا ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا منه فايدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد وصرفه عنه ودعاه الى مجلس ضلال فاتى فلما عرف اباه شغل بالمجادلة فاشتغل معه ليرده ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحته وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثانى عليه نهاه واستوقف فوقف فدفع فى صدر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه بالكلية فمر الرابع ولم يتوقف له واراد ان يعظه فزاد فى عجلته وترك التانى فى المشى فيوشك ان عادوا او مروا عليه مرة أخرى ان يعاودوا الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد فايدة باستعجاله

فان قلت فالشيطان اذا كان لا يومن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لورود ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة

والغفلة عنه قلنا اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهب فرقة من اهل البصره الى ان الاقويا قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفا العباد فى الدعوة الى الخمر والزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم وان كانت مباحة كالخمر والخنزير عندهم واذا خلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى الترصد للحذر منه اما محتاج اليه من قل يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله فى تدبيره فلا يحذر غيره فليعلم ويعلم ان الشيطان دليل مخلوق ليس له امر ولا يكون الا ما اراده الله تعالى فهو الضار والنافع والعارف يستحيى منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من الاقويا قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهى وسيلة للشيطان يكاد يكون غرورا اذ الانبيا لم تخلصوا من نزغاته ووسواسه فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل فى صفات الله تعالى واسمايه فى تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآيه وقال عليه السلام انه ليغان على قلبى مع ان شيطانه قد اسلم ولا يأمر الا بخير فمن طن ان الاشتغال بحب الله تعالى اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا فهو مغرور ولم يومنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه ادم وحوا فى الجنة التى هى دار الامن والسرور بعد ان قال الله تعالى لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى ومع انه لم يبنه الا عن شجرة واحده واطلق له ورأ ذلك ما اراد فاذا لم يأمن نبى من الانبيا وهو فى الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يأمن فى دار الدنيا وهى منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهى عنها وقال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والقران من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعى الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافى الاشتغال بحب الله فان من احب له امتثال اوامره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال ولياخذوا حذرهم واسلحتهم وقال اعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذ الزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر

وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدوٍ يراك ولا تراه اولى ولذلك قال بن محيريز صيدُ تراه ولا يراك
يوشك ان تظفر به وصيدٌ يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك اشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة
عن عداوة الكافر الاقتل هو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس
من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه سبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادحٌ في
التوكل فان أخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر مما أمر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب
التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم
ما استطعتم من قوةٍ لا يناقض امتثاله التوكل فهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت
هو الله فحذلك تحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله تعالى فترتب الاسباب وسايط
مسخره كما ذكرناه في كتاب التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي وهو الصحيح الذي لا يشهد له نور العلم
وما قبل يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال
من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظةً فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك
يؤدي الى خلوّ القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا
بل يشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر منه فيجمع بين
الأمرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا لذكره كنا اهملنا ذكر الله تعالى
فالجمع اولى وقال المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله
تعالى فلا يخفى غلطه وانما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف يجعل ذكره اغلب
الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلوّ القلب عن تولد ذكر الله تعالى وقوة
الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم يؤمر بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره
واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جعت في القلب من ذكر الله تعالى والشيطان وبقدر ما يشتغل
القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر الله تعالى بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره
فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقر على نفسه عداوته فاذا اعتبر ذلك وسكن به وصدق
به وسكن الحذر فيه فليشتغل بذكر الله وليكب عليه بحسب الفهم ولا يخطر بباله أمر الشيطان فانه اذا

اشتغل

اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال
بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خايفٌ على ان يفوته مهمٌ عند
طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه
لما استكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافلٌ عنه فاشتغاله بذكر الله تعالى كيف يمنع تنبهه
ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد
أمات عنه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم
عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودنعوا بالذكر شر العدو
واستضاؤا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بيرٍ أريد تطهيرها من
الماء القذر والذي جمع من ذكر الشيطان وذكر الله تعالى فقد نزح الماء القذر من جانب ولكن
تركه جاريًا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل
لمجرى الماء القذر سدًّا وملأها بالطافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسدّ من غير كلفةٍ
ومؤونةٍ وزيادة تعب **بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات** اعلم ان في
الاسرار للاعمال فايدة الإخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فايدة الاقتداء وترغيب الناس
في الخير ولكن منه آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر اجدر العملين ولكن في
الاظهار فايدةٌ ولذلك اثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر
التحدث بما عمل **القسم الاول** الاظهار نفس العمل والصدقة في الملأ لترغيب الناس
فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من سن سنةً فعل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري سايرالاعمال هذا المجرى
من الصلاة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء على الطباع في الصدقة اغلب نعم الغازي اذا هم
بالخروج فاستعدّ وشدّ الرحل قبل القوم تحريضًا لهم في الحركة فذلك افضل لان الغزو في أصله
من اعمال العلانية لا يمكن اسراره فالمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريضٌ مجردٌ وكذلك
الرجل يرفع صوته في صلاة الليل لينبه به جيرانه واهله ليقتدي به فكل عملٍ لا يمكن إسراره
كالحج والجمعة والجهاد فالافضل المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه
شوايب الرياء وانما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فان كان اظهار الصدقة تودي المتصدق

عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف
الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية قدوة وقال قوم البر افضل
من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة افضل من السر فيدل على ذلك ان الله تعالى امر انبياءه
باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم انهم حرموا افضل العملين ويدل
عليه قوله عليه السلام له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل
العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا
وهذا الوجه للخلاف فيه فانه مهما انضم [illegible] القلب عن شوايب الرياء وتم الاخلاص على وجه واحد في
الحالتين فما يقتدي به افضل لا محالة وانما نخاف من الظهور للرياء ومهما حصل شايبة الرياء لم ينفعه
اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وطيفتان احداهما
ان يظهره حيث يعلم انه يقتدي به او يظن ذلك ظنا ورب رجل يقتدى به اهله دون جيرانه وربما
يقتدي به جيرانه دون اهله السوق وربما يقتدى به اهل محلته وانما العالم المعروف هو الذي
يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء والنفاق ودموه ولم
يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فايدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة من هو في محل القدوة على
من هو في محل الاقتداء به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه الى
الاظهار بعد الاقتداء وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله
الا الاقوياء المخلصين وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان
الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى رحمهم فاقبل عليهم
حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لابل عذابه
دايم مدة مديدة وهو منزلة قدم العباد والعلماء فانهم يتشبثون بالاقويا في الاظهار ولا تقوى
قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه
انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في الستر مثل اجر
الاعلان فان مال قلبه الى ان يكون هو المقتدي به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر
واقتداء الناس ورغبتهم في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع
اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار ولو لا ملاحظته لاعين الخلق ومراياتهم فليحذر العبد خدع النفس
فان النفس خدوعة والشيطان متربص وحب الجاه على القلب غالب وقل ما تسلم الاعمال الظاهرة عن

الآفات

الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيأ والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا
يقوى عليها اشد الناس فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع الضعفا

القسم الثاني

ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل لنفسه والخطر في هذا اشد لان مؤونة
النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار
الدعاوي عظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العباده الماضية بعد الفراغ منها
فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى
عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء او الرغبة في الخير بسبب فهو جايز
بل مندوب اليه ان صفة النبي صلى الله عليه وسلم تذكر عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير
خير وقد نقل ذلك عن جماعة من السلف الاقويا وقال سعد بن معاذ ما صليت صلاة مذ اسلمت فحدثت
نفسي بغيرها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قايلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر ما ابالي اصبحت على عسر او على يسر لاني لا ادري
ايهما خير لي وقال ابن مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان ما تغنيت
وما تمنيت ولا مسست ذكري بيميني مذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس
ما تكلمت بكلمة مذ اسلمت حتى اذمها فاحطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه اتينا بالسفره لنعبث
بها حتى ندرك الغداء وقال ابو سفيان لاهله حين حضرته الوفاه لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا
مذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله لي بقضاء فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح
لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراياة اذا صدرت ممن
يرائي بها وهي غاية الترغيب اذا صدرت ممن يقتدى فيه فذلك على قصد الاقتداء جايز للاقويا بالشروط
التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار
المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان
سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مرائي عند الله وقد روي انه كان بحتاز الانسان في سكك
البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في دقايق
الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار
المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه فان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبالقوم
الاخلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصه فى كتمان الذنوب وكراهه اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم

اعلم ان الاخلاص استوا السريره والعلانيه كما قال عمر رض الله عنه لرجل عليك بعمل العلانيه قال يا امير المومنين وما عمل العلانيه قال ماذا اطلع عليك غيرك لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا قط اُبالي ان يطلع عليه الناس الا اتياني اهلي والبول والغايط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا تخلوا الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يحبها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما يختلج به الخواطر فى الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لاخفائها عن العبيد ربما يظن انه ريا مخطور وليس كذلك بل المخطور ان يستر ذلك ليري الناس انه ورع وانه خايف من الله تعالي مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المراي واما الصادق الذي لا يراي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه **الاول** هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره فى القيامة اذ ورد فى الخبر ان من ستر الله عليه فى الدنيا ستر الله عليه فى الاخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان **الثاني** انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال عليه السلام من ارتكب شيأ من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبته ما احبه الله تعالى وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس له من حيث انه يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعه وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغل عن الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة فى فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث تاذى طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن وناثم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاصٍ وانما يعصي اذا حزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتالم به نعم كمال الصدق ان يزول عن رويته الخلق فيستوى ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان ورب ناثم بالذم محمود اذ كان الذم من اهل البصيرة فى الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه

الذين

الذين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم بفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد فى طاعة الله تعالي فيكون قد طلب المدح بطاعة الله تعالى ثوابا من غيره فان وجد ذلك فى نفسه وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا ودنافكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذه لا يولم واما الذم فانه مولم فيحب الحمد على الطاعة طلب ثواب عن الطاعة فى الحال واما كراهة الذم على المعصيه فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تعالي فان ذلك غاية النقصان فى الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله تعالي وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من حيث الطبع **الخامس** ان يستر ذلك كيلا يقصد بشرا داعرف ذنبه وهدورا الم الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخشيته وان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب وله ان يستر ذلك حذرا منه **السادس** مجرد الحيا فانه نوع الم ورا الم الذم والقصد بالذم وهو خلق كريم يحث به فى اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحي من القبايح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله وقال عليه السلام الحيا شعبة من الايمان وقال الحيا لا ياتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي بان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحيا فهو اشد حالا من يستر ويستحيي الا ان الحيا ممتزج بالريا ومتشبه به اشتباها عظيما قل من يفطن له ويدعي كل مرا انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحيا من الناس وذلك كذب بل الحيا نطق ينبعث من الطبع الكريم ويهيج عقيبه داعية الريا وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرا ي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تنحوا باقراضه الا انه يستحي من رده وعلم انه لو ارسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض ريا ولا لطلب الثواب فله عند ذلك احوال احداها ان تشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا فعل من لا حيا له فان المستحي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلثة احوال احدها ان يمزج الريا بالحيا بان يهيج الحيا فيقبح عنده الرد فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي ان

تعطى حتى لا يدمك وينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالريا وكان المحرك للريا هو هيجان
الحيا الثانى ان يتعذر عليه الرد بالحيا ويبقى فى نفسه البخل فيعذر الاعطا فيهيج باعث الاخلاص
ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانيه عشر ففيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب
صديق وذلك محمود عند الله فتسمحوا النفس بالاعطا لذلك فهذا مخلص يهيج الحيا اخلاصه الثالث
ان لا تكون له رغبة فى الثواب ولا خوفا من مذمته ولا محبة لمحمدته لانه لو طلبه مواسلة لكان لا يعطيه
فاعطاؤه محض الحيا وهو ما تجده فى قلبه من الم الحيا ولولا الحيا لردّه ولوجاه من لا يستحى من الاجانب
من الاجانب والارادل لكان يردّه وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحيا ولا يكون الا فى القبائح
كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائى يستحى من المباحات ايضا حتى انه يرى مستحيلا فى المشى
فيعود الى الهدو اوضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حيا وهو عين الريا وقد قيل ان
بعض الحيا ضعف وهو صحيح والمراد منه الحيا ما ليس بقبيح كالحيا من وعظ الناس وامامة
الناس فى الصلاة وهو فى الصبيان والنساء محمود وفى العقلا ليس بمحمود وقد يشاهد
معصية من شيخ فيستحيى من شيبته ان ينكر عليه من اجلال الله اجلال الشيبة المسلم
وهذا الحيا حسن واحسن منه ان يستحيى من الله تعالى فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوى يوثر الحيا
من الله تعالى على الحيا من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه الاسباب هى التى تجوز لاجلها
ستر القبائح والذنوب السابع ان يخاف من ظهور ذنبه ان يتجرى عليه غيره ويقتدى
به وهذه العلة الواحدة فقط هى الجارية فى اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالائمة او
بمن يقتدى به وبهذه العلة ينبغى ان يخفى العالم ايضا معصيته من اهله واولاده لانهم يتعلمون
منه ففى الستر هذه الاعذار الثمانيه وليس فى اظهار الطاعة عذر الا هذا العذر الواحد ومنها قصد
لستر المعصية ان تخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعات فان قلت
فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال الرجل للنبى صلى الله
عليه وسلم دلنى على ما يحبنى الله عليه ويحبنى الناس قال ازهد فى الدنيا وانبذ اليهم هذا الحطام
يحبوك فيقول حبك الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما
فالمحمود ان تحب ذلك لتتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه فى قلوب عباده والمذموم
ان تحب حمدهم وحبهم على جهل وغرورك وصلوتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على
طاعة الله تعالى عاجلا سوى ثواب الله والمحب ان تحب ان يحبوك بصفات محموده سوى

الطاعات المحمودة المعينه فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض
كملك الاموال فلا فرق بينهما **بيان ترك الطاعات خوفا من الريا ودخول الآفات**
اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان
بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره ويجوز ان الطاعات تنقسم
الى ما الالذة فى عينها كالصلاة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة للشدايد ومجاهدات وانما
تصير لذيذة من حيث انها توصل الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه
والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضا والولايات
والحسبه وامامة الصلاه والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم
الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذه **القسم الاول** الطاعات اللازمه للبدن
التى لا تتعلق بالغير ولا لذة فى عينها كالصلاة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلثة احدها
ما يدخل بتبل العمل فيبعث على الابتدا روية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ما ينبغى
ان يترك لانه معصية لا طاعة فيه لانه تدرع بصورة الطاعات الى طلب المنزله فان قدر
الانسان على ان يدفع من نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيى من مولاك لا تسخوا بالعمل
لاجله وتسخوا بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الريا وسخت النفس بالعمل لله تعالى عقوبة
للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فيستغل بالعمل الثانية ان يتبعث لاجل الله تعالى ولكن
يعترض الريا مع عقد العبادة واولها فلا ينبغى ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع فى
العمل ليجاهد نفسه فى دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التى ذكرناها من الزام النفس
كراهة الريا والاباء عن القبول الثالثه ان يعتقد على الاخلاص ثم يطرى الريا وداعيه فينبغى
ان يجاهد فى الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى
يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الريا فاذا
لم تجب ودفعت بقى يقول هذا العمل ليس بخالص وانت مرائى وتعبك ضايع فاى فايدة لك فى عمل
لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه ومثال من يترك العمل
لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه خيطه فيه زوال وقال خلصها من الزوال وانقها منه تنقية
فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم يخلص خلاصا صافيا نقيا فمترك العمل من اصله ترك
للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا على الناس ان يقولوا انه

مُرائي فيعصون الله بهذا فهذا من مكايد الشيطان لأنه اولاً اساء الظن بالمسلمين وما
كان من حقه ان يظن ذلك بهم ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العباده وترك العمل
خوفاً من قولهم انه مُرائي هو عين الريا فلو حبب لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فماله ولقولهم
قالوا انه مُرائي أو قالوا انه مخلص فاي فرق بين ان يترك العمل خوفاً من ان يقال انه مُرائي
وبين ان يحسن العمل خوفاً من ان يُقال انه غافل مقصِّر بل ترك العمل اشد من ذلك كله فهذه
كلها مكايد الشيطان على العبّاد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل
والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن تقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي
الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سرباً تحت الأرض القى في قلبك حلاوة
معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تخلص بل النجاة
منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفات الرِّيا وهو انه ضرر في الاخرة ولا نفع فيه في الدنيا ليلزم
الكراهة والإباء قلبك ويستمر مع ذلك العمل ولا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان
ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك جرٌّ الى البطالة وترك الخيرات فما دامت تجد باعثاً دينياً
على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرِّيا والزم قلبك الحياء من الله تعالى اد دعتك نفسك
الى ان تستبدل بحمد حد المخلوقين وهو يطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد
حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياءً من ربك وعقوبةً لنفسك فافعل فان قال
لك الشيطان انت مُرائي فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرِّيا والإباء وخوفك منه
وحيائك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهيةً ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل تجرّد
باعث الرِّيا فاترك العمل وهو بعيد ممن شرع في العمل لله تعالى فانه لا بدّ وان يبقى معه اصل
قصد الثواب **فان قلت** فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابراهيم
النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرأ كل ساعة
وقال ابراهيم التيمي اذا عجبك السكوت فتكلم وقال الحسن كان احدهم ليمرّ بالأذى ما يمنعه من
رفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البخار فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد وردت
فيه اثار كثيرة قلنا هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما يخص واظهار الحسن البصري
هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البخار واماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه
وبالجملة ترك النوافل والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء والافضل

ان يتيقظ ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعاكسون أنفسهم بخلاف الافضل
لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالأقوياء واما اطباق ابراهيم النخعي المصحف يمكن ان يكون
لعله بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستيناسها بعد خروجه للاشتغال به وسماعته
فرأى ان لا يراه في القراءة أبعد عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد
ذلك واما قوله رفع الأذى فذلك بما يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم إياه
عن عباداتٍ هي اكبر من رفع خشبةٍ من الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة على عباداتٍ اكبر منها
لا بمجرّد خوف الرِّيا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون قد اراد به مباحات
الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكون المباح
محذور فهذا عدولٌ من مباح الى مباح حذراً من العجب فاما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينقض عليه
على ان الآفة ما يعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصة
ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات ثم كلام الحسن في تركهم البخار واماطة
الأذى لخوف الشهرة وما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون

القسم الثاني

هذه الدقايق وانما ذكره تخويفاً للناس من آفة الشهوة وزجراً عن طلبها
ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم القضا والتدريس والفتوى
ثم انفاق الاموال **اما الخلافة والإمارة** فهي من افضل العبادات اذا كان ذلك مع العدل
والاخلاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوم من إمامٍ عادلٍ خيرٌ من عبادة الرجل وحده ستين
عاماً فاعظم بعبادةٍ تُوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال عليه السلام اول من يدخل الجنة
ثلثة الامام المقسط وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يُردّ دعوتهم
الإمام العادل احدهم وقال عليه السلام اقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة امامٌ عادلٌ رواه
ابو سعيد الخدري فالإمارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون منها
ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ يتحرك به الصفات الباطنة
ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلا ونفاذ الأمر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت
الولاية محبوبة كان الوالي ساعياً في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في
جاهه وولايته وان كان حقاً ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلاً وعند ذلك يهلك
ويكون يوم من سلطانٍ جائرٍ شراً من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا

الخطر العظيم كان يقول عمر رضى الله عنه من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من والٍ عشرة الا جاء يوم القيامه مغلولة يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه
معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير المومنين اشرعلي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن
ان رجلا ولاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال للنبى خيرلي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة
اذ قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسئل الإمارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة
اعنت عليها وان اوتيتها عن مسئلة وكلت اليها وقال ابو بكر رضى الله عنه لرافع مولى بن عمر لا تامرن
على اثنين ثم ولى الخلافه فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامرن على اثنين وانت قد وليت امرا تمة
محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى وانا اقول ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعنى لعنة الله
ولعل القليل البصيره يرى ما ورد فى فضل الامارة مع ما ورد عن النهى عنها متناقضا وليس كذلك
بل الحق فيه ان الخواص الاقويا فى الدين لا ينبغى ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفا لا
ينبغى ان يدوروا بها فيهلكوا واعنى بالقوى الذى لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا يا خذه
فى الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق عن اعينهم وزهدوا فى الدنيا وتبرموا بها وبخالطة الخلق وقهروا
انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فايس منهم فتاها ولا يخرجهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق
ولكن خاف عليها ان تتغير اذا اتت لذة الولايه وان تستحلذ نفاد الامر فيكره
العزل فيداهن خيفة العزل فهذا قد اختلف العلما فى انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولايه فقال
قايلون لا يجب لان هذا الخوف امر فى المستقبل وهو فى الحال لم يعهد نفسه الا قويا فى ملازمة الحق
وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعه مدعية للحق واعدة بالخير
ولو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع
عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع والعزل مولم وهو كما قيل ظلمات الرجال فاذا شرع
لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنه واهمال الحق ويهوى به فى تعرجهم ولا يستطيع
النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان نبه عذاب عاجل على كل من تحب الولايه ومهما مالت
النفس الى طلب الولايه وحبذت على السؤال والطلب فهو امارة الشر ولذلك قال عليه السلام
لا نولى امرنا من سالناه فاذا فهمت حكم اختلاف القوي والضعيف عرفت ان نهى ابى بكر رافع مولى

بن عمر

بن عمر عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض واما القضا فهو وان كان دون الخلافه والإماره
فهو فى معناها فان كل ذى ولاية اميرا اي له امر نافذ والإمارة محبوبة بالطبع والثواب فى القضا
عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول عن الحق وقد قال عليه السلام القضاة ثلثه
واحد فى الجنة واثنان فى النار وقال من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكم حكم الإمارة فينبغى
ان يتركه الضعفا وكل من للدنيا ولذاتها فى عينه وزن وليتقلده الاقويا الذين لا يا خذهم لومة لائم
ومهما كانت السلاطين ظلمه ولم يقدر القاضى على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق والواجبات
لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم او يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد
القضا فان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا فى الاهمال
للحقوق اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغى ان يفرح بالعزل ان كان يقضى لله تعالى
فان لم تسمح به نفسه فهو اذا يقضى لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا وهو مع
الظلمة فى الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث
وجميع الاسانيد العاليه وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمه مثل آفة
الولايات بل اشد وقد كان الخايفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا
يقولون حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لى ودفن بشر كذا كذا قمطرا
من الحديث وقال انى اشتهى ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد فى وعظه
وتاثر القلوب به وتلاحق بكايهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا يوازنها لذة فاذا غلب ذلك
على قلبه مال طبعه الى كل كلام مزخرف مورج عند العوام وان كان باطلا ونفر عن كل كلام حق
يستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهمة بالكلية الى ما تحرك قلوب العوام ويعظم
منزلته فى قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكما الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكره على راس
المنبر وكان ينبغى ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعاده وطريق سلوك سبيل الدين
ليعمل به اولا ثم يقول اذا انعم علي بهذه النعمه ونفعنى بهذه الحكمه فاوفيها ليشاركنى فى نفعها
اخوانى المسلمون فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنه فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له الا
طلب الجاه والمنزله والمنزله والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغى ان يتركه ويخالف الهوى
فيه الى ان ترتاض نفسه وتقوى فى الدين منته ويامن على نفسه الفتنه فعند ذلك يعود اليه
فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق

فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الإمارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الإمارة وانها حسرة يوم القيامة وندامة الا من اخذها بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة واراد به الإماره ومعلوم ان السلطنة والإماره لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وبطلت المعايش فلم نهى عن ذلك وضرب عمر اُبى بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول اني سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القران فمنع من ان يتبعونه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه واستاذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ رأي فيه تخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضا والخلافة ما تحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها لذة وفتنة فلا فرق بينهما فاما قول القايل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضا لم يؤد الى تعطيل القضايا بل الرياسة وحبها يصطر الخلق الى طلبها ولذلك حب الرياسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال وطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر الى نفسك ثم اني اقول مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا أفليس في النهي عند الخوف الا امتناع بعضهم والا فنعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ويعرض عنها فلا تمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك فان قال لست اقدر على نفسي فنقول اشتغل وجاهد لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يوئيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم ثم الواعظ هو الذي يرغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلاد منهم فانهم نواب الدجال وخلفا الشيطان وانما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد

في حق علماء السوء ما بين لزوم الحذر من فتن العلم وغوايله ولقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تومرون وتدرسون ما لا تعلمون يا سوء ما تحكمون تتوبون بالقلب والاماني وتعملون بالهوى وما يغنى عنكم ان تتقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تقض من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم اخركم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة مالي اخشى منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للداخلين وتقيمون في محله المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتزكوها لكم مهلا مهلا ويلكم ما اذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة مظلمة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقيا ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن أصولكم فلتقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فقد روي الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال ها والإعلام السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة وادلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها وقال عليه السلام أيما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضايل العلم فينبغي ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراياة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن تمم العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإماره ولا نقول لاحد من خلق الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة وانما الآفة في اظهارها بالتصدي للوعظ والدرس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلاة وهو له كاره فلا يترك الصلاة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما يعظم في الولايات وفي التصدي

للمناصب الكبيره فى العلم وبالجملة فالمراتب ثلثه **الاولي** الولايات والأفات فيها عظيمه وقد تركها جماعة من السلف خوفًا من الأفه **الثانية** الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يوثر عندهم الترك لخوف الأفه وذلك لضعف الأفات الداخلة فيها والقدره على نفسها مع اتمام العمل به بادنى قوة **الثالثه** وهى متوسطة بين الرتبتين وهى التصدي لمنصب الوعظ والفتوي والرواية والتدريس والأفات فيها اقل مما فى الولايات واكثر مما فى الصلوات فالصلاة لا ينبغى ان يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغى ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب منصب أفات العلم علم انه بالولايات اشبه وان الحذر منها فى حق الضعيف اسلم والله اعلم وها هنا رتبة رابعه وهى جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان فى الانفاق واظهار السخا استجلاب الثنا وفى ادخال السرور على قلوب الناس لذة النفس والأفات ايضًا فيها كثيره وكذلك سيل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك و آخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامه فى الدنيا وان من الزهد تركها قربةً الى الله تعالي وقال ابو الدرداء ما سرّنى انى أقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارًا اتصدق بها اما انى لا أحرم البيع ولا الشرا ولكنى اريد ان أكون من الذين لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وقد اختلف العلما فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس فى دوام ذكر الله تعالي أفضل والأخذ والاعطا يشغل عن ذكر الله تعالي وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا اترك الدنيا لتبر وقال اقل ما فيه ان يشغله اصلاحه عن ذكر الله تعالى وذكر الله افضل وهذا فيمن سلم عن الأفات فاما من يتعرض لأفة الرياء فترك لها ابر والاشتغال بالذكر لا خلاف فى انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذه فهو مثار الأفات فالأحبّ ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر ولجتهد وليستفت قلبه ولينزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجمله ما يجده اخف على قلبه فهو فى الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقل ما تستميل الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضًا فى بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع فيما ذكرناه غرورًا للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفةً من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف فى ان تفرقة المال فى المباحات فضلًا عن الصدقات

افضل

افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل هو الكسب والانفاق والتجرد للذكر وذلك لما فى الكسب من الأفات واما المال الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه

فان قلت وباى علامة تعرف العالم والواعظ انه صادقٌ مخلصٌ فى وعظه غير مريدٍ رياء الناس

فاعلم ان لذلك علامات أحدها انه لو ظهر من هو أحسن منه وعظًا واغزر منه علمًا والناس اشد له قبولًا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له فى الطريق والمشر خلفه فى الاسواق ولذلك علاماتٌ كثيره يطول احصاؤها وقد روى عن سعيد بن ابى مروان قال كنت جالسًا الى جنب الحسن اذ دخل عليه الحجاج من بعض ابواب المسجد وهو يحرسه الحرس وهو على بردون اصفر فدخل المسجد على بردونه فجعل يلتفت فى المسجد فلم ير حلقةً احفل من حلقه فتوجه نحوها حتى بلغ قريبًا منها ثم ثنى وركه منزل ومشى نحو الحسن فلما رأه الحسن متوجهًا اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضًا عن ناحية مجلسى حتى صار بينى وبين الحسن فرجةٌ ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بينى وبينه والحسن يتكلم بكلام له فى كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت فى نفسى لا بلوث اليوم الحسن ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد فى كلامه بسبب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلامًا واحدًا نحو ما كان يتكلم به فى كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ علمكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها خلقًا وعادةً فانه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لعرفتنا بفضلها قال ثم ابتدأ الحجاج فتكلم فما حجب الحسن ومن حضر بلاغته فلما فرغ طفق فقام رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبوا الى رجل شيخ كبير وانى اغزي فاكلف فرسًا وبغلًا واكلف فسطاطًا وانا لى ثلثمايه درهم من العطا وعلى سبع بناتٍ من العيال فشكى من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكبٌ فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن راسه فقال مالهم اتخذوا عباد الله خولًا ومال الله دولًا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله فى الفسطاط الصابه وعلى البغال السابقه فاذا غزا أحاه أغزاه طاويًا راجلًا فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب واشنعه فقام رجل من اهل الشام كان جالسًا الى الحسن فسعي به

الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن حتى ان أتاه رسل الحجاج فقالوا أجب الامير فقام الحسن
واشفقنا عليه من شدة كلامه الذى يتكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقل ما
رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد فى مجلسه نعظم الأمانه وقال انما نجالس قوما
بالأمانه كانهم يظنون ان الخيانه ليست الا فى الدينار والدرهم ان الخيانه اشد الخيانه ان نجالس الرجل
فنطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرطة من شرطه اى أبيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك
قال فدفعه الله عنى وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف
فقال هل لكم من حاجة او تسألون عن شئ والا فارجعوا فما سبقى هذا من قلب العبد فهذه العلامات
واما الهاتين سريرة الباطن ومعمارية العالم يتخايرون ويتحاسدون ولا يتواسون ولا يتعاونون
فاعلم انهم اشتروا الحيوة الدنيا بالاخره فهم الخاسرون **بيان** **ما يصح من نشاط العبد**
للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم فى موضع فيقومون
للتهجد او يقوم بعضهم فيصلى الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم فى بيته ساعة قريبه فإذا رآهم
انبعث نشاطه للموافقه حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلى مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك
قد يقع فى موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط فيه فى الصوم ولولاهم لما انبعث له هذا
النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقه وليس ذلك على الاطلاق بل له تفصيل لأن
كل صوم راغب فى عبادة الله تعالى وفى قيام الليل وصيام النهار ولكن قد تفوقه العوايق ويمنعه
الاشتغال ويغلبه التكاسل من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب
زوال الغفلة او يندفع العوايق والاشتغال فى بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل
فى منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او تمكنه من التمتع
بزوجته أو المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال بأولاده او مطالعة حساب له مع معامليه
فاذا وقع فى منزل غريب اندفعت هذه الشواغل التى تفتر رغبة الخير وحصلت اسباب
باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن الدنيا فانهم ينظر اليهم
فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله تعالى فتتحرك داعية الدين لا للرياء وربما يفارقه
النوم لاستنكاره الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفى منزله ربما يغلبه النوم ويضاف
اليه انه فى منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دايما وتسمح به نادرا فيكون ذلك
سبب هذا النشاط مع اندفاع سايرالعوايق وقد يعسر عليه الصوم فى منزله ومعه اطايب الاطعمه

ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمه لم يشق عليه فينبعث داعية الدين للصوم
فان الشهوات الحاضره عوايق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوى الباعث فهذا
وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان
عند ذلك ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا وكنت لا تعمل فى بيتك ولا تزيد
على صلوتك المعتاده وقد يكون رغبته فى الزياده لأجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه
الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد
ان يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صلى فانك مخلص ولست تصلى لأجلهم بل لله تعالى
وانما كنت لا تصلى كل ليلة لكثرة العوايق وانما اعتيادك لزوال العوايق لا لاطلاعهم وهذا امر
مشتبه الا على ذوى البصاير فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغى له ان يزيد على ما كان
يعتاده ولا ركعة واحده لانه يعصى الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه
لدفع العوايق وتحرك الغبطه والمنافسه بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه
انه لو لا رآى هو لا يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو فى ذلك الموضع بعينه هل
كانت تسخو نفسه بالصلاة وهم لا يرونه فان سمحت نفسه به فليصل فان باعثه الحق وان كان
يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد تحضر الانسان يوم الجمعه
فى الجامع من نشاط الصلاه ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحث حمدهم ويمكن ان يكون سببه
تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى وقد يتحرك بذلك
باعث الدين ويقارنه نزوع فى النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة
الدين فلا ينبغى ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد يبكى جماعة
فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا خوفا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى ولكن
بكاء الناس يؤثر فى ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة على الصدق اذ
تخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة
الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوه
فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند التقرير للاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من الناس يقال انه قاسى القلب
فينبغى ان يترك التباكى قال لقمان لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر
وكذلك الصحة والتنفس والأنين عند القرآن والذكر اذ بعض مجارى الاحوال تارة يكون من الصدق

والحزن والخوف والندم والتأسف وثارة يكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس
والأنين ويتحازن وذلك محمود وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك
فان تجردت هذه الدواعي فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان أباها ولم يقبلها وكرهها سلم
بكاؤه وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى به وقد
يكون اصل الأنين على الحزن ولكن يمده ويزيده في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها
في حكم الابتداء بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء
ويدعوا الى زيادة تحزين الصوت او رفع له وحفظ الدمعة على الوجه حتى يصر بجدان استرسل
بخشية الله تعالى ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قوله
من الخوف فيسقط ثم يستحيي انه يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد
تكلفا ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط
ولكن يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كر وخاطف فيستديم الزعقة
والرقص ليري دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الصعق ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال
لم يكن غشيته صحيحة ولو كانت لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والأنين فيتكئ على غيره
يرى انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعف عن سرعة المشي وهذه
كلها مكيدة الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه
في الباطن واطلعوا على ضميره وهوله اشد مقتا كما روي عن ذي النون انه قام وزعق فقام معه شيخ
رأي فيه اثر التكلف فقال الشيخ الذي يراك حين تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء
في الخبر نعوذ بالله من خشوع النفاق وانما خشوع النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن
ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من غضبه وعذابه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وذكر ذنب
وينديم عليه وقد يكون للرياء فهذه خواطر ترد على القلب متضاده متراددة متقاربة وهي مع
تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله تعالى فامضه
واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء من امر الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من
عبادتك الهي مقبول ام لا لحرصك على الاخلاص فيها واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون الى حمدهم
بعد الشروع بالإخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتذكر في اطلاع الله عليك ومقته لك
وتذكر ما قاله احد الثلثة نفر الذين حاجوا ايوب عليه السلام اذ قال ايوب انا علمت ان العبد يفضل عنه

علانيته التي كان يخادع بها نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس
الى اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء زين العابدين عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان تحسن
في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلوا سريرتي محافظة على رياء الناس من نفسي ومضيعة لما
انت مطلع عليه مني أبدى للناس احسن امري وافضح اليك باسوأ عملي تقربا الى الناس بحسناتي
وفرارا منهم اليك فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك أعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد
الثلث نفر لا يثوب عليه السلام يا ايوب الم تعلموا ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرايرهم
عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم مهده جمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه
ليقف عليها ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اخفى من بعض حتى ان بعضه مثل
دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد
والمراقبة ولينته ادركه بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان النفس
ولتفتيش عن خدعها **بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه**
اعلم ان اول ما يلزم المريد قلبه في سائر اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع
بعلم الله تعالى الا من لا يخاف الا الله ولا يرجوا الا الله فانما من خاف غيره وارتجاه استحى اطلاعه
على مخاسن احواله فان كان في هذه الوتيرة فليلزم قلبه كراهية ذلك من جهة العقل والايمان
لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها
غيره فان النفس عند ذلك تكاد تقتل حرصا على الافشاء ويقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف
العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى
باخفايه فيحمدك الناس محالك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك ففي مثل هذا الامر ينبغي
ان يثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الاخرة ونعيم الجنة ودوامه ابد الآباد
وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان الظهار لغيره تحبب اليه
وسقوط عند الله تعالى واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف ابيع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون
لا يقدرون على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقوى على الاخلاص
الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك
احوج من المشقي لان المشقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة والمخلط ان خلوا فرايضه
عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك به

فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روي تميم الدّاري عن النبي عليه السلام انه قال يحاسب العبد يوم القيامة
فان نقص فرايضه قيل انظروا هل من تطوع فان كان له تطوعٌ اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اُخِذَ
بطرفيه فالقي في النار فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقصٌ وعليه ذنوبٌ كثيرةٌ فاجتهاده في خير
الفرايض وتكفير السيّات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان
حبط تطوّعه بقي من حسناته ما يترجح على السيّات فيدخل الجنه فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف
اطلاع الله عليه بعض نوافله ثم يلزم قلبه بعد ذلك الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره واذا فعل جميع
ذلك فينبغي ان يكون وجلاً من عمله خايفًا انه رُبّما دخله من الرّيا الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكًا
في قبوله وردّه يجوز ان يكون الله قد احص عليه من نيّته الخفيّة ما مقته بها وردّ عمله بسببها
ويكون هذا الشكّ والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي ان يكون متيقنًا في
الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت لحظةٌ يمكن فيها
الغفله والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبةٍ خفيةٍ احبطت عمله من رياءٍ او عجبٍ أولى به
ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاصٍ وشكّ في انه هل افسده برياً
فيكون رجا القبول اغلب وبذلك تعظم لذّته في المناجاة والطاعات فالاخلاص يقينٌ والرياء شكٌ
وخوفه لاجل ذلك الشكّ جديرًا بان يكفّر خاطر الرّيا ان كان قد سبق وهو غافلٌ عنه والذي
يقرّب الى الله تعالى بالسعي في حوايج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب
على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلّم بعلمه فقط دون
شكرٍ ومكافاةٍ وحمدٍ وثناءٍ من المتعلّم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فيهما توقّع من المتعلّم
مساعدةً في شغلٍ وخدمةٍ او مرافقةً في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددًا منه في
حاجةٍ فقد اخذ اجره فلا ثواب له عنده نعم ان لم يتوقّع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله الذي
عمله ليكون له مثل اجره ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته فنرجو ان لا يحبط ذلك اجره
اذا كان لا يريده ولا ينتظر ذلك منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون
ذلك حتى ان بعضهم وقع في بيرٍ فجاء قومٌ وادلوا الحبل ليرفعوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرأ
عليه اية من القران وسمع منه حديثًا خيفةً من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفيان
الثوري ثوبًا فردّه عليّ فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده عليّ قال علمت ذلك
ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجلٌ الى سفيان

ببدره او بدرتين وكان ابوه صديقًا لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيرًا فقال له يا ابا عبد الله
في نفسك من ابي شيء فقال يرحمك الله ابا ك كان وكان فاثنى عليه فقال يا ابا عبد الله قد عرفت
كيف صار الي هذا المال فاحبّ ان تاخذه تستعين به على عيالك قال فقبل سفيان ذلك
فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فردّه عليّ فرجع فقال احبّ ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى
ردّه عليه وكانه كانت اخوّته مع ابيه في الله فكره ان يأخذ ذلك منه قال ولده فلما خرج لم املك
نفسي ان جيت اليه فقلت له اي شيء قلبك هذا حجاره ويلك عدّ انه ليس لك عيال اما ترحمني
اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالنا فاكثرت عليه فقال الله الله يا مبارك تاكلها هنيأً مريأً واسال
عنها انا فاذًا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب الثواب من الله تعالى في اقتدآء الناس به فقط ويجب
على المتعلّم ان يلزم قلبه طلب حد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المنعم وعند الخلق
وربما يظن ان له يراى بطاعته لينال عند المعلم رتبةً فيتعلّم منه وهو خطأ لان اراد ته
غير الله بطاعته خسرانٌ في الحال والعلم رُبّما يفيد في الحال ورُبّما لا يفيد فكيف تخسر في الحال
عملاً نقدًا على توهّم علم وذلك غير جايز بل ينبغي ان يتعلم لله تعالى ويعبد الله ويخدم المعلم لله
تعالى لا ليكون له في قلبه منزلةً ان كان يريد ان يكون تعلّمه طاعة فان العباد امروا ان لا
يعبدوا الا الله تعالى ولا يريدوا بطاعتهم غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب
المنزلة عندهم الا من حيث ان رضا الله في رضا الوالدين ولا يجوز له ان يراى بطاعته لينال به
منزلةً عند الوالدين فان ذلك معصيةٌ في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريآيه ويسقط منزلته
من قلب الوالدين ايضًا واما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له ان يلزم قلبه ذكر الله تعالى
والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم لمحلّه فان ذلك يغرس الرّيا
في صدره حتى يتيسّر له العبادات في خلوته به وانما يقلعونه معرفة الناس باعتزالهم واستعظامهم
محله وهو لا يدري انه المخفف للعمل قال ابراهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من رهبٍ يقال له سمعان دخلت
عليه في صومعته فقلت له يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنه قلت فما طعامك
قال يا حنيفي ما دعاك الى هذا فقلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمّصه قلت فما الذي يهيج في قلبك
حتى يكفيك هذه الحمّصه قال ترى الذين يحدّثونك قلت نعم قال انهم يأتون في كل سنة يومًا واحدًا فيزفون
صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما ثنا قلت نفسي عن العبادة ذكرتها عزّ تلك الساعه
فانا احتمل يا حنيفي جهد سنه لعزّ ساعةٍ فاحتمل يا حنيفي جهد ساعه لعزّ الابد فوقر في قلبي المعرفه

فقال حسبك او تريد قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلي الي ركوة فيها عشرون
حمصة فقال ادخل الدير فقد رأوا ما ادليت اليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصاري فقالوا يا
حنيفي ما الذي أدلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساومهم قلت عشرين
دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته قال
بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم عشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا بعده
فانظر كيف عز من تعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة والمقصود ان استشعار
النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه
الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهايم بمثابة فلو تغيروا له عن اعتقاده لم يجزع
ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال لعقله وإيمانه وانه لو كان
في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه
فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى
ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا تخيب سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع
والانقباض كيلا يبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها
الخفية اظهار الخشوع ويتعلل بطلب الانقباض فليط لبها في دعواها قصد الانقباض بموثق
من الله تعالى غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما تحصل بان تعدو اسريعا وياكل كثيرا
او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فتشبه ان يكون مرادها
المنزلة عندهم ولا ينجوا عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود واحد سوى الله تعالى
فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا لخطرات
ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فاذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه
انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه
لإكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى
فمن كان استراحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء اوطماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في
الرغبة في الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استراح الى الغني اكثر
مما يستريح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في مجالس ادنى منهم في مجلس سفيان الثوري
كان بجلسهم ورأس الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لذلك زيادة

اكرام للغني اذا كان اقرب اليك وكان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث
لو وجدت تلك العلامة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البشة فان الفقير اكرم
على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا وريا ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فتخشى عليك
ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي او طمع خفي كما
قال بن السماك لجارية له مالي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة فقالت الطمع يشحذ لسانك وقد
صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير وكذلك تحضر من الخشوع عنده
ما لا تحضر عند الفقير ومكايد النفس وحيلاها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان
تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب
شهوات تنغصه في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد املكته
الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو
اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد نفسه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك
جالس الاطباء وعارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة فصبر على لبشاعتها
وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة أكله ولكن سقمه
يزداد كل يوم نقصانا لشدة احتمايه فيهما نازعته نفسه الى شهوة تذكر في توالي الآلام
والاوجاع عليه واذى ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدايه وكما
اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفا الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه
في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات فكذلك المومن
الموبد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى بالقليل
منها واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك الموانسة بالخلق خوفا من
ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء ان ينجوا من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه
وايمانه بعاقبة أمره ورشحه اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله تعالى ابد الآباد ثم علم ان الله تعالى
كريم رحيم لم يزل بعباده المريدين لمرضاته عرفا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولوشا لاعناهم
من التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حلقة منه ورحمة ثم اذا تحمل
التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحببت
اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سايرا للذات ويقويه لحمل اماتة الشهوا

ونتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البدايه جهده وصدقه واخلاصه فلا يحوزه مراقبة من الله تعالى على القرب ما هو اللايق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته انه الجواد الكريم المنان القديم تم كتاب ذم الجاه والرياء بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويتلوه كتاب ذم الكبر والعجب والله الموفق لاتمام ذلك انه جواد كريم رؤف رحيم ولله الحمد والمنة والفضل

كتاب ذم الكبر والعجب

وهو الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ما صنفه الامام حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي جزاه الله عن اهل العلم خيرا ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه اعوذ ٥٥

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن محجوبه واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل مستكبر في جناب عزه مستكين خاشع متواضع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي يقهر ابصار الخلايق جلاله وبهاؤه وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد تقدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملايكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسره عزه وعلاؤه وقصر أيدي القياصره عظمته وكبرياؤه فالعظمة إزاره والكبرياء ردآؤه ومن نازعه فيهما قصمه بدأ الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلاة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال ثلثة مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والكبر والعجب داء ان مهلكان والمستكبر والمعجب سيقيمان بريئان وهما عند الله سمقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبايح المرديات ونحن نستقصي بيانهما في الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب ٥

الشطر

بيان ذم الكبر — بيان ذم الاختيال — بيان فضيلة التواضع
بيان حقيقة الكبر وافته — بيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر — بيان ما به التكبر
بيان البواعث على التكبر — بيان اخلاق المتواضعين وما به يطهر التكبر — بيان علاج الكبر
بيان امتحان النفس في خلق الكبر — بيان المحمود من خلق التواضع

بيان ذم الكبر

قد ذم الله تعالى التكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر وقال فلبئس مثوى المتكبرين وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال وخاب كل جبار عنيد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما على المروة فتواقفا فمضى بن عمرو واقام بن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والجن والبهايم اخرجوا فخرجوا فمر في مايتي الف من الانس ومايتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملايكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مشت قدماه البحر فسمع صوت لو كان في قلب صاحب مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال عليه السلام تخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من عامع الله الها اخر وبالمصورين وقال عليه السلام لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال عليه السلام تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقال الجنة مالي لا يدخل في الا

ضعفا الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله تعالى للجنة انما أنت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي
وقال للنار انما انت عذابي أعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملاؤها وقال عليه السلام بئس العبد
عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى وبئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال
وبئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلا وبئس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدأ والمنتهى
وعن بابث قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال إني آمركما
باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات الارض
وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الأخرى كانت ارجح منها ولو ان
السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده
فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال
النبي عليه السلام اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر مناذع واهل الجنة المغلبون وقال عليه السلام
ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم عنا الثرثارون
المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله فقد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون
قال المتكبرون وقال عليه السلام يحشر المتكبرون يوم القيامة ذر في مثل صورة الرجال يعلوهم
كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من طين
الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون
يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال
بن ابي برده فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم
واديا يقال له هبهب كان حقا على الله ان يسكنه كل جبار رئاء يا بلال ان تكون ممن يسكنه
وقال عليه السلام ان في النار قصرا يجعل فيهم المتكبرون ويطبق عليهم وقال عليه السلام اللهم اني
اعوذ بك من نفخة الكبر وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين
والغلول الاثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا احقرن احدا احدا من المسلمين فان صغير
المسلمين عند الله كبير وقال عليه السلام لما خلق الله جنة عدن نظر اليها وقال انت حرام على كل متكبر
وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجا يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما
وقعد الاحنف فرحه بعض الرحه فرأى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى

امثال الذر

البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرا بيده كل يوم مرة او مرتين ثم يتكبر
يعارض جبار السموات وقد قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغايط والبول وقال محمد
الباقر رضي الله عنه ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك أو
اكثر وسئل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا ينفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير
على المنبر ان للشيطان مصاليا ونخوخا وان من مصالي الشيطان ونخوخه البطر بأنعم الله تعالى
والفخر بعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله

بيان

ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب

قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل جر إزاره بطرا وقال عليه السلام بينا رجل يتبختر في برديه
قد اعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال عليه السلام من جر
ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وقال زيد بن اسلم دخلت على عمر فمر به عبد الله بن واقد
وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع إزارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا ينظر الله تعالى الى من جر ازاره خيلاء وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوما على كفه ووضع اصبعه
عليه وقال يقول الله تعالى بن آدم انى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك
مشيت بين بردين والارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق
وانى أوان صدقة وقال عليه السلام اذا مشت أمتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم
على بعض قال بن الاعرابي المطيطا مشية فيها اختيال وقال عليه السلام من تعظم في نفسه واختال
في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان الاثار عن ابي بكر الهذلي قال بينا نحن مع الحسن اذ مر عليه
بن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها
قباه وهو يمشي يتبختر اذ نظر الحسن اليه نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر
خده ينظر في عطفه اي حميق من حميق ينظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير
الماجود بامر الله تعالى فيها ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان تتخالج تخالج
المجنون في كل عضو من اعضايه لله نعه وللشيطان به لعبة فسمع بن الاهتم فرجع اليه فقال
لا تعذر الي وتب الي ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض
ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال بن آدم معجب بشبابه معجب
بجماله كأن القبر وارى بدنك وكأنك لا قيت عملك وبحك داوِ قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح

قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج فبال ان استخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته
فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه بمشية من في بطنه خرو فقال عمر بن عبد العزيز كالمعتذر
يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشيه حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال
أتدري من أنت انما انت فقد اشتريتها بمايتي درهم واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله ورأي
بن عمر رجلا يجر إزاره فقال ان للشيطان إخوانا كرزها مرتين او ثلثه ويروي ان مطرف بن عبد الله
بن الشخير رأى المهلب يتبختر في جبة خز فقال يا ابا عبد الله هذه مشية يبغضها الله تعالى
ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني قال بلى اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل
بين ذلك عذرة فمض المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد في قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر
واذا ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر فضل التواضع **بيان فضيلة التواضع** قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال
عليه السلام ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع راسه جبذاها ثم
قال اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال عليه السلام طوبى لمن تواضع في غير مسكنة
وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي
سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا يثبا وكان صائما فاتيناه
عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيأ من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما
هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيأ من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع منه رفعه الله
ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي
انه صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سايل على الباب وبه زمانة ينكره
منها فاذن له فلما ادخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجل من قريش
اشار اليه منه وتكرهه فمات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال عليه السلام خيرني ربي بين
ان اكون عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم أدر ايهما اختار وكان صفي من الملايكة جبريل فرفعت راسي فقال
تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اتقبل صلاة من تواضع ولم
يتعظم على خلقي ويلزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال
عليه السلام الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين
في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين من الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامه

طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامه وقال بعضهم بلغني ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدي الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شاين
ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله تعالى وقال عيسى عليه السلام اربع لا يعطيهن الله الا
من يحب الصمت وهو اول العباده والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال بن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه الله الى السما السابعه وقال عليه السلام ان
التواضع لا يزيد العبد الا رفعه فتواضعوا رحمكم الله ويروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام من جنبه فاجلسه عليه السلام
الى جنبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهيأة
لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العباد
قال التواضع وقال عليه السلام اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين
فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار **الاثار** قال عمر رض الله عنه اذا تواضع العبد لله
تعالى وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسا
اخساك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير
بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل يتايم استظل بظلها فلما استظل بظلها له وقد جاوزت الشمس النطع
فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي رض الله عنه فذكرت له ما صنعت
فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامه يا جرير
أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عايشة
رض الله عنها انكم لتغفلون افضل العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط تجزي قليل الورع
من كثير العمل وتجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان
تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال
بن المبارك راس التواضع فلسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم انه ليس لك بدنياك
عليه فضل وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا انه ليس له بدنياه عليك فضلا وقال قتاده
من اعطى مالا او جمالا او بيانا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقيل
اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك فاستقبلها بالاستكانة اتمها عليك
وقال كيف ما انعم الله على عبد من نعمة الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها

في الدنيا ورفع له بها درجة في الاخرة وما انعم الله تعالى على عبد نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله
ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذب به ان شاء او
يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن
قدرة وترك النصرة عن قدرة ودخل بن السماك على هارون فقال يا امير المومنين ان تواضعك
في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المومنين ان امرا اتاه الله
جمالا في خلقه وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعفت في جماله وواسى في ماله وتواضع
في حسبه كتب في ديوان الله من خالص عباد الله تعالى فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده
وكان سليمان بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنيا والاشراف حتى يجلس الى المساكين
فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنيا في الثياب
الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقرا في الثياب المرتفعه ويروي انه خرج يونس وايوب
والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن أتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك
فلا تلقى احدا مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما غرق قوم نوح
شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه
وقال ابو سليمان ان الله تعالى اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب
موسى عليه السلام فخصه منه بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في
الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون العبد عند الله
اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النمير
الزاهد تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان منادا ينادي من باب
المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفعل قوة او سعي قال
فلما بلغ بن المبارك قوله قال يهدا صار مالك ملكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا
وقال موسى بن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمرا فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله
انت اما منا فادع الله تعالى لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاكهم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان
هذا دابه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي أباد الله شاهدك اجعل لنفسك
مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه رؤي عظمة الله اليهود ويقال من رأى لنفسه قيمة لم يشم لومن

التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رايت علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في المنام فقلت له
يا ابا الحسن عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنيا في مجالس الفقرا رغبة منهم في ثواب الله تعالى
واحسن منه بذله تيه الفقرا على الاغنيا ثقة منهم بالله تعالى وقال ابو سليمان لا يتواضع العبد
حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل
متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته
برتبة معرفته بنفسه وقال ابو سليمان لو اجتمع الخلق على ان يضعوني ما تضاءل عند نفسي ما
قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها
الا التواضع وقال يحيى البرمكي لشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال
يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع وقال الخلق التواضع في الخلق كلهم حسن
وفي الاغنيا احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقرا اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله تعالى
ولا رفعة الا لمن تواضع لله تعالى ولا امن الا لمن خاف الله ولا ارتياح الا لمن ابتاع نفسه من الله تعالى
وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله هلاكه منع
منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر
ادركها التواضع مع نصرة الله تعالى واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع
عون الله وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يكون في اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل
التوحيد تكثر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه اولا ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه
ولا يراها شيأ حتى يضعها ويرفعها وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرايت
رجلا راكبا بغله وبين يديه غلمان واذا هم يحسفون الناس سيفا وسوطا لا عن بغلته حتى يسير
في المسعى قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل جاف حاسر طويل
الشعر قال فجعلت انظر اليه واتأمله فقال لي مالك تنظر اليّ فقلت له شبهتك برجل رايته
بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك قال اني ترفعت في موضع يتواضع
الناس فيه فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الامير
وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام
وقعد واخذه بطنه كانه امراة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس

وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابنا الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجا بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة مذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل ميزاني فانا كريم وان خفت فانا لئيم وقال الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع **بيان حقيقة الكبر وآفته** اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق وأما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاستراح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه او مثل نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو رأى نفسه احقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلثة يحصل منه خلق الكبر لان هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرويه وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده وعز لنفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال عليه السلام أعوذ بك من نفخة الكبر وقال عمر رضي الله عنه احشر ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلاة الصبح وكان الانسان مهما رأى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فانا لكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات ويسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقتضاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومواكلته ورأى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعل اهلا للقيام بين يديه ولا يخدمه عتبته فان كان دون ذلك ينتظر من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطريق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبدأه بالسلام واستبعد ان قصر في قضاء حوائجه وتعجب منه وان حاج او ناظر أنف أن يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وامتن عليهم واستخدمهم ونظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا لاعمالهم الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى والحاجة الى احصائها انما هي شهوة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة جسيمة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال عليه السلام لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا من الجنة لانه تحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس تغلق تلك الابواب كلها فانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فعن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وقد وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن اياته تستكبرون وقال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا اشدهم عتيا عن الله تعالى فقال تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مومنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج ساصرفهم على ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها وقال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون ان من شمخ برأسه الى السقف

شجه ومن تطاطا أظله ولكنه فهذا مثل يضربه للمتكبرين انهم كيف يحرمون الحلم ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال المتكبر من سفه الحق وغمص الناس **بيان المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه**

اعلم ان المتكبر عليه هو الله ورسوله او سايرخلقه وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق فاذن المتكبر يا عتبار المتكبر عليه ثلثة اقسام **القسم الاول** التكبر على الله تعالى وذلك هو افحش انواع الكبر ولا مثال له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان تحدث نفسه بانه يقاتل رب السموات وكما حكي عن جماعة من الجهلة بل كل حكي عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربين ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا الآية **القسم الثاني** التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها للانقياد لبشر مثل سايرالناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل يكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع عن المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما حكى الله تعالى عن قولهم قالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما وقال ان انتم الا بشر مثلنا وقال ولين اطعتم بشرا مثلكم وقالوا لولا انزل علينا الملايكة مقربين وقال تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى قال أبين ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فقال هامان بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدا تعبد فاستنكف من عبودية الله تعالى ومن اتباع موسى وقالت قريش لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فقال الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي اطلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال الله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم واستبعادا ان تقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك عند كها ولا اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استردلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم

من الاشرار قيل يعني عمارا وبلالا ومقدادا وصهيبا رض الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا الكبر قريبا من التكبر على الله تعالى وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله تعالى والتواضع لرسوله صلى الله عليه وسلم **القسم الثالث** التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه الى الترفع فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم وهذا وان كان دون الأول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلا لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شئ فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استحيائه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي فلا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد خبئ عليه اذ الذي يسترذل خواص الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويتأثر بما حق الملك ان يتأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجة من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استعباد بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبر انه يدعوا الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى استنكف من قبوله وتشمر لجحده وكذلك ترى المناظرين في مسايل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان احد منهم أنف الآخر عن قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اد وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون وكل من ناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظهر به فقد شاركهم في هذا الخلق

ولذلك يحمل ذلك على محل الأنفه من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالإثم
وروى عن عمر رضى الله عنه انه قرأها فقال انا لله وانا اليه راجعون وقام رجل فأمر بالمعروف فقتل
فقام آخر وقال تقتلون الذين يأمرون بالقسط فقتل المتكبر الذى خالقه والذى امره كبرًا وقال
بن مسعود كفى بالرجل اثمًا اذا قيل له اتق الله قال عليك بنفسك وقال عليه السلام لرجل كل بيمينك
فقال لا استطيعه فقال عليه السلام لا استطعت فما منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك اى
اغتلت يده فاذا التكبر على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله تعالى وانما ضرب ابليس
مثلًا لهذا وما حكى من احواله الا لتعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال
خلقتنى من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذى امره الله تعالى به وكان
سبب اول الكبر على ادم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على الله تعالى وكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد
فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين
الآفتين ادما له ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله انى امرؤ قد حبب الىّ من الجمال
ما ترى أفمن الكبر هو قال عليه السلام لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفى حديث اخر
من سفه الحق وقوله غمص الناس اى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله اوخير منه
وهذه الآفة الاولى سفه الحق هو ردّه وهى الآفة الثانية وكل من رأى انه خير من اخيه واحقر
أخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار وردّ الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق
ومن أنف ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع رسوله فقد تكبر بينه وبين الله والرسل

بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد
لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال دينى ودنيوى فالدينى هو العلم والعمل
والدنيوى هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار وفهذه سبعة اسباب **الاول العلم**
وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال عليه السلام آفة العلم الخيلاء فلا يلبث العالم ان يتعزز ويعز
العلم ويستشعر فى جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم
ويستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ أحدهم بالسلام اورد عليه ببشر او قام له او اجاب
له دعوه ورأى ذلك ضيعة عنده وبرًا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقوه
من مثله وانه ينبغى ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على ضيعه بل الغالب انهم يبرّدونه ولا يبرّونه ويزورونه
ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالط منهم ويستسخره فى حوائجه فان قصّر فيه

استكبره

استنكره كانهم عبيده او احراره وكان تعلم العلم صنيعة منه لديه ومعروف اليه واستحقاق
حق عليه هذا فيما يتعلق بالدنيا واما فى الآخرة فتكبره عليهم بان يرى نفسه عند الله افضل منهم
فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان يسمى جاهلًا اولى
بان يسمى عالما بل العلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وصحة الله
على العلماء واعظم خطر العلم كما سياتى فى طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفًا وتواضعًا
وتخشعًا ويقتضى ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره فى القيام بشكر
نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء رضى الله عنه من ازداد علمًا ازداد وجعًا وهما كما قال **فان قلت**
فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرًا وامنا فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى
علمًا وليس بعلم حقيقى وانما العلم الحقيقى ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره فى لقاء الله والحجاب
منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
فاما ورأ ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات فاذا
تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرًا ونفاقًا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان يسمى علومًا **السبب الثانى**
بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العباده وهذا يورث التواضع غالبًا
ان يخوض العبد فى العلم وهو خبيث الدخلة ردىّ النفس سيئ الاخلاق فانه لم يشتغل اولًا بتهذيب
نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادة ربه فبقى خبيث الجوهر فاذا خاض
فى العلم اى علم كان صادف العلم من قلبه منزلًا خبيثًا فلم يطب ثمره ولم يظهر فى الحال أثره وقد ضرب
وهب لهذا مثلًا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوًا صافيًا فيتشرب الاشجار بعروقها فتحوله
على قدر طعومها فيزداد المرّ مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر همتها
واهويتها فتزيد المتكبر كبرًا والمتواضع تواضعًا وهذا الآن من كانت همته الكبر وهو جاهل
فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد تكبرًا واذا كان الرجل خائفًا مع جهله فاذا ازداد علمًا
علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفًا واشفاقًا ووجلًا وتواضعًا فالعلم اعظم ما يتكبر به ولاجل ذلك
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظًا غليظ
القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وكذلك قال
عليه السلام فيما رواه العباس يكون قوم يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم يقولون قد قرأنا القران
فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم أيها الامة اولئك هم وقود النار

ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكلفوا اجابرة العلما فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري
عمر في القصص فابي ان ياذن له وقال له انه الذي واستاذنه رجل كان امام قومه انه اذا سلم من
صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنفخ حتى تبلغ الثريا وصلى خذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمس
اماما غيري او لتصلين وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس من القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفه
لا يسلم فكيف يسلم الضعفا من بني اخرى هذه الامه فما اعز على بسيط الارض عالم يستحق انه يقال
له انه عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وحلاوته فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان لا يفارق
بل يكون النظر اليه عباده فضلا عن الاستفاده من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى
الصين لسعينا اليه رجا ان يشملنا بركته ويسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح اخر
الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم ويعز في
زماننا عالم يحتاج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصله وذلك ايضا اما معدوم واما
عزيز ولو لا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم
عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا
ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره فنسال الله تعالى ان يعاملنا
بما هو اهله وان يستر علينا قبايح اعمالنا كما يقتضيه فضله وكرمه **الثاني العلم والعباده**
وليس تخلوا عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد وترشح الكبر منهم في
في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يسترون غيرهم بزيارتهم اولي منهم من انفسهم بزيارة غيرهم
ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع
والتقوي وتقديمهم على ساير الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلما فانهم يرون
عبادتهم منة على الخلق واما الدين فهو انه يري الناس هالكين ويري نفسه ناجيا وهو الهالك
تحقيقا مهما راي ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم
وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدري بخلق الله تعالى معتز بالله امن من مكره غير خايف
من سطوته وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال عليه السلام كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه
المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحثه الله ومعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجوا له ما لا يرجوا
لنفسه فالخلق يدركون النجاه بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم مقربون الى الله تعالى بالدنو منه وهو
يتمقت الى الله بالتنزه والتباعد منهم كانه يترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احتبوه لصلاحه

ان ينقلهم الله تعالى الى درجته في العلم وما اجدره اذا ازدراهم بعينه الى ان ينقله الله الى حد
الاهمال كما روي ان رجلا في بني اسرايل يقال له خليع بني اسرايل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له
عابد بني اسرايل وكان على راس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع
بني اسرايل وهذا عابد بني اسرايل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني
اسرايل وهذا خليع بني اسرايل كيف تجلس الي فانف منه فقال له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك
الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث اخر فتحولت
الغمامه الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي
اذا تواضع وذل هيبة لله تعالى وخوفا منه فقد اطاع بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر
والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا من بني اسرايل اتى عابدا من بني اسرايل فوطي على رقبته
وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله تعالى اليه ايتها المتالي علي بل انت لا
يغفر الله لك ولذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان
صاحب الخز يدل لصاحب الصوف ويري الفضل له وصاحب الصوف يري الفضل لنفسه وهذه
الافة ايضا قل ما ينفك عنها العباد وهو انه لو استخف به مستخف او اداه مؤد استبعد
ان يغفر الله له فلا شك في انه صار ممقوتا عند الله تعالى ولو ادى مسلما اخر لم يستنكر ذلك لاستكبار
وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين الجهل والكبر والاغترار بالله تعالى وقد يسمى الحمق
والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم انه من
كرامته وان الله تعالى ما اراد به الا اشتغاله والانتقام منه مع انه يري طبقات من الكفار يسبون الله
ورسوله وعرف جماعة ادوا الانبيا عليهم السلام فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل
اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخره ثم الجاهل
المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيايه وانه قد انتقم له بما لا ينتقم لانبيايه واصله في مقت الله اعجابه
وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما قاله
عطا السلمي حين كان تهب ريح او صاعقة فيقول ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو ما ان عطا
لتخلصوا وما قاله الاخر بعد انصرافه عن عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم فلا كوني فيهم فانظر
الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا وباطنا وهو رجل على نفسه يزدري لجهله وسعيه وذلك
ربما يضر من الزنا والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشياطين ثم انه من على الله بعلمه ومن اعتقد

موقوفة على طلبة العلم والدين

جزءًا انه فوق احدٍ من عباد الله فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل الفاحش المعاصي واعظم
شيء يُبعِد العبد عن الله تعالى الجهل لانه لنفسه بانه خيرٌ من غيره جهل محض وأمِنَ من مكر الله ولا يأمن
مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان رجلًا ذُكر بخير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات
يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني أرى في وجهه سفعةً من الشيطان
فسلّم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله لحدثتك نفسك
ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما اسكن
في قلبه سفعةً في وجهه وهذه آفةٌ لا ينفك عنها احدٌ من عباد الله تعالى الا من عصمه الله لكن العلما
والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر مستقرًا في قلبه يرى نفسه
خيرًا من غيره وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يُظهر
ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من تقصّر في حقه وادبي
ذلك في العالم ان يصعّر خدّه للناس كانه معرضٌ عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه
كانه متنزهٌ عن الناس مستقذرٌ لهم او غضبانٌ عليهم وليس بعالم المسكين ان الورع ليس في الجبهة
حتى تقطب ولا في الوجه حتى تُعفّر ولا في الخدّ حتى يُصعّر ولا في الرقبة حتى تُطاطي ولا في الذيل
حتى يُضم انما الورع في القلوب قال عليه السلام التقوى ها هنا واشار الى الصدر فقد كان صلى الله
عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم وكان اوسعهم خُلقًا واكثرهم بشرًا وتبسّمًا وانبساطًا ولذلك قال
الحارث بن حزن الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجبني كل طليق مضحاك فاما الذي
تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس بمنّ عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك
لما قال لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وهولا الذين يظهر اثر الكبر
على شمايلهم واحوالهم احفّ حالٍ ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى
يدعوه الى الدعوي والمفاخرة والمباهلة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمّر
لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما
محله ومن اين زهده فيطوّل اللسان فيهم بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ
كذا ولا انام بالليل واختم القران في كل يوم وفلان ينام سحرًا ولا يكثر القراة وما يجري مجراه
وقد يزكي نفسه ضمنًا فيقول قصدني فلان فهلك ولده واخذ ماله او مرض او ما يجري مجراه يدّعي
الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلّون بالليل قام وصلّى اكثر ما كان يصلّي وان

كانوا يصبرون على الجوع تكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد
في القتال خوفًا من ان يقال غيره اعبد اعبد منه او اقوى منه في دين الله تعالى واما العالم فانه يفاخر
ويقول انا متفنّنٌ في العلوم ومطلعٌ على الحقايق ورايت من الشيوخ فلانًا فلانًا ومن انت وما فضلك
ومن لقيته وما الذي سمعته من الحديث كل ذلك ليصغّره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو ان يجتهد
في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة
والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليعرف بها على الاقران ويتعظم
عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها حتى يردّ على من اخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان
اقرانه ويفرح بها اخطأ واحدٌ منهم ليردّ عليه ويسوّده اذا اصاب واحسن خيفةً من ان يُرى انه
اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واشارة التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واني من يخلوا عن جميع
ذلك وعن بعضه فليث شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمح رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من كبرٍ كيف يستعظم نفسه ويتكبّر على غيره
ويقول رسول الله هو من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظّمٌ
وتكبّرٌ والعالم ان الله تعالى قال له ان لنا قدرًا ما لم تر لنفسك قدرًا فان رايت لها قدرًا فلا قدر لك
عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذبٌ ومن علمه لزمه ان لا يتكبّر ولا يري لنفسه
قدرًا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل **الثالث التكبر بالنسب والحسب** فالذي له نسبٌ
شريفٌ يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه علمًا وعملًا وقد يتكبّر بعضهم فيري
ان الناس لهم موالي وعبيدٌ وبانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول
لغيره يا نبطي ويا هندي ويا اموي من انت ومن ابوك وانا فلان بن فلان وابن لمثلك ان يكلمني او ينظر
الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرقٌ وفي النفس لا ينفك عنه نسيبٌ وان كان صالحًا
وعاقلًا الا انه قد لا يرشح منه عند اعتدال الاحوال فاذا غلبه غضبٌ اطفأ ذلك نور بصيرته
ويترشّح منه كما روي عن ابي ذرٍ انه قال قالت رجلًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن
السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم طفّ الصاع طفّ الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابو
ذرٍ فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي فانظر كيف نبّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راي
لنفسه فضلًا بكونه ابن بيضاء وان ذلك خطأٌ وجهلٌ وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر
بأخمص قدم من تكبّر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند

النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن انت ١٧ م لك فقال النبي عليه السلام
افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان حتى عد تسعه فاوحى الله
تعالى الى موسى قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم وقال عليه السلام ليدعن قوم
الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم وليكونن اهون على الله من الجعلان التي يدوق بانافها القذر
الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره بين النساء ويدعو اذلك الى التنقيص والثلب
والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عايشة انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت بيدي هكذا انها صغيره فقال عليه السلام قد اغتبتيها وهذا مشناه خفي الكبر لانها
لو كانت صغيره لما ذكرتها بالصغر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها
فقالت ما قالت **الخامس الكبر بالمال** وذلك يجري بين الملوك في الخزاين وبين التجار
في بضايعهم ومن الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم وموالهم فيستحقر
الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول انت مكدي ومسكين وانا لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت
من هو فوقك ومن انت ومما يحك واثاث بيتي اكثر من جميع مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في
السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر
والبه الاشاره بقوله تعالى فقال له صاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه
وقال ان ترني انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يوتيني خيرا من جنتك الآيه فكان ذلك تكبرا
منه بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبة امره وقوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون
اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون **السادس التكبر بالقوه**
وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع التكبر بالانصار** والاتباع والتلامذه والغلمان
وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثره بالجنود والغلمان وبين العلما
في المكاثره بالمستفيدين وبالجمله فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه
كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث يتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين
لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب
وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطيا فيه فهذه مجامع
ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من يدلي بما
هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم منه

لفظه انه اعلم وبحسن اعتقاده في نفسه **بيان البواعث على التكبر واسبابه المهيجه**
اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرته ونتيجته وينبغي ان
يسمى تكبرا او تخص اسم الكبر بالمعنى الباطن وهو استعظام النفس ورويه قدر لها فوق قدر
الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما ياتي بيانه ومعناه فانه اذا اعجب
بنفسه وبعلمه وعمله اوشئ من اسبابه استعظم نفسه وتكبر وانما التكبر الظاهر فاسبابه
ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وبهم يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر
فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء
فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه ثمرة
الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاحوال والاقوال واما الحقد فانه
قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يري انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه
بسبب سبق منه فاورثه الغضب حقدا قد رسخ في قلبه بغضب فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان
يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رديل لا تطاوعه النفس على التواضع لواحد
من الاكابر لحقده عليه ولبغضه له وتحمله ذلك على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الابقة من
قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله ان
ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسال عما هو جاهل به واما الحسد فانه ايضا موجب البغض
للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء بسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى جهة الحق
حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم بكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه
ان يستفيد من واحد من اهل بلده واقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع
معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان
كان في باطنه ليس يري نفسه فوقه واما الرياء فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان
الرجل ليتاظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفه ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع
من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفاده خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون
باعثه على التكبر الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب
او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوه به سرا لم يكن معها ثالث وكذلك قد ينتمي الى
نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع

عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرض بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا
بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوي النسب ولكن حمله الرياء على افعال
المتكبرين وكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن
صادرة عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال
الكبر **بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر**
اعلم ان التكبر يظهر في شمايل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه
مرتفعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصنعته في الايراد ويظهر في مشيه ويتخيره
وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي سائر تقلباته في احواله واقواله
واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض **فمنها**
التكبر بان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي كرم الله وجهه من اراد ان ينظر الى رجل
من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد بين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته ذلك
ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه قال ابو الدرداء لا يزال العبد من الله بعدا ما مشى خلفه
وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة من لباس
ومشي وغيره بل ربما يعرف بلونه ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقى هذا
من قلب العبد وكان عليه السلام يمشي في بعض الاوقات مع الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في
الغار اما لتعليم غيره او لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب
الجديد في الصلاة وابدله بالخليع لاحد هذا المعنيين **ومنها** ان لا يزور غيره وان كان يحمل
من زيارته خيرا لغيره في الدين وهو ضد التواضع روى ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث
بعث ابراهيم بن ادهم اليه ان تعال فحدثنا فجاءهم سفيان فقيل له يا ابا اسحاق تبعث اليه بمثل
هذا فقال اردت ان انظر تواضعه **ومنها** ان يستنكف جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس
بين يديه والتواضع بخلافه قال ابو وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي دواد فسترخى فخذه
فتحيت نفسي فاخذ بيدي فجرني الى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة
اني لا اعرف منكم رجلا شرا مني قال انس كان الوليد من ولاة المدينة ناخذ بيد النبي صلى الله
عليه وسلم فلا ينتزع يده منها حتى تذهب به هناك **ومنها** ان يتوقى مجالسة المرضى والمغلوبين

ويتحاشى عنه وهو كبر دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه
وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجدوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته
ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع خلافه كما روي ان عمر بن عبد العزيز
اتاه ليلة ضيف وكان يكتب وكاد السراج ينطفي فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال
ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه ~~ان لا يأخذ طعامه وكل الذي~~ قال
فانبه الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف
قمت انت بنفسك يا امير المومنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان
عبدا لله متواضعا فاصلحه وقال ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه **ومنها** ان لا يأخذ طعامه
بيحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
وقال علي كرم الله وجهه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة الجراح
وهو امير يحمل نبطا له من حشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق
تحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن
الاصبغ بن ابي نباتة قال كنا انظر الى عمر معلقا الجراب في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور
في الاسواق حتى دخل حله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل
عنك يا امير المومنين قال لا ابو العيال احق بحمله **ومنها** اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع البداءة
وقد قال عليه السلام البداءة من الايمان قال هارون سالت معنا عن البداءة فقال هو الدون من
اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع عشرة
رقعة بعضها من ادم وعوتب علي في ازار مرقوع فقال يقتدي به المومن ويخشع له القلب وقال عيسى
عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هدبن فانكر قلبي باداما تقيين
ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف تشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لو اخشوشن
فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لو لا لينه فقيل اين لباسك
ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا دواقة تواقة وانها لم تدق من الدنيا طبقة الا تاقت الى
الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله تعالى وهو الجنة

ورويته عز وجل وقال سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعه ثم جلس وعليه قميص
مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا امير المومنين ان الله تعالى قد اعطاك فلو
لبست فنكس ملياً ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجده وان افضل العفو عند القدرة
وقال عليه السلام من ترك زينة لله ووضع ثياباً حسنة تواضعاً لله وابتغاء وجهه كان حقاً
على الله ان يدخره له عبقري الجنه فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب
وقد سيل صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص
الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته من التكبر في حق كل احد في
كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حال ثابت بن قيس حيث قال اني امرؤ احب الجمال فعرفه ان ميله الى النظافه وجودة الثياب
لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا
بالثوب الدون قد يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اداراه ولا يبالي اذا انفرد
بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شي ولو في خلوته حتى في سترة في داره
فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال تنزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله
هو خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقولنا نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني
ان الكبر لا يوجبه وتجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو موروثاً للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في
مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهره بالجوده ولا بالرداله وقد قال عليه السلام
كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله تعالى يحب ان يرى اثر نعمته على عبده
وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشيه وانما خاطب بهذا قوماً
يطلبون التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان
وقلوبكم قلوب الذياب الضواري البسوا ثياب الملوك وليتوا قلوبكم بالخشيه ومنها ان يتواضع
بالاحتمال اذا جحب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل في الورع والزهد وقد اوردنا ما نقل عن
السلف من احتمال الاذي في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فجماع حسن الاخلاق والتواضع سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ينبغي ان يقتدي ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمه قلت
لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم قال يا ابن اخي كل ذلك

واشرب

واشرب لله والبس لله وكل شي من ذلك دخله زهو او مباهاه او رياء او سمعة فهو معصية وسرف
وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل
البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويشتري الشي من السوق ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه
ويطحن عنه اذا اعياه ويشتري الشي من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف
ثوبه فينقلب الى اهله ويصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدياً على كل من استقبله
من صغير او كبير اسود او احمر حراً او عبد من اهل الصلاة ليس له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا
يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف الذقل
لا يرفع غداءه لعشاء ولا عشاءه لغداء هين المؤونه ليّن الخلق كريم الطبيعه جميل المعاشره طليق
الوجه بشاماً من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع من غير مذلة
جواداً من غير سرف رحيماً لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يتجشاء قط من غير
شبع ولم يمد يده الى طمع صلى الله عليه وسلم قال ابو سلمة فدخلت على عايشة رضي الله عنها فحدثتها
كلها عن ابي سعيد قال ما اخطأ لك حرفاً ولقد قضر اذنا اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يشبع قط شبعاً ولم يبث الى احد شكوى وان كانت الفاقة لاحب اليه من اليسار والغنى وان كان
ليظل جايعاً يلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسأل ربه فيوتي
بخنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما اوتي
من الجوع فامسح بطنه بيدي فأقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من
الجوع فيقول يا عايشه اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاحدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر
بي دونهم فاصبر ايتاماً يسيره احب الي من ان ينقص حظي غداً في الاخره ومن شر احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي قالت عايشه فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعه حتى قبضه الله تعالى فما نقل من احواله
صلى الله عليه وسلم بجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن رأى نفسه فوق
فعله عليه السلام ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله منصباً في
الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب
العز في غيره لما عوتب في بداءة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عباداً يقال لهم
الأبدال خلفاً من الانبياء اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوماً من امة محمد صلى الله

عليه وسلم لم يفضل الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية لكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة
الصدر لجميع المسلمين والنصيحة لهم لبتغاء مرضات الله بغير تخشين وتواضع في غير مذلة وهم قوم
اصطفاهم الله واستصلحهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثال يقين ابراهيم خليل الرحمن
عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تعالى قد انشأ من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون
شيأ ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتباغضون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب
الناس خبرا وألينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا
اليوم في خشية وغدا في غفلة لكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم
الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد تياحا الى الله واشتياقا اليه وقد مائ في استباق
الخيرات اولئك حزب الله وحزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد
علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها قال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا
فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على الاخرة وبقدر حبك الاخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك
واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا اخي ان ذلك في كتاب الله
المنزل ان اسمع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن كثير فنظرا في ذلك فما تلذذ المتلذذون
بمثل حب الله وطلب مرضاته **بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع**
اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شئ منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد
التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال أصله
من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر
الانسان على غيره **فالمقام الاول** في استيصال أصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بجمعهما
اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق
المعرفة علم انه ادل من كل دليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا
عرف ربه علم انه لا تليق العظمة والكبرياء الا بالله تعالى اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه
يطول وهو منتهى علم المكاشفة واما معرفته نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في
اشارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى اية واحدة في كتاب الله تعالى فان في القرآن علم الاولين
وعلم الاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شئ خلقه من نطفة خلقه
الاية فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان والى اخره والى اوسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم

ليفهم معنى الاية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيأ مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا لم يكن لعدمه
أول واي شئ اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من ادل الاشياء ثم من
أقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظاما ثم كسى العظم لحما فقد كان
هذا بداية وجوده حيث صار شيأ مذكورا فاصار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق
في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك لا يعلم
فبدأ بموته قبل حياته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه
قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شئ خلقه
ومعنى قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
نبتليه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال ثم السبيل يسره اشارة الى ما يتيسر له في هذه حياته الى الموت
ولذلك قال فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ثراباً اولا
ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وابصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل
وخلق له الاعضاء بما فيها من العجايب والايات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع واكساه
بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف ييسره والى طغيان الانسان
ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم
مبين ومن ايا ته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله عليه كيف نقله من
تلك القلة والذلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وحيا بعد
الموت وناطقا بعد البكم وبصيرا بعد العمي وعالما بعد الجهل وقويا بعد الضعف وهاديا بعد الضلال
وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان من ذاته لا شئ واي شر اخس من لا شئ واي تلة اقل من
العدم المحض ثم صار بالله شيأ وانما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرف
خسة ذاته فيعرف به نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا
يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين
وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني تمنى ثم كان علقة من ذكر منه فقال فخلق فسوى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع فمن كان
هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين البطر والتكبر والفخر والخيلاء والكبرياء وهو على التحقيق اخس الاخسا
واضعف الضعفا نعم لو اكمل وفوض اليه امره وأدام له الوجود باختياره لجاز ان يطغى وينسى المبدأ

معنى الاية

والمنتهى ولكنه سلط عليه فى دوام وجوده الامراض الهايله والاسقام العظيمه والآفات المختلفه والطبايع
المتضاده من المره والبلغم والريح والدم يهدم البعض منه اجزايه البعض شاء أم أبي رضي أم سخط فيجوع
كرهًا ويعطش كرهًا ويمرض كرهًا ويموت كرهًا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًا ولا خيرًا ولا شرًا يريد ان يعلم
الشئ فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويغفل عنه فلا يغفل عنه ويريد ان ينصرف قلبه الى ما يهمه
فيجول فى اودية الوسواس والافكار بالاضطرار ولا يملك قلبه ولا نفسه نفسه يشتهى الشئ
وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشئ ويكون حياته فيه يستلذ الاطعمه وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية
وهى تنفعه وتحييه لا يامن فى لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره ويفلج اعضاؤه ويختلس عقله
ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه فى دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقى وان اختطف فنى عبدٌ
مملوك لا يقدر على شئ من نفسه ولا من غيره فاي شئ ادل منه لو عرف نفسه واى يليق به الكبر لولا
جهله فهذا اوسط احواله فليتأمل واما اخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه
وحركته فيعود جمادًا كما كان اول مرة لا يبقى الا شكل اعضايه وصورته لا حس فيه ولا حركة يوضع
فى التراب فيصير جيفةً منتنةً قذره كما كان فى الاول نطفة مدره ثم تبلى اعضاؤه وتفتت اجزاوه
وتنخر عظامه فيصير رميمًا ورفاتًا ويأكل الدود اجزاءه فيبتدي بحدقتيه فيفلحهما ويخدّيه
فيقطعهما وبساير اجزايه فيصير روثًا فى افواه الديدان ويكون جيفةً يهرب منه الحيوان
ويستقذره كل انسان ويهرب منه لشذة إلا انتان واحس احواله ان يصير الى ما كان فيصير ترابًا يعمل
منه الكيزان او يعمر منه البنيان ويصير مفقودًا بعد ما كان موجودًا وصار كان لم يغن بالامس
حصيدًا كما كان فى اول امره امدًا مديدًا وليته بقى كذلك فما احسنه لو ترك ترابًا لا بل تحيبه بعد طول
البلي ليقاسى شدايد البلا فيخرج من قبره بعد جمع اجزايه المتفرقه ويخرج الى اهوال يوم القيامه
فينظر الى قايمةٍ قايمه وسماءٍ ممزقه مشققه وارض مبدلةٍ وجبالٍ مسيرةٍ ونجوم منكدرةٍ وشمس
منكسفةٍ واحوال مظلمةٍ وملايكةٍ غلاظٍ شدادٍ وجحيم تزفر وجنةٍ ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى
صحايف منشوره فيقال له اقرا كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك فى حياتك التى كنت تفرح
بها وتتكبر بنعيمها وتفخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تغفله من قليل وكثير
ونقير وقطمير واكلٍ وشربٍ وقيامٍ وقعود وقد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى الحساب واستعد
للجواب او تساق الى دار العذاب فيتقطع قلبه فزعًا من هول هذا الخطاب قبل ان تنشر الصحيفه وتشاهد

ما فيها من مخازيه فاذا شاهده قال يا ويلتا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً الا احصاها
فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فما المزهر حاله وللتكبر بطاله وللفرح فى لحظةٍ
فضلًا عن البطر والتجبر فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر اخره والعياذ بالله ربما اختار ان
يكون كلبًا او خنزيرًا اليصير مع البهايم ترابًا ولا يكون انسانًا يسمع خطابًا ويلقى عذابًا وان كان
عند الله مستحقًا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع إذ اوّله التراب واخره التراب وهو بمعزلٍ
عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأي اهل الدنيا العبد المذنب فى النار
لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وضع قطرة من
شرابه الذى يسقى به فى بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيف فمن هذا حاله فى العاقبة الا ان يعفى
عنه وهو على شكٍ من العفو فكيف يكبر وكيف يرى نفسه شيأ حتى يعتقد فضلًا وأي عبدٍ لم يذنب
ذنبًا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بعفوه ارايت من جنى على بعض الملوك ما استحق به ضرب
الف سوط محبس فى السجن وهو ينتظر الى ان يخرج الى العرض ويقام عليه على ملأٍ من الخلق
وليس يدري أيعفى عنه ام لا كيف يكون ذله فى السجن أفترى انه يتكبر على من فى السجن وما من عبدٍ
مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون امره فيكيف ذلك
حزنًا وخوفًا واشفاقًا ومهانةً وذلًا فهذا هو العلاج العلمى القاطع لاصل الكبر واما العلاج العملي
فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولساير الخلق المواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكينا
من احوال الصالحين ومن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه يأكل على الارض ويقول انما
انا عبدٌ آكل كما يأكل العبد وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبًا جديدًا فقال انما انا عبدٌ فاذا اعتقت يومًا
لبست اشار به الى العتق فى الاخره ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك أمر الله العرب
الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان والصلاة جميعًا وقيل الصلاة عماد الدين وفى الصلاة اسرارٌ
لاجلها كانت عمادًا ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قايمًا وبالركوع والسجود وقد كان
العرب قديمًا يأنفون من الانحنا وكان يسقط من يد الواحد صونه فلا ينحنى لأخذه وينقطع
شراك نعله فلا ينكس رأسه لاصلاحه حتى قال حكيم بن حزام بايعت النبى صلى الله عليه وسلم
على اني لا اخر ساجدًا الا قايمًا فبايعه النبى صلى الله عليه وسلم ثم فقهه وكمل ايمانه بعد ذلك
فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والخضوع أمروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول
كبرهم ويستقر التواضع فى قلوبهم وبه أمر ساير الخلق فان الركوع والسجود والمثول قايمًا هو العمل

الذي يقتضيه التواضع وكذلك من عرف نفسه فلينظر كلما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب
على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل
جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت
والقلب من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة في كتاب
ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العمل والعلم فانما عداه مما يفني بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر
على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العمل والعلم في جميع الاسباب السبعة **الاول**
النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوِ قلبه بمعرفة امرين احدهما انه هذا جهل
من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لبعض من فخرت بآبائه ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
والمتكبر بالنسب ان كان حسيبا في صفات ذاته فمن اين تحتبر خسته كمال غيره بل لو كان الذي
ينسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت دودة خلقت من بول فرس هيهات فهما بتساويان والشرف
للانسان لا للدوده الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان اباه القريب
نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء
خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين
الذي يداس بالأقدام ثم خمر طينة حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه
انتسابه إذ يقال يا اذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه
اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب دون البعيد فالنطفة اقرب اليه من الأب
فليحقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعه لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن اين رفعته
واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا أصله من التراب وفضله من النطفة فلا اصله
ولا فصله وهذا غاية خسة النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثاله
بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم ترل عن نفسه من بني هاشم
وقد اخبره بذلك والده فلم يزل فيه بخوة الثروة فبينما هو كذلك اذ أخبره عدو له لا يشك في قوله
انه ابن عبد هندي حجام يتعاطى القاذورات وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في
صدقهم أفترى ذلك يبقي شيأ من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وارذلهم فهو من
استشعار الخزي بخسته في عشيرة عن ان يتكبر على غيره فهذا حال المصير اذا تفكر في أصله

وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة
او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لما شة اعضائه من التراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه
من التراب والدم والاشيا القذره التي يتنزه منها هو في نفسه **السبب الثاني التكبر بالجمال**
وداواه ان ينظر الى باطنه نظر العقلا ولا ينظر الى الظاهر نظر البهايم وبهما نظر الى باطنه رأى
من القضايح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزايه الرجيع في امعايه
والبول في مثانته والمخاط في أنفه والبزاق في فيه والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد
تحت بشرته والضنان تحت ابطه يغسل الغايط كل يوم مرتين فيخرج من باطنه ما لو راه بعينه
لاستقذره فضلا من ان يمسه او يشمه فكل ذلك ليعرف قدارته وذلك هذا في حالة كماله وجماله وفي
أول الامر خلق من الاقذار الشنيعة الصوره من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار
من صلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج في مجرى القذر قال
انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنهما يخطبنا فيقدر انا انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول
مرتين وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرا إذ رآه يتبختر وذلك
قبل خلافته هذا أوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل
لتارث منه الإنسان والاقذار وصار أقذر وأنتن من الدواب المهملة التي لا يتعهد انفسها قط فاذا
نظر انه خلق من أقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من سايرالاقذار لم يفتخر
بجماله الذي هو كخطوط الدمن وكلون الازهار في البوادي بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه
الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وفي هذه القبايح خاليا لكان يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن
قبح القبيح اليه فيشقيه ولا كان جماله اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له بل هو في كل حالة قد سمحت
بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع عن القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تأملها
السبب الثالث التكبر بالقوة والايد ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل
والامراض وانه لو توجع عرق واحد في بدنه لطار العجز من كل عاجز وادل من كل ذليل وانه
لو سلب الذباب شيأ لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته
وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تقل من قوته ما لا يجبر في مدة فمن لا يطيق
شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر ان يدفع عن نفسه ذبابه فلا ينبغي ان يفتخر بقوة انسان
فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او فيل او جمل وأي افتخار في صفة يسبقه البهايم اليها

السبب الرابع والخامس وهي معناه الغنى بالمال وكثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلاطين والتكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعمل وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره وثوبه وانهدم داره لعاد ذليلا والمتكبر بتمكين السلاطين وولايته لا بصفة من نفسه بناء أمره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان ادل الخلق وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاي لشرف يسبق اليهود به واي لشرف يأخذه الساوت في لحظة يعبود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك ليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك لا تقدر على شيء فمن عرف ذلك لابد ان يزول كبره ومثاله ان يفخر العاقل بقوته وجماله وماله وحرتيته واستقلاله وسعة ماله وكثرة خيوله وعلمانه ان شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فحاز ماله واخذه وأخذ جميع ما في يديه واخذ وهو يخشى مع ذلك ان يعاقبه وينكل به لافراطه في اموال وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد مرأي نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام فهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفتخر بقدرة وثروة وقوته وكماله ام يدل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج الكبر بالاسباب وهو اهون من علاج الكبر بالعلم والعمل فانها كالان في النفس جدير ان يفرح بها ولكن في التكبر بها ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره

السبب السادس التكبر بالعلم وهذه اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى عظيم عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجاه وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك قال الكعبي

ان للعالم

ان للعالم طغيانا كطغيان الماء ولذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق به الشرع بفضايل العلم وان يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل العلم أوكد وآثاره تحتمل من الجاهل بالاحتمال عشره من العالم وانه من لحص الله عن معرفته وعلم بجنايته أخشى اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فيبتدلق أقتابه فيدور به كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا أراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس أوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء أتاه الحكمة او لم يؤته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يقع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم من خطر عظم قدره بالاضافة الى الجاهل فليفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره اعظم من قدر غيره فهذا ابدا ذاك فهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا أخذ وقهر استهى ان يكون قد كان فقيرا فلم من عالم يشتهي في الاخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه وكيف يكبر ولا ينبغي ان يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الاخر لبنة من الارض فيقول يا ليتني كنت هذه اللبنة ويقول الاخر ليتني كنت طينا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة وكان يرون انفسهم اسوأ حالا من الطير والتراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأي نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد أمره سيده بامور شرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل أداها كما يرتضيه مولاه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه مرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به الى سجن ضيق وعذاب اليم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده

قد فعل بطوايف من عبيده مثل ذلك وعفى عن بعضهم وهو لا يدري من اي الفريقين يكون فاذا تفكر
في ذلك انكسرت نفسه ودل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق على
رجاء ان يكون هو من شفعا به عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من اوامر
ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو
بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لامحاله الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله تعالى
وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي
قدرا ما لم ترلنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان يكلف نفسه ما تحب مولاه
وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستبقي انه لا ذنب له مثلا ان تصور ذلك وبهذا زال الكبر
عن الانبيا اذ علموا ان من نازع الله تعالى في رداء الكبريا قصمه وقد امرهم الله تعالى ان يتصفوا بالتواضع
حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا ما يبعثه على التواضع لامحاله **فان قلت** كيف يتواضع
الفاسق الظاهر الفسق والمبتدع كيف يري نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل العلم
والعباده عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع
اكثر ما علم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر العاقبة بل لو نظر الى الكافر لم يمكنه ان يتكبر عليه
اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير
عند الله في الاخره والكلب والخنزير اعلا رتبة ممن هو عند الله تعالى من اهل النار وهو لا يدري
ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه فاستحقره وازدراه للكفره وقد رزقه الله تعالى الاسلام
ووفق جميع المسلمين الا اياكم فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العواقب
وجميع الفضايل في الدنيا تراد للعاقبة فاذا احق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل
قال انه عصى الله بجهل فاذا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم
اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه سنا قال انه اطاع الله تعالى قبلي فكيف اكون
مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون مثله وان نظر الى مبتدع او كافر
قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية الي كما لم يكن
ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمه يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال
في سعادة الاخره والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقا له ولعمري هذا الخطر مشترك
بين المتكبر والمتكبر عليه ولكنه حق على كل احد ان يكون مصروف الهمه الى نفسه مشغول القلب

بخوفه لعاقبته ١٧ ان يشتغل بخوف غيره وان الشفيق يسوؤه الظن مولغ وشغفه كل انسان على
نفسه واذا حبس جماعة في حنابة ووعد وابان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض
وازعجهم الخطر اذ شغل كل واحد هم نفسه عن الالتفات الى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده
في مصيبته وخطره **فان قلت** فكيف ابغض المبتدع في الله تعالى وابغض الفاسق وقد امرت
بغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مستبهم ملتبس على
اكثر الخلق اد يستنزج غضبك به في انكار البدعة والفسق والادلال بالعلم والورع فكم من عابد
جاهل وعالم مغرور واذا رأى فاسقا جلس بجنبه ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في
نفسه وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما وقع لعابد بني اسرايل مع خليعهم وذلك لان الكبر على
المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله تعالى
وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر بغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه
وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما ١٧ الموفقون والذي يخلصك من هذا ان يكون الحاضر
على قلبك عند مشاهدة المبتدع والفاسق وامرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلثة امور
احدها الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عندك قدرك في عينك الثاني ان يكون ملاحظتك
لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة
فيه لا لك فتري ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر الثالث ملاحظة ايهام
عاقبتك وعاقبته انه ربما تختم لك بالسوء وتختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر
عليه **فان قلت** كيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول لمولاك وسيدك اذا امرك
ان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبها الكابلي يكون
خوفك على نفسك لما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمه
واعترف ذلك بمثال لتعلم به انه ليس من ضرورة الغضب لله تعالى ان تتكبر على المغضوب
عليه وترى قدرك فوق قدره فاقول اذا كان للملك غلام وولد هو في رعايته وقد وكل الغلام
بالولد ليراقبه وأمره ان يضربه متى أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان
الغلام مطيعا محبا لمولاه فلا بد ان يغضب متى رأى ولده قد أساء أدب وانما يغضب
عليه لمولاه ولأنه أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره اليه ولانه جري من ولده ما يكره
مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يري قدره عند مولاه فوق

قدر نفسه لان الولد اعز لا محاله من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع
فكذلك يمكنك ان ينظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان قدرهما عند الله تعالى في الاخرة
اعظم لما يبين لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضا في الازل وانت غافل عنه ومع
ذلك فيغضب بحكم الامر بحتة لولاك ادجري ما تكرهه مع التواضع لمن يجوز ان يكون عنده
اقرب منك في الاخرة فهكذا يكون بعض العلما الاكياس فينتهض اليه الخوف والتواضع واما المغرور
فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا
سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى واعتقد البدعه مع الغضب عليه ومجانبته لحكم الامر ؟ ؟

السبب السابع التكبر بالورع والعباده وذلك ايضا فتنة عظيمه على العباد وسبيله
ان يلزمه قلبه التواضع لساير العباد وهو يعلم ان من تقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه
كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقال عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في
فضل العالم فان قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال اما عرفت ان الحسنات
يذهبن السيات وكما ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه
وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار بما يشهد بذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنك لم تجز
له ان تحتقر عاملا بل وجب عليه ان يتواضع له **فان قلت** فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى
نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم
ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث
ان يكون حاله عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان بحسبه هينا وهو عند الله عظيم
وقد مقته به واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه
وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجا
وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في
حقه الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه
عبادة واشد حبا لله تعالى واما المكشوف حاله ان لم يظهر له من الذنوب الا ما يزيد عليه ذنوبك
في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا ينبغي ان تقول هو اكثر مني ذنبا الان عدد ذنوبك وذنوب
غيرك في طول العمر لا يقدر على احصايه حتى تعلم الكثره نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما ورايت

منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلب من الكبر والحسد والرياء
والجهل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله
فربما جري عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتا وقد جري للفاسق
الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله تعالى واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه
وقد كفر بذلك سياته فينكشف الغطا يوم القيامه فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن
والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر
فيما هو ممكن لغيرك بل بما هو محتوم في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف
شيئا من عذابك فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر ان ترى لنفسك فوق
غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعه حتى
بلغ العاشره فقال العاشره وما العاشره بها شاد مجده وعلا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه
وانما الناس عنده فرقتان فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع
للفرقتين جميعا بقلبه ان رأى من هو خير منه كسر ذلك وتمنى ان يلحق به وان رأى من هو شر
منه قال لعل هذا يخطو اهلكانا أفلا تراه خائفا من العاقبه ويقول لعل هذا باطن فذلك
خير له و ؟ ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله تعالى فيرحمه الله تعالى ويتوب عليه ويختم
له باحسن الاعمال ويرى طاهرا وذلك شر لي فلا أمن بما اظهره من الطاعة ان يكون دخلها الافات
فاحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون شقيا
عند الله تعالى وقد سبق القضا الالهي بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم
اذا غلبه الخوف رأى كل احد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيله كما روي ان عابدا اوى الى جبل
فقيل له في النوم ائت فلان الاسكاف فاسأله ان يدعو الله فاتاه فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم
بالنهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عيالا بعضه فرجع وهو يقول ان هذا احسن ولكن
ليس لكثره التفرغ لطاعة الله تعالى فاتى في النوم ثانيا وقال له ائت الاسكاف فقل له ما هذا
الصفار بوجهك فاتاه فسأله فقال له ما رايت احدا من الناس الا وقع لي انه ينجو واهلك انا فقال
العابد بهذه والذي يدل على فضيلة هذه الخصله قوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله تعالى الملايكه مع تقدسهم عن الذنوب وسوا طينتهم

على العباده على الدوام بالاشفاق فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشيته ربهم مشفقون فمتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضا في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله تعالى وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذا ما يفسده العابد باظهار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف يزال بها داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفه قد يضمر التواضع ويدعي البرأة من الكبر وهو كاذب واذا وقعت الواقعه عاد الى طبعه وتسى وعده فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان يكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس وبيانه ان يمتحن النفس بخمس امتحانات نذكرها **بيان امتحان النفس في خلق الكبر** الامتحانات الخمسه هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيره **الامتحان الاول** ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر خشة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحق والثنا ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفاده ويقول له ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا عما نبهتني عليه فالحكمة ضالة المومن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات ستوالية صار ذلك له طبعا سقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثنا على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملا فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب ان منفعته في كماله في ذاته عند الله لا عند الخلق الى غير ذلك من ادوية الرياء وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الداءين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني** ان يجتمع مع اقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وها هنا للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض

الادوال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يتوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضيل فيكون قد تكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس بجنبهم ولا يحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث التكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقا والأقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فتنفور النفس عنها ليس الا الخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقايه من السوق الى البيت فان أبت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطرق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكه له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد مع ان الاجساد قد كتب عليها الموت لا محاله والقلوب لا تدرك السعاده الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك من يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الأنفه حتى حزت بها أهي صادقة ام كاذبة وروي ان عمر بن الخطاب رض الله عنه قد حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المومنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان أذلها وفي الخبر من حمل الفاكهه والشراء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثيابا بدله فان نفور النفس عن ذلك رياء وفي الخلوة كبر وقد كان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقال عليه السلام من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال عليه السلام انا ان اكل اكل العبد واجلس جلسة العبد واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان قوما يتخلفون عن الجمعة لسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملا فهو الرياء وما يكون في الخلوة فهو الكبر فليعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان غاية الرياضة في خلق التواضع** اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق لطرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى تكبرا والذي يميل الى النقصان يسمى تخسيسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود هو ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس

فان كلا طرفى قصد الامور ذميم واحبّ الامور الى الله اوساطها فمن تقدّم على امثاله فهو متكبّر
ومن تاخّر عنهم فهو متواضع اى وضع شيأ من قدره الذى يستحقه والعالم الذى اذا ادخل عليه اسكافٌ
فخلّى له مجلسه واجلسه فيه ثم تقدّم وسوّى له نعله الى باب الدار خلفه فقد تجاسس وتذلّل
وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطى كلّ ذى حقّ حقّه فينبغى ان
يتواضع بمثل هذا الامثاله ولمن تقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى
الكلام والرفق فى السؤال واجابة دعوته والسعى فى حاجته وامثال ذلك وان لا يرى لنفسه خيرًا
منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره ولا يعرف خاتمة امره وخاتمته
فاذًا اسبابه فى اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود
فى مجارى العادات ليزول به الكبر عنه فان خفّ عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وان كان
يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلّف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير
ثقل ومن غير روية فان خفّ عليه ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احبّ التملق
والتجاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذلّ نفسه الحان
يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض فى هذا الخلق وفى ساير الاخلاق
والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة وهو التكبر
كان الميل الى طرف التبذير فى المال احد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير
ونهاية البخل مذمومًا فكذلك نهاية التكبر ونهاية التبصبص والتذلّل مذمومان واحدهما
اقبح من الاخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب
على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع

الشطر الثانى من الكتاب

وفيه

بيان ذم العجب وافته — بيان حقيقة العجب والادلال وحدّهما — بيان علاج العجب على الجملة

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه — بيان ذم العجب وافته

اعلم ان العجب مذموم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ ذكر ذلك فى معرض الانكار وقال تعالى وظنّوا
انهم مانعتهم حصونهم من الله فردّ على الكفار فى اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعًا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان
بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه الاخبار قال النبى صلى الله عليه وسلم
ثلث مهلكات شحّ مطاعٌ وهوًى متبعٌ واعجاب المرء بنفسه وقال لابى تعلبه حيث ذكر
اخر هذه الامة فقال اذا رايت شحًا مطاعًا وهوًى متبعًا واعجاب كل ذى راى برايه فعليك
نفسك وقال بن مسعود الهلاك فى اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة
لا تنال الا بالسعى والطلب والحذر والتشمّر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد
وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة فى اعتقاد المعجب
حاصلة له ومستحيلة فى اعتقاد القانط فنهما جمع بينهما قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم قال
بن جريج معناه اذا عملت خيرًا فلا تقل علمت وقال زيد بن اسلم لا تزكوها اى لا تعتقدوا انها
بارّة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه فاكبّ عليه حتى اصيبت كفّه
فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرّس ذلك فيه عمر ما زال يعرف فى طلحة باؤه
منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والباؤ هو العجب والكبر فى اللغة الا انه لم ينقل منه
انه اظهره واحتقر مسلمًا ولما كان وقت الشورى قال بن عباس لعمر اين انت من طلحة قال ذلك رجل
فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفا ان لم يا خذوا حذرهم وقال لطرف
لان اكون نائمًا واصبح نادمًا احبّ الىّ من ان ابيت قائمًا واصبح معجبًا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر من الذنوب
وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الاخرة لمواظبته على العباده فاطال
الصلاة يومًا ورجل خلفه ينظر اليه فخطر اليه ببشر فلما انصرف عن الصلاة قال لا يعجبنّك ما رايت منّى
فان ابليس قد عبد الله تعالى مع الملايكة مدّة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعايشة رضى الله عنها
متى يكون الرجل مسيأ قالت اذا ظنّ انه محسن وقد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى والمنّ
نتيجة استعظام الصدقه واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدًا واما بيان
آفة العجب فاعلم ان آفات العجب كثيره فان العجب يدعوا الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد
من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيره التى لا تخفى على هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعوا
الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنّه انه مستغنٍ عن تفقدها
فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها ويتبجح بها ويمنّ على الله تعالى بفعلها وينسى

نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمى عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات
الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهره اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوايب قل ما تنفع
وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويأمن
مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه
وعطية من عطاياه وتحوجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برأيه وعقله
وعلمه منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف
من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطإ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح
بخاطر غيره فيصير عليه وبالا ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال
ويغض على خطاياه فان كان رأيه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لاسيما فيما يتعلق
باصول العقايد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القران واستعان بعلماء الدين
وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا واشباهه من آفات
العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو
الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه **بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما**
اعلم ان العجب انما يكون بوصف وهو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره
حالتان احداهما ان يكون خايفا على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى
ان لا يكون خايفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته
الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة وهي العجب وهذا يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا
به مطمينا اليه ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى
بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله تعالى بمعنى انه زال العجب بذلك عن نفسه فاذ العجب
هو استعظام النعمه والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان اضاف الى ذلك ان علم على نفسه
ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه
استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يري لنفسه على الله
دالة وكذلك قد يعطي غيره شيا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه
الاقتراحات او استبعد تخلفه من تضاعيفه كان ذلك ادلالا عليه وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق راسه
وان تصدق وانت معترف بذنبك خير من ان تتصدق وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا يدل الا وهو معجب

ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم
الا مع توقع فان توقع اجابة دعوته فاستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه لا
يتعجب من رد دعاء الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات
الكبر واسبابه **بيان علاج العجب على الجمله** اعلم ان صلاح كل علة هو مقابلة سببها بضده
وعلة الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار
العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال
والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعمل الذي
يعجب به انما يعجب به من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب به من حيث انه فيه
وهو انه محل ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل
له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس وان كان يعجب به من حيث انه منه واليه وباختياره حصل
وبقوته وقدرته فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضايه وساير الاسباب التي بها تم عمله
انه من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها
فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه واثره به على غيره
من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لعلمانه فنظر اليهم فخلع من جلتهم على واحد منهم لا لصفة
فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة فينبغي ان يتعجب من انعام الملك عليه من فضل الملك وكرمه واشاراته من
غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد
فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن لشيء من الصفات المحمودة
الباطنة لما اقتضى الايثار بالخلعة لما اثرني بها فيقال ويدل الصفة ايضا هي من خلعة الملك وعطيته التي
خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كان من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان
تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني
غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا فرق بين ان يعطيك
الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الاخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان يعجبك جوده وفضله لا نفسك
واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان يعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور
في حق الجبار القاهر ملك الملوك المتفرد باختراع الجميع وبايجاد الموصوف والصفة فانك ان
اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فيقول هو فيقال

فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك
ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب
اعمالك فاذًا لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بحاله وعجب الغني بغناه
لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيض فضل الله تعالى وجوده المحل ايضًا من جوده وفضله
فان قلت لا يمكنني ان أجهل اعمالي واني ما عملتها فاني انتظر عليها ثوابًا ولولا انها عملي لما
انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن اين لي الثواب وان كانت
الاعمال مني و قدرتي فكيف لا اعجب به فاعلم ان جوابك من وجهين احدهما وهو صريح الحق والآخر
فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك و قدرتك واردتك وحركتك جميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه
فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا هو الحق الذي انكشف
لارباب القلوب بمشاهدة اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القدرة والقوة
والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيأ من هذا عن نفسك لم تقدر
عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدًا باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع
الا انه خلقه على ترتيب فلم تخلق الحركة ما لم تخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم تخلق الارادة
ما لم تخلق علمًا بالمراد ولم تخلق العلم ما لم تخلق القلب الذي هو محل العلم فتدرجه لك الخلق شيأ بعد شيء
هو الذي خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من
خلق الله تعالى سياتي تقريره في كتاب الشكر فانه أليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك
بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة ما وهو ان حسبت ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك
ولا يتصور العمل الا بوجودك وهو رجوع عملك وارادتك وقدرتك وسايراسباب عملك وكل ذلك من الله
تعالى لا منك وان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك
المفتاح فلا يمكنك العمل والعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة
والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة ارايت لو رايت خزائن الدنيا مجموعة في تلعة حصينة ومفتاحها
بيد خازن فلو جلست على بابها وخلف حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار مما فيها ولو
اعطاك لاخذته من قرب بان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها
ومكنك منها فمددت يدك واخذتها أكان اعجابك باعطاء الخازن المفتاح أو بما اليك من مد اليد واخذها
فلا شك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريب انما الشان كله

فتسليم

في تسليم المفاتيح وكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف
عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا رفع ولا باعث الا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث
وصرف العوايق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك فمن العجايب ان تعجب بنفسك
ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اد سلط
دواعي الفسق على الفساق وصرفها عنك وسلط أخذان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم
من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر
لك الخير وتيسر لهم الشر ففعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق
العاصي بل أثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك
اذا عرفت ذلك فاذًا لا تصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلًا الى
مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلًا تحقيقًا فله المنة والمنة لا لك وسياتي في
كتاب التوحيد والتوكل من باب تسلسل الاسباب والمسببات ما يستبين به انه لا فاعل الا الله
تعالى ولا خالق سواه فالعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلًا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير
علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل
حتى يكاد يرى هذا ظلمًا ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعًا لكان ذلك بالظلم
اشبه في ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني عنهما فهلا
جمعتهما لي وهل أرزقتني احدهما والى هذا اشار علي كرم الله وجهه حيث قيل له ما بال العقلا فقرا
فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن
حالًا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضًا عن عقلك وفقرك لامتنع عنه فاذًا ذلك
يدل على ان نعمة الله عليك تعالى اكثر فلم تتعجب والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة
القبيحة فتتعجب فتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبيح ولا تدري المغرورة
ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت من الجمال مع الفقر ومن القبح مع الغنى لأثرت الجمال
فاذًا نعمة الله تعالى عليها اكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال
كقول من اعطاه الملك فرسًا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من
هذا لو لم أعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك اصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى
فهذه اوهام لا تخلوا الخيال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق ان العبد وعمله

واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعمله وعلة اذ يعلم ان ذلك
من الله تعالى ولذلك لما قال داود عليه السلام يارب لا تاتي ليلة الا والانسان من ال داود قائم
ولا ياتي يوم الا والانسان من ال داود صايم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من ال داود
يعبدك اما بصلاة واما بصوم واما بذكر فاوحى الله تعالى اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن
الا بي ولولا عوني اياك لما قويت وسأكل الى نفسك قال بن عباس انما اصاب داود ما اصاب عن الذنب
بعجبه بعمله اذ اضاف الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال
داود يارب ان بني اسرايل يسالونك بابراهيم واسحاق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يارب وانا
ان ابتليتني صبرت فاذل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شئ ابتليهم ولا في اي شهر ولا
في اي يوم وانا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع
فيه وكذلك لما اعجب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على كثرتهم وقوتهم ونسوا فضل الله
عليهم وقالوا لا نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال الله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الاية
وروى بن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلا وما ورد علي امر الا اثرت
هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة الاف صوت يا ايوب اتى لك هذا ومن اين لك قال فاحذ رمادا ووضع
على راسه وقال منك يارب فرجع عن نسيانه اضافه ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من
أحد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعده
يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل
به ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب
شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة
الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية
ويعطى من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فلم من مومن قد ارتد ومطيع قد فسق وحق
له بالسوء وهذا الذي بقي معه عجب بحال **بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه**
اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا
الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية اقسام **الاول** ان يعجب ببدنه في حاله وهيئته وصحته

وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وبالجملة تفصيل خلقته فليلتفت الى كمال نفسه ويفسي انه
نعمة من الله وهو معرض للزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرنا في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه
وفي اول امره واخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور
بحيث استقذرتها الطباع **الثاني** القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة
وكما اتكل عوج وأعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبه الله تعالى حتى
صار في عنقه وقد يتكل المومن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لأطوفن الليلة
على ماية امراه ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان استلبتني
صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة
الى الضرب والقتل لكل من قصد السوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان متى يوم تضعف قوته
وانه اذا اعجب بها ربما يسلبه الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه **الثالث** العجب بالكياسة
والحذق والتفطن لدقايق الامور في مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة
واستجهال الناس المخالفين له لرايه وتخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغنا
بالراي والعقل واستحقارا لهم واهانة وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزقه من العقل ويتفكر
انه باذنى موض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلبه عقله
ان اعجب به ولم يقم بشكره وليمسه عقله وعمله وليعلم ان ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع عليه
وان ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف ما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم
عقله وينظر الى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا
يدري بان القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يقدر مقدار عقله من غيره لا من نفسه
ومن اعدائه لا من اصدقايه فان من اهدى عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير
ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد عجبا **الرابع** العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى
يظن بعضهم انه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة اباييه وانه معفور له ويتخيل بعضهم ان جميع
الخلق لهم موالي وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف اباه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم
فقد جهل وان اقتدى باباييه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق
ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد
ساواهم في النسب وشاركهم في القبايل من لم يومن بالله تعالى وكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من

من الحناذير ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم
لاجتماعكم الى اصل واحد ثم ذكر فايدة النسب فقال وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ثم بين ان الشرف
بالتقوى لا بالنسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس لم يقل
من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم استعدادا وانما انزلت الاية حيث اذن بلال يوم
الفتح على الكعبة فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال عليه السلام ان الله تعالى قد اذهب عنكم عبية الجاهلية ابي كبرها كلكم
بنو آدم وآدم من تراب وقال عليه السلام يا معشر قريش لا ياتي الناس الا بالاعمال يوم القيامة وتاتون
بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم انما نالوا الى الدنيا لم
لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فنادام بطنانا بطنانا حتى قال
يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا من
عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبايه التواضع اقتدى بهم في التقوى
والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى
والخوف والاشفاق **فان قلت** فقد قال بعد قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة وصفية رضوان الله
عليها اني لا اغني عنكما من الله شيأ الا ان لكما رحما سابلها سلالها وقال عليه السلام ارجوا سلمى شفاعتي
ولا يرجونها بنو اعبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل سلم فهو منتظر
شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسيب ايضا جدير بان يرجوها ولكن بشرط ان يبقى الله تعالى
ان يغضب عليه فلا يأذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منتسبة الى ما يوجب المقت فلا يوذن في الشفاعة
فيه والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على
الشفاعة فما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب من لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى
لا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن ورضي له قولا وبقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها
والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشا بالطاعة
فلما نهى فاطمة عليها السلام عن المعصية ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع
لها في الاخرة لتكمل لذتها في الأخرة فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اعتمادا على رجا الشفاعة يضاهي
انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق قريب مشفق من أبيه او أخ او غيره وذلك جهل

لان مسعى الطبيب وهمته وجده ينفع في ازالة بعض الامراض لا كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا
اعتمادا على مجرد الطب بل الطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج
فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعا من الانبيا والصلحا الاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك
لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون
ان يكونوا بهايم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفا قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة وساير المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق
الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنسبه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم
الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة واعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه
ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله تعالى والفساد في دين الله وانهم ممقوتون
عند الله ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم
والانكار على من نسبه اليهم استعدادا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق
الخصما بهم والملايكة آخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم في مظالم العباد لتبرأ الله تعالى
منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله
من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبايهم ان كانوا مسلمين فاما العجب
بنسبهم فجهل محض **السادس** العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب
والانصار والاتباع كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المومنون يوم حنين لن نغلب
اليوم عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة
بملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا وكم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانتهم
سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره دليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا
حميم ولا عشير فيسلمونه الى البلا والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيأ وهو في
أحوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيامة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية
فاي فخر فيمن تفارقه في اشد احواله ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى
الصراط الا عمله وفضل الله تعالى وكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من سلك ما ترك ونفعك
وموتك وحياتك **السابع** العجب بالمال كما قال تعالى اخبارا عن صاحب الجنتين اذ قال انا
اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا مجلسا بجنبه فقير فانقبض عنه

وجمع شيا به فقال عليه السلام اخشيت ان يعدوا اليك فقره وذلك للعجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في
آفات المال وكثرة حقوقه وعظم عوائله وينظر الى فضيلة الفقر واسبقهم الى الجنة في القيامه والى ان
المال غادٍ ورائح ولا أصل له والى انّ في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله عليه السلام بينما رجلٌ
يتبختر في حلةٍ قد اعجبه نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة أشار به
الى عقوبة اعجاب به بماله ونفسه وقال ابو ذرٍ كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال يا أبا
ذرٍ ارفع راسك فرفعت رأسي فاذا رجلٌ عليه ثيابٌ بياض ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجلٌ
عليه خلقانٌ فقال يا ابا ذرٍ هذا عند الله خيرٌ من قراب الارض من مثل هذا وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد
وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبيّن حقارة الاغنيا وشرف الفقرا عند الله فكيف يتصور من
المؤمن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه
من حلّه ووضعه في حقه ومن لا يفعل فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه **التاسع** العجب
بالراي الخطا قال الله تعالى افمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنًا وقال وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعًا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على اخر هذه الامه فبذلك هلكت الامم
الخالفه اذا افترقت فرقًا وكل معجبٍ برأيه وكل حزبٍ بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال
انما اصرّوا عليها بعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه الهوى والشهوة
مع ظن كونه حقًا وعلاج هذا العجب اشدّ من غيره لكن صاحب الراي الخطا جاهل بخطايه ولو
عرفه لتركه ولا يعالج الّا الذي لا يعرف والجهل دا لا يعرف فيعسُر مداواته حِذارَ الّا ان
العارف يقدر على ان يبيّن للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبًا برأيه وجهله فانه لا يصغي
الى العارف ويتشهى فقد سلط الله عليه بليّةً تهلكه وهو يظنّ انها نعمه فكيف يمكن علاجه
وكيف يطلب الهرب ما هو بسبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متّهمًا لرأيه
ابدًا لا يعتريه الا ان يشهد له قاطعٌ من كتاب الله او سنةٍ او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة
ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بفكرٍ تامه وعقلٍ
ثاقبٍ وجِدٍّ وتشمّرٍ في الطلب وممارسة الكتاب والسنه ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومداومة
العلوم ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في
العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغي اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله تعالى واحدٌ لا شريك له
وانه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير وان رسوله صادقٌ فيما اخبر ويتبع سنة السلف ويومن

بجملة ما جاء به الكتاب والسنه من غير بحثٍ وتفتيش وسوالٍ عن تفصيل بل نقول امنا وصدقنا
ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وادا الطاعات والشفقة على المسلمين وسايرا الاعمال وان خاض
في المذاهب والبدع والتعصّب في العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على ان يشتغل
بعلوم بشي غير العلم فاما الذي عزم على التجرّد في العلم فاوّل مُهِمٍّ له معرفة الدليل وشروطه وذلك
ما يطول الامر فيه والوصول الى النفس والمعرفة في اكثر المطالب شديدٌ لا يقدر عليه الّا
الاقوياء الموهوبون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جدًّا فنسال الله تعالى العصمة من
الضلال ونعوذ به من الاغترار بحالات الجهال انه الكبير المتعال وله الحمد والشكر في سايرِ
الاحوال تم كتاب الكبر والعجب ويتلوه كتاب ذم الغرور ونسال الله تعالى حسن التوفيق لا يجاز ذلك
انه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم ورضي الله عن اصحاب رسول الله اجمعين

كتاب ذمّ الغرور

وهو الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتب احياء علوم الدين ما صنفه الامام
حجة الاسلام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي جزاه الله عن اهل العلم خيرًا

بسم الله الرحمن الرحيم رب انعم فزد واتمم بخير

الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور وبقدره مفاتيح الخيرات والشرور ومخرج اوليائه من الظلمات
الى النور وموردا عدائه ورطات الغرور والصلاة على محمد مخرج الخلايق من الدكور وعلى آله
واصحابه لم يغرّهم الحياة الدنيا ولم يغرّهم بالله الغرور صلاة تتوالى على ممرّ الدهور ومكر الساعات
والشهور **اما بعد** فمفتاح السعادة التيقظ والفطنه ومنبع الشقاوة الغرور والغفله
ولا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفه ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور
البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصيه ولا داعي اليها سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالكياس
واولوا البصاير قلوبهم كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح في زجاجه الزجاجة كانها كوكب دري توقد
من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار نورٌ على نورٍ
والمغترّون قلوبهم كظلماتٍ لجي يغشاه موجٌ من فوقه موج من فوقه سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق
بعضٍ اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور والاكياس هم الذين اراد
الله ان يهديهم يشرح صدرهم للاسلام والهدى والمغترّون هم الذين اذا اراد الله ان يضلهم يجعل
صدرهم ضيقًا حرجًا كانما يصعّد في السما والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلًا

وبقي في العمى فاتخذ الهوى قايدًا والشيطان دليلًا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفاصيله ما بكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته نيتقيه فالموفق من العباد من عرف مداخل الافات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن نشرح اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلما والصلحا الذين اغتروا بمبادي الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصا وفرق المغترين ولكن نجمعهم اربعة اصناف

الصنف الاول من العلما الصنف الثاني من العباد الصنف الثالث من المتصوفه الصنف الرابع من ارباب الاموال

والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفه فمنهم من راى المنكر معروفًا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعي فيه لله تعالى ولغيره كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافله ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي همته في الصلاة اوالقراة مقصورًا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تنضبط بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدأ اولًا بذكر غرور العلما ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده والفرق بين الرجا والغرور

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته

اعلم ان قوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني الاية كافية في ذم الغرور

الاخبار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس ونظرهم كيف يعيبون سهر الحمقى واجتهادهم ولمقال درة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من المغترين وقال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكلما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل ان يعتقد الشي على خلاف ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورًا فيه ومخصوصًا ومغرورًا به هو الذي يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيأ يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن انها دليل ولا يكون دليلا سمي الجهل

الحاصل به غرورًا والغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم فيه مخطئون فاكثر الناس اذًا مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم واختلف درجاتها حتى كان غرور بعضهم اكثر واشد واظهرها واشدها غرورًا غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنودها امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور الكفار

فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئه والدنيا نقد والآخرة نسيئه فاذا هو خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك وهذه قيسة فاسده تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هذا الاشاره بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور انما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله لا يغرنكم الحياة الدنيا ولا يغركم بالله الغرور وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله والاخرة خير وابقى وقوما وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوايف من الكفار فصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من قال ناشدتك الله ابعثك الله رسولًا فيقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامه وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور الملعب خير من حضور الملعب مع انه لا يدري وجه كونه خيرًا واما المعرفة بالبيان والبرهان هو ان يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه الشيطان في قلبه فان كل غرور فلغروره سبب وذلك السبب هو الدليل وكل دليل فهو قياس يقع في النفس فيورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلما والقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما ان الدنيا نقد والآخرة نسيئة فهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر المغرور يبدل في تجارته درهمًا نقدًا ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئه فلا أتركه واذا حذره الطبيب الفواكه ولذايذ الاطعمه تركه في الحال خوفًا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد وفر بالنسيئة والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون

في الاسفار نقدًا الاجل الراحة والربح نسيئةً فان كان عشره في ثاني الحال خيرًا من واحدٍ في الحال
فانسب لذّة الدنيا من حيث مدّتها الى مدّة الاخرة فان اقصر عمر الانسان ماية سنه وليس هو عشر
عشير من جزءٍ من الف الف جزءٍ من الاخرة فكانه ترك واحدًا ليأخذ الف الف بل يأخذ مالانهاية له
والاحدّ فان نظرت من حيث النوع رأيت لذّات الدنيا مكدّره مشوبة بالمنغصات ولذّات الاخرة صافيه
غير مكدرةٍ فاذًا قد غلط في قوله النقد خيرٌ من النسيئه وهذا غرورٌ منشأه قبول لفظ عام مشهورٍ
أُطلق وأُريد به خاصٌ فَغَفَلَ المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خيرٌ من النسيئة أراد به
خيرٌ من نسيئةٍ هو مثلها وان لم يصرح به وعند ذلك يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو أنّ
اليقين خيرٌ من الشك والدنيا يقينٌ والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادًا من الاول لان كلًا
أصليه باطل اذ اليقين خيرٌ من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه
على شكٍ والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شكٍ والصيّاد في تردّده
في المقنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شكٍ وكذلك الحزم دأب العقلا بالاتفاق وكل ذلك
ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جايعًا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي
قليلًا وربحي كثيرًا وكذلك المريض يشرب الدوآء البشع الكريه وهو من الشفا على شكٍ ومن مرارة الدوآء
على يقين ولكن يقول ضرر مرارة الدوآء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت وكذلك
شكٌ في الاخرة فواجبٌ عليه بحكم الصبا بالتأمل وهو منتهى العمر قريبٌ بالاضافة الى ما يقال من
امر الأخرة فان كان ماقيل فيه كذبًا فما يفوتني الا التنعّم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى
الآن الا تنعّم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ماقيل فيه صدقًا فما بقي في النار ابد الآباد وهد الايطاق
ولذلك قال عليّ عليه السلام لبعض الملحدين ان كنت ماقلته حقًا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ماقلناه
حقًا فقد خلصنا وهلكت وماقال هذا عن شكٍ منه في الاخرة ولكن كلّم الملحد على قدر عقله وبيّن له
ان لم يكن متيقنًا فهو مغرور واما الأصل الثاني من كلامه وهو ان الاخرة شكٌ فهو ايضًا خطأٌ بل ذلك
يقينٌ عند المومنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدًا للانبيا والعلما وذلك ايضًا يُزيل
الغرور وهو مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريضٍ لا يعرف دوآء علّته وقد اتفق الاطبا
واهل الصناعة عند اخرهم على أن دواء التب الفلاني فانه تطمين نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم
بتصحيح ذلك بالبراهين الطبيّه بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوهٌ يكذبهم في ذلك وهو
يعلم بالتواتر وقراين الاحوال انهم اكثر منه عددًا واغزر منه فضلًا واعلم منه بالطب بل لا علم له بالطب

فيعلم كذبه بقولهم ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الأطبا كان معتوهًا مغرورًا فكذلك
من نظر الى المقرين بالاخره والمخبرين عنها والقايلين بان التقوى هو الذخر النافع في الأصول الى سعادتها
وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبةً في البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبيا والاولياء والحكما والعلما
واتّباعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذّ منهم آحادٌ من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى
التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبيا
وكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطبا فكذلك قول هذا الغبيّ
الذي استرقّته الشهوات لا يشكك في صحة قول الانبيا والعلما وهذا القدر في الايمان كافٍ لهذا الخلق
وهو يقينٌ جازمٌ يستحث على العمل لامحاله والغرور انزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الاخره هو
الوحي والالهام والوحي للانبيا والالهام للاولياء ولا تظنّن ان معرفة النبي لأمور الاخره ولأسرارٍ
الدين تقليدٌ لجبريل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليدٌ للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما تختلف
المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفةٍ بل هو اعتقادٌ صحيح والانبيا عارفون ومعنى معرفتهم
انه كُشف لهم حقيقة الاشيا كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات
بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدةٍ لا عن سماعٍ وتقليدٍ وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح
وانه من امر الله وليس المراد بالأمر الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله تعالى فقط لان ذلك غايةٌ
في جميع المخلوقات بل العالم عالمان عالم الأمر وعالم الخلق ولله الأمر والخلق فالاجسام دوات الكميّه
والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارةٌ عن وضع التقدير في وضع اللسان وكل موجودٍ منزهٌ عن
الكميّة والمقدار فانه من عالم الأمر وشرح ذلك سرّ الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق
بسماعه كسرّ القدر الذي مُنِعَ من افشايه فمن عرف سرّ الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه
عرف ربّه واذا عرف نفسه وربّه عرف انه امرٌ ربّاني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريبٌ
وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمرٍ عارضٍ غريبٍ من ذاته وذلك العارض العارض الغريب
ورد على ادم وعتب عنه بالمعصيه وهي التي حطّته عن الجنه التي هي أليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار
الربّ تعالى وانه امرٌ ربّاني وحنينه الى جوار الربّ تعالى له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه
صوارف العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون أي الخارجون عن طبعهم ومقتضى استحقاقهم
يقال فسقة الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذه اشارةٌ الى اسرارٍ تهتز لاستشاق

ويلحقها العارفون ويشتهيز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفه كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانتاح الكتاب هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفةً وولايةً ويسمى صاحبه وليًا وعارفًا وهي مبادي مقامات الانبيا وأخر مقامات الاوليا ولنرجع الى الغرض والمقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يرفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرةٍ ومشاهدةٍ من جهة الباطن والمومنون بالسنتهم وبعقايدهم اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحه ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم اثروا الحياة الدنيا على الاخره نعم أمرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضًا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الاخره خيرٌ من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وأثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى والى لغفارٌ لمن تاب وأمن وعمل صالحًا ثم اهتدي وقال ان رحمة الله قريبٌ من المحسنين ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسرٍ الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى مشروطًا بالايمان والعمل الصالح جميعًا لا بالايمان وحده فهو لا ايضًا مغرورون أعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفةً لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمومنين جميعًا ولنذكر للغرور بالله تعالى مثالين من غرور الكافرين والعاصين واما غرور الكافرين بالله تعالى فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم انه ان كان لله معادٌ فنحن احق به من غيرنا ونحن أوفر حظًا وفيه اسعد حالًا كما اخبر الله تعالى عن قول الرجلين المتجاورين اذ قال وما اظن الساعة قايمةً ولين رددت الى ربي لاجدن خيرًا منها منقلبًا وجملة امرها كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرًا بالف دينار واشترى بستانًا بالف دينار وخدمًا بالف دينار وتزوج امراةً على الف دينار وفي ذلك كله يغبطه المومن ويقول اشتريت قصرًا بخرب ويفنى الا اشتريت قصرًا في الجنه يبقى واشتريت بستانًا بخرب الا اشتريت بستانًا في الجنه لا يفنى وخدمًا لا يفنون ولا يموتون وزوجةً من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن في الاخره خيرٌ من هذا ولذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وايل اديقول لاوتين مالًا وولدًا فقال تعالى ردًّا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدًا روى عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وايل دينٌ فجيت اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اكفره في الاخره فقال لي اذا مت

الى الاخره

الى الاخره فان لي هناك ولدًا ومالًا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر بايتنا وقال لاوتين مالًا وولدًا وقال تعالى ولين اذقناه رحمةً منا من بعد ضراءَ مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قايمةً ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وهذا كله من الغرور بالله تعالى وبسببه تياس من افيسة ابليس وذلك لانهم ينظرون مرةً الى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الاخره وينظرون مرةً الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه العذاب في الاخرة كما قال تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير ومرةً ينظرون الى المومنين وهم فقراء شعثٌ غبرٌ فيزدرون بهم ويستحقرونهم ويقولون اهولاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرًا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظموه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله تعالى الينا في الدنيا وكل محسنٍ فهو محبٌ وكل محبٍ فانه يحسن في المستقبل ايضًا كما قيل لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي وانا قياس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحبة ان يقول لولا اني كريمٌ عند الله تعالى ومحبوبٌ لما احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسنٍ محبٌ لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا يدل على الهوان ومثاله ان يكون للرجل عبدان معينان يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويجلسه المكتب ويجلسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه ومن الاطعمه التي تضره ويسقيه الادويه التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوبٌ كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكاتٌ من الله تعالى فان الله يحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد في الخبر وكان ارباب البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنبٌ عجلت عقوبته ولذا وذلك لأمارة المقت والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبًا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبل عليه الدنيا ظن انه كرامةٌ من الله تعالى واذا صرف عنه ظن انه هوانٌ كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا بين ان ذلك غرورٌ وقال الحسن كذبها جميعًا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيًا كان او فقيرًا والمهان

والمهان من اهنته بمعصيتي غنيًا كان او فقيرًا وهذا الغرور علاجه بمعرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدًا عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربًا الى الله ويدرك ذلك بالالهام في منازل العارفين والاوليا وشرحه من جملة علوم المكاشفه ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى انحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال ستستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون كلما احدثوا ذنبًا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثمًا وقال ولا تحسبن الله عما يعمل الظالمون انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أمن به تخلص عن هذا الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات ولنظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداءً ثم دمرهم تدميرًا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ومكروا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون وقال وا كيد كيدًا فمما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من التنعم على حب السيد بل ينبغي ان تجوز ان يكون مكرًا منه مع ان السيد لم يحذر مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره واستدراجه اولى فامن امن مكر الله فهو مغتر وحمقا هذا الغرور انه استدل بنعيم الدنيا على انه كريم عند المنع واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور **المثال الثاني** هو غرور العصاة من المومنين بالله تعالى بقولهم ان الله كريم وانا نرجو اعفوه واتكالهم على ذلك وامهالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسمية تشهيهم وتمنيهم واغترارهم رجاءً وظنهم ان الرجا مقام محمود في الدين فان سعة الله تعالى واسعه ورحمته شامله وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته وانا موحدون ومومنون فنرجوه بوسيلة الايمان ورب ما كان مستند رجايهم للتمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغرار العلويه بتسميهم ومخالفتهم سيرة ابايهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم انهم اكرم على الله من ابايهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خايفين وهم مع غاية الفجور والفسق امنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى فقياس الشيطان للعلويه ان من احب انسانًا احب اولاده وان الله تعالى

أحب اباكم فيحبكم ولا تحتاجون الى الطاعه ونسي المغرور ان نوحًا اراد عليه السلام ان يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابراهيم استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن في الزيارة ولم يوذن في الاستغفار فجلس يبكي على قبر امه رقةً لها بسبب القرابه فهذا ايضًا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله يحب المطيع ويبغض العاصي وكما انه لا يبغض الاب المطيع لبغضه الولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي لحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الي الولد لا وشك ان يسري البغض ايضًا بل الحق ان لا يزر وازرة وزر اخري ومن ظن انه ينجو بتقوي ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروي بشرب ابيه ويصير عالمًا بتعلم ابيه ويصل الي الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوي فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيأ وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتر عضب الله عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب **فان قلت** فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو امغفرته فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغر الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولو لا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه تسميه رجاءً حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجا فقال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجرًا وجزاءً على الاعمال قال الله تعالى جزاءً بما كانوا يعملون وقال انما توفون اجوركم يوم القيامة افتري ان من استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريمًا يفي بالموعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم أفيراه العقلا في انتظاره متمنيًا مغرورًا او راجيًا وهذا الجهل بالفرق بين الرجا بين الغرة قيل للحسن ان قومًا يقولون نرجوا الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجون فيها من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى ثنيتاي واني اخوف ما كنت اليوم فقال له رجل انا لنرجوا الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدًا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يومن وامن ولم

يعمل صالحا وعمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل وبقي مترددا في الولد
يخاف ويرجو افضل الله في خلق الولد ورفع الآفات عن الرحم وعن الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا
أمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف والرجا فخاف ان لا يقبل منه وان لا يديم عليه
وان يختم له بالسوء ويرجو امن فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق
سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل
الى المعاصي فهو كيس ومن عداهما هؤلاء فهم المغرورون بالله تعالى وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نبأه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا
فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وكلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير الم يسعكم بسنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت
وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او
نعقل ما كنا في اصحاب السعير فاعتبروا ينبئهم فسحقا لاصحاب السعير **فان قلت** فاين مظنة
الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له
التوبة فقال الشيطان وانى لك قبول توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط
بالرجا ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان الطاعة التوبة طاعة تكفر الذنوب قال الله
تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه
هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم أسلموا له بالانابة وقال وانى لغفار لمن تاب فاذا توقع المغفرة على
التوبة فهو راجٍ وان توقع المغفرة على الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في
السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان
وقام يعدو او هو يرجو ادراك الجمعة وهو راجٍ وان استمر على التجارة واخذ يرجو انتاخير الامام
الصلاة لأجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو مغرور والثاني
ان تغتر نفسه عن فضايل الاعمال او يقتصر على الفرايض فيرجي لنفسه نعم الله تعالى وما وعد الله به
الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح المؤمنون
الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجا الاول يقمع القنوط المانع
من التوبة والثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة
فهو رجا وكل توقع أوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب

ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان مالك وايد لنفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم فيغتر بذلك
عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعندها واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بعض الله
والم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه يدخل الكفار ابد الآباد مع انه
لم يضره كفرهم بل يسلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا
وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفنى عقابه فكيف لا اخافه واغتر به فالخوف
والرجا قايدان وسايقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمني وغرور ورجا كاذب
والخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا وسبب اعراضهم عن الله تعالى واهمالهم للسعي للاخرة
فذلك غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على اخر هذه الامة وقد كان
ما وعده النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في العصر الاول يواظبون على العبادات ويوتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة يخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار على طاعة الله تعالى يبالغون في النقوى
والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق امنين مسرورين
مطمينين غير خايفين مع اقبالهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين
انا واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله
وفضله ما لم يعرفه الانبيا والصحابه والسلف الصالحون فان كان هذا الامر يدرك بالمنى وينال
بالهوينا فعلى بابكا اولي وحزنهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجا والخوف
وقد قال عليه السلام فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان تخلق فيه القران في قلوب الرجال
كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف فيه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان
اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع مواضع الخوف لجهلهم بتخويفات القران وما نبه
ومثله اخبر الله عن النصاري اذ قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى
ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اتهموا علما ويأخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم
من الدنيا حلالا كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقران من اوله الى
آخره تحذير وتخويف لا يكاد فيه تذكير الا طال حزنه وعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس
الآن يهذون منه هذا المخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على رفعها وخفضها ويصيحون كأنهم
يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهذا غرور يزيد
على هذا فهذا ما مثل من الرجا والغرور ويقرب منه غرور طوايف لهم طاعات ومعاصي الا ان معاصيهم

اكثرهم يتوقعون المغفره ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ما ان فى كفة السيات اكثر وهذا
غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدوده من الحلال والحرام ويكون ماتناول من اموال المسلمين
والشبهات اضعافه ولعله يتصدق به هو من مال المسلمين وهو يظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه
التصدق بعشرة من الحلال والحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم فى كفة ميزان وفى الكفة
الاخرى الف وارادان يميل الكفة الثقيله بالكفة الخفيفه وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن
ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد
بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح له فى اليوم مايه مرة ثم يغتاب المسلمين ويتكلم بما لا يرضاه الله
طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مايه مرة وغفل عن
هديانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مايه مرة او الفسره وقد كتبه الكرام الكاتبون
ووعده الله تعالى العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتأمل
فى فضايل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد فى عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين
والمنافقين بذكر ما لا يضرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان
الكرام الكاتبين يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هديانه الذي زاد على تسبيحه لكان
عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما ينطق به فى نزاته كان يعد ها ويحسبها ويوازنها
بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط على قيراط لا يفوته
اجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى ونعيمه ما هذه الامصيبة عظيمة لمن
تفكر فيها فقد رفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى
المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القران وانا نبرأ الى الله تعالى ان نكون من اهل الكفران
نسبحان الله من صدنا عن السنه والنتان بعد هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط المثل هذه
الغفله والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان
والهوى **بيان اصناف المغترين** واقسام فرق كل صنف من الاصناف وهم اربعة **الصنف**
الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق **ففرقة منهم** احكموا العلوم الشرعيه والعقليه
وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا
بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل فى الخلق
شفاعتهم وانهم لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا

بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله وصفاته المسمى بالعاده علم
المعرفة واما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومه والمحموده وكيفية
علاجها والفرار منها وهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم فيه وكل علم
يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة
لا يعرفها الا حذاق الاطباء فسعى فى طلب الطبيب بعد ان فارق وطنه حتى عثر على طبيب حاذق
فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التى منها تجلب وعلمه كيفية
دق كل واحد منها وكيفية الخلط والعجن فعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنه بخط حسن
ورجع اليه بنية وهو يكررها ويقراؤها ويعلمها المرض ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك
يغني عنه من مرضه شيأ فهيهات هيهات لو كتب منه الف نسخه وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم
وكرر كل ليله الف مره لم يغنه ذلك عن مرضه شيأ الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما
يعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه فى وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل
جميع ذلك فهو على خطر من شفايه فكيف اذا لم يشربه اصلا ومع هذا يظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد
ظهر غروره وهكذا الفقه الذي احكم به علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم
علم الاخلاق المحمودة وما زكى نفسه عنها واحكم علم الاخلاق المحموده ولم يتصف بها فهو مغرور
اذ قال الله تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها فكيف علمها وعلمها الناس
وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض ولكن
مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو اعليه الاخبار والوارده فى فضايل
العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك هواه واطمأن اليه واهل العلم وان كان كيسا
فيقول للشيطان اتذكرني فضايل العلم وتنسيني ما ورد فى العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله
تعالى فمثله كمثل الكلب وقوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب
والحمار وقد قال عليه السلام من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم
فى النار فيندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا وقال شر الناس العالم السوء وقال ابو الدرداء
ويل للذي لا يعلم مرة ولوشاء الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات اى ان العلم حجة عليه
اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال عليه السلام اشد الناس عذابا
فى القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهذا واشباله اوردناه فى كتاب العلم فى باب علامة علما الاخره

اكثر من ان يحص الا انها لا توافق هوى العالم العاجز وما اورد في فضل العلم يوافقه فيحيل الشيطان
قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثال ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان
فالذي اخبره بفضل العلم هو الذي اخبره بذم علم السوء وان حالهم اشد عند الله من حال الجهال
فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور واما الذي يدعي علوم المكاشفه
كالعلم بالله وصفاته واسمايه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد
ومثاله من اراد خدمة الملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه
وعادته ومجلسه ولم يعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرض به او عرف ذلك الا انه تعمد
خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة
وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه
الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل
بمعرفته فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيل المراد من قربته والاختصاص
به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي
دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل
ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله تعالى الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهم من يعرف من
الاسد لونه واسمه وشكله ثم لا يخافه فكأنه ما عرف الاسد فمن عرف الله من صفاته انه يهلك
العالمين ولا يبالي وعلم انه مسخر في قدرته من لو اهلك مثله الا قاموا لقمة واتى عليهم العذاب
ابدا الآباد لم يؤثر فيه ذلك اثرا ولم يأخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلما قيل معناه العلما بالله على الحقيقه وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله
وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فاجاب
فقيل ان فقهها ونا لا يقولون ذلك فقال وهل رأيت فقيها قط الفقيه القايم لله ليله الصايم نهاره
الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فان تلت منه حمد الله تعالى وان
زللت حمد الله ناداه الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم
ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفه فهو من المغرورين وفرقة اخرى
احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهره واجتنبوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم

ليمحوا عنها الصفات المذمومه عند الله تعالى من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسه
والعلو وارادة السوء للاقران والشركا وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم
ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا ملتفت الى قوله عليه السلام ادنى الرياء شرك
والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار
التي اوردناها في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومه فهؤلا زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم
ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم
فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال
هؤلا كبير الحش ظاهرها حيض وباطنها نتن ولتبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة وكبيت
مظلم باطنه دوضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وكرجل يقصد الملك للضيافه الى داره فخص
باب داره وترك المزابل في صدره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبتت
ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه
ويقطعه فلا يزال تقوى اصوله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب منها
لم تتم الطاعات الظاهره الا مع الآفات الكثيره بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلا وشرب
الدوا نا لطلا ليزيل ما على ظاهره والدوا ليقلع ما داته من باطنه فقنع بالطلا وترك الدوا وبقي يتناول
ما يزيد في الماده فلا يزال يطلى الظاهر والجرب دايم به يتفجر من الماده التي هي في الباطن وفرقة
اخرى علموا هذه الاخلاق الباطنه وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم
يظنون انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبلى به العوام دون من
بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة
وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام
انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس شمت بي
اعدا الدين وفرحوا به وكان ذلك دلالا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان
وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى النبي صلى الله عليه وسلم بما ذا نصر الدين وبما ذا ارغم الكافرين
وينسى ما راى من الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عمر في برادة زيه
عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور يطلب

عز الدين بالثياب الرقيقه من القصب والرّيبقى والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم أنه
يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك سهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه وفيمن رد عليه شيئاً
من كلامه يظن بنفسه انّ ذلك حسدٌ قال انما هذا غضب للحق وردّ على المبطل في عداوته وظلمه
ولم يظنّ بنفسه الحسد حتى يتفقد انه لوطعن في غيره من اهل العلم اومنع غيره من رياسةٍ وزُحزح ٢
فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر
ومُنع بل رُبّما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه وكذلك يُرائي باعماله
وعلومه واذا خطر له خاطر الرّياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا
الي دين الله ويتخلصوا من عقابه ولا يتّكل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم
به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يدِ من كان كمن له عبيدٌ مُرضٌ يريد معالجتهم
لم يفرق بين ان تحصل سفاؤهم على يده اوعلى يدِ طبيبٍ آخر وربّما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان
ايضاً ويقول انما ذلك لأنّهم اذا اهتدوا اي كان الأجر لي فانما افرحي بثواب الله تعالى لا بقول الخلق
هذا ما يظنّه بنفسه والله تعالى يطّلع من ضميره على انه لو اخبره نبيّ بانّ ثوابه في الخمول واخفاء
العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحُبس مع ذلك في سجنٍ وقُيّد بالسلاسل لاحتال في هدم السّجن
وحلّ السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريسٍ او وعظٍ اوغيره وكذلك
يدخل على السلطان ويتردّد اليه ويُثني عليه ويتواضع له فاذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمه
حرامٌ قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في اموالهم فاما انت فغرضك ان تتشفع للمسلمين
وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك فالله يعلم انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند
ذلك السلطان فصار تشفعه مجيباً في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين تثقل ذلك عليه ولوقدر
على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد يلتهب غرور بعضهم
الي ان يأخذ من اموالهم واذا خطر له انه حرامٌ قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين
وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله فلا يحلّ لك ان تأخذ قدر حاجتك فيغترّ بهذا التلبيس
في ثلث امور احدها في قوله انه لا مالك له فانه يعرف انه يأخذ الخراج من المسلمين واهل الشوكة
والذين اخذ منهم احياء قيامٌ واولادهم وذرّيتهم احياء وغاية الامر وقوع الخلط في اموالهم ومن غصب
مأية دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرامٌ ولا يقال هو مال لا مالك له وبجبان
يقسم بين العشرة ويردّ الى كل واحدٍ عشره وان كان مال كل واحدٍ قد اختلط بالآخر الثاني في قوله

انك من صالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الدرس فسد دينهم واستحلّوا اموال السلاطين ورغبوا
في طلب الدنيا والاقبال على الرياسه والاعراض عن الاخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا وزهدوا
واقبلوا على الله تعالى وهو على التحقيق دجّال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام
هو الذي يقتدي به في الاعراض عن الدّنيا والاقبال على الله تعالى كالانبياء والصحابه وعلماء السلف
والدجّال هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعلّ موت هذا النوع للمسلمين
من جهاته وهو يزعم انه قوام الدين ومثاله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرةٍ وقعت في
فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزّرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار
المتأخره خارجةٌ عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **وفرقة اخري** احلّوا العلوم
وطهّروا الجوارح وزيّنوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقّدوا اخلاق النفس وصفات
القلب من الرّيا والحسد والكبر والحقد وطلب العلوّ وجاهدوا انفسهم في التبرّي منها وقلعوا
من القلوب منابتها الجليّه القويّه ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا
مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس دقائق وغوامض مدرك فلم يفطنوا لها واهملوها وانما
مثاله من يريد ببقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتّش عن كل حشيشٍ رآه فقطعه الا انه
لم يفتّش عالم بخوخ راسه بعدُ من تحت الارض فظنّ ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبتت من
أصول الحشيش شعبٌ لطافٌ فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظنّ انه قد طهرها فاذا
هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وافسدت أصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد
يفعل جميع ذلك ويدهل عن المراقبه للخفايا والتفقّد للدقايق فتراه يسهر ليله ونهاره في
جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يري ان باعثه الحرص على دين الله
تعالي ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر بانتشار الصيت في الاطراف وانطلاق الالسنه
عليه بالثنا والمدح بالزهد والورع والعلم والتقدم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع
حوله للاستفاده والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على
كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والبروز بالتخصص بهذه
الخاصيه من بين سايرالاقران والاشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق
لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا الاعن تفجّع بمصيبة الدين ولكن عن ادلالٍ بالتميز واعتدادٍ
بالتخصص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من امرٍ وامارةٍ وعزٍ وتوقيرٍ

وحسن ثنا فلو تغيرت عليه القلوب واعتقد وافيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش
عليه قلبه ويختلط اوراده ووظايفه وعساه يجتدر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان يكذب
في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامه والمراعاه ومن اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد
فيه فوق قدره وسبوا قلبه عن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يوثر
بعض اصحابه على بعض وهو يري انه يوثر لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له
واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون
في العمل وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيمدحه الله تعالى على ما يتر على لسانه
من منافع خلقه ويري ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه وعساه لو وعد
بسئل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزله واخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزله والاخفاء لذة
القبول وعزة الرياسه ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني ادم انه يعلم امتنع
من فجهله وقع في حبالي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى لينتفع به وانما
يريد به استطارة اسمه ونسبه الى نفسه تقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفاده من التصنيف
انما يرجع الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثناء على نفسه
اما صريحا بالدعاوى العريضه الطويله واما ضمنا بالطعن في غيره ليبين انه افضل من طعن فيه واعظم
منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزخرف ما يزيد تزييفه فيعزيه الي
قايله وما يستحسنه لعله لا يعزيه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادني
تغيير كالذي يسرق سمينا فيتخمره قبلا حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعه
وتحسين نظمه كيلا ينسب الى الركاكة ويري ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون اقرب
الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكما وضع ثلثمايه مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى نبي
زمانه قل له قد ملأت الارض بقبالا قاوني لا اقبل من بقبالك شيا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين
اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامه عن عيوب القلب وخفاياه فلما افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة
من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره ففرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان
غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا انصرفوا واشتغلوا بالافاده تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الي
واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه
لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوايجه كما كان يتشمر من قبل والحرص على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه

مشغول بالاستفاده ولعل هذا التحيز منه الى فئة اخري كان انفع له في دينه لافة من الافات
كانت تلحقه في هذه الفيه وسلامته عنها في تلك الفيه ومع ذلك فلا يزول النفرة عن قلبه ولعله واحدا
منهم اذا تحول فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحل غضبه على
ذلك ويقول انما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثنى عليه
ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر عيوبه بين يديه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسره
قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس
ولا يتنزه منها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفا الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان
عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه ومن شر ته حسنته وساته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي نفسه
المتمنن على الله بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة
بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم
به مغترون اما الاستغنا بهم على اصل ذلك العلم واما الاقتصار عليه ومنهم فرقة اقتصروا
على علم الفتاوي في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لطالح
المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال
الظاهرة والباطنه فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبه والبطن عن الحرام والرجل
عن المشي الى السلاطين وكذا سايير الجوارح ولم يحرسوا بطونهم عن الكبر والريا والحسد وساير
المهلكات فهولا مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم اما العمل فقد
ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل بتكراره وتعليمه
لا بل مثالهم من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدوا واستعماله
فاشتغل بتعليم دوا الاستحاضه وتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض
ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامراة وسالني عنها وذلك غاية الغرور وكذلك المتفقه
المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والريا وساير المهلكات
الباطنه وربما تختطفه الموت قبل التوبه والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والطهار واللعان والجراحات والديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض
ولا يحتاج الى شئ من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتيين كثره فيشتغل بذلك

ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه
انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين بمعصية
هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله
به معرض عن فروض عينه في جوارحه وقلبه فهذا مغرور من حيث العمل واما مغرور من حيث العلم لحيث اقتصر
على علم الفتاوي وظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وربما طعن على المحدثين
وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك
جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا
به متكلا على انه لابد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوي لتعطل الحلال والحرام
فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر
ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى
اذ قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان يقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ
الابدان بالاموال ودفع القتل والجراحات والمال في طريق الله تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم
المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي من الصفات المذمومة فهي الحجاب بين الله
وبين العبد واذا مات مملوءا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فسئاله في الاقتصار على علم الفقه
مثال من اقتصر من سلوك الطريق الحج على علم خرز الرواية والخف ولا شك في انه لو لم يكن تعطيل الحج
ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء ولا بسبيل وقد ذكرنا ذلك في كتاب العلم ومنها ولا من اقتصر
من علم الفقه على علم الحلاليات ولم يهتم الا بطريق المجادلة والالزام والخام الخصوم ودفع الحق لاجل
الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران
والتلقف لانواع التشنيعات المودية وهاولاء مساع الانس طبيعتهم الايذاء وهمتهم السفه ولا يقصدون
العلم الا ضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهات كعلم القلب وعلم سلوك
الطريق الى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق
وكلام الوعاظ واما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهولاء ٢
قد جعلوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوي ولكن زادوا اذ اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا
بل جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيها واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد
الوضع والتركيب والتعدية انما أبدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرورهم اشد
اشد كثيرا واقبح من غرور من قبلهم وفرقة اخري اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في هذا العلم
والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم
الطريق في مناظرة اولئك والخامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل
الا بايدان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سنوه ادلة عقايدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله
وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة الى نفسها ثم هم
فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعوا الى غير السنة والمحقة هي التي تدعوا الي السنة
والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر
بعضهم بعضا وانما أتيت من حيث انها لم تنتهض رأيها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنها جافرأي
الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغتر بها من حيث انها طنت بالجدل انها اهم
الامور وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من
صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمومن اوليس بكامل ولا مقرب عند الله تعالى فلهذا
الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهديانات المبتدعة ومناقضاتهم
واهمل نفسه وقلبه حتى عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل
أولي واقرب عند الله وافضل ولكنها لانتدادها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعزة الانتماء الي
الذب عن دين الله عميت بصيرته فلم يلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم
خيرة الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع والاهواء ما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات
والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث رأوا
حاجة وتوشموا لخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا رأوه مصرا على ضلالته
هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله تعالى ولم يلتزموا المجادلة معه طول العمر بل قالوا ان الحق
هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روي ابو امامة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدي الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه
وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه قيل في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال
لهذا بعثتم وبهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا والى ما

نُهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عزّ لكل وكانوا اولى خلق الله تعالى بالحجاج والجدال ثم انهم رأوا
رسول الله وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم فى مجلس مجادلة لإلزام والخصم وتحقيق حجة ودفع
سوال وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد فى المجادلة عليه لان ذلك يشوش
القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم
بالتقسيمات ودقايق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم
لم يغتروا بهذا وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم
وليس علينا فى المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيّعوا العمر بتحرير
مجادلاتهم فما لنا نضيّع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا فى يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا امن على
نفسنا الخطأ فى تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يدرك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة
تشدّدا لما فى بدعته فاشتغالى بمخاصمة نفسى ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للاخرة أولى هذا لو كنت
لم أنهَ عن الجدل والخصومة فكيف وقد نُهيت عنه وكيف أدعوا الى السنة بترك السنة فالاولى أن
أتفقد نفسى وانظر من صفاتها ما يبغضه الله وما يحبّه لأتنزّه عما يبغضه واتمسك بما يحبّه
وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلام رتبة من يتكلم فى اخلاق النفس وصفات القلب من
الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق ونظايرها وهم مغرورون
يظنّون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات
وهم منفكّون عنها عند الله الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام الناس من المسلمين وغرورهم اشدّ
الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تحرّوا فى علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى
وما قدروا على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا النفس الا وهم عنها منزهون
ولولا انه مقرّب عند الله لما عرّفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله تعالى وكيفية قطع المنازل
فى طريق الاخرة فالمسلمين بهذه الظنون يرى انه من الخايفين وهو آمن من الله تعالى ويرى انه من
الزاجين وهو من المعتزين المضيعين ويرى انه من الزاهدين لقضا الله تعالى وهو من الساخطين ويرى
انه من المتوكلين على الله وهو من المتوكلين على العز والجاه والمال والانساب ويرى انه من المخلصين
وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص فى الوصف ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره
ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق الرياء ويصف الزهد فى الدنيا لشدّة حرصه على الدنيا
وقوّة رغبته فيها وهو يظهر الدعا الى الله تعالى وهو منه فارّ ويخوّف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله

وهو لا يأس

وهو له ناس ويُقرّب الى الله وهو منه متباعد ويحثّ على الاخلاص وهو غير مخلص ويذمّ الصفات
المذمومة وهو بها متّصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدّهم حرصا لو مُنع عن مجلسه
الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر
من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو انتهى احدٌ من المتردّدين اليه أو
دخل على أقرانه لكان ابغض خلق الله اليه فهو لا اعظم الناس غرورا وابعدهم عن التنبّه والرجوع الى
السداد لان المرغب فى الاخلاق المحمودة والمنفّر عنها هو العلم بغوايلها وفوايدها وهذا قد علم ذلك
ولم ينفعه وشغله حبّ دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بما ذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما
المخوّف ما يتلوه على عباده فيخافون الله وهو ليس بخايف نعم ان ظنّ بنفسه انه بما يتلوه موصوف
بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدّعي مثلا احبّ الله
تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدّعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدّعي الزهد
فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدّعي الانس بالله تعالى فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش
عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه بسببا بالحلاوة اذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش اذا خلا بالله
تعالى فهل رايت محبّا انسا يستوحش من محبوبه وليستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم
فى هذه الصفات ويطلبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل يموّتهم من الله غليظ والمغترون
يحسبون بانفسهم الظنون واذا كشف عنهم الغطا فى الاخرة يفتضحون يل يُطرحون فى النار فيندلق
امعاهم فيدورون بها كما يدور الحمار بالرحا كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن
الشرّ ويأتونه وانما وقع الغرور لهؤلا من حيث انهم يصادفون فى قلوبهم شيأ ضعيفا من أصول هذه المعاني
وهو حبّ الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدّروا مع ذلك على وصف المنازل العالية فى هذه المعاني
فظنّوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما درتهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها الا اتصافهم بها وذهب
عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم فان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة
فلم يفارق آحاد المسلمين فى الاتصاف بصفة الحبّ والخوف بل فى القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقلّ
خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به فى قلبه حبّ الله تعالى وانما مثال له مثال مريض يصف المرض ويصف
دوائه بفصاحته ويصف الصحة والشفا وغيره من المرض لا يقدر على وصف الصحة والشفا واسبابه ودواعيه
واحتفاله فهو لا يفارقهم فى صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم فى الوصف والعلم بالطبّ فظنّة عند
عليه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل وكذلك العلم بالخوف والحبّ والتوكل والزهد وسايرهذه الصفات

غير الاتصاف بحقايقها ومن التلبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حالة
الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القران والاخبار ووعظ الحسن البصري و
وفرقة اخري منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل هذا الزمان كافة الا من
عصمه الله تعالى على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح
وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطايفة اخري شغفوا بطيارات النكت
وتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار العرب في الوصال والفراق
وغرضهم ان يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسده فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا
عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء
فانهم يصدون الخلق عن سبيل الله ويجرؤن الخلق الى الغرور بالله تعالى بلفظ الزجافيزيدهم كلامهم
جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا لاسيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فانه يشهد
من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا
ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا **وفرقة اخري** منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد
واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم
يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز
بهذا القدر عن السوقية والحشوية اذا حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار
معفورا له وامن عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الاثام ولكنه يظن ان حفظه
لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم **وفرقة اخري** استغرقوا اوقاتهم
في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم
ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع
غيري وغرورهم من وجوه **منها** انهم تحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العنايه الى فهم معاني السنه
فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم **ومنها** انهم اذا لم يفهموا معانيها لا
يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون به **ومنها** انهم يتركون العلم الذي هو فرض عينهم
وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العاليه ولا حاجة بهم الي
شيء من ذلك **ومنها** وهو الذي اكب عليه اهل هذا الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع
بمجرده وان لم يكن له فايده ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات

والعمل بعد التفهم فالاول السماع بعده التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على
السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ نايم والصبي يلعب
ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع
ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث ونسيخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف او غير ما يقرأ عليه
لم يشعر به ولم يعرفه وكذلك جهل وغرور والاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيحفظه كما سمعه او يؤدي به كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت
عن سماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين وحاز سماعك عن الراوي كسماع
من سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتروى وتحفظ كما
سمعت بحيث لا يغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطأ علمت خطأه ولحفظك طريقان احدهما
ان تحفظ بالقلب وتستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب
ما تسمع وتصلح المكتوب وتحفظه حتى لا يصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك معك وفي خزانتك
فانه لو مدت اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك
فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب
تسمع ما فيه بل سمعت شيأ يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة
استوثقت عليها لتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذ لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب
صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير لو كان ولو جاز
ان يكتب سماع الصبي والغافل والنايم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون
ثم اذا ابلغ الصبي وافاق المجنون سمعه منه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع
الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فان استجرأ جاهل فقال
يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت
وهذا يسمع الصوت فما ذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا كان شيخا على ان
يقول سمعت بعد ما بلغني ان في صباي حضرت مجلسا يروي فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو

ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه كذب صريح ولو جاز اثبات سماع الترقي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فادّاها كما سمعها وكيف يؤدّي كما سمع من لا يدري ما سمع فهذا الخش من فواحش انواع الغرور وقد بلي به اهل هذا الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا الذين سمعوه في الصبي على هذا الوجه مع الغفله

١١ ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا لخاف المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم وتقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس بشرط الا ان يقرع سمعه ندمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم الاصول بالفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور فهولا ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افنائ اعمارهم في جمع الروايات والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى وربما يكفيه الحديث الواحد عمرا كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع وكان اول حديث رُوي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور

فرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد عفّ لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة بعلم النحو واللغة فانى هو لا اعمارهم في دقايق النحويين وفي صناعة الشعر وفي غرايب اللغة ومثالهم كمن يفنى جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرأ كيف ما كان والباقي زيادة على الكفاية فكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقهم لاجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريب في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو مغرور إذ المقصود من الحروف المعاني وانما الحروف طروق وادوات ومن احتاج الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفرا فيضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه

السكنجبين

١١ المتجبين فهو كجهال المغرورين كذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقرآن والدقيق في مخارج الحروف بها تعمقوا فيها او تجردوا لها او عرّجوا عليها اكثر مما تحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب الاقصى هو العلم والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك هي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرّج عليها الا بقدر حاجته فيجاوزها الى ما وراءها حتى دخل الى باب العمل فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجى عمل في خلل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوايب والآفات فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسايرالعلوم خدم له ووسايل اليه وقشور له ومنازل بالاضافات اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها ارباب ها فانا ما علم الطب والحساب وما انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم بنالون المغفرة بها من حيث انها علوم فان الغرور فيها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان علوم الشرع مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذه مقصودا وعرّج عليه فقد اغتر به

وفرقة اخرى عظم غرورهم في الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضا فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واثاروا تاويلات الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاؤا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم ان المرأة اذا ابرأت عن الصداق برئ الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطا بل الزوج يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص فهو ابرأ لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس ان تسمح نفسها بالابرا لاعن ضرورة تقابله حتى اذا تردد بين ضررين اختارت أهونهما فهذه تصادره على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاعراض فنظر الى الابرا الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه وانما تصدى القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضا لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابرا وكذلك لا يحل مال الانسان ان يوخذ الا بطيبة نفس فلو طلب من انسان مالا على ملا من الناس فاستحيي

من الناس الا بعطية وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف ألم مذمة البخل
وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه فلا فرق بين
هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل
المال فيختار أهون الألمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب
الظاهر وضرب الباطن عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر
قوله وهيئته لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب فكذلك من يعطي اتقاء شر لسانه او لشر سعايته
فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام كالمأخوذ بالمشي الى ما جاء في قصة داود النبي
صلى الله عليه حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فأمر بالاستحلال منه وكان ميتا فأمر بندائه
في صخرة بيت المقدس فنادا يا أوريا فاجابه لبيك يا نبي الله اخرجتني من الجنة فما ذا تريد قال اسأت
اليك في امر فهل لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد رضي الى ذلك فقال له جبريل هل ذكرت له
ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك ذنبا قال ألم
أهبه لك قال اولا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب
فقال يا أوريا ألا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا تفعل الانبياء حتى أقف معك بين يدي الله تعالى فاستقبل
داود الصراخ والبكاء الرأس حتى وعده الله ان يستوهبه منه في القيامة فهذا يثبتك ان الهبة من
غير طيبة قلب ونفس لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة وكذلك طيبة القلب لا تكون في الابراء
والهبة وغيره الا اذا خلي الانسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان يضطر بواعثه
الى الحركة والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لاسقاط
الزكاة فالفقيه يقول سقطت الزكاة فان أراد به ان يطالبه السلطان والشاعي قد سقطت عنه فقد صدق
فانه مطرح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيامة ويكون كمن سلم المال أو كمن
باع لحاجته الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة وان سر الزكاة تطهير
القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا
بما فعله وقال لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن انه خلاصه فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه
عليه وانه ابلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل
والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى مال المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقها المغرورون لا يميزون
بين الامانة والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور
بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين

والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نضف غرور الفقها في استدلال هذا
[illegible] نافية مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاحناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول

الصنف الثاني ارباب العبادة والعمل

والمغرورون فرق كثيرة فمنهم من غروه في العلم
ومنهم في تلاوة القران ومنهم في الحج ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول لمنهج من مناهج العمل فليس
خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل ما هم **فمنهم فرقة** اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل
وربما تعمقوا في الفضايل حتى خرجوا الى العدوان والشرف كالذي يغلب عليه الوسواس في الوضو فيبالغ
فيه حتى لا يرتضي الما المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة
واذا آل الامر الى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط
من الما الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضي الله عنه بما في جرة نصرانية مع ظهور
احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلا من يخرج الى
الى الاسراف في صب الما وذلك منهي عنه وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وان لم
يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الما
وان لم يسرف فهو مغرور بتضييعه العمر الذي هو اعز الاشيا فيما لا مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد
الخلق عن الله تعالى بطرق ولا يقدر على حد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك

وفرقة اخرى غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعها الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة
بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيرة فيكون في قلبه بعد تردد
في صحة نيته وقد يوسوس في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون
ذلك في اول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة والمحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم انما
تعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير
عند ربهم **وفرقة اخرى** يغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار
من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظا وتصحيح مخارج الحروف في جميع حالاته
لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه داهل عن معنى القران والاتعاظ به وصرف الهم الى اسراره وهذا من اقبح
انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في
الكلام ومثال هؤلا مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان فأمران يؤديها على وجهها فاتخذ يؤدي
الرساله وتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها ويصوت مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن

مقصود الرسالة ومراعاة المجلس فما أحراه ان يُقام عليه النياسة ويُرَدُّ الى دار المجانين ومحل بيعه
بفقد العقل **وفرقةٌ اخري** اغترّوا بقراءة القران فيهذّونه هذّا وربّما يجتمعون في اليوم ويوم
ولسانهم يجري بها وقلوبهم تترددُ في أودية الأماني اذا يتفكّر في معاني القران لينزجر بزواجره
ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه في
كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرورٌ يظنّ ان المقصود من انزال القران الهمهمة مع
الغفلة عنه ومثاله عبدٌ كتب اليه مالكه كتابًا واشار عليه فيه بالأوامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى
فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستترٌ في خلاف ما أمر به مولاه الا انه يكرّر الكتاب بنغمته
وصوته كل يوم مائة مرّة فهو يستحق العقوبة ومهما ظنّ ان ذلك هو المراد منه فهو مغرورٌ نعم تلاوته
انما يُراد لكيلا ينسى بل يحفظه وحفظه يُراد لمعناه ومعناه يُراد للعمل به والانتفاع بمعانيه وقد يكون
له صوتٌ طيّبٌ فهو يقرؤه ويلتذّ به ويغترّ باستلذاذه ويظنّ ان ذلك لذّة مناجات الله تعالى وسماع
كلامه وانما هو لذيذٌ في صوته ولو رُدّد الحان بشعرٍ او كلامٍ آخر لالتذّ به ذلك الالتذاذ فهو مغرورٌ
اذ لم يتفقّد قلبه ليعرف ان لذّته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه او بصوته **وفرقةٌ منهم**
اغترّوا بالصوم وربّما صاموا الدّهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم من الغيبة
وخواطرهم من الرّياء وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار
ومع ذلك يظنّ بنفسه الخير لتهيّل الفرايض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقةٌ**
اغترّوا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد
الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيّعون في الطريق الصلاة والفرايض ويعجزون عن
عن طهارة الثوب والبدن ويتعرّضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحدرون في الطريق من الروث والخمام
وربّما جمع بعضهم الحرام وانفقه على الرفقا في الطريق وهو يطلب به الشعث والرّيا نعوذ بالله من كسب
الحرام اولًا وفي انفاقه بالرّيا ثانيًا فلا هو أخذه من حلّه ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلبٍ ملوّثٍ
برذايل الاخلاق ودمايم الصفات لم يقدّم تطهيرها على حضورها وهو مع ذلك يظنّ انه على خيرٍ من ربّه
وهو مغرورٌ **وفرقةٌ اخرى** اخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على
ولاة الامور فيتصدّى لما لا يعنيه ويأمر بالخير وينسى نفسه واذا أمر بالخير عنّف وطلب الرياسة والعزّ واذا باشر منكرًا افرد عليه
ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا أمر بالخير عنّف وطلب الرياسة والعزّ واذا باشر منكرًا افرد عليه
غضب عليه وقال انا المحتسب فكيف تنكر عليّ وقد يجمع الناس الى مسجده ومن تأخر عنه غلّظ القول عليه
وانما غرضه الرّيا والرياسة ولو قام يتعهّد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يؤذّن ويظنّ انه يؤذّن لله تعالى

ولو غيره واذّن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال لِمَ أخذ حقّي وزوحمت على مرتبتي
وقد يتقلّد امامة مسجدٍ ويظنّ انه على خيرٍ وانما غرضه ان يقال انه إمام المسجد فلو تقدّم غيره
فان كان اورع واعلم منه ثقُل عليه **وفرقةٌ اخري** جاوروا بمكة والمدينة واغترّوا بهما ولم يراقبوا
قلوبهم ولم يُطهّروا ظاهرهم وباطنهم قلوبهم معلقةٌ ببلادهم يلتفت الى قولهم ان فلانًا مجاورٌ بمكة
تراه يتحدّى ويقول قد جاورت بمكة كما سنةً واذا سمع ان ذلك قبيحٌ ترك صريح القول بالتحدّي واحبّ
ان يعرفه الناس بذلك ثم انه يجاور ويمدّ عين الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منها شيئًا
شحّ عليه وامسكه ولم تسمح نفسه بلقمةٍ يتصدّق بها على فقيرٍ فيظهر فيه الريا والبخل والطمع وجملةٌ من
المهلكات كان عنها بمعزلٍ لو ترك المجاورة ولكن حبّ المجاورة وان يُقال انه من المجاورين ألزمه الجوار
مع التضمّخ بهذه الرّذايل فهو ايضًا مغرورٌ وما من عملٍ من الاعمال وعبادةٍ من العبادات الا وفيها
آفاتٌ فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرورٌ لا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احيا
علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة وفي الحج والصوم والزكوة والتلاوة
وساير القربات التي رتّبناها فيها وانما الغرض الآن الإشارة الى جميع ما سبق في الكتب **وفرقةٌ اخرى**
زهدت من المال وقنعت من اللباس والطعام بالدّون من المسكن بالمساجد وظنّت انها ادركت
رتبة الزّهّاد وهو مع ذلك راغبٌ في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرّد الزهد فقد ترك
اهون الامرين وبأبا عظم المهلكين فان الجاه اطمّ من المال ولو ترك الجاه واتّخذ المال كان الى
السلامة أقرب فهذا مغرورٌ ادّ ظنّ انه من الزّاهدين في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرِ
أن منتهى لذّتها الرياسة وان الراغب فيها لا بدّ وان يكون منافقًا وحسودًا ومتلبّسًا ومرايًا
ومتّصفًا بجميع خبايث الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور
اذ يتطاول به على الاغنيا ويختشن بعض الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجوا
لهم ويُعجَب بعمله ويتّصف بجملة خبايث القلوب وهو لا يدري وربما يُعطي المال فلا ياخذه حنيفةً من ان
يُقال بطل زهده ولو قيل انه حلالٌ مخرّجٌ في الظاهر وردّه في الخفيه لم تسمح به نفسه خوفًا من ذمّ
الناس فهو راغبٌ في حمد الناس وهو من أدلّ ابواب الدنيا ويري نفسه انه زاهدٌ في الدنيا فهو مغرورٌ
ومع ذلك فربّما لا يخلوا عن توقير الاغنيا وتقديمهم على الفقرا والميل الى المريدين له والمثنين عليه
والنفرة عن المايلين الى غيره من الزّهّاد وكل ذلك خُدعةٌ وغرورٌ من الشيطان وفي العبّاد من يشدّد
على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلّي في اليوم والليلة مثلًا الف ركعة ويختم القران وهو في جميع ذلك

لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان
ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك توهما انه مغفور له لعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال
القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته هيهات فذره من ذى تقوى
وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال اعمالا بالجوارح ثم لا يخلوا هذا المغرور مع سوء
خلقه مع الناس وخشونته وتلون باطنه عن الريا وحب الثنا واذا قيل له انت من اوتاد الارض
واولياء الله واحبابه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل
على كونه مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبايث باطنه **وفرقة اخرى**
حرصت على النوافل ولم اعتقادها بالفرايض تراه يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وامثال
هذه النوافل ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها فى اول الوقت وينسى قوله
صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى ما تقرب المتقربون الى بمثل اداء ما افترضته عليهم
وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على الانسان فرضان احدهما يفوت والآخر لا
يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظاير
ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهره والطاعة ظاهره وانما الغامض تقديم بعض الطاعات
على البعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم
فرض كفاية لا قايم بها على ما قام به غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم
فرض كفاية ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يحب ان يقدم حاجة الوالد على
حاجة الولد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل امه من ابر قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال امك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغى ان يبدأ بالاهم
الاقرب فالاقرب فان استويا فالاحوج فان استويا فالاتقى والاورع وكذلك من لا يفى ماله بنفقة
الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغى ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم فرض الاهم
على فرض هو دونه ولذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعه فالجمعة تفوت فالاشتغال
بالوفا بالموعد معصية وان كان هو طاعة فى نفسه وكذلك يصيب ثوبه نجاسة فيخلط القول على
ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور والحذر من الادى اهم من الحذر من النجاسة
وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب فى جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور
فى غاية العموم لان المغرور فى طاعة الا انه لا يفطن بضرورة الطاعه معصية حيث ترك بها طاعة واجبة

منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه فى حق من بقى عليه شغل فى الطاعات
والمعاصى الظاهره والباطنه المعلقة بالجوارح والمعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج
اليه غيره فى جوارحهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه فى قلبه أولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاه
وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمى عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بسهم دينه
الصنف الثالث المتصوفه وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق **ففرقة منهم**
متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزى والمنطق والهيئة مساعدوا الصادقين
من الصوفيه فى زيهم وهياتهم وفى الفاظهم وآدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفى احوالهم
الظاهره فى السماع والرقص والطهاره والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس ولزوم الخلوه
فى الحب كالمفكر فى تنفس الصعداء وفى خفض الصوت فى الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيات فلما
تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا متصوفه ولم يتبعوا انفسهم قط فى المجاهدة
والرياضه ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفيه والجليه وكل ذلك من اوايل منازل
المتصوفه ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفيه كيف ولم يحكموا قط حولها
ولم يسوسوا انفسهم منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون فى
الفلس والرغيف والحبة ويتحاسدون على التقدير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض بما
خالفه فى شى من غرضه وهواه غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال
من المقاتلين تثبت اسماؤهم فى الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فشاقت نفسها
الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت فى زجر الابطال ابياتا
وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيف هيئة تبختر هم فى الميدان
وكيف تحريكهم الايدى وتلفف جمع شمايلهم فى الزى والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر
لتثبت اسمها فى ديوان الابطال والشجعان فلما وصلت الى المعسكر نفذت الى ديوان العرض واسرت
بان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزه مع بعض الشجعان ليعرف قدر علمها
فى الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هى عجوز ضعيفه زمنه لا تطيق حمل المغفر والدرع
فقيل لها اجيئت للاستهزا بالملك ولاستحقاق اهل حضرته والتلبيس عليهم خذوها والقوها الى قدام
فهذا يكون حال المدعى للتصوف فى القيامة اذا كشف عنهم الغطا وعرضوا على القاضى الاكبر الذى
لا يتطرا الى الزى والمرقع بل الى سر القلب **وفرقة اخرى** زادت على هولا فى الغرور اد شق عليهم الاقتدا

بهم فى بداءة الثياب والرضا بالدون واراد ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدًّا من التزيّ بزيّهم
فتركوا الخزّ والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسه والقوط الرفيعه والسجّادات المصوغه ولبسوا
من الثياب ما هو ارفع قيمة من الخزّ والابريسم وظنّوا مع ذلك انه متصوف بمجرّد لون الثوب وكونه
مرقّعًا ونسى انهم انما لوّنوا ثيابهم ليلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ وانما لبسوا
المرقّع اذا كانت ثيابهم مخرّقه وكانوا يرقّعونها ولا يلبسون الجديد فانّا تقطع القوط الرفيعه
قطعةً قطعةً وخياطة المرقّعات منها فمن أتى تشبّه بما اعتادوه فهو لا اظهر حماقةً من كافّة
المغرورين فانهم يتنعّمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون
اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصى الظاهره فضلًا عن الباطنه وهم مع ذلك يظنون بانفسهم
الخير وشرّهو لا ما يتعدّى الى الخلق اذ يهلك من يقتدى بهم ومن لا يقتدى بهم تفسد عقيدته
فى اهل التصوّف كافّةً ويظنّ ان جميعهم كانوا من جنسه فى طول اللسان فى الصادقين منهم وكل
ذلك من شوم المتشبّهين وشرّهم **وفرقة اخرى** ادّعت علم المعرفة ومشاهدة الحق والجاورة
المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي
والألفاظ الا انه تلقّف من الفاظ الطامّات كلمات فهو يردّدها ويظنّ ان ذلك اعلى من علم الاولين
والآخرين فهو ينظر الى الفقها والمفتين والمحدّثين واصناف العلما بعين الازراء فضلًا عن العوام
حتى ان الفلاح يترك فلاحته والحايك يترك حياكته بلازمهم ايّامًا معدوده وينلقّف منهم تلك الكلمات
المزوّقة وهو يردّدها كانه يتكلّم عن الوحي ويخبر عن سرّ الأسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلما
فيقول فى العبّاد انهم اجرا متعبّدون ويقول فى العلما انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدّعى لنفسه
انه الواصل الى الحق وانه من المقرّبين وهو عند الله من الفجّار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى
الجاهلين لم يحكم قطّ علمًا ولم يهذّب خلقًا ولم يرتّب عملًا ولم يراقب قلبًا سوى اتباع الهوى وتلقّف
الهذيان وحفظه **وفرقة اخرى** منهم وقعت فى الاباحة فطوّا بساط احكام الشرع ورفضوا
الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله تعالى مستغنٍ عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول
قد كلّف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حبّ الدنيا وذلك محالٌ فقد كلّفوا ما لا يمكن وانما يعتبر
من لا يجرّب وانا نحن فقد جرّبنا وادركنا ان ذلك محالٌ ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلّفوا قطع
الشهوة والغضب من اصلها بل تأديبها بحيث تنقاد لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح
لا وزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله تعالى وانا نخوض

الدنيا ونحن وقلوبنا عاكفة فى الحضرة الربوبيّة فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويرجون
ان يترقّوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تعذيب النفس بالاعمال البدنيّة وان الشهوات لا تصدّهم
عن سبيل الله لقوّتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبيا إذ كان يصدّهم عن طريق الله تعالى
خطيئةٌ واحدةٌ حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متواليةً واصناف غرور اهل الاباحة من
المتشبّهين بالصوفيه لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم
بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن فى الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصا اصنافهم
يطول **وفرقة اخرى** جاوزت حدّ هؤلا واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلوا بتفقد القلب
وصارت تدّعى المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحبّ من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات
وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدّعى الوجد والحبّ لله تعالى ويزعم انه والهٌ بالله تعالى ولعلّه
قد تخيّل فى الله تعالى خيالاتٍ هى بدعةٌ او كفرٌ فيدّعى حبّ الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مفارقة
ما يكره الله وعن ايثار هوى نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حيًا من الخلق ولو خلا لما تركه حيًا
من الله تعالى وليس يدري ان ذلك دليل نقص الحبّ وبعضهم ربّما يميل الى القناعه والتوكل فيخوض الوادى
من غير زاد ليصحّح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعةٌ لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا
اعرف بالتوكل منه فما فهموا ان التوكل للمخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون
على الله لا على الزاد وهذا ربّما يترك الزاد وهو متوكلٌ على سبب من الاسباب واثقٌ به وما من مقام من
مقامات المنجيات الا وفيها غرورٌ وقد اغترّ بها قومٌ وقد ذكرنا مداخل الآفات فى ربع المنجيات
من الكتاب ولا يمكن اعادته **وفرقة اخرى** ضيّقت على نفسها امر القوت حتى طلبت منه الحلال
المحض واهملت تفقد القلب والجوارح فى غير هذه الخصلة الواحده ومنهم من اهمل الحلال فى مطعمه
وملبسه ومكسبه واخذ يتحرّق فى تحرير ذلك وليس يدري المسكين ان الله تعالى لم يرض عن عبده
بطلب الحلال فقط ولا يرضى بنا يراد الاعمال دون طلب الحلال فلا يرضه الا تفقّد جميع الطاعات
والمعاصى فمتى ظنّ ان بعض هذه الامور سلفيّةٌ وتنجّيه فهو مغرور **وفرقة اخرى** منهم ادّعوا
حسن الخلق والتواضع والسماحه فتصدّوا للخدمة الصوفيه فجمعوا قومًا وتكلّفوا لخدمتهم واتخذوا لذلك
شبكةً للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبّر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم
يظنّون ان غرضهم الخدمة والتبعيّة ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثروا
اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق

في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ان اهالهم
لجميع اوامر الله تعالى عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم بأخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في حج
الحج لارادة الخبر كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة **وفرقة اخرى** منهم
اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتحققون فيها فاخذوا البحث
من عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس
وباستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات
الى كونه عيبا عيب ويشعفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في
التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجه كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوايق الحج وآفاته ولم يسلك
طريق الحج فذلك لا يغنيه **وفرقة اخرى** جاوزوا هذه الرتبة وابتدوا سلوك الطريق وانفتح لهم
ابواب المعرفة فكما تسنموا من مبادي المعرفة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم عزايبها فتفقدت
قلوبهم بالالتفات اليها وبالتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك
غرور لان عجايب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف مع كل عجوبة وعتد بها قصر خطاه وحرم
عن الوصول الى المقصد وكان مثاله من قصد ملكا فراى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار ولم يكن
قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك **وفرقة اخرى**
جاوزوا هولا ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة
ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله
تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله تعالى فوفقوا وغلطوا فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك
الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا يظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم
اذ قال اعتبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعنى به هذه الاجسام المضيئة
فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست الهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكواكب
ليست بآلهة فمثل ابراهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغتر السوادية ولكن المراد به نور من الانوار
التي هي من حجاب الله تعالى وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه
الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر المنيرات الكواكب فاستعير له لفظه واعظمها
الشمس وبينها رتبة القمر فلم يزل ابراهيم لما راى ملكوت السموات حيث قال تعالى وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلحظه انه قد وصل ثم كان يكشف له

ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي
لا وصول الا بعده فقال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمته غير حال من الهوي في حضيض النقص
والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين انه وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وسالك هذا الطريق قد يفتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب
بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر ربانى وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي
يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك
يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بستار
هو كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور عليه ربما التفت صاحب القلب
الى القلب فيري من حاله الفايق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان
لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة
الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذا المتجلي يلتبس
المتجلى فيه كما يلتبس لون ما يترآى في الماء فيظن انه لون الماء وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج
كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر
وبهذه العين نظرت النصاري الى المسيح صلوات الله عليه فرأوا الاشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا
فيه كمن يري كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليد اليه ليأخذه وهو
مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح
علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ الحاجة
لهذا الطريق لا تحتاج ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لم ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه
ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فايدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما
يصدق بان الامر اعظم مما يظنه ومهما يتخيله بدهنه المحتضر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق
ايضا بما حكي عن المكاشفات التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما يسمعه الآن
كما كان يكذب بما سمعه من قبل **الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون** منهم فرق
فرقة منهم يحرصون على بنا المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كما انه
ويكتبون اسماءهم بالآجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وفهم يظنون انهم قد استحقوا
المغفرة بذلك وقد اغتروا وفيه من وجهين احدهما انه يبنيها من اموال كسبوها من الظلم والشبهات

والغارة والرشى والجهات المحظوره فهم قد تعرضوا لسخط الله تعالى فى كسبها وتعرضوا لسخطه
فى انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن كسبها فاذا عصوا الله تعالى كان الواجب عليهم التوبه والرجوع
الى الله تعالى وردّها الى مُلّاكها اثنا باعيانها واما ردّ بدلها عند العجز فان عجز واعن الملاك وكان
الواجب ردّها الى الورثة وان لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربّما كان يكون
الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفةً من ان لا يظهر للناس ذلك فيبنون الأبنية
بالأجر وغرضهم من بنائها الرّيا وجلب الثنا وحرصهم على بقائها لبقاء أسامیهم بها لا لبقاء الخير
والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير فى الانفاق على الأبنية ولو كلف واحدٌ
منهم ان ينفق دينارًا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشقّ عليه ولم تسمح نفسه به والله
يطّلع عليه كتب اسمه اولم يكتب فلولا انه يريد بوجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى
ربّما اكتسب من الحلال وانفقه على المساجد وهى ايضًا معرورة من وجهين احدهما الرّيا وطلب الثنا
فانه ربّما كان فى جواره او فى بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من الصرف الى المساجد وزينتها وانما
يخفّ عليه الصرف الى المساجد ليظهر بين الناس ذلك والثانى يصرف الى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش
التى هى منهيٌّ عنها وشاغلةٌ قلوب المصلين ومُختطِفةٌ ابصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور
القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغترّ
به ويرى انه من الخيرات ويعتدّ ذلك وسيلةً له الى الله وهو بذلك قد تعرّض لسخط الله وهو يظنّ
انه مطيعٌ لله ومُمتثِلٌ لأمره وقد شوّش قلوب عباد الله بما زخرف من المسجد وربّما شوّقهم به الى
زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك فى بيوتهم فيشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله فى رقبته إذ
المسجد للتواضع وللخضوع القلب مع الله تعالى قال مالك بن دينار دخل رجلان مسجدًا فوقف احدهما
على الباب وقال مثلى يدخل بيت الله تعالى فكتب على المكان عند الله مذيقًا فبهذا ينبغى ان تُعظّم
المساجد وهو ان يري تلويث المسجد بنفسه جنايةً على المسجد لا أن يري تلويثًا المسجد بالحرام
او بزخرف الدنيا منّةً على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال
أصبتم أمتى والحق اقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجرًا على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله
يحب ما بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التى يعجبكم شيأ وان احبّ الاشيا الى الله القلوب الصالحة
بها يعمر الله الارض وبها تخرب اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم اذا
زخرفتم مساجدكم وحلّيتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما اراد ان يبنى مسجد المدينه اتاه جبريل فقال أبنه سبعة ادرع طولًا فى السما لا تزخرفه
ولا تنقشه فغرور وهذا من حيث انه رأي المنكر معروفًا واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون
الأموال فى الصدقات على الفقرا والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعه ومن الفقرا من عادته
الشكر والإفشا للمعروف ويكرهون التصدّق فى السر ويرون اخفا الفقر لما أُخذ منهم جناية
عليهم وكفرانًا وربّما يحرصون على انفاق المال فى الحج فيحجون مرّةً بعد أخرى وربّما تركوا
جيرانهم جايعين ولذلك قال ابن مسعود فى اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم
السفر ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى باحدهم بعيره من القفار
والرمال وجاره ما سورٌ الى جنبه لا يواسيه وروي انو نصر التمار ان رجلًا جا يودّع بشر
بن الحارث فقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الف درهم قال
بشر واي شيء تبتغي بحجك هذا اشتياقًا الى البيت أو ابتغا مرضات الله قال ابتغا مرضات الله
قال فان اصبت رضا الله وانت فى منزلك وتنفق الفى درهم وتكون على يقين من مرضات الله أتفعل
ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة انفس مديون تقضى دينه وفقير ترمّ شعثه ومعيل
تحيي عياله ويتيم تفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدًا افعل فان ادخال السرور على قلب المسلم
واغاثة اللهفان وكشف الضرّ واعانة الضعيف افضل من مأية حجه بعد حجة الاسلام قم فاخرجها
كما امرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا ابا نصر سفري أقوى فى قلبي فتبسّم بشر واقبل عليه
فقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضى به وطرًا فاظهرت
اعمال الصالحين وقد أبى الله على نفسه الا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى من ارباب الاموال
يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات التى لا تحتاج فيها الى نفقة
كصيام النهار وقيام الليل وختم القران وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على قلوبهم فهم
محتاجون الى قمعه باخراج المال وقد اشتغلوا بطلب فضايل هم مستغنون عنها ومثال
ذلك من دخلت فى ثوبه حيّة وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن
به الصفرا ومن قتلته الحيّة متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا الغنى كثير الصوم
والصلاة فقال مسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره انا حال هذا اطعام الطعام والانفاق على المساكين
فهذا افضل من صومه وتجويعه نفسه ومن خلوته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه الفقرا وفرقة اخرى
غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي

يرغبون عنه ويطلبون من الفقرا من خدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستخدام في خدمته او من لهم نيه على الجملة غرض او يسلون ذلك من يعينه واحد من الاكابر بحيث يستطهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة ليقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات النيه ومحبطات العمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع لله تعالى وهو تاجر فاجر إذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من مغرور أرباب الاموال ومغرور ارباب الاموال ايضا لا تحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقرا اعتادوا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عبادة ويظنون ان لهم اجرا على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم تهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وربما يؤدي لغيره اذا قصر عن الأداء الى ذلك الغير فلا يتم له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكا وربما يدخله رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطبا فيسمع ما يجري او الجايع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية وينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيأ وكذلك ساير وصف الطاعات دون العمل به لا يغني من الله شيأ فكل وعظ لم يغيّر منك صفة تغيّر أفعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة وحجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا

فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب اليأس اذ لا يقوي احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط تدقيق النظر في خفايا الطرق الى الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان ينتزل الطير المحلق في جو السما مع بعده منه استنزله واذا اراد ان يستخرج الحوت من اعماق البحار استعد وكذلك اذا اراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال استخرجه واذا اراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها واذا اراد ان يستخر الباع والفيله وعظيم الحيوانات فاستسخرها واذا اراد ان يأخذ الأفاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج التراب من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذه واراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض فكذلك باستنباط الحيل واعداد الآلات فتسخر الفرس للركوب والكلب للصيد وسخر الباز لاقتناص الطيور وهيأ الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقايق حيل الادمي فكذلك لان همته أمر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همة أمر آخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه وتجادل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال ولو اصبح وهمة هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا ما لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن أتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت إرادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها **فان قلت** فقد فرغت الأمر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فبم ينجوا العبد من الغرور فاعلم انه ينجو عنه بثلثة أمور بالعلم والعقل والمعرفه فهذه ثلثة لا بد منها اما العقل فأعني به الفطره الغريزيه والنور الأصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور فصفا العقل ودكاء الفهم لا بد منه في أصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل أصله امكن تقويته بالممارسه فاساس السعادات كلها العقل والكيس قال عليه السلام تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اثنتا ان الرجلين ليشتوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أحد وما قسم الله لخلقه حظا هو أفضل من العقل واليقين وعن ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنايز ويعود الضعيف ما يعلم منزلته عند الله يوم القيامه فقال صلى الله عليه وسلم انما يجزي على قدر عقله وقال انس أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال عليه السلام كيف عقله قالوا يا رسول الله يقول بعبادته وفضله وخلقه فقال كيف عقله فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يعرف الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدرداء كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رجل شدة عباده فسأل عن عقله فاذا قالوا حسن قال أرجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكا وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك له الثاني المعرفه واعني به ان يعرف اربعة أمور يعرف نفسه ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل ويكونه غريبا في هذا

العالم واجنبيًا فى هذه الشهوات البهيميّه وانما الموافق له طبعًا هو معرفة الله تعالي والنظر الى وجهه
فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربّه ولنستعين على هذا بما ذكرناه فى كتاب شرح
المحبّه وكتاب شرح عجايب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها اشارات الى وصف النفس والى وصف
جلال الله تعالي ويحصل به التنبّه على الجمله وكمال المعرفه ورآه فان هذا من علوم المكاشفه ولم يطنب
فى هذا الكتاب الا فى علوم المعاملة واما بمعرفة الدنيا والاخره فيستعين عليه بما ذكرته فى كتاب ذمّ الدنيا
وكتاب ذكر الموت ليتبيّن له ان لا نسبة للدنيا الى الاخرة فاذا عرف نفسه وربّه وعرف الدنيا والاخره نار
من قلبه بمعرفة الله حبّ الله وبمعرفة الاخره شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهتمامه
امُوره ما يوصله الى الله تعالي وينفعه فى الاخرة واذا غلبت هذه الاراده على قلبه صحّت نيّته فى الامور كلها
فانه اكل مثلًا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة وصحة نيّته واندفع
عنه كل غرور ينشأ منه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والمال والجاه فان ذلك هو المفسد للنيّة وما
دامت الدنيا احبّ اليه من الاخره وهوي نفسه احبّ اليه من رضا الله تعالي فلا يمكنه الخلاص من الغرور
فاذا غلب حبّ الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى الثالث
وهو العلم اعنى العلم بكيفيّة سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربّه من الله وما يبعده عنه والعلم
بآفات الطريق وعقباته وغوايله وجميع ذلك اودعناه كتب احياء علوم الدين فتعرف من ربع العبادات
شروطها فتراعيها وآفاتها فتتّقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطرّ اليه فيأخذه
بأدب الشرع وما هو مستغنىً عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من
طريق الله تعالي فان المانع من الله الصفات المذمومه فى الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعلم
من ربع المنجيات الصفات المحموده التى لابدّ وان توضع خلقًا عن المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع
ذلك امكنه الحذر عن الانواع التى اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حبّ الله تعالى على القلب
وسقط حبّ الدنيا منه حتى تقوي به الاراده ويصح به النيّه ولا تحصل ذلك الا بالمعرفة التى ذكرناها
فان قلت فاذا حصل جميع ذلك فما الذي نخاف عليه فأقول نخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى
نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله تعالي فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب
الاخلاق وراقب القلب حتى صفّاه عن جميع الكدورات واستوي على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا فى
عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا همّ واحد وهو الله تعالى والتلذذ

بذكره بمناجاته والشوق الى لقايه وقد عجز الشيطان عن اغوايه اذ يأتيه من جهة الدنيا
[illegible] شهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة على خلق الله تعالي والشفقة
على دينهم بالنصح لهم والدعا الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم حيارى فى أمرهم سكارى
فى دسهم ضالّين قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلب
على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفه بما يهديهم ويبين لهم ضلالتهم ويرشدهم الى
سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعبٍ ولا مؤونةٍ ولزوم غرامةٍ فكان مثله كرجل كان به داءٌ
عظيمٌ لا يطاق ألمه وكان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف
لشدّة ضربان الألم فوجد له دواءً صفوًا من غير تعب ولا ثمنٍ ولا مرارةٍ فى تناوله فاستعمله فبرأ
وصحّ فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة قلقه وطاب عيشه بعد نهايةٍ
الكدر وأصاب لذّة العافيه بعد طول السقام ثم نظر الى عددٍ كثيرٍ من المسلمين فاذا بهم تلك العلّة
بعينها وقد طال سهرهم واشتدّ قلقهم وارتفع الى السما أنينهم فيذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه
ويقدر على شفايهم باسهل ما يكون وفى اوحى زمان يقرّر فأخذته الرحمه والرقّه ولم يجد فسحة
من نفسه فى التراخى عن الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدي الى الطريق
وشفى من امراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضلداؤهم وقرب هلاكهم وشقاهم
وسهل عليه دواءهم فانبعث من داخل نفسه عزمٌ جازمٌ فى الاشتغال بنصحهم وحرّضه الشيطان
على ذلك رجاء ان يجد مجال الفتنه وكما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنه فدعا الى الرياسة دعاءً
خفيًا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب فى قلبه حتى دعاه الى التصنّع
والتزيّن الى الخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنّع فى الزيّ والهيأت فاقبل الناس
اليه يعظّمونه ويبجّلونه ويوقّرونه توقيرًا يزيد على توقير الملوك اد داؤه شافيًا لدائهم بمحض
الشفقة والرحمه من غير طمع فصار من آبايهم وابنايهم وامهاتهم واقاربهم فأثروه بأبدانهم
واموالهم وصاروا له خولًا كالخدم والعبيد فخدموه وفى المحافل قدّموه وحكّموه على الملوك
والسلاطين فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وثارت لذّة يا لها من لذّة حيث اصابت من
الدنيا شهوةً يستحقر معها كل شهوةٍ وكان قد ترك الدنيا فوقع فى اعظم لذّاتها وعند ذلك
الشيطان فرصةً وامتدّت الى قلبه يده فهو يستعمله فى كل ما يحفظ عليه تلك اللذّة وامارة انتشار
الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فردّ عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه

ما وجده من الغضب بادر الشيطان وخيل اليه ان ذلك غضب لله تعالى لانه اذا لم تحسن اعتقاد
المريد بن فيه انقطعوا عن طريق الله تعالى فوقع الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن
وقع عليه فوقع في الغيبة المحظوره بعد ترك الحلال ووقع في الكبر الذي هو ثمرة عن قبول الحق
والتكبر عليه بعد ان كان يحذره من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض
الاوراد جزعت نفسه عن ان يطلعوا عليه فيسقط قبول اتباع ذلك باستغفار وتقشف صعدا
وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتروا بهم
عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه وانما ذلك خدعة وغرور بل هو جزع من اليقين حنيفة
فوت الرياسة وكذلك لا تجزع نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك
ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه
شق ذلك عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت بالرياسة لكان يغتم ذلك اذ مثاله
ان يرى الرجل جماعة من اخوانه وقد وقعوا في بير وتغطى راس البير بحجر كبير فعجز واعن الرقي
من البير بسببه فرق قلبه لاخوانه فجاء يرفع الحجر من راس البير ويشق عليه مجاءة من اعانه
على ذلك حتى تيسر عليه اوكفاه ذلك وجاء بنفسه فعظم بذلك فرحه ادغرضه خلاص اخوانه
من البير فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه اوكفاه ذلك
فلم يثقل عليه ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان الى كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه
فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدي ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء **فان قلت**
من يصح له ان يشتغل بنصح الناس فأقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان
بحيث لو وجد من يعينه اواهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن اموالهم
واستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بدبتهم اذا كان الله تعالى محمودا ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن
بوجه الله تعالى وينظر اليهم كما ينظر الى الشادات والى البهايم اما الى الشادات فمن حيث لا يتكبر
عليهم ويرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهايم فمن حيث انقطاع طمعه عن
طلب المنزلة في قلوبهم وانه لا يبالي كيف رأه البهايم فلا يتزين لها ولا يتنح بل راعي الماشيه
اذا غرضه رعاية الماشيه ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فمن لم ير سائر الناس كالماشيه
التي لا يلتفت الى نظرهم ولا يبالي بهم لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن تفسد
نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء غيره ويحترق نفسه **فان قلت** فلو ترك الوعظ الوعظ

لا عن سبيل هذه الرتبة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول قد قال عليه السلام
خراب الدنيا راس كل خطيه ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب
والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا مهلك وان ذكر كونه مهلكا لا ينزع
الحب من قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب
الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله
على عباده ليسوقهم بها الى جهنم تصديقا لقوله تعالى ولكن حق القول لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة بحب الرياسة ولا يدعوها بقول
من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لم يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربوا
والظلم وساير المعاصي بقول الله تعالى ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب
عن حديث الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم فانما نخشى
ان يفسد طريق الاتعاظ فانما ان تحرس السنة الوعاظ وورائهم باعث الرياء وحب الدنيا
فلا يكون ذلك ابدا **فان قلت** فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان بنفسه وترك
النصح او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين
يديه من الاخطار وحايل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول قد اعجبتني
وافلتت مني بدكائيك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك
فما اصبرك وما اعظم عند الله محلك اد قوا ك على قهري ومكنك من التفطن لجميع
مداخل غروري فيصغي اليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه
بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الاكبر فالعجب اكبر من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن
آدم اذا ظننت انك بعملك نجوت مني فقد وقعت في حبائلي **فان قلت** فلو لم يعجب بنفسه
اذا علم ان ذلك من الله تعالى لامنه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله
ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا قدر على مثل هذا الامر العظيم
علم انه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد هذا وبنفي العجب فاقول
يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه يبقى علي
هذه الوتيرة في المستقبل فلا يخاف من الفترة والانقلاب منه فيكون حاله الاتكال على ظن الله

فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدًا بل طريقه ان يكون
مشاهدًا لجلة ذلك من فضل الله خايفًا على نفسه ان يكون قد شذت عنه صفة من صفات
قلبه من حب دنيا وريا خلق والتفات الى غير وهو غافل عنه ويكون خايفًا ان يسلب حاله
في كل طريقة غير أمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف
لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال الشيطان لبعض الاولياء في وقت النزع وكان قد
بقي له نفس فقال أفلتّ مني يا فلان فقال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العاملون
والعاملون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر
عظيم فاذا المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر
قلوب اولياء الله تعالى فنسال الله تعالى حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها تم كتاب الغرور
وبتمامه قد تم ربع المهلكات بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ويتلوه كتاب التوبة من اول
ربع المنجيات بمشيئة الله تعالى فانه القادر على ذلك لا ان لنا من الامر شيء

والحمد لله وحده وصلوته على سيدنا محمد النبي المصطفى وعلى اله واصحابه
الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرا وكتبه لنفسه ولمن شاء الله
من بعده العبد الفقير الى الله تعالى المعترف بذنبه الراجي
عفو ربه علي بن محمد بن علي بن الحسام غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات
وكان الفراغ منه في يوم الخميس المبارك عاشر جمادي
الاخر عام ثلاث وخمسين وثمانمايه بعد الهجرة
النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
والتحية والاكرام وحسبنا الله ونعم
الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد
واله وصحبه اجمعين
والحمد لله رب العالمين
الكلام صفة
المتكلم

Süleymaniye Kütüphanesi
AHMED HÜSEYİN PAŞA
268